المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الكشف المبدي

لتمويه أبي الحسن السبكي

في تكملة الصارم المنكي

تأليف

أبي حامد محمد بن حسين بن إبراهيم الفقيه

(ت : ١٣٥٤هـ)

تحقيق ودراسة الطالب

أبي بكر بن سالم شهال

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إشـــراف

فضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن سعد السحيمي

العام الجامعي / ١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم ا الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله القائل : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾(١) والقائل : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾(٢) والصلاة والسلام على رسول ا الله الهادي إلى أحسن سبيل ، القائل : « لا يشكر ا الله من لا يشكر الناس »(٣) .

وبعد :

فبعد حمد ا الله تعالى ، ومن منطلق هذا الهدى الرباني الكريم فإنني أتوجه بالشكر الجزيل ، والدعاء الكثير إلى والديّ الحبيبين الطيبين الكريمين الرؤوفين الرحيمين اللذين علماني أمور ديني ، والآداب الإسلامية بقدر استطاعتهما وتيسير ا الله لهما ، ووجهاني لطلب العلم وشجعاني على تحصيله ، فلهم من ا الله أعظم الجزاء وأوفر الشكر ، ولهم مني أعطر الثناء وأحسن الذكر ، وأخلص الدعوات ، وأبر المعاملات . أسأل ا الله أن يعينني على ذلك إنه سميع مجيب الدعوات .

وبعد ذلك أشكر جامعتنا الميمونة ــ الجامعة الإسلامية ــ والقائمين عليها ، من مديرين ومسؤولين وأساتذة ومشايخ .

وأشكر فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي ، مشرفي على هذه الرسالة ، الذي أولاني اهتماماً بالغاً ، فسددني ووجهني وأرشدني ، فكان أباً ومشرفاً في آن معاً، وأشكر من تولى مناقشة هذه الرسالة الشكر الجزيل .

ومن باب الإعتراف بالجميل فإنني لا أنسى أن أشكر كلية الحديث الشريف والقائمين عليها ومدرسي فيها الذين استفدت من علومهم وإرشاداتهم الشيء الكثير ، فشعرت بقيمة العلم

---

(١) سورة المائدة ، آية / ٢ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية / ٧ .

(٣) رواه أبو داود (الأدب ـ باب في شكر المعروف ـ ٥ / ١٥٧ رقم ٤٨١١) والترمذي (البر والصلة ــ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ــ ٤ / ٢٩٨ ــ ٢٩٩ رقم ١٩٥٤) وقال : حسن صحيح ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤١٧) وله شواهد .

ولذته وبشاشته في تلك الكلية الطيبة . ورحم الله شعبة إذ يقول : " كل من كتبت عنه حديثاً فأنا له عبد "(١) .

وأشكر كل من كان سبباً في قبولي في الدراسات العليا في قسم العقيدة ، والقائمين على كلية الدعوة وأصول الدين ، الذين قبلوني في كليتهم طالباً جديداً .

كما أشكر الشيخ صالح المحسن الذي تفضل بإعطائي القسم الثاني من الكتاب الذي أقوم بتحقيقه .

وأشكر كل من أمدني بعون ، وأرشدني بنصيحة ، وأعارني كتابا . كما لا يفوتني أن أشكر الأخ الحبيب الدكتور غسان عبد الرحمن الذي إذا قلت فيه ما قلت فلن أوفيه حقه ، فليكن جزاؤه عند من لا يبخسه أجره ، حيث إن أفضاله علي متتابعة ، من قبل مجيئي إلى هذه الجامعة ، ولا زالت تتابع وتزداد ، شكر الله له وضاعف له أجره يوم المعاد ،

وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٠٨) .

المقـــــــــدمة

بسم ا لله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا لله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾(١) .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا ا لله الذي تساءلون به والأرحام إن ا لله كان عليكم رقيباً ﴾(٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا لله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع ا لله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾(٣) .

أما بعد : فإن خير الحديث كلام ا لله ، وخير الهدي هدي محمد صلى ا لله عليه وسلم ،وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد : فإن ا لله عزوجل أنزل هذا الدين ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور وليهديهم سواء السبيل فقال عز وجل : ﴿ ا لله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾(٤) . وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليهتدي الناس بهداها ، ويستنيروا بنورها ، فمن قبلها فقد فاز ورشد ، ومن أباها وجحدها فقد خاب وخسر ، قال عز وجل : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث ا لله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى ا لله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه وا لله يهدي من يشاء إلى صراط

---

(١) سورة آل عمران ، آية / ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، آية / ١ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية / ٧١ .

(٤) سورة البقرة ، آية / ٢٥٧ .

مستقيم ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مَثَلُهُ في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زُين للكافرين ماكانوا يعملون ﴾(٢) .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتَم النبيين ، حيث بعثه ربه بخاتم الرسالات وأتم الشرائع ، وقيض له أفضل الأصحاب ، وأشرف الأتباع ، فحملوا هذا الدين يستسهلون الصعب ، ويستعذبون العذاب ، فكانوا كما وصفهم الله في كتابه : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...﴾(٣) .

فحفظوا الاسلام عقيدة وشريعة واتباعاً ، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله حق الجهاد ، بالبنان والسنان فحفظ الله بهم الدين ، وخذل بهم أعداءه الملحدين .

وجاء مِن بعدِهم اتباعُهم ، حتى إذا تتابعت القرون ، وتباعدت السنون ، ظهر في الإسلام أناس لا يعرفون الجاهلية ، فخاضوا في الدين بأهوائهم وآرائهم ، فضلوا وأضلوا ، فكان لأهل السنة والجماعة أتباع الصحابة الكرام نصيبُ الرد على هؤلاء الزائغين ، فصنف كبار أئمة الإسلام ، الكتب الضخام ، والرسائل الفخام ، لردع هؤلاء الطغام ، وزجرهم عن غيهم ، وناظروهم وأقاموا عليهم الحجج والبراهين ، فلله درّهم من علماء عاملين ، فلا تكاد تجد عصراً من الأعصار ، إلا وفيه لله أنصار . ولله در الإمام أحمد القائل : " الحمد لله الذي جعل في كل زمانِ فترةٍ من الرسل ، بقايا من أهل العلم ، يَدْعون من ضل إلى الهدى ، ويَصبِرُون منهم على الأذى ، يُحيون بكتاب الله الموتى ، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لأبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله ، وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين "(٤) .

---

(١) سورة البقرة ، آية / ٢١٣ .

(٢) سورة الأنعام ، آية / ١٢٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية / ١١٠ .

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية (ص : ٦) .

ومن هؤلاء الذين يسرهم الله لنصرة هذا الدين ، شيخ الإسلام والمسلمين ، علم الأعلام الشامخين ، أحمد بن عبد الحليم ، المعروف بابن تيمية ، الذي صار اسمه مقروناً بنصر السنة وانهزام البدعة ، والجهاد في سبيل الله ، فما كان من بعض معاصريه ــ وهو السبكي ــ إلاّ أن خاض في الرد عليه ـ وذلك بعد وفاة ابن تيمية ـ في مسألة الزيارة والتوسل والاستغاثة ... فأتى في كتابه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والآراء الكاسدة والأهواء الفاسدة ، ليؤيد به مذهبه ، فتصدى للرد عليه أحد تلاميذ مدرسة ابن تيمية ، ألا وهو الامام ابن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي ، إلا أنه لم يتمه تأليفاً ، وبقي الكتاب غير تام ، حتى قيض الله الشيخ محمد بن حسين بن إبراهيم الفقيه فأتمه على وجه حسن ، حتى صار كالبدر التمام بكتاب سماه الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي ، تكملة الصارم المنكي ، فأحسن وأجاد ، ونقل وأفاد ، فجزاه الله عنا خيراً ، ولذلك آثرت أن يكون موضوع بحثي ورسالتي دراسة وتحقيقاً ، للقسم الثاني والأخير منه في المرحلة العالمية (الماجستير) .

سبب أختيار الموضوع

وسبب اختياري للموضوع :

١ ـ تيسير الله عز وجل لي ذلك ، وذلك بعد الاستخارة والاستشارة .

٢ ـ أن الكتاب تكملة لكتاب أصيل في الرد على أهل الأهواء من الصوفية وغيرهم ، فتكملته تكمن أهميتها بأهمية أصله .

٣ ـ أنه يعالج قضايا ما زالت توجد بين كثير من المسلمين ، وهي في توحيد العبادة وإخلاصها لله عز وجل وتوحيد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ ـ أن الكتاب وموضوعه بعيد كل البعد عن أساليب المتكلمين ، وهو على عقيدة السلف .

٥ ــ أن المؤلف لم يكتف بالرد على السبكي بل أتى بالرد على كل من جرى مجراه كالهيتمي ، وداود العراقي ، ويوسف النبهاني ، وإبراهيم الباجوري ، فصار كتاباً جمع فيه الردود على أهل الباطل المتقدمين والمتأخرين .

خطة البحث

هذا وقد سرت في تحقيق هذا الكتاب كما يلي :

قسمت البحث إلى قسمين :

القسم الأول : قسم الدراسة ويشمل بابين .

الباب الأول : في التراجم والتعريف بالمخطوط ومنهج التحقيق ، وفيه فصلان :

الفصل الأول : في التراجم . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ترجمة موجزة للإمام ابن تيمية .

المبحث الثاني : ترجمة موجزة للشيخ علي السبكي .

المبحث الثالث : ترجمة موجزة للإمام ابن عبد الهادي .

الفصل الثاني : في ترجمة المؤلف وكتابه ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في ترجمة المؤلف ويتضمن الكلام عن ولادته ونشأته وشيوخه وتلاميذه ، ومكتبته ، وعقيدته ، وجهوده ، ...

المبحث الثاني : في بيان منهج المؤلف وبعض المآخذ عليه وعلى كتابه .

المبحث الثالث : في الكتاب : ويتضمن الكلام عن وصف النسخة الخطية ومنهج التحقيق .

الباب الثاني : في دراسة موضوع الكتاب ، وقد انقسم هذا الباب إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : في بيان التوحيد ، ونواقضه وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : في توحيد العبادة ، وفضله وأركان العبادة وشروطها ،

المبحث الثاني : في أهم نواقض التوحيد .

المبحث الثالث : في التوسل ؛ أنواعه وأحكامه .

الفصل الثاني : في حياة الأنبياء بعد وفاتهم ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : في الباعث على القول بحياة الأنبياء في قبورهم .

المبحث الثاني : في حجج القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم .

المبحث الثالث : في الجواب عن حجج القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم ،

المبحث الرابع : في بيان نوع الحياة المثبتة للأنبياء بعد وفاتهم .

الفصل الثالث : في الشفاعة وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف الشفاعة .

المبحث الثاني : في أدلة الشفاعة من الكتاب والسنة

المبحث الثالث : في إنكار المعتزلة والخوارج للشفاعة والرد عليهم .

المبحث الرابع : في أقسام الشفاعة وأركانها وشروطها .

المبحث الخامس : في أنواع الشفاعة .

المبحث السادس : في المقام المحمود .

الفصل الرابع : في بيان منهج السلف الصالح في إثبات العقيدة عموماً والأسماء والصفات خصوصاً ، وفيه :

المبحث الأول : موافقة العقل للنقل .

المبحث الثاني : في عدم التأويل .

المبحث الثالث : في عدم التفريق في الاحتجاج بين الكتاب والسنة والآحاد والمتواتر.

والقسم الثاني : هو القسم المحقق ، وقد تكلمت عن منهج التحقيق أثناء كلامي عن المخطوط .

أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في عملي هذا ، وما كان فيه من إصابة فمن الله تفضلاً وإحساناً ، وما كان فيه من خطأ وتقصير فأستغفر الله من ذلك ، فالإنسان مهما حاول الكمال. يبقى ناقصاً إلا من عصمه الله العلي القدير ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

القســـم الأول

الدراســــــــــــة

الباب الأول

في التراجم والتعريف بالمخطوط ومنهج التحقيق

الفصل الأول

المبحث الأول

ترجمة ابن تيمية رحمه الله تعالى(١) :

هو الإمام العالم الرباني أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية أبو العباس الحراني ، ثم الدمشقي شيخ الاسلام ، بحر العلوم ، فارس الفنون ، ناصر السنة وقامع البدعة ، المجدد لعلوم الدين هازم التتار والمشركين بفضل الله رب العالمين ،

ولد بحران يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ ولما بلغ من العمر سبع سنين انتقل مع والده إلى دمشق . هرباً من وجه الغزاة التتار .

نشأ في بيت علم وفضل وأدب ، فبنو تيمية مشهورون بالعلم والعلماء ، فأبوه وجده وإخوانه من أبرز علماء تلك العصور ، كان نابغاً ذكياً ، كل من له أدنى فراسة يرى عليه بشائر الخير والنور . شهد له بذلك مشايخه ، فعنوا به ، فطلب علوم الحديث والفقه والتفسير والأصول وغيرها حتى أصبح واسع الاطلاع ، مشهوداً له بذلك من المشايخ والاتباع ،

كان سريع البديهة سريع استحضار الأحاديث والآيات ، سريع الحفظ ، وكان مجاهداً ، له مواقفه المشهودة ، ضد غزو التتار ، وفتاويه الحميدة في الباطنية الأشرار ، تصدى في كتبه لاعداء

---

(١) مصادر ترجمته : صنفت كتب كثيرة في ترجمته ومناقبه . منها المعاصر له ، ومنها المتأخر عنه ، ومنها معاصرة لنا ، ومن المعاصرة من تكلم عن ابن تيمية في جانب من جوانب علمه وحياته ؛ كونه فقيهاً ، أو محدثاً ، أومجاهداً ، أو مصلحاً ، أو عقدياً ، أو داعياً ، أومربياً ، أو مفسراً ، فأصبح رحمه الله قدوة العلماء الأبرار .

فمن أشهر تلك الكتب : العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي ، والأعلام العلية للبزار ، والرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ، والكواكب الدرية ليوسف بن مرعي الكرمي الحنبلي ، والقول الجلي في ترجمة ابن تيمية الحنبلي لصفي الدين الحنفي البخاري ، وغيرها كثير .

ومن مصادر ترجمته : تذكرة الحفاظ للذهبي (٤ / ١٤٩٦) معجم الشيوخ له (١ / ٥٦) البداية والنهاية (١٤ / ١٣٥) والدرر الكامنة لابن حجر (١ / ١٤٤) فوات الوفيات (١ / ٧٤ — ٨٠) . الذيل على طبقات الحنابلة (٢ / ٣٨٧ ـ ٤٠٨) المقصد الأرشد (١ / ١٣٢) شذرات الذهب (٦ / ٨٠ - ٨٦) والبدر الطالع (١ / ٦٣) وغيرها .

هذا الدين من فرق وأديان ، وللمبتدعة في ذلك الزمان ، فصنف الكتب العظام ، والتي أصبحت عمدة العلماء ، ومرجع الفقهاء ، وبلغت حداً كبيراً بحيث لا يكاد أحد يجمعها ويقتنيها .

فمن أشهر كتبه : منهاج السنة في الرد على الروافض والقدرية . ودرء تعارض العقل والنقل ، والإيمان ، واقتضاء الصراط المستقيم ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ورسائل صغيرة في العقيدة غالباً ما تكون عبارة عن أجوبة : كالواسطية والحموية والتدمرية والمراكشية والوصية الكبرى والفتاوى المصرية ... وقد جمعت بعض فتاويه في ٣٥ مجلداً ، وبقي شيء كثير لم يطبع . يسر الله لطلاب العلم من ينشر كتبه على الوجه الحسن ، آمين .

وترك خلفه من التلاميذ من يقوم بتتميم رحلته الإصلاحية ، فكان كبار علماء ذلك الزمان من تلامذته ، ومن الذين أخذوا عنه ، من أشهرهم : ابن القيم ، وابن كثير ، وابن عبد الهادي ، والذهبي وغيرهم كثير .

توفي رحمه الله بعد عمر قضاه في الجهاد والدعوة والتصنيف سنة ٧٢٨ هـ . وكانت جنازته مشهودة رحمه الله رحمة واسعة . إن الله سميع مجيب .

المبحث الثانـي

ترجمة السبكي(١) :

هو الحافظ العلامة ، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام تقي الدين أبو الحسن الخزرجي الأنصاري السبكي المصري ، ثم الدمشقي الشافعي .

ولد سنة ٦٨٣ هـ وسمع بمصر من كبار حفاظ عصره ، ثم رحل إلى دمشق سنة ٧٠٧ هـ وسمع من بعض حفاظها ، وعني بالحديث حتى اشتهر به ، وكان خطه مليحاً ، فكتب شيئاً كثيراً وأتقن ، وصنف المصنفات ، وجمع فنوناً من العلم كالفقه والأدب والنحو واللغة والشعر ،

(١) انظر ترجمته : معجم الشيوخ للذهبي (رقم ٥٣٥) وتذكرة الحفاظ (ص ١٥٠٧) ، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص ٣٩ ــ ٤٠) ، وذيل العبر (٤ / ١٦٨) والوفيات للسلامي (٢ / ١٨٥) والبداية والنهاية (١٤ / ٢٥٣) وطبقات الشافعية للسبكي (١٠ / ١٣٩) ، وغاية النهاية (١ / ٥٥١) والدرر الكامنة (٣ / ١٣٤) والنجوم الزاهرة (١٠ / ٣١٨) وغيرها .

وكان متزهداً متعبداً مديماً للتلاوة .

ولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ ولقب بقاضي القضاة ، وخطب في الجامع الأموي سنة ٧٤٢ هـ أياماً . وبعد أن كبر وضعف ترك ولاية القضاء لابنه عبد الوهاب تاج الدين(١) .

من مؤلفاته :

١ ـ التحقيق في مسألة التعليق ، وهو رد على الامام ابن تيمية في مسألة طلاق الثلاث .

٢ ـ شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، وقد رد الامام ابن عبد الهادي على هذا الكتاب بكتابه الصارم المنكي وأكمله العلامة محمد بن حسين بالكشف المبدي .

٣ ـ السيف المسلول على من سب الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ ـ الابهاج في شرح المنهاج للنووي .

٥ ـ اكمل على شرح المهذب للنووي خمس مجلدات . وغيرها .

وبعد أن ترك القضاء رجع إلى مصر ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦ هـ .

وبالرغم من علمه الكثير ، كانت له مواقف سلبية من الامام علم الأعلام أحمد بن تيمية ، وهو أشهر خصومه ، حتى إنه خرج عن خط الاعتدال الى خط الرد والاعتداء ، فصنف شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، فحاد به عن الجادة المستقيمة ، التي هي من شيم أهل العلم ، فأتى فيه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تنصر ما ذهب اليه من الزيارة والاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا الكتاب عمدة من أتى بعده من المتصوفة والمبتدعين وغيرهم الذين يقولون باستحباب أو وجوب شد الرحال لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذين يقولون بجواز التوسل والاستغاثة والتشفع به عليه الصلاة والسلام . فتصدى للرد على هذا الكتاب الامام الحافظ ابن عبد الهادي ، في كتابه النفيس الصارم المنكي في الرد على السبكي .

---

(١) ولد سنة ٧٢٧ هـ وأجاز له جماعة وسمع من المزي والذهبي وغيرهم ومعن في طلب الحديث ، وكتب الأجزاء والطباق حتى مهر وهو شاب مع اشتغاله بالفقه والأصول والعربية ، وصنف تصانيف انتشرت في حياته ، فشرح مختصر ابن الحاجب ومنهاج البيضاوي ، وصنف طبقات الشافعية وغيرها ، ولي القضاء ، فأصابته محن متتالية ، فأبان عن شجاعة وقوة مناظرة ... وكان كريماً مهاباً ، وكان على طريقة أبيه في أشعريته وتعصبه على ابن تيمية ، مات سنة ٧٧١ هـ في ٧ ذي الحجة .

انظر ترجمته : البدر الطالع (١ / ٤١٠) .

فأتى على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي ضمنها السبكي كتابه ففندها ، وأزهق ما فيها بقوة الحق ونصاعة البرهان . وأثبت الصواب والحق .

قال الامام ابن عبد الهادي في مقدمة الصارم : " أما بعد : فإني وقفت على الكتاب الذي ألفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الاسلام ... في مسألة شد الرحال وإعمال المطي إلى القبور ... فوجدت كتابه مشتملاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وتقوية الآثار الواهية المكذوبة ، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة ، والآثار القوية المقبولة ، أو تحريفها عن مواضعها ، وصرفها عن ظاهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة ، ورأيت مؤلف هذا الكتاب المذكور رجلاً ممارياً معجباً برأيه ، متبعاً لهواه ، ذاهباً في كثير مما يعتقده الى الأقوال الشاذة والآراء الساقطة ... وربما خرق الاجماع في مواضع لم يسبق إليها ..." ثم ذكر أشياء تبين صحة ما ذكره قبل البدء في الرد على ما زبره ، ثم قال : " وقد أطال مؤلف هذا الكتاب فيه بذكر الأسانيد وتكرارها منه الى مؤلفي الكتب كالطبراني والدارقطني ، وغيرها . وحشد فيه بتعداد الطرق إليهم والرواية بالإجازات المركب بعضها على بعض ، والرفع في أنساب خلق من المتأخرين ، وذكر طباق السماع ، وأسماء السامعين ، ونحو ذلك مما يكبر به حجم الكتاب ، وليس الى ذكره كبير حاجة ..." أ . هـ . وهكذا يجر التعصب لرأي ما كبار العلماء لهاوية الهوى ، فيؤيد من أحب وهوى ، ويظلم من كره وقلى . أعاذنا الله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

المبحث الثالث :

في ترجمة الامام ابن عبد الهادي(١) :

هو الامام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي أبو عبد الله الجمّاعيلي الأصل ، ثم الدمشقي الصالحي ، ولد سنة ٧٠٥ هـ على الأرجح وقيل سنة ٧٠٤ هـ بقرية جمّاعيل ، وهي قرية بجبل نابلس في فلسطين ، تخرج منها علماء كبار ، ونسبوا إليها .

سمّعه أبوه كبار علماء عصره ، فبرع وحفظ كتباً كثيرة ، منها : أرجوزة الخويي في علم الحديث ، والشاطبية ، والرائية ، والمقنع ، ومختصر ابن الحاجب ، وعلق على أحاديثه ، وصار إماماً عالماً مقرئاً ، وناقداً بارعاً في فنون كثيرة ، حصل من العلوم ما لم يبلغه الشيوخ الكبار ، فبرع وجمع وتصدى للإفادة ، له ذهن سيال . وكان حسن الفهم ، جيد المذاكرة ، مستقيماً على طريقة السلف ، مثابراً على فعل الخيرات عني بالرجال والعلل والقراءات ، وتفنن في الحديث والفقه والتفسير ، وأصول الفقه وأصول الدين ، والتاريخ والنحو والتصريف والأدب وغيرها .

وبعد طلبه للعلم ونبوغه فيه ولي مشيخة الحديث بالضيائية والغيائية والصالحية والصدرية ، ودرس بالمدرسة المنصورية . وكل ذلك في سن متقدمة . وصنف ما يدل على طول باعه في العلم ، فصنف :

١ - تنقيح التحقيق على أحاديث التعليق . ظهرت فيه مواهبه الحديثية والفقهية .

٢ - وفضائل الشام .

٣ - وقواعد في أصول الفقه .

---

(١) انظر ترجمته : الوفيات للسلامي (١ / ٤٥٨) والوافي بالوفيات (٢ / ١٦١) وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤ / ١٥٠٨) والبداية والنهاية لابن كثير (١٤ / ٢١٠) والحسيني ذيل تذكرة الحفاظ (ص : ٤٩) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢ / ٤٣٦) وابن حجر في الدرر الكامنة (٣ / ٣٣١) وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي (ص : ٣٥١) وشذرات الذهب (٦ / ١٤١) والبدر الطالع للشوكاني (٢ / ١٠٨ - ١٠٩) .

٤ ـ والعقود الدرية في مناقب الإمام ابن تيمية .

٥ ـ الصارم المنكي في الرد على السبكي ـ و لم يتمه فأكمله الشيخ محمد بن حسين الفقيه بكتابه الكشف المبدي ، والذي أقوم بتحقيق القسم الثاني منه .

٦ ـ رسالة لطيفة في أحاديث متفرقة ضعيفة .

٧ ـ المحرر في أحاديث الأحكام ـ وهو من أهم كتب أحاديث الأحكام .

٨ ـ زوال الترح في شرح منظومة ابن فرح ، في مصطلح الحديث .

هذه الكتب المطبوعة ، وأما المخطوطة أو المفقودة فكثير جداً ، فإن مؤلفاته قد بلغت أكثر من سبعين مصنفاً : تزيد على المائة مجلد ، منها الكامل ومنها ما لم يكمل بسبب وفاته المبكرة ، ويعد بذلك من العلماء المكثرين من التصانيف ، الحائزين قصب السبق في إتقان العلم ، وجودة التأليف ، أثنى العلماء على علمه وحسن تأليفه ، وكل من ترجم له أثنى عليه ، ومدحه بألفاظ التفخيم والتعظيم .

ومع ذلك فإنه لم يعمر ، فتوفي قبل سنّ الأربعين سنة ٧٤٤ هـ قبل وفاة أبيه(١) بثمان سنين ، وكان سبب وفاته أنه مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحمى سل ، ثم تفاقم أمره ، وأفرط به إسهال ، وتزايد ضعفه إلى أن توفي يوم الأربعاء في العاشر من جمادى الأولى ، وكان آخر كلامه ـ كما أخبر والده ـ : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته .

وصلي عليه يوم الخميس بالجامع المظفري ، وحضر جنازته قضاة البلد ، وأعيان الناس من العلماء والأمراء والتجار والعامة ، وكانت جنازته حافلة مليحة ، وتأسف الناس عليه ، وكان الحافظ الذهبي يبكي ويقول : " مااجتمعت به قط إلا واستفدت منه " .

---

(١) هو الإمام الزاهد أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد ، يلقب بعماد الدين ، ويكنى بأبي العباس ، ولد سنة ٦٧١ هـ ، سمع الحديث وحدث به ، وكان زاهداً عاقلاً مقرئاً ، توفي في ٤ صفر سنة ٧٥٢ هـ .
انظر الدرر الكامنة (١ / ١٩٥)

الفصل الثاني

المبحث الأول

ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى(١)

هو الشيخ العلامة أبو حامد محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم المشهور بالفقيه ، الدمنهوري المصري ثم الحجازي ، وعائلته الآن تعرف بعائلة الفقيه .

ولد الشيخ رحمه الله حوالي سنة ١٣٠٤ هـ في دمنهور بمصر ، وقد كان كفيف البصر منذ ولادته كما أفاد ابنه .

وتوفي أبوه وهو صغير جداً فنشأ يتيماً ، وكان تحت وصية عمه إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم ، وكان عمه هذا من أهل الفضل والاهتمام بالعلم ؛ فنشأ ابن أخيه على حب العلم والتعلم ؛ ولما رأى منه النبوغ وحب العلم والتحصيل ، حفَّظَه القرآن الكريم وعلمه شيئاً من العلوم الإسلامية .

وبعد أن كبر الغلام وصار يستطيع أن يعول نفسه ، ويتحمل مسؤوليته سافر للحج مع أمه ، وبعد الحج توفيت أمه ـ رحمهما الله ـ فآثر البقاء في الديار الحجازية في جدة طمعاً منه في تحصيل بعض العلوم الإسلامية .

ومالبث أن طلب العلم على كبار علماء جدة الأبرار . وكان الشيخ محمد لايفوته درس من دروس العلماء والمشايخ أثناء طلبه للعلم ، كان شديد الحرص على ذلك بالغاً فيه الجهد والغاية ، مع أنه كان كفيف البصر . فكان مثال الطالب الجاد ، الذي همه أن يحصل أكبر قدر ممكن من العلم ، فتلقى علوم القراءات السبع على شيخين فاضلين هما من أشهر القراء في ذلك الوقت . ألا وهما:

---

(١) لقد استقيت هذه الترجمة من القسم الأول المحقق ، حيث قام الباحث الشيخ صالح المحسن بتتبع أخبار المؤلف من ابنه حامد وابنته عائشة . وتلامذته : محمد باشميل وحمزة السعداوي وغيرهم . كما أن للمؤلف ترجمة موجزة في مجلة المنهل (مجلد ٦ ص : ١٥٢) بقلم العلامة محمد نصيف تحت عنوان : "علماء جدة المعاصرون والراحلون" . وكتاب : تاريخ مدينة جدة (ص : ٤١٣) لعبد القدوس الأنصاري .
واستفدت من كتابنا هذا للكشف عن حقيقة المؤلف العلمية كما سيظهر ذلك إن شاء الله . والله الموفق .

١ ـ الشيخ أحمد الزهرة رحمه الله المتوفى سنة ١٣٦٤ هـ حيث كان يدرس بمسجد الشافعي ، بالإضافة إلى دروسه في منزله .

٢ ـ والشيخ أحمد حامد أبو تيج المدني .

وتلقى النحو وبعض العلوم الأخرى على الشيخ أحمد الزهرة الذي سبق ذكره . كما لازم الشيخ أحمد ابن العلامة علي باصبر بن الحضرمي الشافعي ، فأخذ عنه الفقه على المذاهب الأربعة ، حتى أصبح الشيخ المؤلف رحمه الله من تلاميذه الخاصين ، فإذا ذكر تلاميذ الشيخ باصبرين فإن المؤلف هو أول المذكورين مع الشيخ عبد القادر التلمساني(١) .

وبعد تحصيله العلم في جُدة اتجه إلى الشام حيث الإمام المحدث محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي ، وكانت رحلته هذه تقدر بخمس سنوات .

فدرس عليه واستفاد منه أيما فائدة ، وخصوصاً في الاتباع ومحاربة البدع ، واعتناق العقيدة الصحيحة ، وفي الحديث وعلومه ، وهذا ظاهر في كتابه هذا . وقد ذكر شيخه القاسمي في هذا الكتاب عدة مرات ، يضمن ذلك رأيه واجتهاداته ، مما يدل على حبه لشيخه ، واحترام رأيه وقوله .

أ ـ مكانة المؤلف العلمية :

إن من أهم مايدل على المكانة العلمية للشخص مايلي :

١) الشيوخ ـ ٢) التلاميذ ـ ٣) الأقران ـ ٤) المؤلفات ـ ٥) الدروس والمحاضرات والمناظرات ـ ٦) المكتبة .

وسوف أتناول شخصية المؤلف العلمية من خلال هذه الأمور الستة إن شاء الله .

- **أولاً : شيوخه :**

تقدم بعض الكلام عن شيوخ المؤلف رحمه الله تعالى وأنهم من أكابر علماء جدة في ذلك الوقت ، فلاغرو أن يحصل منهم علماً واسعاً ، انطبع بعض هذه العلوم في الكتاب .

وهذا تعريف بأهم مشايخه الذين أخذ عنهم مع بيان أثرهم فيه :

١- الشيخ إبراهيم بن سليمان عم المؤلف ، حيث كفله صغيراً وأحسن تربيته ، وحفظ عنده

---

(١) ستأتي تراجم هؤلاء الأعلام في هذه الدراسة .

كتاب الله تعالى ، ومبادئ العلوم . وتعتبر هذه المرحلة أهم مرحلة في التوجه لطلب العلم . فالنشأة لها الأثر الأكبر على الشخص .

٢- الشيخ المقرئ العلامة أحمد بن محمد الزهرة ويقال : الزهراء . الشافعي الدمياطي . ولد بمدينة دمياط حوالي سنة ١٢٨٠هـ ، وطلب العلم بها ، فأقام بالمدينة ثم ارتحل إلى جدة سنة ١٣٠٧هـ حيث استقر بها أربعين سنة متوالية ، درس بمسجد الشافعي بجدة وفي بيته .

امتاز رحمه الله بحسن القراءة والصوت . وكان عنده غيرة على القرآن والنحو فكان يغضب إذا سمع لحناً ، وكان كفيف البصر .

فدرس عليه المؤلف علم القراءات والنحو وبعض العلوم الأخرى . توفي في رمضان سنة ١٣٦٤هـ (١) .

٣- الشيخ أحمد بن حامد بن عبد الرزاق الحسني التيجي المصري المدني ، كان من كبار القراء ، وكان مدرساً بمدارس الفلاح بمكة ، ولد سنة ١٢٨٥ هـ في أبي تيج بمصر ، وتوفي سنة ١٣٦٨ هـ (٢) .

ومما يدل على إفادته منهما في علم القراءات أنه ربما أتى بالآية ، وقال : وفي قراءةٍ كذا وكذا (٣) ، وربما عزا تلك القراءة لمن قرأها كما في قوله تعالى﴿ بل عجبتُ ويسخرون ﴾(٤) حيث أتى بقراءة ضم التاء في ﴿ عجبت ﴾ وأشار إلى أنها قراءة حمزة والكسائي(٥) .

٤- الشيخ أحمد ابن الشيخ علي باصبرين الحضرمي الشافعي(٦) ، ولد سنة ١٢٨٠ هـ بحضرموت ، كان أبوه من أبرز علماء اليمن . أرسله أبوه الشيخ علي إلى مصر ليدرس ، فدرس ورجع إلى جدة حوالي سنة ١٣١٨ هـ ، وفور رجوعه اختبره والده فرآه أهلا للتدريس ، فأنابه

---

(١) انظر ترجمته في أعلام الحجاز (١/١١) والتعليم في مكة والمدينة (ص:٨٨) وتاريخ جدة (ص:٢٧٤) .

(٢) انظر تاريخ جدة (ص : ٢٧٦) ومجلة المنهل (٦/١٥٢) وأهل الحجاز بعبقهم التاريخي (ص : ٣٣٣) .

(٣) انظر القسم الأول المحقق من الكتاب (ص : ٢١٩ و ٣٥٢)

(٤) سورة الصافات ، آية / ١٢ .

(٥) انظر (ص : ٣٨٧) من القسم الذي أقوم بتحقيقه .

(٦) انظر ترجمته : التعليم في مكة والمدينة (ص : ٨٧) والأعلام للزركلي (١/١٨٣) وتاريخ مدينة جدة (ص :٢٧٥) .

عنه في بعض دروسه . ثم إنه أصبح عالماً فقيهاً ، درس على المذاهب الأربعة وصنف في ذلك . توفي سنة ١٣٣٢ وقيل ١٣٣٩ هـ ، ولازمه الشيخ محمد حسين الفقيه وأخذ عنه علماً جماً ، وقد ظهر آثار علمه بالفقه في هذا الكتاب ، فإنه تعرض لأمور فقهية عدة منها إبطال الحيل(١) ، ومنها ماخالف فيه بعضُ الفقهاء الكتابَ والسنةَ . قال بعد ذكر عدة أمثلة : " ومثل قول المالكية بكراهة البسملة في الفرض مع الأحاديث الكثيرة الواردة في قراءة البسملة التي أقل مراتبها أن تكون سنة ، ومثل قولهم في إرسال اليدين في الصلاة ، مع ورود ثمانية عشر حديثاً في قبضها ، بعضها في الصحيح وبعضها في السنن والجوامع والمسانيد إلى غير ذلك(٢) ، ثم ذكر أمثلة أخرى عند بعض المذاهب .

والناظر في هذه المباحث العابرة يرى حقاً أن الشيخ رحمه الله لديه باع طويل في الفقه ، واطلاع واسع على مسائله ، بالرغم من صغر سنه أثناء تأليف الكتاب ، فإنه أتمه قبل أن يتم ثلاثين سنة ، وتعتبر هذه السن في أيامنا هذه سناً مبكرة في التأليف والتصنيف .

٥- الشيخ العلامة محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي(٣) حيث رحل المؤلف إلى هذا الشيخ الجليل ، وأخذ عنه العلوم الوافرة التي أهلته ليكون في مصاف العلماء الذين يشار إليهم بالبنان ، حيث ذكر عنه تلامذته أنه لما رجع من الشام رجع بعلم غزير نشره في حلقات العلم . وقد ظهر أثر ذلك في هذا الكتاب جلياً ، وربما لاأكون مخطئاً إن قلت : إن الشيخ محمد بن حسين هو المدون الأوحد من التلاميذ لأفكار شيخه في هذا الكتاب . وقد ظهر فيه آثار تربية الشيخ للتلميذ . وهذه بعض الأمور التي تبين ذلك :

أ ـ المؤلف رحمه الله جرد قلمه للرد على المقلدين والمتعصبين ، وهذه هي أفكار الشيخ الإمام القاسمي ، حيث كانت تصب دعوته على التجديد وعدم التقليد والانغلاق(٤) .

ب ـ أن التقليد الأعمى والتعصب للمذهب وسد باب الاجتهاد هو السبب الرئيس لدخول

---

(١) انظر (ص : ٣٤٧) ومابعدها .

(٢) انظر (ص : ١٤٣ ـ ١٤٤) من القسم الأول المحقق .

(٣) انظر ترجمته (ص : ٣٥٣) .

(٤) انظر القسم الأول من الكشف المبدي (ص : ١٠٠) ومابعدها .

القوانين الأفرنجية(١) .

ج ـ إن خير طريقة لنشر مبدأ السلف الانكباب مع الخصم على دراسة كتب السنة الصحيحة(٢) .

د ـ الاقتصار على رواية الأحاديث الصحيحة وعدم العمل بالضعيف ، ولو في فضائل الأعمال(٣) .

هـ ـ حب ابن تيمية والدفاع عنه . يظهر ذلك بالكتاب كله .

و ـ تركيزه على الحديث وعلومه مايظهر منه أنه أفاد منه جداً .

ز ـ محاورته لشيخه وموافقته له ، نقل هذه المحاورة في كتابه(٤) .

إلى أمور كثيرة جداً يظهر منها طابع شيخه في كتابه .

- **ثانيا : تلاميذه :**

لاشكك أن الشيخ الداعية يكون له تلامذة كثيرون ، إلا أن منهم من يُكتب له نصيب الشهرة ، ومنهم من لايكتب له ، كما أن منهم من يكتب له سبيل المثابرة والتحصيل ومنهم من لايكتب له ذلك . والشيخ محمد بن حسين رحمه الله كان داعية في مسجده وبعض أماكن الاجتماعات عند كبار وجهاء جدة ، وكان من أبرز من عرف عنهم أخذهم عن الشيخ رحمه الله :

١- الشيخ بكر إدريس تكروني ، ولد حوالي ١٣٢٥ هـ ، لازم الشيخ ملازمة تامة وقرأ عليه ، وكان قارئه الخاص في مسجده وبيته ومن تلاميذه المقربين ، كان الشيخ يثق به ثقة تامة ، فكان يوليه إمامة وخطابة مسجده في غيابه أو مرضه . وكان مأذوناً للأنكحة في حياة شيخه . توفي رحمه الله سنة ١٤٠٢ هـ .

٢- الشيخ حمزة السعداوي ، ولد سنة ١٣٢٢ هـ بجدة ، ودرس في مدارس الفلاح وتخرج منها ولازم الشيخ . كان حريصاً عىى درسه واستفاد منه أموراً في تصحيح العبادات وترك

---

(١) انظر المرجع السابق (ص : ١٦٥ ـ ١٦٦) ، وانظر ايضاً كتاب شيخ الشام جمال الدين القاسمي ـ تأليف الإستانبولي (ص : ٣٤ و ٨٤) .

(٢) انظر القسم الأول (ص : ١٧٩ ومابعدها) وكتاب شيخ الشام (ص : ٨٣) .

(٣) انظر القسم الأول (ص : ٢٢٩ ومابعدها) وانظر شيخ الشام (ص : ٦٩) .

(٤) انظر القسم الأول (ص : ٢٧٢) .

البدع . تولى التدريس في مدارس الفلاح حوالي ٥٠ سنة ، وتولى إمامة مسجد عكاش .

٣- الشيخ محمد صالح أبو زنادة ، ولد في جدة عام ١٣١٤ هـ ، كان ممن استفادوا من الشيخ وحضروا دروسه . وكان يؤم الناس أحياناً في مسجد شيخة .. وكان تاجراً كبيراً ،وله يد طولى في إقامة المشاريع في جدة . توفي رحمه الله صباح يوم ١٧ / ٣ / ١٣٨٧ هـ بجده وصلي عليه في مسجد عكاش نفسه(١) .

٤- الشيخ محمد بن يوسف بن علي باشميل ولد في حضرموت سنة ١٣١٧ هـ ثم قدم إلى جدة لطلب العلم ولازم فيها الشيخ محمد بن حسين في بيته ومسجده فدرس عليه من زاد المعاد وتفسير ابن كثير وغيرهما .

٥- الشيخ محمد محمد المرزوقي ، ولد بضبا شمال الحجاز ، وتعلم العلوم الدينية ، ودرس في مدرسة الفلاح بجدة ، ثم ناب عن أحد قضاة جدة ، ثم أسند إليه القضاء بالوكالة وفي عام ١٣٧٢ هـ تولى قاض آخر فكان مساعده محمد المرزوقي ، وفي عام ١٣٨١ هـ أحيل إلى التقاعد فانتهى من القضاء (٢) .

هؤلاء أهم تلاميذ الشيخ المؤلف ، وكلهم لهم مكانتهم العلمية والاجتماعية مما يدل على مكانة الشيخ رحمه الله تعالى .

قال الشيخ محمد نصيف في المؤلف : " وصار عالماً ، واقتنى مكتبة كبيرة ، وأصبح يدرس الناس علوم التفسير والحديث ، وانتفع بعلمه خلق كثير(٣) .

- **ثالثاً : أقرانه :**

كان الشيخ رحمه الله تعالى له معارف وأقران كثيرون ، من أشهرهم :

١- محمد بن حسين بن عمر نصيف ، عالم جدة وصدرها ، ولد سنة ١٣٠٢ هـ مات والده وهو صغير ، فرباه جده عمر . جمع مكتبة كبيرة ، من أكبر المكتبات ، وكان عالماً ومرجعاً للباحثين ، وكان صديقاً للشيخ محمد بن حسين ـ المؤلف ـ حيث كان المؤلف يتردد إلى مكتبته كثيراً ، وكان من وجهاء جدة ، طبع كتباً كثيرة على نفقته وكانت صِلاته بأهل العلم كبيرة

(١) انظر ترجمته : أعلام الحجاز (١ / ٢٣٧) .
(٢) انظر تاريخ جدة (ص : ٢٦٨ و ٢٧٦) .
(٣) مجلة المنهل (٦ / ١٥٢) .

وكثيرة منهم الجمال القاسمي ، ومحمود شكري الألوسي وغيرهم .

وهو أشهر من أن يعرف ، توفي في مستشفى الملك فيصل بالطائف ٨ / ٥ / ١٣٩١ هـ . ودفن في جدة(١) .

٢- الشيخ محمد حسين مطر . كان عالماً كبير الشأن علامة في أصول الفقه درس في مصر وتخرج من الأزهر ثم قدم جدة وأصبح مديراً لمدارس الفلاح .توفى سنة ١٣٨٥ هـ أو بعدها بقليل . وكان الشيخ المؤلف يتباحث معه في بعض الأمور ويناقشه وغالب الأحيان تكون الحجة للمؤلف(٢).

٣- الشيخ الجليل عبد القادر بن مصطفى التلمساني المغربي الأشعري ثم السلفي . تلقى علومه في الأزهر وكان صاحب أملاك في مصر . ثم أراد الله به خيراً فأصبح تاجراً في مدينة جدة . ولازم الشيخ أحمد باصبرين بمعية الشيخ المؤلف ، وكان باديء أمره أشعرياً بحكم الدراسة الأزهرية ثم هداه الله عز وجل بالشيخ أحمد بن الشيخ ابراهيم بن عيسى القاضي في محكمة المجمعة(٣) حيث كان الأخير يتردد عليه لأمور تجارية ثم تباحثا في بعض القضايا المثارة حول الوهابية والعقيدة السلفية ، وبعد خمسة عشر يوماً من المناقشات والمناظرات وقراءة الكتب : رجع الشيخ التلمساني الى مذهب السلف وصار داعية من دعاة الدعوة السلفية ، يجاهد في سبيل نشرها بلسانه وماله فكم من كتاب طبع وكم من كتاب اشترى ووزع . وكانت فيه حدة المغاربة حتى شُبه لسانه بلسان ابن حزم . رحمه الله تعالى رحمة واسعة(٤) .

---

(١) انظر ترجمته : أعلام الحجاز (١ / ٢٠٩) والأعلام للزركلي (٦ / ١٠٧) .

(٢) انظر القسم الأول المحقق (ص : ٣٥ - ٣٦) .

(٣) ولد في شقراء من بلاد الوشم سنة ١٢٥٣ هـ ، وتلقى علومه عن أكابر مشايخ عصره ، رحل إلى الحجاز وسكن مكة ، واتصل بالتلمساني وناظره ، وكذا بالشيخ محمد نصيف ، وردهما إلى منهج السلف ، واتصل بالشريف عون الرفيق وصارت له عنده كلمة مسموعة ، فأشار عليه بهدم القبور في مكة وجدة والطائف ، من مؤلفاته : شرح نونية ابن القيم ، ولي قضاء المجمعة سنة ١٣١٧ هـ ـ ١٣٢٤ هـ ، وتوفي في جمادى الثانية سنة ١٣٢٩ هـ . انظر ترجمته : علماء نجد خلال ستة قرون ، للبسام (١/ ١٥٥) ، ومقدمة شرح النونية لابن عيسى (ص : ١٧) بقلم العلامة محمد بن مانع .

(٤) انظر علماء نجد خلال ستة قرون (١ / ١٥٦ ـ ١٥٧) ومقدمة " الرد على شبهات المستعينين بغير الله " بقلم محمد نصيف ، ومقدمة ابن عيسى على شرح نونية ابن القيم بقلم العلامة محمد بن مانع (ص : ١٧) رحمهم الله تعالى .

- **رابعاً : المؤلفات :**

ومن الأمور التي يعرف بها مستوى الرجل العلمي أيضاً مؤلفاته بل هي أبرز دليل وأوضح برهان على ذلك . وربما يكون الرجل ليس له مؤلفات وإنما يعرف علمه وفضله بالاستفاضة والشهرة .

ومؤلف هذا الكتاب لم يعرف له إلا هذا المؤلَّف ، إلا أنه قد ظهرت في كتابه هذا عقيدته ومنهجه وأهم أفكاره وشيء لا يستهان به من مستواه العلمي . وها هي أبرز هذه الأمور :

١ – عقيدته : لقد امتاز المؤلف رحمه الله تعالى بعقيدة سلفية صافية ، ومنهج سليم مستقيم عموماً ، إلا في نواح قليلة سوف أنبه عليها إن شاء الله تعالى . وها هي ملامح هذه العقيدة :

أ ـ قوله في الإيمان : استنكر المؤلف رحمه الله قول الذي يقول : " إن إيمانه كإيمان أبي بكر وجبريل وميكائيل ، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص "(١) .

ب ـ قوله في كلام الله تعالى : قال : " فإذا رجع الناظر إلى هذه الكتب ـ يعني كتب المقالات ـ يجد بها من العقائد والأقوال ما يضحك الثكلى والصبيان ، فبعضهم يقول : إن هذا القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا مخلوق ، وبعضهم يقول : بل هو عبارة عن كلام الله ، وبعضهم يقول : تسميته بكلام الله مجاز لا حقيقة ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وجميع الكتب المنزلة بهذا المعنى ، فأنكروا أن يكون لله كلام بيننا يتلى "(٢) .

وقال عن جناية أهل البدع على القرآن : " فمثل قولهم : إنه ليس بكلام الله على الحقيقة ، بل هو عبارة عن كلام الله ، أو مدلول ، أو حكاية عن كلام الله . وأن هذه الحروف التي في المصحف ونقرؤها بألسنتنا ونحفظها في صدورنا مخلوقة ، وصرح بعضهم أنه ليس لله كلام في الأرض "(٣) .

وقال عن الله عزوجل : " فيتكلم كيف شاء ومتى شاء "(٤) وقد رد على الذين قالوا : يلزم

---

(١) انظر القسم الأول المحقق (ص : ١٥١) .

(٢) القسم الأول المحقق (ص : ١٥١) .

(٣) المصدر نفسه (ص : ٣٣٣) .

(٤) المصدر نفسه (ص : ٣٣٩) .

من الكلام والصوت الجارحة ؛ بأنه قد عرفنا أشياء تتكلم بلا لسان وشفتين ، كتكلم الجلود يوم القيامة والسموات والأرض وغيرها(١) .

وأثبت صفة الصوت فقال : " وأما الدليل على أنه سبحانه يسمع عبادُهُ صوتَهُ من القرآن العزيز فقوله تعالى : ﴿ ويوم يناديهم ﴾(٢) في عدة مواضع "(٣) ثم ذكر آيات أخرى .

ج - الصفات الأخرى : لقد أفرد المصنف رحمه الله تعالى في آخر كتابه فصلاً كبيراً ذكر فيه عقيدته في الأسماء والصفات من الكتاب والسنة ، وذكر بعض أقوال الأئمة الأربعة في ذلك ، وسبب وضعه لهذا الفصل أنه ضمن كتابه استطراداً بعض العقائد التي تخالف مذهب الخلف . فقال : " ولعلك إذا اطلعت على كتابي هذا يحوك في صدرك شيء منه من أجل أن بعض ما فيه من الفوائد مخالف لكثير مما عابه بعض الخلف "(٤) .

ولعل الصواب أن يقول : أن بعض ما فيه من الفوائد كثير منها مما عابه بعض الخلف . أو يقول : مخالف لكثير مما عليه بعض الخلف . لأن العقيدة السلفية عابها الخلف . فالعقيدة السلفية موافقة لما عابه بعض الخلف ، وليست موافقة ، والله أعلم .

د - قوله في التكفير : يرى التكفير بعد إقامة الحجة ، وأن من جحد صفة من صفات الله عز وجل جاء بها القرآن أو صحت من سنة سيد ولد عدنان ، أنه كافر(٥) .

هـ - قوله في القدر : عاب على المتصوفة إذ قالوا بالجبر واحتجوا بالقدر وقعدوا(٦) .

و - قوله في الاستغاثة بغير الله والتبرك والتمسح بالقبور ظاهر على كتابه كله . بل كل مواضيع الكتاب حول هذه القضية الخطيرة .

٢- مذهبه : يظهر بوضوح أن المؤلف رحمه الله تعالى غير متمذهب بمذهب من المذاهب الأربعة ، وذلك من خلال قراءاتي لكتابه هذا ، فإنه حمل حملة شعواء على المقلدين والمتعصبين .

---

(١) المصدر نفسه (ص : ٣٧٣) .

(٢) سورة القصص ، آية / ٦٢ و ٦٥ و ٧٤ .

(٣) انظر (ص : ٣٨٤) من قسم التحقيق وانظر (ص : ٣٩٨)

(٤) انظر قسم التحقيق (ص : ٣٨٠) .

(٥) انظر قسم التحقيق (ص : ٤١٩) .

(٦) انظر (ص : ١٦٣ - ١٦٤) من القسم الأول .

وكان يدعو إلى الكتاب والسنة واحترام الأئمة ، وعدم التعصب لهم ، فهم اجتهدوا ولهم أجرهم عند ربهم . وأما المقلد لهم فليس بمعذور إذا قلد إمامه في الخطأ . وفيما يظهر أن المؤلف رحمه الله تعالى مذهبه مذهب أهل الحديث كشيخه القاسمي رحمه الله تعالى . ومن قرأ الكتاب عرف ذلك بوضوح . وهذه بعض النصوص التي تبين ذلك :

قال رحمه الله تعالى : "وحيث إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد تكفل لدينه بالحفظ ، وقضى بأنه لا يخلي الأرض من قائم له بحجة كما جاء في الحديث « إن الله يبعث على رأس كل قرن أو مائة سنة من يجدد للناس أمر دينهم »(١) قيض لهذا الدين رجالاً هم صفوة خلقه وخيرته من عباده ، ألا وهم علماء الحديث ، كثرهم الله تعالى في القديم والحديث ، فقاموا في وجوه المبتدعين وذبوا عن كتاب الله تعالى وسنة نبيه تحريف الجاهلين وتأويل المبطلين " ، ثم شرع في تعداد هؤلاء الأئمة ثم قال : " وهم وإن كانوا قليلين في كل زمان ومكان ، فهم الأكثرون الفائزون ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾(٢) ... إلى أن قال : " فإن قال قائل : أنا كيف أعرف ما هو الحق في هذه الكتب فأتبعه ... وما هو الباطل فأجتنبه وأطرحه ، فالجواب : معرفة هذا سهل على من أراد الله تعالى هدايته ، ومعرفة ذلك أيسر من معرفة أي مذهب من أهل المذاهب الذي تستفرغ فيه جميع عمرك .

وإن قال قائل : أي طريقة تختارها لي من هذه الطرق التي ذكرتها ؟ فأقول : عليك بطريقة المحدثين . حملت علم الرسول في التوحيد وغيره من الأصول والفروع والتصوف(*)، فإنهم والله أعلم بكتاب الله وسنة نبيه من غيرهم بأضعاف مضاعفة ، وهم أتقى الناس لربهم وأخوفهم منه من غيرهم . وقد حفظهم الله من التفرق والتحزب والتشيع الذي وقع لغيرهم "(٣) ، ثم ذكر كلاماً طويلاً في مدحهم والثناء عليهم ، والاهتمام بكتبهم وتفاسيرهم . وعدم الانخراط في الآراء والأهواء والبدع .

---

(١) أخرجه أبو داود (الملاحم ـ باب مايذكر في قرن المائة ـ ٤ / ٤٨٠ رقم ٤٢٩١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٥٩٩) وصحيح سنن أبي داود (٣ / ٨٠٩ رقم ٣٦٠٦) .

(٢) سورة المجادلة ، آية / ٢٢ .

(٣) انظر القسم الأول المحقق (ص : ١٧١ ـ ١٧٩) . وانظر (ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٨) .

(*) انظر ص : (٢٨) .

وأما ما قيل عن المؤلف بأنه قد يكون مالكياً لكونه قال مرة : وأما إمامنا مالك بن أنس(١) . وقال أخرى عن ابن عبد البر : وهو من أجل أصحابنا(٢) ـ فهذا لا يدل على أنه مالكي المذهب ، بل يدل على ما نحن بصدده من أنه من أهل الحديث ، لأنه كان يقول إذا ذكر الأئمة الأربعة : إمامنا أبو حنيفة وإمامنا أحمد ، وإمامنا مالك ، وإمامنا الشافعي(٣) . فهذا يدل على أنه يحترمهم كلهم ، كما هو شأن أهل الحديث ، وابن عبد البر وإن كان مالكياً فإنه يعتبر من أهل الحديث الذين يرجعون دائماً للحديث ويرجحونه على المذهب .

ويدل على ذلك أن المؤلف رحمه الله ذكره ضمن من وصفهم بأهل الحديث(٤) ، فهؤلاء أصحابه وهو من أجلهم . والله أعلم .

ومما يدل أيضاً على أنه ليس مالكياً ، جعله انقسام الناس الى مذاهب متعددة من عقاب الله لهؤلاء المقلدين . قال(٥) : " وأما أهل القسم الثاني ، وهم الذين سموا أنفسهم : علماء الفقه والفروع ، قد عاقبهم الله تعالى أيضاً على سوء صنيعهم ، بأن فرقهم على أحزاب من نحو ما تقدم ، فاختلفوا على مذاهب شتى : إلى حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية ، وظاهرية ، وزيدية ، وجريرية ، وغير ذلك ... " .

وقال عن الأئمة(٦) : " الأحاطة بأدلة الأحكام لا تثبت لأحد منهم ، وانما يقال إن مجموعهم قد أحاط بأدلة الشرع إلا أشياء قليلة جداً ... فعلم بهذا أن كل إمام عنده علم في السنة وقد يوجد عند غيره أكثر منه ، وقد يتفاوتون في علم السنة كما يعلمه من تتبع مصنفاتهم . فمالك أكثر سنة من أبي حنيفة . والشافعي أكثر من مالك ، وأحمد أكثر من الشافعي ... " .

فدل بهذه النصوص والنقول أنه ليس مالكياً ، لأنه أقر أن مالكاً السنة عنده أقل من الشافعي وأحمد . فغير معقول أن يكون المؤلف ينادي بكتابه كله باتباع السنن وترك آراء الرجال ، ثم

---

(١) انظر (ص : ٢٥٤) من القسم الأول المحقق .

(٢) انظر (ص : ٤٠٧) من قسم التحقيق .

(٣) انظر (ص : ٤٠٧ وص : ٤١٠ وص : ٤١٣ وص : ٤١٥) من قسم التحقيق .

(٤) انظر (ص : ١٧٢) من القسم الأول المحقق .

(٥) القسم الأول (ص : ١٥٢) .

(٦) القسم الأول (ص : ١٣٦) .

بعد ذلك يفضل أن يلتزم مذهب من أقر أنه أقل سنة من غيره . وا لله أعلم .

وأوجب على العامي أن يسأل أهل العلم ولا ينتصر لأحد دون سلطان فقال : " ومن لم يكن له قدرة على ذلك فلا يجوز له أن ينتصر لأحد منهم بغير علم ولا سلطان بيّن ، بل عليه أن يسأل أهل العلم الموصوفين بهذه الصفات ، والأمة لم تعدم - و لله الحمد - في كل زمان من هو موصوف بهذه الصفات ... "(١)

٣- **الفقه وأصوله** : هذا الكتاب الذي بين أيدينا كتاب عقيدة واتباع ، وليس كتاب فتاوى وأحكام ، ورغم ذلك فقد ضمنه بعض النتف التي يمكن أن يستخلص منها أن المؤلف فقيه من الطبقات العلى بالفقه ، وا لله أعلم .

تكلم عن سد باب الاجتهاد ، وعن من لم يستطع أن يفهم الدليل أن يسأل أهل العلم .

وعن رأيه في علم أصول الفقه . وعن اختلاف العلماء وتوجيه اختلافهم ، وعن أمثلة لما خالف فيه بعض المذاهب الكتاب والسنة ، وتكلم عن الحيل لتحليل ما حرم ا لله ، وعن الإجماع والقياس(٢) .

٤- **الحديث وعلومه** : ثناؤه على أهل الحديث كثير ، ولذلك كان يغلب عليه الطابع الحديثي ، ومما يدل على يده الطولي في علم الحديث : أنه ذكر أن في قبض اليدين في الصلاة ثمانية عشر حديثاً(٣) . وتكلم عن أهمية التصحيح والتضعيف ، وأن الكتاب الذي فيه الكلام عن علل الحديث يكون أجدى نفعاً من غيره . وتكلم عن كتب الحديث ومراتبها وما يقبل منها وما يرد . وأعطى رأيه في الصحاح والمسانيد والمستدرك وغير ذلك(٤) . يصحح بعض الأحاديث كأن يقول : وفي الحديث الصحيح ، وهذا كثير(٥) . وينتقد أخرى(٦) ، وحذر من

---

(١) القسم الأول (ص : ١٢٥) .

(٢) انظر القسم الأول المحقق (ص : ١٠٧ و ١٢٨ - ١٢٩ و ١٣٥ - ١٣٦ و ١٤٠ و ١٤٧ و ١٩٤) .

(٣) انظر (ص : ١٤٤) من القسم الأول .

(٤) انظر (ص : ١٨١ - ١٨٤) من القسم الأول .

(٥) انظر مثلاً (ص : ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٤١) من القسم الأول و (ص : ١٨٢ ، .) من القسم الذي أقوم بتحقيقه .

(٦) انظر مثلاً (ص : ٢٠٧) من القسم الأول و (١٨٨ ، ٢١٥ ، ٢٠٠) من قسم التحقيق .

مساويء الأحاديث الموضوعة وأنها سبب للابتداع في الدين ومنها الأذكار المبتدعة(١) ، وأكد على وجوب رواية الأحاديث الصحيحة دون غيرها ، وانتقد الحافظ السيوطي في كتابيه الجامع الكبير والصغير ، وكتاب الغزالي الاحياء ، وكتب التفاسير التي فيها أحاديث موضوعة كالكشاف وغيره ، وقال : " وبالجملة أنك يا أخي لا تغتر بكل حديث رأيته في كتاب ما عدا الصحيحين ..."(٢)

ويتأفف من قلة المصححين والمضعفين في تلك الأزمان(٣) .

ويحرص على كتب الحديث ، ولما رحل الى الشام ، أصبح يطلع على هذه الكتب العظيمة فأخبر أنه اطلع على تخريج كتاب الكشاف للحافظ ابن حجر(٤) .

ويقرر أن كل حديث صحيح يجب العمل بما فيه إلا أن يكون منسوخاً ولو لم نعلم أحداً عمل به ، وأن من يعمل به لا لوم عليه فيقول : " وما من مسألة خالف فيها شيخ الاسلام إلا وهو مسبوق بها ، وَهَبْ أنه لم يسبق بمن قال مثل قوله ، ولكن ما قال ذلك الا بدليل صحيح ، فأي لوم عليه ، ونحن مطالبون بالعمل بالحديث الصحيح سواء عمل به الكثير أو القليل ، أو لم يعرف أحد عمل به ، والإجماع لا ينسخ ولا ينسخ به على فرض تسليم وقوعه ، ودون ذلك خرط القتاد "(٥) .

وبالجملة فهناك أشياء كثيرة تدل على طول باعه في علوم الحديث .

٥- كلامه عن التصوف : يعد موضوع الكتاب رداً على الصوفية القائلين بالاستغاثة والزيارة ، والتمسح بالقبور ، والطواف بها ، ولكن هناك مواطن تكلم فيها عن التصوف مفردة فقال : ثم جاء من بعدهم أقوام أعياهم طلب علم الكتاب والسنة ، وما يحتاج لهما من علوم الآلات ، وألفوا البطالة والكسل وقلة العمل في أمر المعاش ، فعمدوا الى شيء سموه علم التصوف ، وهو عبارة عن لبس الصوف والخشن من الثياب ، والزهد في الدنيا مطلقاً ، وتعليق

---

(١) انظر (ص : ٢٣٠) من القسم الأول .

(٢) انظر (ص : ٢٣٧) من القسم الأول ولا يقصد المؤلف : أن الأحاديث خارج الصحيحين لا يؤخذ بها بل لا بد من تحري صحة الأحاديث فيها .

(٣) انظر (ص : ٢٣٢ و ٢٣٧) من القسم الأول .

(٤) انظر (ص : ٢٣٩) من القسم الأول .

(٥) انظر (ص : ٢٣٥ - ٢٣٦) من القسم الأول .

السبح في العنق ولبس الخرقة والجلوس في الخلوة ، ويذكر الله بالذكر الذي لم يرد به الشرع مثل أن يذكره تعالى بالاسم المفرد كقوله : الله ، الله . أو هو ، هو . وزعموا أن المريد إذا تجرد إلى الله تعالى بهذه الصفة التي ذكرناها عنهم ، وجلس يذكر الله فإنه يرتفع عنه الحجاب ويسمع الله تعالى يقول له : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر ﴾(١) وتأتيه العلوم من غير واسطة ، لذلك يقول حدثني قلبي عن ربي ..."(٢) .

ثم يتكلم عن علم الظاهر والباطن ، وأن الأولياء يظهرون للعوام بصورة غير صورة الباطن وتكلم عن أهل الخطوة وهكذا يلبسون على الناس وتروج عليهم خرافاتهم .

ويميل المصنف إلى أن هنالك تصوفاً بريئاً من هذه الخرافات والخزعبلات ، وهو الذي يقصد به الزهد والورع ومعاملة القلوب ، ومما يدل على أن مقصوده هو هذا النوع أنه عد كتب ابن القيم كالمدارج وغيرها من كتب التصوف الجيدة .

ونحن نخالف المؤلف فيما ذهب اليه من عد كتب ابن القيم في التصوف ، أو أن الزهد والورع والعبادة يسمى تصوفاً ، ولكن التصوف شيء اخترعه بعض العباد المتأخرين من كلام وإشارات واصطلاحات ، فبعضهم من وقف عندها ومنهم من تجاوزها الى حد الإسراف والغلو ، فكتاب الإحياء ، وقوت القلوب ، والرسالة للقشيري(٣) ، كتب تضمنت مع الورع والزهد أشياء لم يعرفها السلف ، وتضمنت قصصاً موضوعة وعبارات منمقة وطقوساً معينة لم يعهدها السلف الأوائل ، كما تضمنت منهجاً في التعامل مع الناس ومع الدنيا ومع العلم والعلماء ، يخالف منهج السلف ، وليس هذا المكان مناسباً لبسط هذا الموضوع(٤) .

ومما يدل على أن المؤلف رحمه الله لم يقصد بالتصوف الممدوح إلا صفاء القلوب والزهد

---

(١) سورة المدثر ، آية / ١ - ٢ .

(٢) القسم الأول (ص : ١٥٨ - ١٦١) .

(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري ، أبو القاسم ، إمام في التصوف وكتابه الرسالة إمام رسائل التصوف ، ولد سنة ٣٧٦ هـ وأقام بنيسابور حتى توفي فيها سنة ٤٦٥ هـ . انظر ترجمته : البداية والنهاية (١٢ / ١٠٧) .

(٤) هناك كتب كثيرة ألفت عن التصوف ، فانظر على سبيل المثال : التصوف المنشأ والمصدر لإحسان إلهي ظهير ، والفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق .

والتقلل من الدنيا ، أنه ذم المنصرفين عن التكسب والمشتغلين بالزهد فقط ، وكلما سنحت له فرصة للكلام على الابتداع وما يفعله الصوفيه تكلم ووضح رأيه في الموضوع و لله الحمد .

- **خامساً : الدروس والمحاضرات والخطب والمناظرات .**

ومما يدل على سعة علم المؤلف وجهوده في نشر هذا العلم أنه كان يخطب الجمعة في مسجد عكّاش بجدة ، وكان يدرس في المسجد نفسه ، وكان يقرأ القرآن بصوت جميل ويقرئه ، حتى وصفه نَصِيفْ بقوله : القرّاء[1] ، وكان أكثر ما يدرس التفسير والحديث ، ثم الفقه والسيرة ، وكانت طريقة دروسه كالطريقة المتبعة الآن في المسجد النبوي عند كثير من المشايخ ، كأن يقرأ التلميذ على الشيخ المتن أو الحديث المطلوب شرحه ثم يتولى الشيخ الشرح والبيان ، وكانت غالب دروسه بين المغرب والعشاء ، وأما في أيام رمضان ، فتكون الدروس بعد العصر.

وكان من طريقته في التدريس أن يلقى بعض السؤالات والاستفسارات كطريقة شيخه القاسمي رحمه الله تعالى .

وكان أحياناً بعد صلاة العشاء يجلس للفتاوى ، وكان يتلقى السؤالات في بيته ، وربما أتته هذه السؤالات من مكان بعيد ، فيجيب عليها ، وهذا مما يدل على انتشار صيته ، والوثوق بعلمه رحمه الله تعالى ، وكان يذهب الى أماكن تجمع الصوفية فيرشدهم ويناقشهم ، وهكذا كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر على علم .

- **سادساً : مكتبته :**

أما المكتبة العلمية التي كانت عنده ، فكانت مضرب المثل عند العلماء ، اذ أنها احتوت على كتب كثيرة جداً ، حتى إنها تعد أول مكتبة كبيرة في جدة في بداية القرن الرابع عشر[2] . وقد جمعها المؤلف رحمه الله تعالى من ماله الخاص ومما يأتيه من أعمامه وأبناء أعمامه من مصر أيام الحج ، ومما كان يهديه إياه الشيخ محمد نصيف رحمه الله تعالى .

بهذه الأمور الستة يعرف جلياً مدى مكانة المؤلف العلمية والاجتماعية بين العلماء وبين الناس.

---

(١) انظر الورقة الأولى من المخطوط .

(٢) انظر تاريخ جدة (ص : ٤١٣) .

ب ـ أخلاقه وصفاته :

١- أخلاقه : إن الرجل إذا كان عالماً فقيهاً ، أثّر علمُه بأخلاقه ، وأصبحت أخلاقه مرتبطة بالعلم ، وكلما ازداد الإنسان معرفة وفقهاً بهذا العلم كلما ازداد خلقه حُسناً . وأما الذي لا يزيده علمُه خُلُقاً حَسَناً فإن هذا العلم سوف يكون حجة عليه . ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خلقاً ، فقال الله فيه : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾(١) لأنه كان أعلم الناس بالله تعالى وبكتابه ، ولذلك وصفته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حينما سئلت عنه بقولها : " كان خلقه القرآن "(٢) .

والمؤلف رحمه الله له قسط كبير من سيما السنة عليه ، فإنه كان متواضعاً جداً لا تعجبه حياة الترف والثراء ، وكان ينهى عن الإكثار من الدنيا ومتاعها ، وكان حريصاً على إيصال هذا الفكر إلى طلابه ، فدائماً يحثهم على عدم الانكباب على الدنيا والاغترار بها .

كما كان ينكر على الصوفية عدم سعيهم لكسب الرزق ، فخير الأمور أوسطها .

وكان يقف للعامة يسألونه ويجيبهم بوجه طلق وصدر رحب ، وكان اذا أنكر أنكر بحكمة ، واذا أمر أمر بمعروف ولين . وهكذا كان دأب العلماء والصالحين . ولا يحب الكلام في الآخرين والقدح فيهم ، ويترحم عليهم ، وكان يحلم على من أخطأ ، لا يحب كثرة الخلطة . وكان كثير الصوم والصلاة ، كثير الدعاء ، وله وقت من الليل يقوم فيه للصلاة والذكر . رحمه الله ورضي عنه .

٢- صفاته : كان رحمه الله كفيفاً منذ ولادته ، لكن الله عزوجل عوضه بصيرةَ القلب ونورَه ، ورزقه ذكاء متوقداً ، وحافظة عجيبة ، ملفتة للنظر ، وربما عرف القادم من خلال مِشيته ، وكان رحمه الله رَبعة من الرجال ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير ، نحيفاً ، إذا مشى مشى شامخ الرأس ، ممشوق القامة ، وربما حمل معه عصا .

وكان خفيف العارضين . منخفض الصوت اذا تكلم يبعث في سامعه الطمأنينة والراحة . وكان صوته بالقرآن جميلاً جداً ، شجياً حتى عُدّ من طائفة الفقهاء هو وشيخه أحمد الزهرة ،

---

(١) سورة ن ، آية / ٤ .

(٢) انظر تخريجه (ص : ٢٦٣) .

ويقصد بالفقهاء في العرف آنذاك من اشتغلوا بالقرآن ولهم صوت شجي جميل[1] ، ولعله هذا الأمر اشتهر المؤلف بالفقيه ، والله أعلم .

وكان لباسه لباس العلماء آنذاك ؛ جبة وعمامة ، رحمه الله تعالى .

ج ـ وفاتــه :

بعد عمر يقارب الخمسين سنة قضاها المؤلف في التحصيل والعطاء ، أصابه صبيحة يوم الأربعاء في السابع من صفر من سنة ١٣٥٤ هـ[2] نوبة قلبية ، أدت إلى وفاته رحمه الله ، وصلي عليه في مسجد الشافعي ، ودفن في مقبرة الأسد .

المبحث الثاني

منهج المؤلف وبعض المآخذ عليه وعلى كتابه

أ ـ منهج المؤلف :

لقد سار المصنف رحمه الله تعالى في كتابه على منهج رسمه لنفسه حيث إنه يرد على السبكي كل ما أورده محتجاً به من الأصول . فان كان من الكتاب بين أنه لاوجه للاستدلال به ، وان كان حديثاً صحيحاً فعل مثل ذلك ، وإن كان ضعيفاً بين وجه ضعفه ، وإن كان استدلال السبكي بالإجماع بين صحته من عدمها ، وكذلك القياس .

فهذه الأصول هي التي يعرج عليها ، وأما الأشياء الأخرى فانما يرد عيها عرضاً .

ففي القسم الثاني الذي أقوم بتحقيقه ، أتى على أحاديث السبكي التي استدل بها في الاستغاثة ، وفندها وبين ضعفها .

ثم أتى على الشبهات الأخرى سواء كانت عقلية أو قياسية ، ودحضها ، واستعان على ذلك بنقول وافرة ، من مصنفات متأخرة ، عنيت بالرد على القبورية ، ككتاب منهاج التأسيس ، وغاية الأماني ، والدر النضيد للشوكاني .

---

(١) انظر تاريخ جدة (ص : ٤١٥) .

(٢) وقع في القسم الأول المحقق (ص : ٥٦) أن وفاته سنة ١٣٥٥ هـ ، وعزا ذلك إلى الورقة الأولى من المخطوط ، والحال أن هذا التاريخ على ورقة الغلاف الداخلي ، وأما الورقة الأولى من المخطوط فكتب بخط محمد نصيف سنة ١٣٥٤ هـ ، وكذا في مجلة المنهل (٦ / ١٥٢) وتاريخ جدة (ص : ٤١٣) .

وكذلك الحال بالنسبة للأبواب الأخرى ، فإنه يرد ابتداءً على السبكي في إيراده لهذا الباب ، ويبين وجه الصواب في الأمر ، ثم يأتي بنقول تؤيد ما قال .

وأما في الباب الأخير ، وهو فيما يتعلق بالأسماء والصفات ، فإنه ذكر أولاً الصفات عموماً ، ثم جعل لها فصلاً في أدلتها من الكتاب . ثم آخر في أدلتها من السنة .

ثم جعل فصلاً في أدلة العلو من الكتاب ثم من السنة ، ثم أقوال الصحابة ، ثم أقوال الأئمة الأربعة ، ثم أقوال المفسرين ، ثم أقوال الصوفية . وكان يرصع كتابه بين هذه الآثار ببعض التعليقات الطيبة التي تنم عن مدى اهتمامه وحرصه على تبليغ هذا الدين صافياً ، وكانت كثيراً ما تتعلق بالاتباع ونبذ التقليد ، وبذم الكلام وأهله ، وأنه لا يُورِث إلا الشك والحيرة .

وأخيراً عقد فصلاً في ذم التأويل ، ثم ختم كتابه بدعاء الهداية ، رحمه الله .

ب ـ بعض الملاحظات على المؤلف والكتاب :

وهذه الملاحظات تتعلق بالقسم الذي أقوم بتحقيقه . وهي ثلاثة أنواع رئيسية :

١- ملاحظات عقدية : إن المؤلف رحمه الله يذهب إلى جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ، إذا كانت بلفظ الحديث الوارد ـ حديث الأعمى ـ مع أنه يفضل عدم ذلك ، وقد نقل كلام الأئمة في تفسير الحديث وبين أنه لا وجه للاستدلال به ، ثم جعل جواز التوسل من باب الجمع بين الأدلة ، وفيما يظهر أنه تبع في ذلك الشوكاني وتأثر به ، والله أعلم .

وقد تكلمت عن هذه القضية في مبحث مستقل في الدراسة ، وعلقت على ما رأيته يحتاج إلى تعليق عند كلامه عن هذا الموضوع (١) .

والمؤلف رحمه الله أيضاً يذهب إلى أن المقام المحمود هو اقعاد الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على العرش ، وهو خلاف السنن الواردة الثابتة ، وخلاف رأي جمهور السلف . وقد تكلمت عن هذا الموضوع أيضاً في الدراسة (٢) .

٢- ملاحظات منهجية : أكثر المؤلف رحمه الله من النقول ، وهي نقول طيبة بلا شك ، ولكن ربما كان بعضها يكفي ، أو اختصارها وصياغتها بصيغة جديدة تزيل المكرر منها .

٣- ملاحظات علمية : كان يخلط أحياناً في بعض تراجم رجال الحديث . كأن يقول : قال الذهبي عنه كذا وكذا ، والواقع أنه قال عن آخر يشبهه ، كما يأتي التنبيه على ذلك في موضعه إن شاء الله ، والظاهر أن سبب خلطه في هؤلاء الرجال أن المؤلف كفيف البصر ، فربما

---

(١) أنظر (ص: ٧٣ - ٨٠) من قسم الدراسة .

(٢) أنظر (ص: ١٢٨ - ١٣٨) من قسم الدراسة .

يحيل الأمر على من يقرأ له ، فيقول : قال فيه كذا وكذا ، ولو كان بصيراً وتولى الأمر بنفسه ما وقع في الذي وقع فيه ، والله أعلم .

وكان يخلط أحياناً بين حديثين فيجعلهما حديثاً واحداً ، وربما نسب قولاً لغير قائله لتشابه الأسماء . إلى غير ذلك من ملاحظات خفيفة لا تقدح في المؤلف والكتاب والسبب فيها ما ذكرته آنفاً .

ومما يجدر التنبيه عليه أن المؤلف رحمه الله نقل عن الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ من منهاج التأسيس عبارة بخصوص السبكي ، لو سلمت هذه العبارة ، لم يحتج المؤلف أن يرد على السبكي في مسألة الاستغاثة . قال الشيخ عبد اللطيف : " ومنهم من يطلقه ـ أي التوسل ـ على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه أو بحق عبده الصالح أو بعبادة الصالحين ، وهذا هو الغالب عند الاطلاق في كلام المتأخرين كالسبكي والقسطلاني وابن حجر .

وبالجملة فما نقله ـ أي داود العراقي ـ هنا عمن ذكر ليس من مسألة النزاع في شيء ، وإن كابر العراقي ، وزعم أنهم قصدوا دعاء الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم أنفسهم ، وأن هذا يسمى توسلاً فهذا عين الدعوى ، والدعوى يحتج لها لا بها ، فبطل كلامه على كل تقدير "(١) .

والذي يظهر من السبكي الخلط بين الأمرين ، فمرة يقول الاستغاثة بالنبي هي سؤال الله تعالى بالنبي ، فالباء هنا سببية ، وهذا عنده لو أطلقت عليه توسلاً أو استغاثة أو تشفعاً لا فرق ، وأن العبرة بالمعنى لا باللفظ(٢) ، ويقول : " والاستغاثة طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه ، فالتوسل والتشفع والتجوه والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين ليس لها معنى في قلوب المسلمين من غير ذلك ، ولا يقصد بها أحد منهم سواه ... فلا عليك في تسميته توسلاً أو تشفعاً أو تجوهاً أو استغاثة . أ . هـ (٣) .

---

(١) انظر قسم التحقيق (ص : ٢٤٢ - ٢٤٣)

(٢) انظر شفاء السقام (ص : ١٦٣) .

(٣) شفاء السقام (ص : ١٧٣) .

فأنت ترى أن السبكي يسمى الاستغاثة التي هي الطلب من رسول الله توسلاً ، كما يسمى التوسل الذي هو سؤال الله بالعبد استغاثة وتوسلاً ، فدل على أن الأمرين عنده سواء ، وكله استغاثة وتوسل . وقال السبكي أيضاً : " ومحل الاستشهاد من هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في مدة البرزخ ولا مانع من ذلك ، فان دُعاء النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع ..."(١) .

نعم كثير من كلام السبكي يدور حول التوسل ثم يخلطه بالاستغاثة . مع العلم أننا لانكفر السبكي ولا من جاء بعده ، لوجود الشبهة وقيام اللبس والخلط بين الأمرين ، والله يعفو ويصفح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولوسلم قول الشيخ عبد اللطيف في السبكي أنه لم يرد إلا التوسل لكان عَقدُ المؤلف باباً للرد على السبكي في قضية الاستغاثة عبثاً . لأن المؤلف رحمه الله يجيز التوسل ، فما الفرق اذاً بين السبكي والمؤلف ؟ فرحم الله المؤلف إذ فاته هذا الأمر و لم ينبه عليه ونقله كما هو ، وسبحان من لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .

المبحث الثالث

في الكتاب

أ ـ اسم الكتاب وصحة نسبته للمؤلف :

أما اسم الكتاب فهو : " **الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي في تكملة الصارم المنكي** " كما نص على ذلك المؤلف في المقدمة(٢) .

وأما عن صحة نسبته للمؤلف فإنه رحمه الله تعالى ذكر اسمه في أول الكتاب فقال :
" أما بعد : فيقول أحقر العباد وأحوجهم إلى عفو ربه الكريم محمد بن حسين بن سليمان بن ابراهيم ، عامله الله ووالديه والمسلمين باللطف العميم "(٣) .

---

(١) شفاء السقام (ص : ١٧٤) .
(٢) القسم الأول المحقق (ص : ٧٥ ـ ٧٦)
(٣) نفسه (ص : ٧٣) .

ثم إن الكتاب كان في ملك الشيخ العلامة الفاضل محمد نصيف (ت : ١٣٩١ هـ) وكان تملكه له في شوال سنة ١٣٦١ هـ كما هو مدون على الغلاف ، وفي أول ورقة من المخطوط نسبة الكتاب للمؤلف بخط نصيف . وعليه أيضاً خط العلامة المحدث محمد بن عبد الرزاق حمزة (ت : ١٣٩٢ هـ)[١] ففيه إقرار لما نص عليه المؤلف نفسه ونصيف بعده . والله أعلم .

هذا وقد انتهى المؤلف رحمه الله من كتابه هذا يوم السبت ٢٤ شوال سنة ١٣٣٣ هـ ، كما ذكر ذلك في آخر كتابه ، وأما عن وقت بدئه به فهذا ما لم يذكره المؤلف .

ب ـ وصف النسخة :

فيما يظهر أن هذا الكتاب نسخته وحيدة ، في مكتبة الشيخ محمد نصيف الموجودة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة تحت رقم (٢٩٤١) وهي نسخة منقولة من نسخة المؤلف ، دل على ذلك عبارات منها : (في الأصل بياض) ، (وهكذا في الأصل) .

وعليها إشارات التصحيح بالهامش ، وربما صحح الخطأ بين الأسطر والكلمات ويعرف ذلك باختلاف الخط .

أوراقها كاملة لا يوجد فيها طمس ، وهناك بعض العبارات أو الكلمات سقطت من الناسخ ، وغالبها فيما نقله المؤلف عن غيره مما أتاح لي فرصة تتميم النصوص من مصادرها .

هذا وقد بلغ عدد صفحات المخطوط (٣٣١) إحدى وثلاثين وثلثمائة صفحة ، وقد قمت بتحقيق القسم الثاني من المخطوط ، وهو يبدأ من صفحة (١٦٩) إلى نهاية الكتاب .

عدد الأسطر : تسعة عشر سطراً .

خطها : عادي قريب إلى الرقعة .

عليها بعض التعليقات في المواطن المهمة لكل من الشيخين الفاضلين الجليلين محمد نصيف ومحمد عبد الرزاق حمزة ، ربما ذيلت باسم أحدهما ، وربما عقب أحدهما على الآخر .

---

(١) هو الشيخ العلامة المحدث الجليل محمد بن عبد الرزاق حمزة .ولد سنة١٣١١ هـ في قرية كفر عامر بالقليوبية بمصر ، وتعلم فيها وفي الأزهر ، ثم هاجر إلى الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ ، فعين اماماً وخطيباً في المسجد النبوي الشريف ،ثم انتقل بعد سنتين إلى الحرم المكي وعين إماماً ومدرساً ، درس فيه الحديث والتفسير ، وكانت له علاقة طيبة بالشيخ المحدث ذهبي عصره عبد الرحمن المعلمي ، وكان الشيخ المعلمي يثق بعلمه فيعطيه بعض كتبه لينظر فيها ويعلق عليها ، كالتنكيل والقائد إلى تصحيح العقائد ،وكان الشيخ حمزة سيفاً مسلطاً على =

ج ـ منهج التحقيق .

هذا وقد سلكت في التحقيق المنهج التالي :

١ ـ عزو الآيات الى سورها مع رقم الآية .

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية تخريجاً علمياً حسب الاستطاعة ، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك غالباً .

وأما إذا كان الحديث خارج الصحيحين فإنني أخرجه من الكتب الأربعة وغيرها من المسانيد والمعاجم ... الخ ، و لم أقصد الاستيعاب ، بل ربما اكتفيت بالأربعة ان كان موجوداً فيها .

وقد ذكرت الحكم على الأحاديث عازياً ذلك لأهل العلم المتقدمين أو المتأخرين .

٣ ـ عزو الأبيات الشعرية لقائليها ، وأماكنها إن استطعت .

٤ ـ الإحالة على مصادر النصوص المقتبسة والمنقولة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى ، ومقابلة الأصل معها .

وأحب أن أنبه هنا إلى أن المؤلف رحمها لله نقل رسالة الشوكاني الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، عدا أشياء يسيرة جداً ، وبما أن طبعات هذه الرسالة الشوكانية لا تخلو من بعض التصحيفات و لم تذكر حين طباعتها النسخة المعتمدة ، أحببت أن أقابل هذا القسم من الكتاب على مخطوطتين لكتاب الدر النضيد .

أما الأولى : فموجودة في الجامعة الاسلامية ضمن فيلم رقم / ٩٢٥ / وعدد أوراقها ٢٤ ورقة ، وهي كاملة ، وعدد أسطرها ٢٧ سطراً ، وهي نسخة منقولة من أصل الشوكاني ومقابلة عليه ، ورمزت لها بحرف (أ) .

وأما الثانية : فموجودة في الجامعة الاسلامية أيضاً ضمن فيلم رقم / ٨٨٦ / وعدد أوراقها ٢٨ ورقة ، وعدد الأسطر ٢٣ سطراً . وسقط منها أربعة أوراق من ورقه ١٧ وحتى ٢٠ . وذلك لتلف في الفيلم . وقد نقلت من أصل المصنف أيضاً ورمزت لها بحرف (ب) ، وما وجدته ساقطاً من الكتاب ، سواء في رسالة الشوكاني في هذه أو غيرها جعلته بين معقوفتين

= أعداء السنة ، فصنف الرد على أبي رية بكتاب سماه : ظلمات أبي رية ، استفاد منه المعلمي في كتابه الأنوار الكاشفة ، وله كتاب في الرد على الكوثري ، ورد على الأغلال للقصيمي ، وغيرها . توفي بمكة سنة ١٣٩٢ هـ . انظر الأعلام (٦ / ٢٠٣) والقائد إلى تصحيح العقائد (ص : ٢٤٩) .

هكذا [   ] ، ونبهت الى مصدر الاستدراك ، وأثبت الفروق بين الأصل وهو الكتاب الذي أحققه وبين ما نقل عنه المؤلف ، وبقدر الاستطاعة حاولت الحفاظ على نص المؤلف ، إلا أن تكون عبارة الكتاب الذي نقل عنه المؤلف يظهر منها أنها الأصوب فأثبتها وأشير في الحاشية الى لفظ النص ، وأحسب أني أثبت نصاً سليماً صحيحاً ، إن شاء الله .

٥ ـ وما كان في الحاشية من لحق فإني أضيفه الى النص مع إشارة الى ذلك ، . وما كان في الحاشية من تصحيح فإن كان موافقاً للصواب ـ كأن يكون تصحيح خطأ إملائي ، أو تصحيح تصحيف وقع من الناسخ ـ وكان نقلاً عن غيره فوافقه أثبته بلا إشارة ، وإن خالفه أثبت الصحيح من المكان المنقول عنه دون إشارة الى ما في الحاشية ، إلا ما رأيت فيه فائدة . وما كان محتملاً أشرت إليه .

٦ ـ وأثبت بعض التعليقات التي رأيت أنها مناسبة ، وهي إما للشيخ محمد نصيف أو لعبد الرزاق حمزة ، وربما علقت على تعليقهما .

٧ ـ كما وأثبت نهاية الصفحة من المخطوط بذكر رقمها بين شرطتين هكذا / / .

٨ ـ وضعت عناوين **جـانبيـة** تسهيلاً على القاريء . وما كان من عناوين وفصول بلا هذه الإشارة فهي من المؤلف .

٩ ـ ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في صلب الكتاب عدا الأنبياء والمرسلين وعدا المذكورين ضمن آيات الكتاب الحكيم . كما وترجمت للأعلام المذكورين ضمن الدراسة ، وكل علَم لم أذكر ترجمته في الدراسة فهو مترجم له في قسم التحقيق .

١٠ ـ علقت على النص حسب الحاجة .

١١ ـ أعددت فهارس علمية ، وهي كالتالي :

١) فهرس الآيات ـ مرتباً على السور .   ٢) فهرس الأحاديث .   ٣) فهرس الآثار .

٤) فهرس الأشعار .   ٥) فهرس الأعلام .   ٦) فهرس الطوائف والأديان .

٧) فهرس البلدان .   ٨) فهرس المراجع والمصادر .

٩) فهرس الموضوعات .

وأخيراً أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت للصواب ، كما وأسأله عز وجل أن يعفو عن الزلل ، وصلى الله على خاتم الأنبياء محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الثاني

وفيه أربعة فصول :

الفصل الاول : في بيان التوحيد ونواقضه

الفصل الثاني : في حياة الانبياء في قبورهم

الفصل الثالث : في الشفاعة ـ

الفصل الرابع: في بيان منهج السلف في الاسماء والصفات خصوصا والعقيدة عموما

الفصل الأول

في بيان التوحيد ونواقضه

المبحث الأول

في توحيد العبادة ، وفضله ، وأركان العبادة وشروطها

أولا : تعريف توحيد العبادة

أ ـ التوحيد لغة : مصدر وحّد ، يقال : وحَّده توحيداً جعله واحداً(١) .

ب ـ العبادة لغة : الطاعة ، وأُصل العبودية الخضوع والذل(٢) .

ج ـ تعريف العبادة : اصطلاحاً : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة(٣) أو هي : طاعة الله بامتثال ما أمر الله على ألسنة الرسل(٤) .

د ـ تعريف توحيد العبادة اصطلاحاً : هو اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادة كالمحبة والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والدعاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة(٥) .

"ويسمى هذا النوع توحيد الألوهية ، لأنه مبني على إخلاص التأله ، وهو أشد المحبة لله وحده ـ وذلك يستلزم إخلاص العبادة ... وتوحيد الإرادة ، لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال . وتوحيد القصد : لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد العمل : لأنه مبني على اخلاص العمل لله وحده "(٦) .

---

(١) انظر : القاموس المحيط (ص : ٤١٤) .

(٢) انظر مختار الصحاح (ص : ٤٠٨) والقاموس المحيط (ص : ٣٧٨) .

(٣) انظر العبودية (١٠ / ١٤٩ مجموع الفتاوي) .

(٤) انظر فتح المجيد (ص : ٢٩) .

(٥) الجامع الفريد ، سؤالات على كتاب التوحيد للجار الله (ص : ٩) وانظر مجموع فتاوى ابن عثيمين (١ / ١٨) .

(٦) تيسير العزيز الحميد (ص : ٣٨) .

ثانياً : من أدلة هذا التوحيد :

أ ـ من أدلة القرآن : إن القرآن الكريم بمنطوقه ومفهومه ، وأحكامه وتشريعاته ، وآدابه وقصصه ، يدعو إلى التوحيد ، الذي هو حق الله على العبيد ، وهو إخلاص العبادة لمن يستحقها ، وهو الله جل جلاله ، وهذه بعض الآيات التي تدل على وجوب التوحيد والتسليم والإخلاص لله تعالى .

قال عز وجل : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾(١) ، وقال أيضاً : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾(٢) وقال : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾(٣) ، وقال عز وجل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾(٤) ، وقال سبحانه ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾(٥) ،وقال جل في علاه : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾(٦) ، وقال : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾(٧) .

ب ـ من أدلة السنة : والأدلة من السنة كثيرة أيضاً ، منها :

قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن « إنك تقدم قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله » ـ وفي رواية ـ « أن يوحدوا الله ... » الحديث متفق عليه(٨) .

---

(١) سورة البقرة ، آية / ٢١ .

(٢) سورة النساء ، آية / ٣٦ .

(٣) سورة الأنعام ، آية / ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٤) سورة الإسراء ، آية / ٢٣ .

(٥) سورة النحل ، آية / ٣٦ .

(٦) سورة الأنبياء ، آية / ٢٥ .

(٧) سورة البينة ، آية / ٥ .

(٨) رواه البخاري (التوحيد ـ باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله ـ ٣٥٩/١٣ ـ ٣٦٠ رقم ٧٣٧٢) ومسلم (الإيمان ـ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ـ ١/ ٥٠ رقم ١٩) .

ومنها حديث معاذ بن جبل أيضاً ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ ! تدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » قال : قلت : يا رسول الله . أفلا أبشر الناس ، قال : « لا تبشرهم فيتكلوا » .(١)

ثالثاً : فضل هذا التوحيد :

إن هذا التوحيد فضله عظيم ، وثوابه جليل ، وقدره رفيع ، فإنه سبب لكل خير في الدنيا والآخرة ، وضده سبب لكل شر في الدنيا والآخرة ، فمن أخلص لله التوحيد جعل الله له في حياته نوراً ، وفي قلبه سروراً ، ويسر له ما تعسر من الأمور ، وفرج عنه ما ضاقت به الصدور ، ويوم القيامة ينقلب إلى أهله مسروراً بما قدم من عبادة أخلص لله فيها ، فغفر الله له الذنوب والخطايا ، وستر عليه العيوب والرزايا ﴿ إن ربي لغفور رحيم ﴾(٢) .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾(٣) .

وقال سبحانه : ﴿ الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾(٤)

وتقدم قريباً حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن الله لا يعذب من لا يشرك به ، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً .

رابعاً : أركان العبادة وشروطها :

مما تقدم عرفنا أهمية العبادة وفضلها . وهنا لا بد أن نعرف ما أركان العبادة الصحيحة وما شروطها ؟ فالعلماء حينما تكلموا عن أركان العبادة وشروطها ، تكلموا عن ذلك استنباطاً واستقراء من الكتاب والسنة ، وكلامهم كله يصب في خانة واحدة ، ويرجع إلى معان متحدة.

فأول هذه الأركان هو :

---

(١) رواه البخاري (التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله - ١٣/٣٥٩ - ٣٦٠ رقم ٧٣٧٣) ومسلم (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة - ١/ ٥٨ رقم ٣٠) .

(٢) سورة هود ، آية / ٤١ .

(٣) سورة النساء ، آية / ٤٨ و ١١٦ .

(٤) سورة الأنعام ، آية / ٨٢ .

الإخلاص(١) : " وحقيقته أن يكون قصد العبد وجه الله عز وجل والدار الآخرة "(٢) ، كما قال تعالى : ﴿ وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى ﴾(٣) ، وقال : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾(٤) ، وقال : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾(٥) .

الركن الثاني : الصدق(٦) ، وهو " بذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، والاستعداد للقاء الله ، وترك العجز ، وترك التكاسل عن طاعة الله ، وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم الله ، وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله ، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾(٧) ، وقال تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾(٨)"(٩) .

قال ابن القيم رحمه الله : " والفرق بينه وبين الإخلاص ، أن للعبد مطلوباً وطلباً ، فالإخلاص توحيد مطلوبه ، والصدق توحيد طلبه .

فالإخلاص : أن لا يكون المطلوب منقسماً ، والصدق : أن لايكون الطلب منقسماً ، فالصدق : بذل الجهد ، والاخلاص : إفراد المطلوب " أ . هـ (١٠) .

---

(١) التحفة العراقية في أعمال القلوب ، لابن تيمية (ص : ٢٠) وتفسير ابن كثير (٣ / ١١٦) ومعارج القبول (٢ / ٤٣٩) .

(٢) معارج القبول (٢ / ٤٣٩) .

(٣) سورة الليل ، آية / ١٧ - ٢١ .

(٤) سورة الإسراء ، آية / ١٨ - ١٩ .

(٥) سورة البينة ، آية / ٥ .

(٦) التحفة العراقية (ص : ٢٠) ومعارج القبول (٢ / ٤٣٩) .

(٧) سورة التوبة ، آية / ١١٩ .

(٨) سورة الأحزاب ، آية / ٢٣ .

(٩) معارج القبول (٢ / ٤٤٠) .

(١٠) مدارج السالكين (١ / ١٢٤) .

الركن الثالث : متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما شرع[1] : " فيعبد الله بوفق ما شرع وهو دين الاسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد سواه ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[2] ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[3] .

فهذه الثلاثة الأركان ، شروط في العبادة ، لا قوام لها إلا بها ، فالعزيمة الصادقة شرط في صدورها . والنية الخالصة ، وموافقة السنة شرط في قبولها ، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها . فإخلاص النية بدون صدق العزيمة ، هوس وتطويل أمل وتمن على الله ، وتسويف في العمل وتفريط فيه . وصدق العزيمة بدون إخلاص فيه ، يكون شركاً أكبر ، أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص .. وإخلاص النية مع صدق العزيمة إن لم يكن العمل على وفق السنة كان بدعة ، وحدثاً في الدين وشرع ما لم يأذن الله به ، فيكون رداً على صاحبه ، ووبالاً عليه والعياذ بالله ... ولذا قال الفضيل بن عياض[4] في قوله تعالى ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾[5] قال : أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي . ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا لم يكن خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، فالخالص أن يكون لله وحده ،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ١١٦) ومعارج القبول (٢ / ٤٤١) .

(٢) سورة آل عمران ، آية / ٨٥ .

(٣) رواه البخاري (الصلح - باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود - ٥ / ٣٥٥ رقم ٢٦٩٧) . ومسلم (الأقضية - باب نقض الأحكام الباطلة ٣ / ١٣٤٣ رقم ١٧١٨) .

(٤) هو الإمام القدوة شيخ الإسلام سيد المسلمين في وقته : الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم ، روى عنه ابن المبارك والشافعي ويحيى القطان وغيرهم كثير ، سكن مكة ، وكان إماما ربانياً صمدانياً قانتاً ثقة كبير الشأن .من أقواله :من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة . ومنها : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . توفي يوم عاشوراء سنة ١٨٧ هـ وقد نيف على الثمانين . انظر ترجمته : حلية الأولياء (٨ / ٨٤) وتذكرة الحفاظ (١ / ٢٤٥) والسير (٨ / ٤٢١ - ٤٤٢) .

(٥) سورة الملك ، آية / ٢ .

والصواب أن يكون على السنة "(١)(٢) .

وهذه الأركان الثلاثة راجعة إلى أصل عظيم ، ألا وهو محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . قال ابن ابن تيمية رحمه الله تعالى : " محبة الله ، بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله ، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين ، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين ، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة ...

فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة . وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى ، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً ، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله ، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء ، وهو كله للذي أشرك »(٣) ... بل إخلاص الدين لله تعالى هو الذي لا يقبل الله سواه ، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل ، وأنزل به جميع الكتب ، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان ، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية ، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه . "(٤) .

والعبادة تجمع " كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله وغايته ، فالحب الخلي عن الذل ، والذل الخلي عن الحب ، لا يكون عبادة ، وإنما العبادة ما تجمع كمال الأمرين ، ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله "(٥) .

" ثم إنه كما بين أن محبته أصل الدين ، فقد بين أن كمال الدين بكمالها ، ونقصه بنقصها ، فإن النبي صلى الله عليه سلم قال : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٩٥) وانظر تفسير البغوي (٤ / ٣٦٩) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١ / ٦٠٠) واقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٨٤٣) .

(٢) انظر معارج القبول (٢ / ٤٤١ - ٤٤٢) .

(٣) رواه مسلم (الزهد - باب من أشرك في عمله غير الله - ٤ / ٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥) .

(٤) التحفة العراقية (ص : ٥٧ - ٥٨) .

(٥) المصدر نفسه (ص : ٢٨) وانظر (ص : ٦٤) .

الجهاد في سبيل الله »(١) .

ويتكلم عن الخوف والرجاء ونحوهما فيقول : " وإذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني ، فالخوف والرجاء وغيرهما ، يستلزم المحبة ويرجع إليها ، فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه ، لا فيما يبغضه ، والخائف يفرّ من الخوف لينال المحبوب ، قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾(٣) "(٤) .

المبحث الثاني
في أهم نواقض التوحيد

إن الكلام عن نواقض التوحيد باب واسع لا تحويه هذه الدراسة الموجزة ، فلقد كتب فيه علماء فحول كبار وفقهاء أبرار ، جعلوا ذلك ضمن كتبهم ، أثناء كلامهم عن الردة وأحكامها ـ نعوذ بالله منها ـ ومنهم من أفردها بالتأليف ومنهم من اختصرها حتى تسهل معرفتها ويحذر خطرها .

وسأذكر إن شاء الله تعالى أهم نواقض التوحيد ــ ومنها ما ذكره الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ـ أذكرها بإيجاز ـ وربما توسعت بعض الشيء في بعض النواقض لما أرى من حاجة لذلك . والله الميسر والمعين .

أول هذه النواقض : الشرك بالله تعالى : نعوذ بالله منه .

وهو أن يجعل الإنسان لله نداً أي مثلاً وشبيهاً في ربوبيته وألهيته ، فهذا كفر باجماع

---

(١) التحفة العراقية (ص : ٦٥) . والحديث أخرجه أحمد (١ / ٢٣١ ، ٢٣٧) و(٥ / ٢٣١) ، والترمذي (الإيمان ـ باب ما جاء في حرمة الصلاة ـ ٥ / ١٣ ـ ١٤ رقم ٢٦١٦) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (الفتن ـ باب كف اللسان في الفتنة ـ ٢ / ١٣١٤ رقم ٣٩٧٣) ، عن معاذ بن جبل . من حديث طويل .

(٢) سورة الإسراء ، آية / ٥٧ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢١٨ .

(٤) التحفةالعراقية (ص : ٧١) .

المسلمين[1] . قال الذهبي : " وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، وتعبد معه غيره من حجر أو بشر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو جني أو نجم أو ملك وغير ذلك "[2] .

وهو أعظم الذنوب وأكبر الكبائر الذي لا يغفره عز وجل إلا بالتوبة الخالصة . ففي الصحيحين : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل : أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك »[3] والند : المثل[4] .

وفي الحديث الآخر : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر .. الإشراك بالله »[5] .

وقد قال الله عز وجل فيه ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[6].

وقال الله عز وجل : ﴿ وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾[7] .

وقال سبحانه : ﴿ حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾[8] .

والشرك لا يقبل الله معه عملاً صالحاً بل يحبطه ويبطله ، كما قال تعالى ﴿ وَقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عَمَلٍ فجعلناه هباءً منثوراً ﴾[9] .وقال عز وجل ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من

---

(1) مجموع الفتاوى (١ / ٨٨) .

(2) الكبائر للذهبي (ص : ٢٤).

(3) رواه البخاري (التفسير ــ باب قوله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ ــ ٨ / ١٣ رقم ٤٤٧٧) و (فيه ـ باب ﴿ والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ﴾ الآية ــ ٨/٣٥٠ ــ ٣٥١ رقم ٤٧٦١) وفي مواضع أخرى من صحيحه ، ورواه مسلم (الإيمان ـ باب كون الشرك أقبح الذنوب ـ ١ / ٩٠ رقم ٨٦) .

(4) القاموس المحيط (ص : ٤١١).

(5) رواه البخاري (الشهادات ـ باب ما قيل في شهادة الزور ــ ٥ / ٣٠٩ رقم ٢٦٥٤) وفي مواضع أخرى ومسلم (الإيمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرها ـ ١ / ٩١ رقم ٨٧) عن أبي بكرة رضي الله عنه .

(6) سورة النساء ، آية / ٤٨ و ١١٦ .

(7) سورة المائدة ، آية / ٧٢ .

(8) سورة الحج ، آية / ٣١ .

(9) سورة الفرقان ، آية / ٢٣ .

قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾(١) .

وقال سبحانه : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾(٢)

ويتمثل الشرك في صور كثيرة :

كأن يشرك مع الله في المحبة والخوف والرجاء والدعاء والصلاة والطاعة والتشريع والنذر والذبح وأن يجعل من دون الله شفعاء ووسائط عند الله ، إلى غير ذلك من العبادات التي هي من حق الله وحده سبحانه .

أو يشرك معه فيما هو من خصائص ربوبيته سبحانه كتدبير الكون والتصرف فيه ، والخلق والرزق والإحياء والإماتة والضر والنفع .

فالشرك في المحبة : أن يحب غير الله كمحبة الله أو أشد ، فإن الله عز وجل هو الذي يستحق المحبة المطلقة ، وأما محبوباته سبحانه من الأنبياء والأصفياء والطاعات فهي تابعة لمحبة الله تعالى(٣) . قال عز من قائل : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾(٤) .

ومثل المحبة أيضاً قد يقع الشرك في الخوف أو الرجاء أو التوكل ...

وكذلك يقع الشرك في الدعاء قال تعالى : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾(٥) .

وقال سبحانه : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾(٦) .

فالذي يسأل غير الله ويدعوه ويستغيثه ويرجوه ، يكون قد أشرك مع الله عز وجل غيره ، لأنه جعل هذا المدعو مثل الله حيث صرف العبادة له ورجا النفع منه أو رجا دفع الضر عنه .

---

(١) سورة الزمر ، آية / ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام ، آية / ٨٨ .

(٣) انظر التحفة العراقية (ص : ٦٥) ومدراج السالكين (١ / ١١١ - ١١٢) .

(٤) سورة البقرة ، آية / ١٦٥ .

(٥) سورة العنكبوت ، آية / ٦٥ .

(٦) سورة البقرة ، آية / ١٨٦ .

ولأنه صرف ما هو من خصائص الله عزوجل وحقه إلى غيره ، ممن لا يستحقه ، فبهذا يكون قد رفع غير الله إلى مستوى الألوهية والربوبية . قال تعالى عن حال المشركين : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين ﴾(١) أي حينما صرفوا دعاءهم وعبادتهم لغير الله عز وجل جعلوا غير الله مستحقاً للعبادة وأهلاً لها كالله تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ومثل الدعاء سائر العبادات والطاعات ، فلا يجوز أن تصرف إلا لله ، فلا يتوجه بها إلى مخلوق مهما علا قدره وارتفع شأنه .

وموضوع الكتاب يعالج هذا النوع من الشرك ، ففيه نقولات مهمة عن كبار مشايخ وعلماء الأئمة - في العصر الأخير كالامام الشوكاني وكالعلامة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ والجهبذ النحرير محمود شكري الألوسي وغيرهم من فضلاء القرون الأخيرة .

ومن فضل الله عز وجل أن جعل في كل عصر أئمة عاملين ، ينفون عن الدين تأويل المضلين وانتحال المبطلين ، ويجددون لهذه الأمة ما اندرس من معالم دينها ، حتى تعود ناصعةً برّاقة كما يريد الله عز وجل ، فتُسلك المَحَجَّة بظهور الحُجَّة .

الناقض الثاني : جعل الولد والصاحبة لله تعالى وهذا من أعظم أنواع الشرك .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وأنه تعالى جَدُّ ربِّنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾(٣) .

وقال عز وجل : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾(٤) .

وقال : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون لَيَمَسَّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم

---

(١) سورة الشعراء ، آية / ٩٧ - ٩٨ .

(٢) سورة الإخلاص .

(٣) سورة الجن ، آية / ٣

(٤) سورة المائدة ، آية / ١٧ و ٧٢ .

(٥) سورة المائدة ، آية / ٧٣ .

بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾(١)

الناقض الثالث : من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر .

وذلك لأن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم كما كان يقول عليه الصلاة والسلام في خطبته : « أما بعد فإن خير الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم »(٢) ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾(٣) وكما في قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾(٤) .

وقال سبحانه ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضلَّ صاحبُكُم وما غوى * وما ينطِقُ عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يُوحَى * علمه شَديدُ القُوَى ﴾(٥) فهدي محمد صلى الله عليه وسلم هو ما جاء به عن الله عز وجل ، وهو شرع الله بالكتاب والسنة ، فالذي يظن أن الهدي في غير الكتاب والسنة فهو كافر بإجماع الأمة ، لأن الذي أنزل الكتب هدى للناس ، أنزل القرآن الكريم ، وأوحى السنة هدى للناس ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

قال تعالى : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون * ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأُنزل مثل ما أَنْزَلَ اللهُ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾(٦) . فالله عز وجل جعل القرآن هو الكتاب الآخر ، المهيمن المصدق لينذر الناس أجمعين ، ففيه الهداية والرشد ؛ وفي غيره الضلال والغي ، ولا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً ، وادعى أن ما يقوله هو قول

---

(١) سورة التوبة ، آية / ٣٠ .

(٢) رواه مسلم (الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة - ٢ / ٥٩٢ رقم ٨٦٧) .

(٣) سورة الشورى ، آية / ٥٢ .

(٤) سورة الحشر ، آية / ٧ .

(٥) سورة النجم ، آية / ١ - ٥ .

(٦) سورة الأنعام ، آية / ٩٢ - ٩٣ .

الله وشرعه ، أو زعم أنه يُوحَى إليه مــن الله ، ومـن قـال سـأنزل مثـل مـا أنـزل الله ، وادعـى التحدي وأنه يستطيع أن يأتي بمثل هذا القرآن ، وهذا معناه أنه يبتغي الهداية من غير ما أنزل الله من القرآن والحكمة . بالإضافة إلى تكذيبه واستكباره .

وقال تعالى ﴿ اليـوم أكملـت لكـم دينكـم وأتممـت عليكـم نعمـتي ورضيـت لكـم الاسـلام دينا ﴾(١) .

فا لله سبحانه قد أكمل إنزال الدين على البشرية هداية لها ، ورضي ما أنـزل وأتمـه ، فشـرعُه أكمل الشرائع ، ونعمته أتم النعم ، ورضوانه أوسع الرضى ، فالذي لا يرضى ما رضي الله عنه ، والذي لا يقبل نعمة الله فلا أنعم الله عليه .

ومن الرضا بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الرضا بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم . فالذي لا يرضى بحكم الله أو يجعل حكم غيره أفضل مـن حكمـه كـالذي يفضـل حكم الطواغيت على حكم الله فهو كـافر . قـال الله تعـالى : ﴿ ومـن لم يحكـم بمـا أنـزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾(٢) وقال عز وجل : ﴿ أفحكم الجاهليـة يبغـون ومـن أحسـن مـن الله حكماً لقوم يوقنون ﴾(٣) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : " ينكر تعالى على من خرج عن حكـم الله المحكـم المشـتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجـال ، بـلا مستند مـن شـريعة الله ، كمـا كـان أهـل الجاهليـة ، يحكمـون بـه مـن الضـلالات والجهـالات ممـا يضعونهـا بـآرائهم ، وأهوائهـم ، وكمـا يحكـم بـه التتـار مـن السياسـات الملكيـة المـأخوذة عـن ملكهـم جنكزخـان(٤) الـذي وضـع لهـم

---

(١) سورة المائدة ، آية / ٣ .

(٢) سورة المائدة ، آية / ٤٤ .

(٣) سورة المائدة ، آية / ٥٠ .

(٤) هو سلطان التتر الأعظم والد ملوكهم وهو واضع الياسق ، لا يعرف لـه نسـب ، كـان خصيصاً عنـد الملـك أزبك خان ثم عظم أمره ، وأراد الملـك قتلـه ، ففـر وآوى إليـه الفـارين مـن الملـك أزبـك خـان حتـى قويـت شوكته وقتل أزبك خان ، واستولى على الملـك واشـتهر أمـره واشـتد جبروتـه . توفـي سـنة ٦٢٤ هــ . انظـر ترجمته : البداية والنهاية (١٣ / ١١٧) .

الياسق(١) ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها . وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولاكثير ، قال تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ أي يريدون ، وعن حكم الله يعدلون ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به ، وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، العادل في كل شيء "(٢) .

فالذي يجحد حكم الله تعالى ، أولا يجحده ولكن يعتقد أن حكم غيره أتم وأشمل لأن الزمان وحوادثه متجددة ، وكتاب الله لا يستوعب التقدم والحضارة فهو كافر .

والذي يجعل شرع الله مع غيره مساوياً له ، لا فرق بين أن يحكم بشرع الله وبين أن لا يحكم به ، فيحكم بغيره فهذا أيضاً كافر .

أو الذي يعتقد أن شرع الله أفضل وأحسن ، ولكن يجوز أن يحكم بغير شرع الله فهذا كافر أيضاً(٣) ، والذي لا يحكم بشرع الله عز وجل معرضاً عنه ومبغضاً له ومستحباً لغيره عليه فهو كافر أيضاً(٤) .

---

(١) هكذا في التفسير ، وأما في البداية والنهاية . فمرة كتب السياسا . ومرة الياسا . وانظر شيئاً منه في المصدر السابق (١٣ / ١١٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ٧٠) .

(٣) وهذان كالناقض التاسع عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ألا وهو : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر . ا . هـ .

(٤) وهذا يدخل فيه الناقض الخامس عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو إن أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به كفر ، ويدخل أيضاً الناقض العاشر وهو " الإعراض عن دين الله تعالى ، لا يتعلمه ، ولا يعمل به ، ولو كان الكلام هنا عن الحكم فإن الحكم جزء من الدين ، فالذي يعرض عن جزء ويبغض جزءاً فكأنما أبغض الكل ، وهو ناقض . والله أعلم .

وأما الذي يقر بشرع الله ووجوب التحاكم اليه ، ثم يعدل عن الحكم به لشهوة كرسي أو مال أو جاه أو غيرهما فهذا ظالم فاسق ، كافر كفراً عملياً لا ينقل عن الملة(١) .

وقضية الحكم ليست مقتصرة على الحاكم فقط ، بل تشمل كل من له حكم على غيره سواء كان صغيراً أو كبيراً ، بخلاف ما يظنه كثير من الناس أن الآية في الحكام والسلاطين ، وغفلوا عن كونها تشمل كل من له ولاية وسلطة سواء صغرت أم كبرت . وأن " مَنْ " في قوله ﴿ ومن لم يحكم ﴾ من ألفاظ العموم ، فتشمل كل من لم يحكم . فتطبيق الناس هذه الآية على الحكام فقط ، قصر للآية على بعض من هي في حقه ، وهكذا ينسى كثير من هؤلاء تحكيم الشرع في أنفسهم وأهليهم وأقربائهم ، ويلتفتون إلى الطبقة العليا . أصلح الله الجميع آمين .

قال العلامة صديق حسن خان في كتابه الممتع ، الدين الخالص : " فالحاصل من مجموع الكلام على هذا المقام أن الحكم بالكتاب والسنة الصحيحة واجب مفترض ، متحتم على كل أحد من الولاة والرؤساء والملوك والحكام ، وعلى أتباعهم المأمورين من قبلهم على القضاء والفتيا بعد معرفة الحق .

ومن لم يحكم بهما في الأمور العبادية والأحوال السياسية . وما يليها ، مع العلم بها من الكتاب والسنة و مع القدرة على إمضائها في الأقوياء والضعفاء ، فهو من أهل هذه الآية ، أعاذنا الله منه .

وأما من لا يقدر على ذلك وهو مكره من جهة المالك ، ومقهور في مجاري أمور الممالك ، ولا يجد بداً لنفسه ولأتباعه لمصالح هنالك ، ومفاسد في مخالفة ذلك ، ولا يستخف ، ولا يستحل شيئاً مما أنزله الله ، وجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أرحم الراحمين ، وسيد الغافرين .

وأما من رأى أن الحكم بالطاغوت والقضاء بالجبت ، أوفق بحال الخلق وأحسن في السياسة مع القدرة على خلافه ، والمماشاة مع ما أنزله الله من الكتاب ووردت به السنة من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم كحال ... القاضين بما في قوانين ملوك الديار ودساتير

---

(١) صنف الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رسالة في حكم القوانين وكذا الشيخ القدوة عبد العزيز بن باز باسم وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه . وكذا الشيخ إسماعيل بن ابراهيم الخطيب الحسني الأزهري السلفي له كتاب : تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن . وغيرهم .

الصناديد من الكفار الأشرار مع تمكنهم من القضاء والإفتاء بما أنزل الله في كتابه العظيم ، وجاء به الرسول الكريم ، فنعوذ بالله من حال أهل النار "(١) .

وذلك لأن الله عز وجل جعل محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونذيراً لهم . قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾(٣) لأنه من الكافرين ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي »(٤) فهذا حال الأنبياء فكيف بحال من هم أدنى منهم بمراتب ، فلا شك أنه لا يجوز الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لشريعة الهوى أو لشريعة سابقة .

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمِرُوا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ إلى قوله ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾(٥) .

قال الإمام أحمد ابن تيمية بعد قوله تعالى : ﴿ فلا وربك ﴾ ... الآية : فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل أن هذه الغاية فرض على الناس فمن تركها كان من أهل الوعيد ، لم يكن قد أتي بالإيمان الواجب الذي وعد الله أهله بدخول الجنة بلا عذاب . فإن الله تعالى إنما وعد بذلك من فعل ما أُمر به ، وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرض للوعيد ، ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما شجر بين الناس في دينهم ودنياهم في أصول دينهم وفروعه ، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما حكم ويسلموا له تسليماً "(٦) . أ . هـ .

---

(١) الدين الخالص (٣ / ٣٠٦) .

(٢) سورة الفرقان ، آية / ١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية / ٨٥ .

(٤) سيأتي تخريجه (ص :٩٣) .

(٥) سورة النساء ، آية / ٦٠ ـ ٦٥ .

(٦) الإيمان لابن تيمية (ص : ٨٦) .

وقال الشيخ السعدي(١) رحمه الله تعالى بعد هذه الآية : ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم . أي : في كل شيء يحصل فيه اختلاف ، بخلاف مسائل الإجماع ، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة . ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق ، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض .

ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى يسلموا لحكمه تسليماً ، بانشراح صدر وطمأنينة نفس وانقياد بالظاهر والباطن .

فالتحكيم في مقام الإسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان ، والتسليم في مقام الإحسان ، فمن استكمل هذه المراتب وكملها فقد استكمل مراتب الدين كلها .

و ن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر .

ومن تركه ـ مع التزامه ـ فله حكم أمثاله من العاصين "(٢) أ . هـ .

الناقض الرابع : من استهزأ بشيء من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أو ثوابه أو عقابه كفر ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾(٣) .

والاستهزاء هو السخرية(٤)

---

(١) هو الشيخ الورع العلامة الفقيه الأصولي المحقق عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي ، من نواصر بني تميم يُكنى أبا عبد الله ، ولد في عنيزة بالقصيم في ١٢ محرم سنة ١٣٠٧ هـ . عاش يتيماً ونشأ في بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر ، وكان فطناً ذكياً ، فأحب العلم من صغره ، وأكب على طلبه ، حتى صار من العلماء الذين يشار إليهم بالبنان . له مؤلفات وأجزاء كثيرة من أهمها : تيسير الكريم الرحمن لتفسير كلام المنان تفسير كامل لكتاب الله تعالى ، وتوضيح الكافية الشافية شرح نونية ابن القيم ، وغيرها كثير ، توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ هـ . انظر ترجمته : روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد (١ / ٢١٩) وعلماء نجد خلال ستة قرون للبسام (٢ / ٤٢٢) . وانظر عقيدة السعدي وجهوده في توضيحها : كتاب الشيخ عبد الرزاق العباد في ذلك .

(٢) تفسير السعدي (٢ / ٩٣ ـ ٩٤) .

(٣) سورة التوبة ، آية / ٦٥ ـ ٦٦ .

(٤) القاموس المحيط (ص : ٧٢) .

والاستخفاف(١) ، يقال لمن سخر من آيات الله : اتخذها هزواً ، ويقال ذلك لمن كفر بها ، ويقال ذلك لمن اطرحها ، و لم يأخذ بها وعمل بغيرها(٢) .

وقد رُوي في سبب نزول الآية السابقة : أن رجلاً قال في غزوة تبوك في مجلس يوماً : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء ، فقال رجل في المسجد : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن ،فقال عبد الله بن عمر ـ راوي الحديث ـ : أنا رأيته متعلقاً بحَقَب(٣) ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله . إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ الآية(٤) .

وسواء كانوا صادقين بدعواهم أنهم إنما أرادوا الخوض واللعب و لم يريدوا الكفر أو كانوا كاذبين في هذه الدعوى ، فإن الله جعل هذا الخوض واللعب استهزاء وجعل صاحبه كافراً " لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله ، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ، ومناقض له أشد المناقضة "(٥) .

قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى : ﴿ إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ : " أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به ، ولا قصدنا الطعن والعيب . قال الله تعالى مبيناً عدم عذرهم

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١ / ١٢٤) .

(٢) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (١ / ٢١١)

(٣) الحَقَب محركةً : الحزام يلي حقو البعير ، أو حبل يشد به الرحل في بطنه (القاموس المحيط ص : ٩٧) وتنكبه الحجارة : يقال : نكَبَت الحجارة رجله : لثمتها أو أصابتها فهو منكوب ونَكِيبٌ (القاموس المحيط ص:١٧٩)

(٤) رواه ابن وهب (ابن كثير ٢ / ٣٨١) وابن جرير (١٠ / ١١٩) وابن أبي حاتم (٤ / ٦٣) مخطوط ـ كما في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص : ١٠٨) ، قال الشيخ مقبل : رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد (أسباب النزول ص: ١٠٨) وحسنه العصيمي في الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص : ١٤٨) وله شاهد حسن عند ابن أبي حاتم (٤/ ٦٤) عن كعب ابن مالك (الصحيح المسند من أسباب النزول ص : ١٠٩)

(٥) تفسير السعدي (٣ / ٢٥٩) .

وكذبهم في ذلك : ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾(١) ا . هـ . فيفهم من كلام ابن سعدي ـ رحمه الله ـ أنهم قصدوا الكفر وكذبوا في دعواهم أنهم يخوضون ويلعبون . وأما ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيقول : فاعترفوا واعتذروا ولهذا قيل : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة ... ﴾ فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً ، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر ، فبين أن الأستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه ، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ، ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ولكن لم يظنوه كفراً ، وكان كفراً كفروا به فإنهم لم يعتقدوا جوازه "(٢) ، ولم يغن عنهم هذا الاعتقاد لأنهم تلفظوا بالكفر استهزاءً بالله ورسوله والمؤمنين . وقد جاء في الحديث : « إن الإنسان ليتكلم بكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً تهوي به في جهنم »(٣) .

ويقع الاستهزاء بأصل الدين وفروعه ، فالاستهزاء بفروع الدين هو استهزاء بأصله ، وهذا استهزاء بمشرعه وهو الله عز وجل ، وبمبلغه محمد صلى الله عليه وسلم ، " وأيضاً فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم ، والضالون مستخفون بتوحيد الله تعالى ، يعظمون دعاء غيره من الأموات ، وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به كما قال تعالى : ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ﴾(٤) الآية . فاستهزءوا بالرسول صلى الله عليه وسلم لما نهاهم عن الشرك ، ومازال المشركون يسبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد لما في أنفسهم من عظيم الشرك .

وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك لما عنده من

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) كتاب الإيمان لابن تيمية (ص : ٢٨٣) .

(٣) رواه البخاري (الرقاق ـ باب حفظ اللسان ـ ١١ / ٣١٤ رقم ٦٤٧٨) وانظر نحوه عند البخاري رقم (٦٤٧٧) ومسلم (الزهد والرقاق ـ باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار ـ ٤ / ٢٢٩٠ رقم ٢٩٨٨) والترمذي (الزهد ـ باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس ـ ٤ / ٤٨٢ ـ ٤٨٣ رقم ٢٣١٤) . عن أبي هريرة .

(٤) سورة الفرقان ، آية / ٤١ .

الشرك ، قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾(١) فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الله فهو مشرك ، ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله ، فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته ، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ... ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو قبر غيره أنفع له من أن يدعو الله في المسجد عند السحر ، ويستهزيء بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد ، وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد ، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله ؟ وتعظيمهم للشرك ... "(٢) أ . هـ .

قال تعالى : ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾(٣) .

فهذا الاستهزاء استهزاء بالمؤمنين وهو استهزاء بدينهم الذي آمنوا به وصدقوه . كما قال تعالى : ﴿ إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون ﴾(٤) .

قال العلامة ملا علي القاري : وفي الخلاصة : " من أبغض عالماً من غير سبب ظاهر خيف عليه من الكفر " قلت ـ أي ملا علي القاري ـ : الظاهر أنه يكفر لأنه إذا أبغض العالم من غير سبب دنيوي أو أخروي فيكون بغضه لعلم الشريعة . ولا شك في كفر من أنكره فضلاً عمن أبغضه ، وفي الظهيرية : من قال لفقيه أخذ شاربه : ما أعجب قبحاً أو أشدّ قبحاً قص الشارب ولف طرف العمامة تحت الذقن ، يكفر ،لأنه استخفاف بالعلماء يعني وهو مستلزم لاستخفاف الأنبياء عليهم السلام ، وفي المحيط : من جلس على مكان مرتفع والناس حوله يسألون منه مسائل بطريق الاستهزاء ثم يضربونه بالوسائد أي مثلاً . وهم يضحكون كفروا جميعاً أي لاستخفافهم بالشرع ، وكذا لو لم يجلس على المكان المرتفع(٥) أ . هـ . وأتى بأمثلة عدة

---

(١) سورة البقرة ، آية / ١٦٥ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٥ / ٤٨ ـ ٤٩) .

(٣) سورة المطففين ، آية / ٢٩ ـ ٣٢ .

(٤) سورة المؤمنين ، آية / ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٥) شرح الفقه الأكبر لملاّ علي قاري (ص : ٢٦٠) .

فيها الاستهزاء بالعلم والعلماء وحكم على صاحبها بالكفر إلى أن قال : " وفي التتمة : من أهان الشريعة أو المسائل التي لا بد منها كفر ومن ضحك من المتيمم كفر "(١) ومِثلُ الذي يستهزيء بقص الشارب ، الذي يستهزيء بأي سنة من سنن الهدى التي أتى بها النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كتقصير الثياب والسواك إذا علم أنها سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما من غلب على مجتمعه الجهل و لم يدر أنها من الدين فيُعلَّم والله أعلم .

قال الشيخ العلامة ناصر السنة والدين عبد العزيز بن باز : " فإن كان الاستهزاء بالعلم الشرعي أو بالعلماء لأجله فلا شك أن ذلك ردة عن الإسلام لأنه تنقص لما عظمه الله واستخفاف به . وفي ضمن ذلك احتقاره والتكذيب به ، أما إن كان الاستهزاء بالعلماء يرجع إلى أمر آخر كالملابس ، أو حرص بعضهم على الدنيا أو اعتيادهم خلاف ما عليه [الناس] من العوائد التي لا تعلق لها بالشرع أو لما يشبه ذلك ، فهذا وأشباهه لا يكون ردة عن الإسلام لأنه لايرجع إلى الدين وإنما يرجع لأمور أخرى "(٢) .

الناقض الخامس : السحر :

والسحر في اللغة : كل ما لطف مأخذه ودق ، ويقال : سحر أي خدع .. "(٣) .

وأما في الاصطلاح : فقد تنوعت تعريفات الأئمة للسحر ، فقال ابن قدامة المقدسي : " هو عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان ، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه "(٤) .

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي(٥) في أضواء البيان : " اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته ، ولا يتحقق

---

(١) المصدر نفسه (ص : ٢٦٢) .

(٢) حاشية الشيخ عبد العزيز على فتح المجيد (ص : ٤٣٧ ــ ٤٣٨) المكتبة الفيصلية : مكة . و (ص : ٧٦٦) مؤسسة قرطبة .

(٣) القاموس المحيط (ص : ٥١٩) .

(٤) الكافي لابن قدامة (٤ : ١٦٥) .

(٥) هو الإمام العلامة الأصولي النحوي ، الحاذق النحرير ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الجكني ، ولدعام ١٣٢٥ هـ في (تنبه) في شنقيط من موريتانيا ، نشأ في طلب العلم وحفظ القرآن قبل بلوغه عشر سنوات . وظل مثابراً على طلب العلم حتى أصبح علامة حافظاً بحراً ، رحل إلى الحج واستقر في البلاد ــ

قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها ، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متبايناً "(١) .

وقد اختلف العلماء أيضاً في حكم تعلم السحر وتعليمه والعمل به .

قال النووي رحمه الله : " فعمل السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع ..." و " قد يكون كفراً وقد لا يكون كفراً بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر ، وإلا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه فحرام ، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر ، وإلا فلا . وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر واستتيب منه ، ولا يقتل عندنا ـ أي الشافعية ـ فإن تاب قبلت توبته .

وقال مالك : الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ، ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله . والمسألة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق ، لأن الساحر عنده كافر كما ذكرنا . وعندنا ليس بكافر ، وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق .

قال القاضي عياض(٢) : وبقول مالك قال أحمد بن حنبل ، وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين "(٣) أ . هـ .

قال في فتح المجيد(٤) :" وقد نص أحمد أنه يكفر بتعلمه

-- الحجازية . من أهم مؤلفاته : أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، ورحلة الحج ، ومذكرة في أصول الفقه ، وغيرها . توفي سنة ١٣٩٣ هـ . انظر ترجمته : علماء ومفكرون عرفتهم (١ : ١٧١) وكتاب الشيخ عبد الرحمن السديس في ترجمة الشنقيطي .

(١) أضواء البيان (٤ / ٤٤٤) .

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ عياض بن موسى بن عياض بن عمرون أبو الفضل السبتيّ اليحصبي القاضي . كان ذا علم غزير في الحديث والفقه والتفسير والتاريخ والأدب وغيرها من الفنون ، ولي قضاء سبتة وغرناطة ، من أشهر كتبه إكمال المعلم شرح مسلم ، والشفا ، وغيرها كثير . انظر ترجمته : السير (٢٠ / ٢١٢) والديباج المذهب (ص : ١٦٨) .

(٣) النووي : شرح مسلم (١٤ / ١٧٦) .

(٤) هو العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب . كان فقيهاً مجتهداً عالماً عاملاً ، ولي القضاء ، وتخرج عليه جمع غفير من القضاة ، وجمع وصنف الكتب والرسائل ، من أهم كتبه فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ، وقرة عيون الموحدين ، توفي سنة ١٢٨٥ هـ رحمه الله تعالى . انظر عنوان المجد (٢ / ٢٠) وعلماء نجد (١ / ٥٦ ـ ٦٢) .

وتعليمه(١) ... واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله ، قال أصحابه : إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر . وقال الشافعي : إذا تعلم السحر قلنا له : صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يوجب الكفر مثلما اعتقده أهل بابل من التقريب الى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وان كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر "(٢) ، وربما يكون اختلافهم هذا لاختلافهم في تعيين أنواع السحر ، فإن كان من النوع المذكور في آية البقرة فهو كفر لقوله تعالى : ﴿ وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾(٣) ، وأما إن كان من الأنواع الأخرى(٤) كخفة اليد والحركة وبعض الأدوية وبعض الكيماويات فإن هذا يسمى سحراً لغة ، لأنه عبارة عما خفي مأخذه ولطف ودق ، وكذلك هذا قد يكون فيه من النوع الأول .

وأما السحر الذي فيه استعانة بالشياطين فهذا كفر ، وهو المذكور في الآية " وقد سماه الله كفراً بقوله : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ وقوله : ﴿ وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ قال ابن عباس في قوله : ﴿ إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ " وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر "(٥) .

وأما مسألة هل للسحر حقيقة أو لا ؟

" فمذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة ، خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لاحقائق لها ، وقد ذكره الله في كتابه وذكر أنه مما يتعلم ، وذكر ما فيه إشارة إلا أنه مما يُكفربه ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة

---

(١) وانظر تفسير ابن كثير (١ / ٤٩) حيث رد على الرازي الذي أجاز تعلم السحر .

(٢) فتح المجيد (ص : ٣٨٦ - ٣٨٧) .

(٣) سورة البقرة ، آية / ١٠٣ .

(٤) انظر أنواع السحر : تفسير الفخر الرازي (٣ / ٢٠٦ ـ ٢١٣) وابن كثير (١ / ١٥٠ ـ ١٥٢) والفتح (١٠ / ٢٣٢) وأضواء البيان (٤ / ٤٤٤ - ٤٥٣) .

(٥) فتح المجيد (ص : ٣٨٧) وانظر تفسير ابن كثير (١ / ١٤٧) .

له ... "(١) وليس هنا مكان التفصيل والرد والله أعلم ، وكل علم اليه يُرَد .

الناقض السادس : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

إن مظاهرة المشركين ومعاونتهم من الأمور الخطيرة جداً على دين المرء المسلم ، وذلك لأن مساعدة المشركين على المسلمين وإظهار كلمة الكافرين فيها مشاقة لله ولدينه ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

فإذا أحب المرء الكافرين وفضلهم على المسلمين ، وأحب ظهور دين المشركين على دين الموحدين المؤمنين ، فمعناه أنه يريد الذل والانكسار للإسلام والمسلمين ، ومن أراد بالإسلام والمسلمين ذلك فهو كافر .

وهذا هو الولاء للكافرين المخرج من ملة المسلمين ، والولاءات للكافرين متعددة ومراتبها متفاوتة وأحكامها مختلفة ، بحسب الفعل والقول والنية والاعتقاد ، كما سيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

وأما الأدلة على وجوب موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين فكثيرة جداً ، منها :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال

---

(١) شرح مسلم للنوي (١٤ / ١٧٤) وانظر تفسير القرطبي (٢ / ٤٦) وتفسير ابن كثير (١ / ١٥٢) وفتح الباري (١٠ / ٢٣٣) .

(٢) سورة المائدة ، آية / ٥١ - ٥٣ .

(٣) سورة آل عمران ، آية / ٢٨ .

اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾(١) .

والآيات في ذلك كثيرة جداً .

صور الموالاة لغير المسلمين .

وتتلخص صور الموالاة لغير المسلمين في أربع صور فيما ظهر لي ، والله أعلم بالصواب .

الصورة الأولى : موالاة ظاهرية باللسان مع بغض القلب ، وهذه جائزة للمضطر .

الصورة الثانية : موالاة في الظاهر دون الباطن بلا إكراه ، وذلك كأن يفعل المسلم شيئاً ظاهره الموالاة لا يقصد ذلك - أي فَعَله تأولاً - وذلك كما حصل لحاطب بن أبي بلتعة(٢) رضي الله عنه قبل الفتح .

الصورة الثالثة : موالاة في الباطن في وقت الرخاء وظهور المسلمين ، وقد تظهر بلحن القول أو صريحه . وهي موالاة المنافقين للكافرين .

الصورة الرابعة : موالاة في الظاهر والباطن ، وذلك حال المنافقين المرتابين أثناء ضعف المسلمين أو توقع هزيمتهم في نفوسهم المريضة. وهو حال المستحبين للدنيا ومتاعها على الآخرة.

فأما الصورة الأولى : فقد قال الله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾(٣) .

قال الحافظ ابن كثير : " نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون اليهم بالمودة من دون المؤمنين ، ثم توعد على ذلك فقال تعالى : ﴿ ومن يفعل

---

(١) سورة التوبة ، آية / ٢٤ .

(٢) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة من بني خالفة بطن من لخم ، حليف بني أسد ، كنيته أبو عبد الله وقيل : أبو محمد ، شهد بدراً والحديبية . وشهد الله له بالإيمان ، والرسول صلى الله عليه وسلم بالمغفرة . كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب الإسكندرية . توفي سنة ٣٠ هـ وصلى عليه عثمان . انظر ترجمته . الإستيعاب (٢ / ٢٨٠) وأسد الغابة (١ / ٤٣١ - ٤٣٣) والإصابة (٢ / ١٩٢).

(٣) سورة آل عمران ، آية / ٢٨ .

ذلك فليس من الله في شيء ﴾ أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله ..." ثم قال : " وقوله تعالى ﴿ الا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ، كما قال البخاري رحمه الله عن أبي الدرداء(١) أنه قال :" انا لَنَكْشِرُ في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم "(٢) . وقال الثوري قال ابن عباس : " ليس التقية بالعمل وإنما التقية باللسان ..."(٣) وذكر عدةً من السلف قالوا ذلك . ثم قال : " ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾(٤) الآية . وقال البخاري : " قال الحسن : " التقية إلى يوم القيامة "(٥) . أ . هـ "(٦) .

---

(١) أبو الدرداء مشهور بكنيته ، واختلف باسمه ، فقيل عويمر ، واختلف في اسم أبيه ، فقيل عامر أو مالك أو ثعلبة ... خزرجي أنصاري . أسلم يوم بدر ، وشهد أحداً وأبلى فيها ، ولاه معاوية قضاء الشام في عهد عمر ، وكان فقيهاً عالماً ، توفي في خلافة عثمان على الأرجح لسنتين بقيتا من خلافته . انظر ترجمته الاستيعاب (١١ / ٢٢٦) وأسد الغابة (٤ / ٣١٨) والإصابة (٧ / ١٨٢) .

(٢) رواه البخاري معلقاً بصيغة التمريض (١٠ / ٥٤٤) وقد وصله جماعة ، منهم أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٢٢) وهو منقطع كما قال الحافظ في الفتح . وروي من عدة طرق عن أبي الدرداء رضي الله عنه . قال الألباني : " لكن لعله يتقوى بهذه الطرق . وبالجملة ، فالحديث لا أصل له مرفوعاً . والغالب أنه ثابت موقوفاً ، والله أعلم " . الضعيفة (١ / ٣٨٤ رقم ٢١٦) .

• **نكشر** : الكشر ظهور الأسنان ، وأكثر ما يطلق عند الضحك (الفتح ١٠ / ٥٤٥) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٢ / ١٨٩ رقم ٣٥٧) وفيه انقطاع . ووصله الحاكم بلفظ آخر (٢ / ٢٩١) وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه نحوه ابن جرير (٣ / ١٥٣) بسند فيه مبهم : بينته رواية الحاكم .

(٤) سورة النحل ، آية / ١٠٦ .

(٥) صحيح البخاري (٩ / ٢٥ - أول كتاب الإكراه) معلقاً ، وعبد بن حميد (الدر المنثور ٢ / ١٦) .

(٦) تفسير ابن كثير (١ / ٣٦٥) . والتقية المذكورة في قول الحسن وغيره من السلف ، هي التي يدور الكلام حولها في هذه المسألة ، من التفوه بالإثم للمضطر ، أو عمل الإثم على خلاف في ذلك ، وأما تقية الرافضة التي ينسبونها لأهل البيت زوراً وبهتاناً ، فهي الكذب والنفاق ، وإظهار خلاف الباطن للغير وخصوصاً لأهل السنة ، وفي غير وقت الضرورة والحاجة ، وهي من أصول الدين عندهم ، وأنه لا دين لمن لا تقية له ، وهي دينهم ودين آبائهم - كما رووا ذلك عن أئمتهم - انظر كتاب مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة للدكتور: ناصر القفاري (١ / ٣٣٠) .

قال ابن عطية(١) : " وذهب قتادة إلى أن معنى الآية ﴿ الا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ من جهة صلة الرحم أي ملامة ، فكأن الآية عنده مبيحة الإحسان الى القرابة من الكفار(٢) ، وذهب جمهور المفسرين إلى أن معنى الآية : الا أن تخافوا منهم خوفا ، وهذا هو معنى التقية .

واختلف العلماء في التقية ممن تكون ؟ وبأي شيء تكون ؟ وأي شيء تبيح ؟

فأما الذي تكون منه التقية فكل قادر غالب مُكرِه يُخاف منه ، فيدخل في ذلك الكفار إذا غلبوا ، وجورة الرؤساء والسلابة وأهل الجاه في الحواضر ، قال مالك رحمه الله : وزوج المرأة قد يُكرِه .

وأما بأي شيء تكون التقية ، ويترتب حكمها ، فذلك بخوف القتل وبالخوف على الجوارح وبالضرب بالسوط وبسائر التعذيب ، فإذا فُعل بالإنسان شيء من هذا أو خافه خوفاً متمكنا فهو مُكرَه ، وله حكم التقية ، والسجن إكراه والتقييد إكراه ، والتهديد والوعيد إكراه ، وعداوة أهل الجاه الجورة تقية(٣) .

وهذه كلها بحسب حال المكرَه ، وبحسب الشيء الذي يكره عليه ، فكم من الناس ليس السجن فيهم بإكراه ، وكذلك الرجل العظيم يُكره بالسجن والضرب غير المتلف ليكفر ، فهذا لا تُتصور تقيته من جهة عظم الشيء الذي طلب منه .

ومسائل الإكراه هي من النوع الذي يدخله فقه الحال .

وأما أي شيء تبيح ؟ فاتفق العلماء على إباحتها للأقوال باللسان من الكفر وما دونه ، ومن بيع وهبة وطلاق . وإطلاق القول بهذا كله ، ومن مداراة ومصانعة . وقال ابن مسعود : " ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي سلطان إلا كنت متكلماً به "(٤) .

---

(١) هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي المفسر ، كان آية في الفهم والذكاء والفطنة والدهاء ، له باع في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والأدب ، ويعد تفسيره من أنفع التفاسير ، توفي سنة ٥٤٢ وقيل ٥٤٦ هـ . انظر ترجمته : السير (١٩/ ٨٧ ٥) والديباج المذهب (ص : ١٧٤)

(٢) انظر تفسير ابن جرير (٣ / ١٥٣) .

(٣) كذا في المحرر الوجيز ، ولعلها إكراه ، أو : تبيح التقية . والله أعلم .

(٤) رواه الطبراني (١٠ / ٢١٧ مجمع) وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

واختلف الناس في الأفعال : فقال جماعة من أهل العلم منهم الحسن ومكحول ومسروق(١): يفعل المكره كل ما حمل عليه مما حرم الله فعله وينجي نفسه بذلك ، وقال مسروق : فإن لم يفعل حتى مات دخل النار .

وقال كثير من أهل العلم منهم سحنون(٢) : بل إن لم يفعل حتى مات فهو مأجور ، وتركه ذلك مباحٌ أفضل من استعماله ، وروي عن عمر بن الخطاب قال في رجل يقال له : نهيت بن الحارث أخذته الفرس أسيراً ، فعرض عليه شرب الخمر وأكل الخنزير وهدد بالنار ، فلم يفعل فقذفوه فيها ، فبلغ ذلك عمر فقال : وما كان على نهيت أن يأكل .

وقال جمع كثير من العلماء : التقية إنما هي مبيحه للأقوال فأما الأفعال فلا ... "(٣) .

وأما الصورة الثانية من صور الموالاة : وهي الموالاة في الظاهر دون الباطن بلا إكراه .

وهي قسمان :الأول موالاة بلا تأول ، والثاني : موالاة بتأول .

وصورة الأولى : وذلك كأن يفعل الإنسان شيئاً ظاهره الموالاة لغير المؤمنين لضعف في إيمانه ، ولقلة يقينه ، ولشهوة دنيوية ، و لم يقصد بموالاته ونصرته للكافرين على المؤمنين محبته للكافرين لأنهم كافرون ، و لم يقصد بعداوته للمؤمنين لإيمانهم بل لأمر خارج عن ذلك .

وصورة الموالاة الثانية : كأن يظهر شيئاً من الموالاة للكافرين في أمر ما لسبب ما ، قد يظنه عذراً وما هو بعذر ـ أي يفعل ذلك إجتهاداً وتأولاً ـ كما حصل لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، أبو عائشة الكوفي الفقيه أحد الأعلام ، وكان أبوه فارس أهل اليمن في زمانه ، ومسروق هو ابن أخت البطل الكرار عمرو بن معدي كرب . روى عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم وكان مقدماً في الفتوى على أقرانه ، من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، كان يصلي حتى تتورم قدماه . توفي سنة ٦٣ هـ .

انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ (١ / ٤٩) والتقريب(ص : ٥٢٨) .

(٢) الإمام الفقيه سحنون أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن جندب بن حسان التنوخي ، وسحنون لقبه ، أصله من حمص ، دخل به أبوه بلاد المغرب فأقام بها ، وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك هناك ، وكان قد تفقه على ابن القاسم ، كتب عنه المدونة ونقحها وانتشرت عنه ، وساد أهل ذلك الزمان . وولي القضاء بالقيروان إلى أن توفي سنة ٢٤٠ هـ . البداية والنهاية (١٠ / ٣٢٣) والديباج المذهب (ص : ١٦٠) .

(٣) تفسير ابن عطية (٣ / ٥٥ ـ ٥٦) .

فإن هذه الصورة من الموالاة الظاهرية دون الكفر والردة ، وبيان ذلك بأمور :

الأول : أن لفظ " أولياء " وكذا قوله : ﴿ يوادون من حاد الله ﴾ الآية ، يفهم منه المحبة القلبية ، ولأن التولي " هو محبة القلب الذي تتبعه النصرة " (١) .

الثاني : أن الآيات التي فيها نفي الإيمان عن المتولي أو أن المتولي من المتولى قد فسرها أهل العلم بأن هذا الحكم لا ينطبق تماماً إلا على التولي المصحوب بالتولي بالباطن ، وأما من وجدت فيه بعض الصفات فإنه داخل في صفات من تولاه بمقدار هذا التولي ، فمن تولاهم بالفعل فقط فله حظ من قوله تعالى : ﴿ فليس من الله في شيء ﴾ وله حظ من قوله ﴿ فإنه منهم ﴾ وله حظ من قوله ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله ... ﴾ الآية . وأما الذي ينطبق عليه الوصف كاملاً فهو المتولي بالباطن المحب لهم والذي يوافق باطنه ظاهره . قال ابن عطية رحمه الله تعالى : " قوله : ﴿ فليس من الله في شيء ﴾ معناه : في شئ مرضي على الكمال والصواب ، وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا »(٢) .

وقال ابن عطية أيضاً :﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ إنحاء على عبد الله بن أبي وكل من اتصف بهذه الصفة من موالاتهم ، ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الاستحقاق النقمة والخلود في النار . ومن تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقد ولا إخلال بإيمان فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه "(٣) أ . هـ .

وقال أيضاً عند قوله تعالى ﴿ لا تجد قوماً ﴾ الآية : نفت هذه الآية أن يوجد من يؤمن بالله تعالى حق الإيمان ويلزم شُعَبَه على الكمال يواد كافراً أو منافقاً . ومعنى ﴿ يواد ﴾ : يكون بينهما من اللطف بحيث يود كل واحد منهما صاحبه ، وعلى هذا التأويل قال بعض الصحابة : اللهم لا تجعل لمشرك قبلي يداً ، فتكون سبباً للمودة ، فإنك تقول : وتلا هذه الآية(٤) .

وتحتمل هذه الآية أن يريد بها : لا يوجد من يؤمن بالله والبعث يواد من حادّ الله من حيث

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٣٧٢) ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ١٦٣)

(٢) تفسير ابن عطية (٣/٥٤) والحديث أخرجه مسلم (الإيمان ـ باب من غشنا فليس منا ـ ١/٩٩ رقم ١٠١) .

(٣) تفسير ابن عطية (١٥ / ١٢٧) .

(٤) ذكر نحوه ابن كثير (٤ / ٣٥٣) عن الحسن البصري ، رواه نعيم بن حماد .

هو محادّ ، لأنه حينئذ يودّ المحادة ، وذلك يوجب ألا يكون مؤمناً . أ . هـ(١) .

وقال الإمام ابن تيمية بعد ذكره لهذه الآية : " فأخبر أنك لا تجد مؤمنا يواد المحاربة لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي مُوادتَه كما ينفي أحد الضدين الآخر . فإذا وجد الإيمان انتفي ضده وهو موالاة أعداء الله تعالى ، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب ، ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون ﴾(٢) فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف ﴿ لو ﴾ التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال:﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ، ومثله قوله تعالى : ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾(٣) فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمناً ، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم ، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً قال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ﴾(٤) "(٥) .

وقال ابن تيمية أيضاً :" فحيث نفى الإيمان عن شخص فلا يكون إلا لنقص ما يجب عليه من الإيمان ، ويكون من المعرضين للوعيد ، ليس من المستحقين للوعد المطلق ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا ، ومن حمل علينا السلاح فليس منا »(٦) كله من هذا الباب ، لا يقوله إلا لمن ترك ما أوجب الله عليه ، أو فعل ما حرم الله ورسوله عليه ، فيكون

---

(١) تفسير ابن عطية (١٥ / ٤٥٧) .

(٢) سورة المائدة ، آية / ٨٠ - ٨١ .

(٣) سورة المائدة ، آية / ٥١ .

(٤) سورة الزمر ، آية / ٢٣ .

(٥) كتاب الإيمان لابن تيمية (ص : ٦٧ - ٦٨) .

(٦) تقدم تخريجه (ص : ٦٦)

قد ترك من الإيمان المفروض عليه ما ينفي عنه الاسم لأجله ، فلا يكون من المؤمنين المستحقين للوعد السالمين من الوعيد ... الخ "(١) .

فدل على أن الذي يرتد بموالاة الكافرين هو الموالي لهم بالباطن ، أو بالباطن والظاهر ، وأما الموالي لهم في أفعاله أو في بعض أفعاله فله حظه من الإثم المترتب على هذه المعصية العظيمة .

قال الحافظ ابن كثير مبيناً أن التولي الذي يكون فيه المتولي من المتولى تماماً هو التولي في الباطن :" ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ أي شك وريب ونفاق ﴿ يسارعون فيهم ﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الظاهر والباطن "(٢) .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى : " فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم " ، ولهذا قال : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم ، والتولي القليل يدعو إلى الكثير ، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون العبد منهم "(٣) .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ... ﴾(٤) الآية . يظهر منها أن المنافقين احتجوا بهذه الذريعة للتولي ، وحالهم خلاف ذلك .

قال ابن عطية : " وفعل عبد الله بن أبي في هذه النازلة لم يكن ظاهره مغالبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو فعل ذلك لحاربه رسول الله ، وإنما كان يظهر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يستبقيهم لنصرة محمد ، ولأن ذلك هو الرأي . وقوله :" إني امرؤ أخشى الدوائر " أي من العرب وممن يحارب المدينة وأهلها . وكان يبطن في ذلك كله التحرز من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفتّ في أعضادهم ، وذلك هو الذي أسر هو في نفسه ، ومن معه على نفاقه ممن يفتضح بعضهم إلى بعض "(٥) أ . هـ . وذلك في قوله ﴿ فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ . ثم قال رحمه الله : " والذي أسروه هو ما ذكرناه من التمرس بالنبي صلى الله عليه

---

(١) كتاب الإيمان (ص : ٩٠) .
(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٧١) .
(٣) تفسير السعدي (٢ / ٣٠٤) .
(٤) سورة المائدة ، آية / ٥٢ .
(٥) تفسير ابن عطية (٥ / ١٢٩) .

وسلم وإعداد اليهود للثورة عليه يوماً ما "(١) أ . هـ .

وقال الحافظ ابن كثير : ﴿ على ما أسروا في أنفسهم﴾ من الموالاة ﴿ نادمين ﴾ أي على ما كان منهم "(٢) ا . هـ . أي إنهم أسروا الموالاة وأظهروا أنهم يخشون أن تصيبهم دائرة ، والله أعلم .

الرابع : أنه قرأ أُبيّ(٣) وابن عباس رضي الله عنهم :" لاتتخذوا اليهود والنصارى أرباباً بعضهم ..."(٤) فدل على أن الذي لا يتخذهم أرباباً لا يكون منهم .

قال ابن عطية : " نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة المؤدية إلى الامتزاج والمعاضدة ، وحكم هذه الآية باقٍ . وكل من خالط هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى : ﴿ فإنه منهم ﴾(٥) ا . هـ .

الخامس : قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وأرضاه : تشهد أكبر شهادة أن الفعل الذي فعله لم يصل إلىحد الردة ، رغم أن صورته صورة أعمال المنافقين والذين في قلوبهم مرض . ولكن الصورة وحدها لا تكفي في الحكم على قلب الإنسان ، فلعله يكون متأولاً كما كان حال حاطب رضي الله عنه وأرضاه .

وهذه هي القصة : عن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير(٦)

---

(١) المصدر نفسه (٥ / ١٣٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٧١)

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي أبو المنذر كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو الطفيل كناه بها عمر بن الخطاب بابنه الطفيل .وشهد العقبة وبدرا ،وكان عمر يقول : أبي سيد المسلمين ، وكان من قرّاء الصحابة ، وكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختلف في سنة وفاته والأكثر على أنه في خلافة عمر رضي الله عنهم . انظر الاستيعاب (١/ ١٢٦) وأسد الغابة (١/ ٦١) والإصابة (١/ ٢٦) .

(٤) انظر تفسير ابن عطية (٥ / ١٢٧) .

(٥) تفسير ابن عطية (٥ / ١٢٦) .

(٦) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي ، يكنى أبا عبد الله ، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها . هاجر الهجرتين ، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد المشاهد مع رسول الله ==

والمقداد(١) فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها ، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي كتاب . قلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . قال : فأخرجت الكتاب من عقاصها ، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا حاطب ما هذا ؟» قال : لا تعجل علي ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً ، يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنه قد صدقكم » . فقال عمر : دعني اضرب عنق هذا المنافق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »(٢) .

ففي هذه الرواية أمور منها :

--- صلى الله عليه وسلم وجعله عمر من أصحاب الشورى . وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة . استشهد سنة ٣٦ هـ غدراً بعد منصرفه من وقعة الجمل . انظر الاستيعاب (٣/ ٣٠٩) وأسد الغابة (٢/ ٢٤٩) والإصابة (٤/ ٧) .

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراوي الكندي ، يعرف بالمقداد ابن الأسود ، لأن المقداد حالفه ، فتبناه الأسود فنسب اليه ، قديم الإسلام من السابقين ، هاجر إلى الحبشة ، ولم يتمكن من الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أولاً ثم تيسر له ذلك فانحاز للمسلمين ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، توفي بالمدينة في خلافة عثمان رضي الله عنهم . انظر ترجمته : الاستيعاب (١٠ / ٢٦٢) وأسد الغابة (٥ / ٢٥١) والإصابة (٩ / ٢٧٣) .

(٢) اخرجه البخاري (المغازي ـ باب غزوة الفتح ـ ٧ / ٥٩٢ رقم ٤٢٧٤) وفي مواضع أخرى ، ومسلم (فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب ـ ٤ / ١٩٤١ رقم ٢٤٩٤) .

• **غريب الحديث** : **روضة خاخ** : موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة . **الظعينة** : الجارية ، وأصلها الهودج ، وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه . **عِقاصها** : بكسر العين ، أي شعرها المضفور ، وهو جمع عقيصة . انظر شرح النووي على مسلم (١٦ / ٥٥ ـ ٥٦) .

١ ـ أن المتأول إذا فعل فعلاً ظاهره الكفر قد لا يكفر .

٢ ـ أنه لو كان فعله كفراً لما غفر له بحضور بدر ، لأن الكفر محبط للأعمال ولا يغفره الله عزوجل .

٣ ـ أن عذره وتأوله يشبه عذر المنافقين ﴿ ويقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ... ﴾ ولذلك قال عمر : دعني اضرب عنق هذا المنافق ، ولكن الفرق بينهما أن المنافقين كانوا أضمروا الكفر وبغض النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعلوا هذا الأمر عذراً يعتذرون به أمام المؤمنين ـ كما مر ـ بخلاف حاطب ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ فإنه قال : " وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام" . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه قد صدقكم » فدل على أن المتأول وإن فعل مثل فعلهم لا يكون منهم .

٤ ـ أن تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم له دليل على أن من فعل مثل فعله و لم يضمر الكفر والارتداد والرضى بالكفر لا يكون كافراً بهذا الفعل .

٥ ـ قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر : « لعل الله اطلع على أهل بدر ....» فيه تخطئة لعمر حينما جعل حاطباً من المنافقين . بل أثبت له الإيمان والمغفرة ، ويدل على ذلك الروايات الأخرى التي فيها تكرار قوله صلى الله عليه وسلم : « صدق ، لا تقولوا له إلا خيراً » كلما أعاد عمر مقولته .

هذا شيء من الأدلة وأقوال أهل العلم التي تثبت أن فاعل الموالاة لغير المسلمين لا يحكم عليه بالكفر مباشرة ، بل لابد من التحقيق في مثل هذا الموضوع الخطير .

وأما الصور الثالثة والرابعة : فهي الموالاة الحقيقية التي من فعلها كان من الكافرين ، وقد تقدمت نقول أهل العلم في ذلك ، مما أغنى عن إعادتها هنا .

وقد أطلت في هذا الناقض نوعاً ما لوقوع الخلط واللبس عند كثير من الناس ، وأسأل الله أن أكون قد وفقت للصواب ، والله أعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الناقض السابع : من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر .

قال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾(١) فبين سبحانه أن التمسك بالعروة الوثقى يتطلب أمرين اثنين :

(١) سورة البقرة ، آية / ٢٥٦ .

الأول : الكفر بالطاغوت . ومنه الكفر بمن يدين له بالتبعية . وهو كقوله تعالى ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ...﴾(١) الآية .

الثاني : الإيمان بالله تعالى :

فلا يكون إيمان بالله تعالى إلا أن يكفر الانسان بالطاغوت ، ويكفر بكل من يدين به وله ، ولا يتصور في إنسان يؤمن بالله تعالى ويعبده بإخلاص أن يعبد الطاغوت أو يؤمن به . إذ من لوازم عبادة الله تعالى والإخلاص فيها التبرؤ من الكفر والكافرين ومما يعبد من دون الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبدمن دون الله ، حرم مالهودمه وحسابه على الله »(٢) .

وكذلك المؤمن لا يجوز له أن يشك في كفر الكافرين والملحدين ، إذ الشك في كفرهم شك في دينه الذي يعتقده . وشك في دينهم أن فيه حقاً وصواباً . والحال أن دينهم باطل لايجوز اعتقاده أو التردد في ذلك .

والذي يكفر بالطاغوت ولايتردد فيه لايمكن أن يصحح مذهب المشركين . وأما من يزعم أنه يكفر بالطاغوت ويتبرأ منه ثم يصحح بعض المذاهب الطاغوتية كالاشتراكية واللادينية (العلمانية) والديموقراطية والوطنية والقومية (*) ، فهذا نقض إيمانه بالله بإيمانه بهذه المذاهب الخبيثة لأنها تحارب الإسلام قلبا وقالباً ، وهي من الطاغوت الذي يجب أن يتبرأ منه المسلمون أجمعون : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾(٣) .

وقد انتشرت في الأزمنة الأخيرة شعارات براقة ظاهرها الخير وباطنها فيه العذاب والدمار ، كالمحبة والمساواة والأخوة والوطن والحرية ، فجنت هذه الشعارات الويلات على المسلمين ، ومازال المسلمون يكتوون بنيرانها ، ويرزحون تحت نيرها ، خدعوا بالدعايات

---

(١) سورة الممتحنة ، آية / ٤ .

(٢) أخرجه مسلم (الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله - ١/ ٥٣ رقم ٢٣)

(٣) سورة النساء ، آية / ٦٠ .

(*) هذا في الذي يصحح هذه المذاهب ، ويتبرأ من الاسلام . اما الجهال الذين يظنون أن هذه المذاهب لا تعارض الاسلام ، فهؤلاء يجب أن يعلموا ، ويبين لهم حقيقة هذه المذاهب ، والله اعلم - .

والشعارات ، فهل يعتبر المسلمون من هذه الويلات ، ويعلمون أن كل شعار غير شعار الإسلام فهو نار وشنار وعار ؟ وهل يعي المسلمون مايكاد لهم لترك دينهم ؟ كل يوم تبرق بارقة جديدة تطل على المسلمين تريد الانقضاض عليهم . فلنأخذ عبراً مما مضى ، ولنقل: ربنا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

هذه هي كبرى نواقض الإسلام ، أعاذنا الله منها ، ومن كل ناقض صغير وكبير ومن كل مايغضب الله تعالى .

المبحث الثالث

التوسل : أنواعه وأحكامه

بعد أن تكلمنا عن أهمية التوحيد وفضله ، وعن شيء من نواقضه ، فمن المستحسن أن نتكلم عن التوسل ومايشرع منه ومايمنع ، والفرق بينه وبين الاستغاثة .

تعريف التوسل لغة :

الوسيلة : الرغبة والطلب والقربة ، والواسطة ، وهي : مايتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ، وجمعها وسائل . ويقال : وسّل وتوسل إلى الله توسيلا : إذا عمل عملاً تقرب به إليه .

والواسل : الراغب إلى الله عز وجل .

فالتوسل : التقرب (١)

تعريف التوسل اصطلاحاً : من خلال التعريف اللغوي للتوسل يتبين أن التوسل في الاصطلاح : " هو التقرب الى الله تعالى بوسيلة " .

وهذه الوسيلة ، إما أن تكون مشروعة ، شرعها الله عز وجل . أو ممنوعة لم يأذن الله بها .

فالتوسل الشرعي : هو التقرب إلى الله تعالى بوسيلة مشروعة .

والتوسل البدعي الممنوع : هو التقرب إلى الله تعالى بوسيلة غير مشروعة .

وسوف أتكلم إن شاء الله عن قسمي التوسل : المشروع والممنوع ؛ وأبدأ :

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة (٦ / ١١٠) والنهاية في غريب الحديث (٥ / ١٨٥) والقاموس المحيط (ص : ١٣٧٩) .

أولاً : بالتوسل المشروع : وهو أن يتقرب العبد إلى الله تعالى بكل ما شرعه له من العبادات والأعمال الصالحة . قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾(١) " أي تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه "(٢) ، فالعبد يصلي ليتقرب إلى الله تعالى ، ويصوم لينال رضى الله عز وجل ، ويجاهد كذلك ، ويحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتقرب بحبه إلى الله تعالى ، ويعمل الخيرات من أجل ذلك . فكل ما شرعه الله عز وجل من الأقوال والأفعال " ومراعاة سبيله بالعمل والعبادة وتحري مكارم الشريعة "(٣) وسيلة الى الله سبحانه يتوصل بها إلى ربه ليغفر له ذنبه ويحل عليه رضوانه .

" فابتغاء الوسيلة الى الله إنما يكون لمن توسل إلى الله بالإيمان بمحمد واتباعه ، وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال ، باطناً وظاهراً ، في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته ، في مشهده ومغيبه ، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ، ولا بعذر من الأعذار ، ولا طريق الى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته ... ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم جاهاً من جميع الأنبياء والمرسلين ...

ولفظ التوسل في عرف الصحابة كانوا يستعملونه في هذا المعنى ، والتوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به ، وأما بدون الإيمان به ، فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة "(٤) .

فالتوسل المشروع الى الله تعالى قسمان :

الأول : توسل بالإيمان بالله تعالى والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم وما يتبع ذلك من عبادة وطاعة .

الثاني : توسل بدعاء الله ومسألته .

والقسم الأول : يدخل تحته التقرب والتوسل بكل ما شرعه الله تعالى من شرائع وعبادات .

---

(١) سورة المائدة ، آية / ٣٥ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٥) .

(٣) مفردات الراغب (ص : ٨٧١) .

(٤) التوسل والوسيلة (ص : ٣ - ٤) .

والقسم الثاني : " أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سبباً في قبول دعائه ، ولابد من دليل على كون هذا الشيء سبباً للقبول ، ولا يعلم ذلك إلا من طريق الشرع "(١) " وقد شرع لنا عز شأنه أنواعاً من التوسلات المشروعة المفيدة المحققة للغرض والتي تكفل الله بإجابة الداعي بها ، اذا توفرت شروط الدعاء الأخرى "(٢) .

ولقد تتبع أهل العلم الآيات والأحاديث الصحيحة التي فيها دعاء الله سبحانه بوسائل ، فبعضهم ذكر ثلاثة أنواع من الوسائل ، وبعضهم زاد نوعاً رابعاً(٣) . وكل هذه الأنواع الأربعة مشروعة ثابتة " شرعها الله تعالى ، وحث عليها ، وَرَدَ بعضُها في القرآن ، واستعملها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحض عليها ، وليس في هذه الأنواع التوسل بالذوات أو (الجاه) أو الحقوق أو المقامات ، فدل ذلك على عدم مشروعيته "(٤) كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

وقد أنكر الله تعالى على من اتبع شرعا بدون إذنه ، وجعله من الشرك فقال تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾(٥) ، وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾(٦) (٧) .

وأما الأنواع المشروعة فهي(٨) :

النوع الأول : التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله . فيتوسل الى الله تعالى بالاسم

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١ / ٧٦) .

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ٣١ - ٣٢) .

(٣) كالشيخ محمد ناصر الدين الألباني والشيخ محمد بن صالح العثيمين ، حيث ذكر الألباني في كتابه التوسل ثلاثة أنواع ، وذكر ابن عثيمين أربعة في مجموعه (١ / ٧٦ - ٧٧) .

(٤) التوسل أنواعه وأحكامه (ص :٣٢) .

(٥) سورة الشورى ، آية / ٢١ .

(٦) سورة التوبة ، آية / ٣١ .

(٧) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١ / ٧٦) .

(٨) انظر هذه الأنواع : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ٣٢ ـــ ٤٦) ومجموع فتاوى ابن عثيمين (١ / ٧٦ - ٨٨)

المقتضي لمطلوبه ، أو بالصفة المقتضية له ، أو بالفعل المقتضى له ، كأن يقول المسلم في دعائه : " اللهم اني أسألك بأنك أنت أرحم الراحمين ، اللطيف الخبير أن تعافيني " أو يقول : " أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي " ، ومثله قول القائل : اللهم اني أسألك بحبك لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فان الحب من صفاته تعالى .

والدليل على استحباب هذا النوع من التوسل قوله تعالى : ﴿ و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾(١) والمعنى ادعوا الله تعالى متوسلين اليه بأسمائه الحسنى .

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام حيث قال : ﴿ قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾(٢) .

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاته قبل السلام : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ... » الحديث (٣) .

النوع الثاني : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وطاعته : دليله ومثاله قوله تعالى : ﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾(٤) أي فاغفر لنا ذنوبنا لأننا آمنا بك ، واتبعنا منادي الإيمان ، ومثله قوله تعالى : ﴿ إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا ﴾(٥) وقوله عن الحواريين ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾(٦) .

ومن ذلك توسل أصحاب الغار الثلاثة الذين سدت عليهم الصخرة الغار ، فتوسل كل واحد

---

(١) سورة الأعراف ، آية / ١٨٠ .

(٢) سورة النمل ، آية / ١٩ .

(٣) رواه النسائي (السهو – باب ٦٢ ــ ٣ / ٩٢ رقم ١٣٠٤) والحاكم (١/ ٥٢٤) وصححه ووافقه الذهبي والألباني (التوسل ص : ٣٣) .

(٤) سورة آل عمران ، آية / ١٩٣ .

(٥) سورة المؤمنون ، آية / ١٠٩ .

(٦) سورة آل عمران ، آية / ٥٣ .

بعمل عمله كان خالصاً لله تعالى ، فتوسل الأول ببر والديه ، والثاني بالعفة عن الحرام ، والثالث بإعطاء حق الغير كاملاً غير منقوص ، بل وتنميته لمال الغير ، وإعطاؤه إياه كاملاً(١) ، فهذه أعمال صالحة ، توسل بها أصحابها الى الله تعالى ليكشف عنهم الغار فانكشف ، وخرجوا يمشون ، وقصها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرها ، فدل على أنه يجوز أن يتوسل العبد بعمله الصالح .

النوع الثالث : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح ، ممن يظن أنه ترجى إجابة دعائه ، كأن يقع مسلم في ضيق شديد ، أو تحل به مصيبة كبيرة ، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى ، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله ، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى ، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة ، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه ، وهذا النوع أيضاً دلت عليه السنة المطهرة ، وأرشدت إليه ، كتوسل الصحابة بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أجدبوا(٢) ، وكتوسل عمر بن الخطاب بدعاء العباس عام الرمادة(٣) ، وكقول عكاشة بن محصن للنبي صلى الله عليه وسلم : " ادع الله أن يجعلني منهم "(٤) .

وهذا النوع من التوسل لا يكون إلا أثناء حياة الداعي ، لأنه هو الذي يدعو الله عز وجل ، وأما بعد موته فلا يطلب منه ذلك .

ولم يستحب بعض العلماء هذا النوع من أنواع التوسل ، لأن طلب الدعاء من الغير فيه ضعف في النفس ، وقلة توكل على الله عز وجل ، وفيه فتح لباب الغرور على المطلوب منه الدعاء ، فإن ابن آدم ضعيف ، فقد يغتر بطلب الناس منه الدعاء ، ولا شك أن سد هذا الباب هو المطلوب(٥) .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين بعد كلامه عن هذا النوع(٦) : كما انني ايضا اقول : ان هذا جائز ، ولكنني لا احبذه وارى ان الانسان يسال الله تعالى بنفسه دون ان يجعل له واسطة بينه وبين الله ، وان ذلك اقوى في الرجاء واقرب الى الخشية ، كما انني ايضا ارغب من الانسان اذا طلب من اخيه الذي ترجى اجابة دعائه ان يدعو له ان ينوي بذلك الاحسان

---

(١) انظر الحديث بطوله وتخريجه (ص : ١٨١ -١٨٢) .

(٢) انظر قسم التحقيق (ص : ٢٧٥) .

(٣) انظر قسم التحقيق (ص : ١٨٠) .

(٤) انظر قسم التحقيق أيضاً (ص : ٣١٧) .

(٥) انظر التوسل والوسيلة (ص : ٦٦) وانظر أيضاً (ص : ٥١ وما بعدها) .

(٦) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١ / ٨٦) .

اليه أي الى هذا الداعي دون دفع حاجة هذا المدعو له لأنه اذا طلبه من أجل دفع حاجته صار كسؤال المال و شبهه المذموم ،أما اذا قصد بذلك نفع أخيه الداعي بالاحسان اليه ،والاحسان الى المسلم يثاب عليه المرء كما هو معروف كان هذا أولى وأحسن والله ولي التوفيق." أ.هـ.

وهذا لم يعرف قط أن الصديق ونحوه من أكابر الصحابة سألوه شيئاً من ذلك ، ولا سألوه أن يدعو لهم ، وإن كانوا يطلبون منه أن يدعو للمسلمين .

النوع الرابع(١) : أن يتوسل الى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته ، كقول موسى عليه السلام : ﴿ رب اني لما أنزلت الي من خير فقير ﴾(٢) ، ومنه ـ والله أعلم ـ قوله تعالى في أول سورة مريم ﴿ كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداءً خفيا * قال ربِّ إني وَهَنَ العظم مني واشتعل الرأسُ شيباً و لم أكُن بدعائك ربِّ شقياً * وإني خِفتُ الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فَهَبْ لي من لدنك ولياً * يرثُني ويرثُ من آلِ يعقوبَ واجعله ربِّ رضياً ﴾(٣) وغيرها من الآيات .

ثانياً : **التوسل الممنوع** : وهو التوسل إلى الله بوسيلة لم يأت بها الشرع .

وهو نوعان(٤) :

أحدهما : أن يكون بوسيلة أبطلها الشرع كتوسل المشركين بآلهتهم ، وبطلان هذا ظاهر .

الثاني : ـ وهو الذي أجازه المصنف ـ وهو أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع وهذا محرم ، مثل أن يتوسل بجاه شخص ذي جاه عند الله ، فيقول : أسألك بجاه نبيك ، فلا يجوز ذلك ، لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع ، ولأن جاه ذي الجاه ليس له أثر في قبول الدعاء ، لأنه لا

(١) وهذا النوع هو الذي زاده العلامة محمد بن صالح العثيمين (مجموع فتاواه ورسائله : ١ / ٧٧) والمتتبع لآيات الدعاء في القرآن قد يجد أشياء أخرى ، كتقديم الاعتراف بالذنب ، وكتقديم شكر النعم ، وقد تدخل في غيرها من الأنواع الثلاثة السابقة .

(٢) سورة القصص ، آية / ٢٤ .

(٣) سورة مريم ، آية / ١ ـ ٦ .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين (١ / ٧٨) .

يتعلق بالداعي ولا بالمدعو ، وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده ، فليس بنافع في حصول المطلوب أو دفع المكروب ، ووسيلة الشيء ما كان موصلاً إليه . والتوسل بالشيء إلى ما لا يوصل إليه نوع من العبث ، فلا يليق أن يتخذه العبد فيما بينه وبين الله تعالى .

فالحاصل أن جاه ذي الجاه له وليس لغيره ، فالله قد أكرمه وأعطاه هذا الجاه بما من عليه من إيمان وعمل صالح ، فكيف يطلب الإنسان من الله ما لا يملكه الطالب ولا سبب له به ؛ بخلاف ما لو سأله بأعماله وإيمانه فانها منه وهي بسببه ، فهذا سؤال بسبب مقتض لحصول ما يريد ، بينما السؤال بجاه الغيرسؤال بما لا يملك الانسان ، فليس بوسيلة للمتوسل . بل الجاه لصاحبه .

وسؤال الله بغير الله إما تكون الباء للقسم أو للسبب ، فإن كانت الأولى فلا يجوز السؤال بها ، وإن كانت الباء سببية جاز .

قال الامام أحمد بن عبد الحليم : " والسائل لله بغير الله إما أن يكون مقسماً عليه ، وإما أن يكون طالباً بذلك السبب ، كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم ، وكما يتوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين ، فإن كان إقساماً على الله بغيره فهذا لا يجوز ، وان كان سؤالاً بسبب يقتضي المطلوب كالسؤال بالأعمال التي فيها طاعة الله ورسوله مثل السؤال بالإيمان بالرسول ومحبته وموالاته ونحو ذلك فهذا جائز .

وإن كان سؤالاً بمجرد ذات الأنبياء والصالحين فهذا غير مشروع ، وقد نهى عنه غير واحد من العلماء ، وقالوا : إنه لا يجوز ، ورخص فيه بعضهم(١) ، والأول أرجح ... وهو سؤال بسبب لا يقتضي حصول المطلوب ، بخلاف من كان طالباً بالسبب المقتضي لحصول المطلوب ، كالطلب منه سبحانه بدعاء الصالحين وبالأعمال ، فهذا جائز ، لأن دعاء الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذي دعوا به ، وكذلك الأعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا ، وإذا توسلنا بدعائهم وأعمالنا كنا متوسلين اليه تعالى بوسيلة ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ﴾(٢) والوسيلة هي الأعمال الصالحة ، وقال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾(٣) .

---

(١) انظر (ص : ٢٦٣ - ٢٦٤) من قسم التحقيق .

(٢) سورة المائدة ، آية / ٣٥ .

(٣) سورة الاسراء ، آية / ٥٧ .

وأما إذا لم نتوسل إليه سبحانه بدعائهم ، ولا بأعمالنا ، ولكن توسلنا بنفس ذواتهم لم تكن نفس ذواتهم سبباً يقتضي إجابة دعائنا ، فكنا متوسلين بغير وسيلة ، ولهذا لم يكن هذا منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً صحيحاً ، ولا مشهوراً عن السلف "(١) .

(١) قاعدة جليلة (ص : ٢٧٤ - ٢٧٥) .

الفصل الثاني

في حياة الأنبياء بعد وفاتهم

تمهيـــد

إن للأنبياء عند الله عز وجل منزلة عظيمة ومرتبــة جليلـة وجاهـاً كبـيراً ، وقـد خصهـم الله عز وجل بخصائص وصفات لم يخص بها أحدا من خلقه ، فاصطفاهم لرســالته وجعلهـم موضـع اختياره . وهيأ لهم السبل الكفيلة بتبليغ الرسالة ، فجعل لهم لسان صدق وحياة وفاء ، وجعلهـم من أوساط الناس وأشرافهم . وخصهم بصفات لا تتوفر في غيرهم . وجعل حياتهم حياة جهـاد وبشارة ونذارة ، فأكرمهم الله في هذه الحيـاة أيمـا إكـرام ، وشـرفهم أيمـا تشـريف ، فـأعدؤهم يحسدونهم على ما لهم من مكانة عند الله ، وأتباعهم يجلونهم لأنهم رسل الله .

وتستمر مسيرة الرسل بالجهاد والدعوة كل الحياة الى أن يلقوا الله تعالى ، فاذا لقوا الله تعالى لقوه وهم يحملون الصدق والأمانة ﴿ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾(١) .

وكما أن الله قد أكرمهم في الحياة الدنيا ، فإنه سيكرمهم في الآخرة ﴿ وإنـه في الآخـرة لمـن الصالحين ﴾(٢) . وأول منازل الآخرة هو القبر ، الذي ينعم فيه المؤمن ويعذب فيه الكافر ، وهو من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عـالم الغيـب والشـهادة ، وكـل مـا في هـذا القـبر يختلـف اختلافاً متبايناً عن أحوال الدنيا .

كما أن أحوال الآخرة لا يعلمها إلا الله فكذا أحوال هذا القبر التي تبدأ به الرحلة النهائية الى رب البرية . نسأل الله أن يعيذنا من عذاب النار ومن عذاب القبر ، آمين .

والموت حقيقة ثابتــة لا ينكرهـا حتـى المكـابرون ، وهـو الحقيقـة الرهيبـة الـتي تقطـع ظهـور المتكبرين وتقصم كيد المتجبرين ، وما نجا من الموت أحد من السابقين ،ولن ينجـو أحـد الى يـوم الدين ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ﴾(٣) .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية / ٢٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية / ١٣٠ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية / ٣٤-٣٥ .

حتى إن أشرف الخلق والعباد وأحبهم الى قابض الأرواح رب الأرباب لم ينجوا من الموت ، فها هو القرآن الكريم يقص الله علينا فيه قصص النبيين ويخبر بموتهم ، وها هي السنة منشورة بين أيدينا تخبرنا بما أخبر الله به . قال تعالى عن يحيى عليه السلام : ﴿ وسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم يموت ويوم يُبْعث حياً ﴾ (١) ، وقال عن عيسى عليه السلام : ﴿ والسلام عَلَيَّ يوم وُلدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حيّاً ﴾(٢) ، وقال عن سليمان بن داود عليهما السلام : ﴿ فلما قضينا عليه الموتَ ما دلهم على موته إلا دابةُ الأرض تأكلُ منسأتَهُ ...﴾(٣) وقال عن يعقوب عليه السلام : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ ...﴾(٤) ، وقال عن يوسف عليه السلام : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾(٥) ، وقال عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرسلُ أفإن مات أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ومن يَنْقلبْ على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾(٦) ، وقال تعالى : ﴿ انك ميت وإنهم ميتون ﴾(٧) ، وأخبر عن بني إسرائيل أنهم كانوا يقتلون الأنبياء فقال تعالى : ﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون ﴾(٨) وقال تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون ﴾(٩) ، والآيات في هذا كثيرة .

---

(١) سورة مريم ، آية / ١٥ .

(٢) سورة مريم ، آية / ٣٣ .

(٣) سورة سبأ ، آية /١٤ .

(٤) سورة البقرة ، آية / ١٣٣ .

(٥) سورة غافر ، آية / ٣٤ .

(٦) سورة آل عمران ، آية / ١٤٤ .

(٧) سورة الزمر ، آية / ٣٠ .

(٨) سورة البقرة ، آية / ٦١ .

(٩) سورة آل عمران ، آية / ١١٢.

وقد ورد في السنة أيضا أحاديث كثيرة جداً تثبت حقيقة الموت وأنه يصيب الأنبياء كما يصيب غيرهم ، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال له : أجب ربك ، قال : فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ، فرجع الملك الى الله تعالى فقال : انك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني ، قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع الى عبدي فقل : ألحياةَ تريد ؟؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة ، قال : ثُمَّ مَهْ ؟ قال : ثم تموت قال : فالآن من قريب ، رب أمتني من الأرض المقدسة رميةً بحجر » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لو أني عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » (١)

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد توفاه الله وحصل بعد وفاته ما حصل من الردة وأجمع الصحابة رضوان الله عليهم على أنه مات وغسلوه ودفنوه وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه مقولته المشهورة : " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت " (٢) .

والأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين كثيرة لا تعد ، والله أعلم .

فإذا كان الموت لم يترك أحدا إلا أتى عليه حتى الأنبياء ، فحري بالعبد أن يعد لهذا اليوم عدته ، ليلقى الله عز وجل على أحسن حال ، نسأل الله ذلك آمين .

وإذا علمنا تضافر الأدلة القرآنية والسُّنية والعقلية والواقعية الكونية على أن الله قضى الموت على من مضى من القرون ، وعلى من غبر من العصور بمن فيهم الأنبياء والمرسلون ، علمنا قطعا بطلان ما يدعيه الصوفية والمتكلمون أن الأنبياء أحياء في قبورهم كالحياة الدنيوية ،

---

(١) رواه البخاري (الأنبياء - باب وفاة موسى - ٦ / ٥٠٨ تحت رقم ٣٤٠٧) . ورواه مسلم (الفضائل - باب من فضائل موسى عليه السلام - ٤ / ١٨٤٣ رقم ١٥٨ (٢٣٧٢)) مرفوعا . ورواه البخاري (الجنائز - باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة ، أو نحوها - ٣ / ٢٤٥ - ٢٤٦ رقم ١٣٣٩) ومسلم (الفضائل - باب من فضائل موسى عليه السلام - ٤ / ١٨٤٢ رقم ١٥٧ (٢٣٧٢)) وليس فيه تصريح بالرفع إلا آخره .

(٢) انظر تخريجه (ص : ٤٠٣) من قسم التحقيق .

يقدرون معها على التصرف والضر والنفع والشفاعة وجميع ما كانوا يقدرون عليه في الدنيا . بل ادعى الصوفية أكثر من ذلك ، .أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر مجالس المولد والذكر ، بل إن بعض الأولياء - بزعمهم - يرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة بل ويتكرر هذا له !! وما هذا إلا افتراء على الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم .

وأما أهل السنة والجماعة فهم يعتقدون أن الأنبياء أحياء حياة خاصة برزخية ليس لها علاقة بالحياة الدنيوية إلا فيما أراده الله عز وجل ، وكذلك الشهداء وسائر الموتى ، فإنهم في قبورهم يحاسبون على أعمالهم ويجازون بها ، فمنهم السعيد ومنهم الشقي ، فهم أحياء حياة برزخية يشعرون فيها بنعيمهم أو عذابهم .

المبحث الأول

في السبب الحامل لهم على القول بحياة الأنبياء في قبورهم كالحياة الدنيوية

قبل الشروع في الرد على مقالة مدعي حياة الأنبياء في قبورهم ، لابد من تبيين السبب الذي أداهم الى القول بهذا الأمر :

إن السبب الداعي الى القول بهذا الأمر هو أن الجهمية جعلوا الروح عَرَضاً من أعراض البدن كالحياة ، وصفات الحي مشروطة بها ، فإذا زالت بالموت تبعتها صفاته فزالت بزوالها ، والرسالة صفة من صفات الرسل ، فإذا مات الرسول انتفت الرسالة ، فالإنسان إذا مات لم يبق له وجود، وهذا الرأى يلزم منه فساد كبير وخطأ كثير ، وإن سائر الأكابر من الخلق ، من الأنبياء والأولياء إذا قال أحد : صلى الله عليهم أو رحمهم الله كان الكلام فاسداً لا طائل فيه لأنهم ليسوا موجودين ، فيكون كل الخلق مجمعين على الباطل . ولذلك قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : أهل البدع تقول : ما في السماء أحد ، ولا في المصحف قرآن ولا في القبر نبي ، ثلاث عورات لكم. انتهى(١)

ونجا متأخروهم من هذا الإلزام ، وفرُّوا إلى القول بحياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم ، فجعلوا لهم معاداً يختص بهم قبل المعاد الأكبر ، إذ لم يمكنهم التصريح بأنهم لم يذوقوا الموت(٢).

---

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١ /٤٠٣) .

(٢) انظر توضيح المقاصد شرح القصيدة النونية (٢ / ١٥٣) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان سبب قولهم بحياة الأنبياء في قبورهم :

فصل

في شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل

أنه ليس في السماء إله يعبد ولا لله بيننا كلام

ولا في القبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنا تحملنا الشهادة بالـــــذي ... قلتم نؤديها لدى الرحمـــــن
ماعندكم في الأرض قرآن كَـــلاَ ... م الله حقا ياأولي العـــــدوان
كَلاّ ولافوق السموات العلـــــى ... رب يطاع بواجب الشكـــران
كَلاّ ولا في القبر أيضا عندكـــم ... من مرسل والله عند لســــان
هاتيك عورات ثلاث قدبـــدت ... منكم فغطوها بلا روَغـــان
فالروح عندكمُ من الأعراض قـــا ... ئمة بجسم الحي كالألـــوان
وكذا صفات الحي قائمة بـــــه ... مشروطة بحياة ذي الجثمـــان
فإذا انتفــت تلك الحياة فينتفـــي ... مشروطهـا بالعقــل والبرهــان
ورسالــة المبعــوث مشــروط بهـا ... كصفاته بالعلم والإيمـــان
فإذا انتفت تلك الحياة فكل مشـــــروط بها عدم لذي الأذهـــان

****

ولأجـل هـذا رام ناصر قولكـــم ... ترقيعه ياكثرة الخُلْقـــان
قال الرسـول بقـبره حـي كمـــا ... قد كان فوق الأرض والرجمـان(١)

****

من هنا يعرف السبب الحامل لهؤلاء المتكلمين على القول بحيـاة الأنبيـاء في قبورهـم(٢)، بـل إن الأمر تجاوز ذلك وجعلـوا الأمـوات كلهـم أحيـاء في قبورهـم ، وانطلقـوا مـن هـذا المفهـوم الى التشبث بأصحاب القبور وساكنيها ، ليدّعوا لهم التصرفَ والاطلاعَ على الغيب ، وملك الضـر والنفع وغير ذلك .

---

(١) القصيدة النونية (ص ١٢٩ - ١٣٠) .
(٢) اي كالحياة الدنيوية .

من هنا كانت خطورة هذا القول على العقيدة الإسلامية ، ومنه دخلت عبادة الأضرحة والمقامات والمزارات على المجتمع المسلم ، فأصبح الغريب من لايعتقد هذه العقائد ولا يزور تلك المشاهد .

المبحث الثاني

في حجج القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم كالحياة الدنيوية .

لقد أحسن المؤلف حيث أورد كلام ابن القيم رحمهما الله في قصيدته النونية حول هذا الموضوع ، بعد أن ناقش السبكي في إيراده لهذا الباب (حياة الأنبياء في قبورهم)(١) .

ولقد بدأ ابن القيم هجومه على القائلين بهذا القول بحجج واقعية وشرعية،لاتدع مجالا للشك في أن الأنبياء غير أحياء حياة حقيقية كالحياة الدنيوية، بل حياتهم حياة برزخية خاصة بهم .

وقد ضمّن ابن القيم رحمه الله تعالى قصيدته حجج القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم ، ثم عقب عليها بفصل فى إبطالها ، ثم بين الموقف الصحيح من الروح .

وها هنا أذكر أهم ما استند اليه القائلون بحياة الأنبياء بعد وفاتهم :

١ – إن القرآن الكريم قد نص على حياة الشهداء في قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾(٢) واذا ثبت هذا في حق الشهداء ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه(٣) :

أحدها : أن هذه رتبة شريفة أعطيت كرامة له ، ولارتبة أعلى من رتبة الأنبياء ، ولاشك أن حال الأنبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشهداء .

الثاني : إن هذه الرتبة حصلت للشهداء اجراً على جهادهم وبذلهم أنفسم لله تعالى ، والنبي صل الله عليه وسلم هو الذى سن لنا ذلك ، ودعانا إليه وهدانا له بإذن الله تعالى وتوفيقه .

---

(١) انظر (ص :٣٥٩) من قسم التحقيق – وقد علقت على تلك الأبيات بما يفهم منه المقصود ويقتضيه المقام من تخريج وتوضيح وشرح غريب .

(٢) سورة آل عمران ، آية / ١٦٩ .

(٣) انظر شفاء السقام (ص ١٨٧ – ١٩٠) .

الثالث : أن النبي صلى الله عليه وسلم شهيد ؛ فانه صلى الله عليه وسلم لما سم بخيبر وأكل من الشاة المسمومة وكان ذلك سما قاتلا من ساعته ، مات منه بشر بن البراء(١) رضي الله عنه وبقي النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك معجزة في حقه ، صار ألم السم يعوده إلى أن مات به النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه(٢) .

٢_ ومن حججهم : أن عقد نكاحه على زوجاته بقي على ما كان عليه و لم ينفسخ ، وأنهن بقين في عصمته ولذلك لم يحل نكاحهن لغيره(٣) ، وأن ماله بعد موته قائم على نفقته وملكه على ما كان في حياته فكان ينفق أبو بكر رضي الله عنه على أهله وخدمه ، وكان يرى أنه باق على ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) .

٣ – روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتيت ليلة أُسري بي على موسى قائما يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر »(٥) .

٤ – واستدلوا بأنه صلى الله عليه وسلم يرد السلام على من سلم عليه كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام »(٦) .

٥ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بوادى

---

(١) بشر بن البراء بن معرور بن صخر الخزرجي السلمي الأنصاري ، شهد العقبة مع أبيه وشهد بدراً وما بعدها ، ومات بعد خيبر من أكلة أكلها مع النبي صلى الله عليه وسلم من الشاة التي سُمّ فيها ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَوَّده على بني نضلة . انظر ترجمته : الاستيعاب (١ / ٣١٠) وأسد الغابة (١ / ٢١٨) والإصابة (١ / ٢٤٧) .

(٢) انظر البخاري(الجزية - باب إذا غدر المشركون - ٦ / ٣١٤ رقم ٣١٦٩) و (المغازي - باب الشاة التي سمت - ٧ / ٥٦٨ رقم : ٤٢٤٩) و(المغازي - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته - ٧ / ٧٣٧ رقم ٤٤٢٨) و (الطب - باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم - ١٠ / ٢٥٥ رقم ٥٧٧٧) وانظر السيرة لابن هشام (٣ / ٣٣٧ - ٣٣٨)

(٣) انظر شرح ابن عيسى على النونية (٢ / ١٦١) .

(٤) انظر شفاء السقام (ص ١٩٠ - ١٩١) .

(٥) سيأتي تخريجه في قسم التحقيق (ص : ٣٥٣) .

(٦) سيأتي تخريجه في قسم التحقيق (ص : ٣٦٣) .

الأزرق فقال : « أى واد هذا ؟ » فقالوا : هذا وادي الأزرق ، قال : « كأني أنظر الى موسى عليه السلام هابطا من الثنية وله جؤار الى الله بالتلبية » ، ثم أتى على ثنية هرشى ، فقال : « أى ثنية هذه ؟ » قالوا : ثنية هرشى ، قال : « كأني أنظر الى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبة ، وهو يلبي »(١) .

٦ – واستدلوا بحديث « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون »(٢) .

٧ – وأحاديث عرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) .

هذه هي أهم أدلة القائلين بحياة الأنبياء في قبورهم كالحياة الدنيا .

المبحث الثالث

في الجواب عما احتجوا به في المسألة

الجواب عن الاستدلال الأول : أما استدلالهم على حياة الأنبياء بعد وفاتهم ، بآية الشهداء فالجواب :

١ – أن حياة الشهداء منصوصة بالكتاب والسنة

" فمن القرآن قوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾(٤) . وقال تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ الى قوله ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾(٥) .

وأما السنة فمثل قوله صلى الله عليه وسلم : « إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة كيف شاءت ثم تأوي الى قناديل معلقة تحت العرش »(٦) .

هذا ما ورد في القرآن و لم يرد مثله في حق الأنبياء ، وما ورد من ذلك لا يبلغ درجة هذا .

---

(١) رواه مسلم ، انظر تخريجه (ص : ٣٥٣ حاشية ٤) من قسم التحقيق .

(٢) انظر تخريجه (ص : ٣٦٣) من قسم التحقيق .

(٣) انظر تخريجها (ص : ٣٦٤) من قسم التحقيق .

(٤) سورة البقرة ، آية / ١٥٤ .

(٥) سورة آل عمران ، آية / ١٦٩ – ١٧١ .

(٦) انظر تخريجه (ص : ٣٥٥) من قسم التحقيق .

فإن قلت : يلزم على قولكم هذا أن الشهداء أفضل الأنبياء .

فالجواب : أنا لانزيد على ما أخبربه الله وصح عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولا نقيس الأشياء بعقولنا ، وأيضاً فالخصوصية لا تقتضي تفضيلا ، فعلى هذا لا يلزمنـ مـا أوردتموه علينا سيما ونحن نقول : إن فضل الأنبياء على غيرهم ثابت بنصوص من الكتاب والسنة ، ولكن إذا خص الله تعالى أحداً من خلقه بشيء لا يلزم أن يكون أفضل من الأنبياء"(١) .

هذا من حيث نص الآية ، وأما من حيث حقيقة الأمر فالأنبياء " أحياء بالمعنى الذى يعلمه تعالى لا بالمعنى الذي نعلمه ، ومع هذا فنحن نعتقد أنها حياة أعلى وأغلى وأعظم من الحياة الدنيوية ، فإنها لو كانت كحياتنا في هذا الدار لكان أقل الناس أعلى منهم ، لأنه مطلق سراحه يمشي ويسافر ويتمتع بلذات الدنيا وهم مسجونون تحت الأرض في قبورهم ، فأي شرف في هذا؟؟

فإن قال السبكي : أنا لا أعني هذا ، بل أقول : هي حياة برزخية أعلى من الحياة الدنيا .

فنقول له : قد رجعت عما وضعت له هذا الباب ، فإنك قد خالفت وفرقت بين الحياتين فحينئذٍ لا يطلب منهم ما كانوا يقدرون عليه في الدنيا " (٢)

٢ – إن الله تعالى نهانا أن نسمي الشهيد ميتاً بقوله : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾(٣) . ومع حياته تلك فإن ماله مقسوم ونساءه يجوز نكاحهن ، ولحمه قد تأكله الأرض والسباع والديدان .

فكون الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنكح نساؤه ولم يقسم ماله فليس لعلة الحياة – مع أنه حي الحياة البرزخية – بل لأمر أراده الله عزوجل وخصه به ، فهذا الشهيد حي حياة برزخية خاصة به ، ومع ذلك أصابه ما يصيب جميع الناس بعد وفاتهم من قسمة لتركته ، وجواز نكاح نسائه ، وغير ذلك .

٣ – أن الشهيد حي عند الله يرزق ـ كما تقدم ـ ولم تقولوا فيه : إنه حي بالمعنى المعهود في الدنيا كما قلتموه في الأنبياء ، مع أن الدليل على الحياتين واحد .

---

(١) كلام المؤلف : قسم التحقيق (ص : ٣٥٥) .

(٢) كلام المؤلف (ص : ٣٥٣) من قسم التحقيق .

(٣) سورة البقرة ، آية / ١٥٤ .

و لم تقولوا : إن الله أحياه بعد ما أماته - كما قلتم في الأنبياء - و لم يستمر موته ، بل قلتم إن انتقال المُلك ونحوه مشروط بالموت المستمر و لم يموتوا موتاً مستمرا بل أحياهم الله تعالى بعد ما ماتوا(١) .

فلنثبت إذاً حياة للأنبياء كنوع حياة الشهداء بل أعلى في النعيم واللذة والسرور ، طالما أننا استدللنا بالآية على حياتهم ، فإذا استدللنا بالآية على الحياة فلابد أن نثبت لهم نوع الحياة التي تدل عليها الآية . لا على ما تهواه عقولنا ، أما أن نستدل بآية حياة الشهداء على غير حياتهم فلا .

الجواب عن الاستدلال الثاني ، وهو قولهم إن نساءه بقين في عصمته وكذلك ماله لم يقسم

فالجواب عليه : أنه قد تقدم شيء من رد هذه الشبهة في الجواب السابق في الفقرة الثانية وهنا زيادة بيان :

١ - أنهن لو بقين على عصمته من أجل أنه حي لانسحب الحكم (*) على الشهيد ، وكذلك الأمر بالنسبة للمال ، والحال أن الشهيد يورث ماله وتنكح نساؤه . إذاً فالعلة الموجبة لبقاء المال لا يورث ، والنساء لا تنكح ليست لعلة الحياة بل هي لأمر آخر .

أما المال فلحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :« لا نورث ما تركنا فهو صدقة »(٢) ، وهذا لحكمة لا يعلمها إلا الله ، لا للحياة .

٢ - ولو كان عدم الوراثة للحياة لما نازعت في ذلك فاطمة رضي الله عنها أبا بكر في ذلك ولكانت أعلم الناس أنه حي أحياه الله بعد ما أماته ، وكونها لم تعرف ذلك وهي ابنته المصطفاة عنده ، دل على أنه ليس حياً الحياة المعهودة التي تمنع الميراث .

٣ - لو كان عدم الوراثة لوجود الحياة ، لأخبر أبو بكر فاطمة أن أباها صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر شفاء السقام (ص :١٩١) . فإنه ذكر أن انتقال الملك مشروط بالموت المستمر ، والأنبياء لم يموتوا موتا مستمرا - بزعمهم - فيبقى ملكهم لهم . ولِمَ لم يجعلوا ذلك للشهيد مع أنه حي .

(٢) رواه البخاري (الخمس - باب فرض الخمس - ٢٢٧/٦ رقم ٣٠٩٣) و (فضائل الصحابة - باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ٩٧/٧ رقم ٣٧١٢) و (المغازي - باب حديث بني النضير - ٧/ ٣٩٠ رقم ٤٠٣٦) ومواضع أخرى . ومسلم (الجهاد - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لانورث الخ - ١٣٧٩/٣- ١٣٨٢ رقم١٧٥٩)

(*) أنظر شرح النونية لابن عيسى (١٦٣/٢) .

حي لا يجوز أخذ تركته ولأخبرها بذلك الصحابة بل أخبرها رضي الله عنه بالحديث الذي ورد أنهم لا يورثون .

٤ ـ وأما بالنسبة للنساء :

أ ـ فإكراما للنبي صلى الله عليه وسلم أن يطأهن أحد بعده .

ب ـ ولأنهن أمهات المؤمنين .

ج ـ ولأنهن زوجاته في الآخرة .

د ـ وأيضا إكراما لهن حيث قصرهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصره عليهن إذ خيّرهن الله سبحانه بقوله ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أُمَتِّعكُنَّ وأُسَرِحْكُنَّ سَرَاحاً جميلاً * وإن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الله ورسولَهُ والدارَ الآخرة فإن الله أعدَّ للمحسناتِ منكنَّ أجراً عظيما ﴾(١)

لكن رسول الله خص نساؤه بخصيصة عن سائر النسوان
خيرن بين رسوله وسواه فاخترْن الرسولَ لصحةِ الإيمان
شكر الإله لهن ذاك وربُّنا سبحانه للعبد ذو شكران
قُصِرَ الرسولُ على أولئك رحمة منه بهن وشكر ذى الإحسان
وكذاك أيضاً قصرهن عليه معلوم بلاشك ولاحسبان(٢)

هـ ـ وكذلك فإن نساء النبي صلى الله عليه وسلم أتين بعدة المتوفى عنها زوجها .

فيها الحداد وملزم الأوطان
فانظر الى قلب الدليل عليهمُ حرفاً بحرف ظاهر التبيان(٣)

ـ **الجواب عن الاستدلال الثالث** : " صلاة موسى عليه السلام في قبره " .

أما صلاة موسى عليه السلام في قبره فهو حديث صحيح رواه مسلم ، لكن رغم ذلك فإن الدارقطني أعله برواية أنس الموقوفة ، والبخارى أعرض عنه ـ كما قال ابن القيم ـ على عمد

---

(١) سورة الأحزاب ، آية / ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢) نونية ابن القيم (ص : ١٣٢) .

(٣) المصدر نفسه (ص : ١٣٢)

بلا نسيان لوجود هذه العلة ، ومهما يكن من أمر فإن هذه الصلاة لا تدل على أن الأنبياء أحياء في قبورهم الحياة الدنيوية المعهودة ، بل الحياة البرزخية هي حياة غيبية لا تنطبق عليها نواميس الدنيا و قوانينها . وكل إنسان في قبره ، إما معذب وإما مكرم ، وإلا لو كان مجرد الشعور في القبر بالعذاب أو النعيم يستوجب الحياة المعهودة لكان كل إنسان حي في قبره حياة معهودة طبيعية وليس للأنبياء عليهم ميزة إلا أن نعيمهم أكثر ، فلم خصوا الأنبياء دون غيرهم ؟

على أننا نقول : إن الصلاة بالقبر من موسى عليه السلام إكرام من الله له حتى يبقى مسبحا ذاكرا الله تعالى . كما أن الله سبحانه وتعالى يكرم عباده المؤمنين بصلاة العصر في القبر كما ورد ذلك في خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

وهذا العبد الصالح ثابت البناني رحمه الله ورضي عنه قد صح عنه أنه دعا ربه أن يكون في القبر مصليا(٢) . ومعلوم أن هذا بعد الموت الحقيقي ، فهل نقول إن المؤمن في قبره حي الحياة المعهودة فيؤدي الصلاة أم أنها حياة لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى . وهل نقول : إن ماله لا يورث ونساءه لا تنكح بناءً على إثباتنا لهذه الحياة .

الجواب عن الاستدلال الرابع :

وأما استدلالهم بحديث «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» فهذا دليل لنا لا علينا ، إذ لو كان حياً في قبره كالحياة الدنيوية بالروح لما رد الله عليه روحه، وكيف يرد عليه الروح وهي فيه ، فدل على أن روحه قبل ردها لرد السلام مفارقة له ، يردها عليه متى شاء وكيف شاء .

الجواب عن الاستدلال الخامس :

وأما قوله صلى الله عليه وسلم «كأني انظر الى موسى عليه السلام هابطا من الثنية» الحديث فهذا الحديث لا دليل فيه ألبتة ، إذ أوله تشبيه ، وللعلماء في هذا أقوال منها أنه صلى الله عليه وسلم أُري حالهم(٣) .

---

(١) انظر نص الحديث (ص : ٣٦٧) من قسم التحقيق .

(٢) انظر (ص : ٣٦٨) من قسم التحقيق .

(٣) انظر (ص : ٣٥٤) من قسم التحقيق حاشية (رقم : ٣) .

وإن كان رآهم يقظة " فهو حجة لنا على أن حياة البرزخ مغايرة لحياة الدنيا وإلا لما اختص برؤيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وحده فقط ، بل كان رآهم كل الصحابة الذين كانوا معه عليه الصلاة والسلام"(١)

الجواب عن الاستدلال السادس :

وأما الجواب عن حديث « الأنبياء أحياء في قبورهم » فقد تقدم الجواب عنه في الجواب الثالث ، وأزيد هنا فأقول :

إن هذا الحديث ضعفه كثير من أهل العلم منهم الذهبي في الميزان(٢) . وعلى فرض صحته فنقول : إن الحياة هنا في هذا الحديث هي الحياة البرزخية التي لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى ، ولأننا قد علمنا يقينا أن الله عز وجل قد أمات الأنبياء كلهم ، إلا عيسى عليه السلام حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي »(٣) . فدل على أن موسى عليه السلام ميت الموت المعهود والمعروف في البشر ، إلا أنه هو وسائر الأنبياء في قبورهم ينعمون ويصلون ، والنعيم حاصل لكل مطيع مؤمن بالإجماع ، ويفضل الأنبياء عليهم بزيادة النعيم والصلاة ، والله أعلم .

ويقال أيضا : لو كانوا أحياء بالمعنى المعهود لم يختص عيسى عليه السلام بالحياة عند الله تعالى في السماء .

الجواب عن الاستدلال السابع :

أما عرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي لا تستلزم الحياة الدنيوية الطبيعية لأن الحياة البرزخية لا يعلم حالها وحقيقتها إلا الله تعالى فلا يجوز لنا أن نتوهم بآرائنا ونتخيل بعقولنا مالا يسمح لنا الشرع به ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي

---

(١) كلام المؤلف (ص : ٣٥٤) .

(٢) انظر الميزان (١/ ٤٦٠) . وكذا ابن القيم في النونية وغيره ، وصححه الألباني ، انظر قسم التحقيق (ص : ١٩١) وخالفه عدة علماء معاصرين منهم الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ، وله مؤلف في حياة النبيين لم يطبع بعد .

(٣) أخرجه أحمد (٣٨٧/٣) والدارمي (١١٥/١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٤٢/٢) وغيرهم . وحسنه الألباني في الإرواء (٣٤/٦ رقم ١٥٨٩) ، وله عدة شواهد ذكرها ثَمَّ .

وما أُوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[1] . فلنسلم لله ولنخضع له ونكل علم ما لم نعلمه الى الله سبحانه إذ هو علام الغيوب جل عن النقائص والعيوب .

ومما يدل أيضا على أن الحياة البرزخية تختلف اختلافاً متبايناً عن الحياة الدنيوية قول الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وكيف تعرض عليك و قد أرمت يقولون : بليت ، قال : « إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء »(٢) .

أولا : إن الصحابة رضي الله عنهم ظنوا أن من مستلزمات الموت فناء الأجساد فأجابهم صلى الله عليه وسلم بجوابه ، فهم اعتقدوا موته صلى الله عليه وسلم وفوق ذلك اعتقدوا فناء جسده ، فصحح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوم فناء أجساد الأنبياء ، ولو كان اعتقادهم في موته خطأ لقال : إني لا أموت أو سوف يحييني الله بعد ما أموت أو أنا حي في قبري كحياتكم ، بل جعل الجواب متعلقا بفناء الأجساد .

ثانيا : إن الصحابة رضي الله عنهم ظنوا عرض الأعمال مستلزما لسلامة الجسد لا للحياة ، فقالوا : وكيف تعرض عليك وقد أرمت ، ولو أنهم ظنوا أن عرض الأعمال مستلزم للحياة لقالوا : كيف تعرض عليك وقد مت ، فكونهم سألوه عن سلامة البدن دل على أنهم ظنوا أن العرض مستلزم لسلامة البدن ، لعلمهم السابق أن الروح بعد الموت لها تعلق بالبدن ، وأن هذا يمكن بقدرة الله وحوله وقوته .

ثالثا : وكون الرسول صلى الله عليه وسلم أجابهم بأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء دل على أنهم أموات من وجهين :

الأول : أنه خطأ الصحابة من ناحية فناء الجسد وأخبرهم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء فنفى الفناء المترتب على الموت و لم ينف الموت ، و لم يخبرهم بأنهم أحياء .

الثاني : إن قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء » فيه : أنهم أموات ، إذ الكلام حول الموت وما يحدث بعده من فناء للأجساد والبلى ، إلا أن الأنبياء لم يعاملوا في أجسادهم كما يعامل بقية الناس بل أكرمهم الله عز وجل بحفظ أجسادهم وعدم فنائها .

---

(١) سورة الإسراء ، آية / ٨٥ .

(٢) انظر تخريجه (ص : ٣٦٥) من قسم التحقيق .

رابعا : إن لفظ الحديث "أجساد الأنبياء" يدل على أنهم اموات . لأنه وإن كان الجسد يطلق على الجسم إلا أنه أغلب ما يستعمل في حق الأموات ، قال ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فأخرج لهم عِجْلاً جَسَداً له خُوَار ﴾(١) : ومعنى قوله : جسداً أي شخصا لا روح فيه ، وقيل : معنى جسدا لا يتغذى أ . هـ .(٢) .

وهكذا يتبين أن هذا الدليل عليهم لا لهم ، و هكذا كل أدلتهم إما لادلالة فيها أو ضعيفة أو دلالتها عليهم لا لهم .

وصدق ابن القيم إذ يقول :

فانظر إلى قلب الدليل عليهمُ   حرفا بحرف ظاهر التبيـــــان

المبحث الرابع
في بيان نوع الحياة التي نثبتها للأنبياء

مما تقدم من أدلة ونقاش يتبين أن للأنبياء حياة خاصة برزخية أعلى من حياة الشهداء وحياة المؤمنين الآخرين ، وهذه الحياة برزخية لا تجري عليها أحكام الدنيا ، وأصحابها لا يدركون ما يجري في الدنيا إلا ما أخبرهم الله به ، ولا يملكون لأنفسهم فضلا عن أن يملكوا لغيرهم ضراً ولا نفعاً ، " ولا يجوز أن يطلب منهم شيء ، ولا يُسألون شيئا بعد وفاتهم ، سواء كان بلفظ استغاثة أو توجه ، أو استشفاع ، أو غير ذلك ، فجميع ذلك من (خصائص) الألوهية ، فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية ، ولا ملازمة بين مسألة الحياة وبين مسألة الاستغاثة . ومما يقطع به أنّ أحدا في زمانه صلى الله عليه وسلم أو ممن بعده في القرون الثلاثة المشهود لأهلها بالنجاة (*) والصدق ـ وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب ـ ما استغث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلا الله سبحانه . بل كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الأمور ، و لم يعبدوا الا إياه . ولقد جرت عليهم أمور مهمة ، وشدائد مدلهمة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، فهل سمعت عن أحد منهم استغاث بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أوقالوا : انا مستغيثون بك يا رسول الله ، أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد

---

(١) سورة طه ، آية / ٨٨ .

(٢) انظر تفسير ابن عطية المحرر الوجيز (١١ / ٩٨) .

(*) الصواب أن يقال : المشهود لأهلها بالخيرية .

القبور حين ضاقت منهم الصدور ؟ كلا لا يمكن لهم ذلك ، بل الأمر بعكس ما هنالك ، فلقد أثنى الله عليهم ورضي الله عنهم فقال عز من قائل ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾(١) . مبيناً سبحانه أن هذه الاستغاثة هي أخص الدعاء وأحل أحوال الالتجاء ، ففي استغاثة المضطرين بغيره تعالى عند كربتهم تعطيل لتوحيد معاملته الخاصة به"(٢) . وذلك لأن الميت لا يقدر على شيء ولا يملك النفع والضر ولو كان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وكونه صلى الله عليه وسلم حي حياة برزخية لا يعني أن هذه الحياة تخوله أن ينفع أو يضر ، وها هو صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بعد ما يقوم من النشور ويقوم الناس لرب العالمين يتبرأ من الحول والقوة والنفع - مع أنه حي ، ويشفع لمن أراد الله له الشفاعة - ويقول : « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغَاء يقول : يا رسول الله ، أغثني : فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حَمْحَمَة فيقول : يا رسول الله ، أغثني . فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ... » الحديث (٣) .

والحياة البرزخية ليس لها إتصال ولا علاقة بالحياة الدنيا إلا ما أراده الله تعالى وشاءه .

" فالحاصل أن الدُّور ثلاث : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار . وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبعا لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبع لها ، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً .

ولو أطلع الله على ذلك العبادَ كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب "(٤) .

---

(١) سورة الأنفال ، آية / ٩ .

(٢) شرح ابن عيسى على نونية ابن القيم (٢ / ١٧٣ - ١٧٤) .

(٣) البخاري (الجهاد - باب الغلول - ٦ / ٢١٤ رقم ٣٠٧٣) ومسلم (الامارة - باب غلظ تحريم الغلول - ٣ / ١٤٦١ رقم ١٨٣١)

• غريب الحديث : الرغاء : صوت الإبل (منال الطالب ص : ٤٨٧) ، والحمحمة : صوت البرذون عند الشعير ، وعَرُّ الفرس حين يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه (القاموس المحيط ص : ١٤١٩) .

(٤) شرح الطحاوية (ص : ٤٥٢ - ٤٥٣) .

واعتقاد حياة الأنبياء بعد وفاتهم كالحياة الدنيا ينافي الاعتقاد السليم بالغيب . وأما الإيمان بأن حياتهم برزخية ، لا كالحياة الدنيوية " فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول ، فإن عود الروح الى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا ، بل تعاد الروح اليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا .

فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق ، متغايرة الأحكام :

أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنيناً .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه الى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به في حال النوم ، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه .

الرابع : تعلقها به في البرزخ ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبتة ، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المُسَلِّم(١) . وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون(٢) . وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة(٣) .

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه . إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً ، فالنوم أخو الموت .

فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة . " أ . هـ(٤) . والله أعلم وأحكم .

---

(١) انظر (ص : ٣٦٩) من التحقيق .

(٢) ورد ذلك في عدة أحاديث منها مارواه البخاري (الجنائز ـ باب الميت يسمع خفق النعال ـ ٣ / ٢٤٤ رقم ١٣٣٨ وفيه ـ باب ماجاء في عذاب القبر ـ رقم ١٣٧٤) ومسلم (الجنة وصفة نعيمها ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ـ ٤ / ٢٢٠٠ رقم ٢٨٧٠)

(٣) قال ابن كثير (٤ / ٤٢٢) عند قوله ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ " واستدل بهذه الآية من قال : إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق " أ . هـ ، فإذا فُهم هذا ذهبت كل الإشكالات حول حياة القبور وعذابها ونعيمها ، والله أعلم .

(٤) شرح الطحاوية (ص ٤٥٠ ـ ٤٥١) . والروح لابن القيم (= ١ / ٢٦٣ - ٢٦٤)

الفصل الثالث

في الشفاعة

ذكر السبكي في كتابه شفاء السقام(١) باب الشفاعة ، وأتى فيه بأنواعها ، وبعض الأحاديث الدالة على ذلك ، وتكلم أيضا عن شد الرحال ، وقال(٢) : " وفي التجاء الناس إلى الأنبياء في ذلك اليوم أدل دليل على التوسل بهم في الدنيا والآخرة ، وأن كل مذنب يتوسل الى ا لله بمن هو أقرب إليه منه ... ولا فرق بين أن يُسمى ذلك تشفعاً أو توسلاً أو استغاثة ، وقال : " وحُقَّ لصاحب هذا المقام أن يكون سيد الأمم ، وأن يُسافر إلى زيارته على الرأس لا على القدم " (٢).

فتساءل الشيخ المصنف عن سبب وضع السبكي لهذا الباب في مقام الرد على ابن تيمية فقال: " نحن وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وسائر طوائف أهل السنة قد أثبتوا الشفاعة له صلى ا لله عليه وسلم ، و لم ينكرها غير المعتزلة فأي فائدة في ذكر هذا الباب هنا ؟ فإن كان مقصودُه إيهامَ العوام بأن شيخ الإسلام ابنَ تيمية ينكرُ الشفاعة فكلاّ ثم كلاّ ، بل أثبتها في عدة كتب من كتبه"(٣). وأخبر الشيخ بأن أمر الشفاعة متواتر فلا ينكرها إلا كل جاهل مختال و أثيم مضلال ، فنعوذ با لله من هذا الحال .

وأما عن قضية ربط السبكي أمر الشفاعة بقضية الاستغاثة فقد ردَّ عليه المصنف وبَيّن الفرق بين الاستغاثة بالحاضر والاستغاثة بالغائب ، وأنه لا خلاف في جواز الاستغاثة بالموجود والقادر ، وإنما " الممنوع طلب الحوائج والاستغاثة بالميت والغائب " .

وفي هذا الفصل سوف أتكلم إن شاء ا لله عن هذا الموضوع الهامّ ، والمرتبة العظيمة ، والحال الكريمة ، ألاوهي الشفاعة ، والمقام المحمود الذي لا يناله إلاالنبي محمد المحمود صلى ا لله عليه وسلم ، والتي من حرمها أو حُرم شفاعة الشافعين ، فقد خسر الخسران المبين ، ونادى على نفسه بالثبور

---

(١) انظر شفاء السقام (ص : ٢١٤) .

(٢) شفاء السقام (ص : ٢٣٣) .

(٣) انظر (ص : ٣٧٦) من قسم التحقيق .

العظيم ﴿يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾(١) .

وقبل الشروع في أدلة الشفاعة وثبوتها ، والكلام عن أقسامها وأنواعها لابد ، أن ندخل البيوت من أبوابها ، فأبدأ أولا بتعريف الشفاعة لغة واصطلاحاً .

المبحث الأول
تعريف الشفاعة لغةً واصطلاحاً

أولا : تعريف الشفاعة لغةً :

الشَّفع : خلافُ الوَتر ، وهو الزوج ـ الإثنان ـ ويقال : كان وترا فشفعه : أى ضم مثله إليه ، ويقال : عين شافعة : أي تنظر نظرين ، وشُفعت لي الأشباح ـ بالضم ـ أى أرى الشخص شخصين لضعف بصري وانتشاره .

والشفيع : صاحب الشُّفعة ، وصاحب الشفاعة .

ويقال : استشفعه إلى فلان سأله أن يشفع له إليه .

وتشفَّع إليه في فلان فشفّعَهُ فيه تشفيعاً وشفاعة ، قَبل شفاعته(٢) .

" وتشفع به إليه : توسل به إليه "(٣)

ويقال " : شفعت في الأمر شفعاً وشفاعةً : طالبت بوسيلة أو ذمام "(٤) .

والشفاعة : كلام الشفيع(٥) . إذن فهي الوسيلة والطلب(٦) .

ثانيا : تعريف الشفاعة اصطلاحاً :

اختلفت الألفاظ والتعابير في تعريف الشفاعة، فمنهم المُطلِقُ والمعممُ ومنهم المقيدُ والمخصص.

---

(١) سورة الشعراء ، آية / ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) انظر القاموس المحيط (ص : ٩٤٧ ـ ٩٤٨) . ومختار الصحاح (ص٣٤١) والمعجم الوسيط (١ / ٤٨٧) .

(٣) المعجم الوسيط (١ / ٤٨٧) .

(٤) المصباح المنير (ص ١٢١) .

(٥) المعجم الوسيط (١ / ٤٨٧) .

(٦) انظر الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (ص : ٥٩٠) وشرح الواسطية للفوزان (ص : ١٥٧) .

وهذه بعض التعريفات مع دراستها واختيار ما هو المناسب لها ، والعلم عند الله .

عرفها ابن الأثير(١) بقوله : " هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم "(٢) .

ويشبهه قول الجرجاني(٣) حيث قال : " وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه "(٤) .

وعرفها بعضهم بأنها : سؤال الخير للغير(٥)

قال ابن القيم : " وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صار شفيعاً له"(٦) .

وقال متحدثا عن قوله تعالى ﴿ من يشفعْ شفاعةً حسنة ﴾(٧) : فدخل في الآية كل متعاونين على خير أو شر بقول أو عمل ، ونظيرها قوله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾(٩) (١٠) . وقال السعدي تحت هذه الآية :

---

(١) هو الإمام الحافظ الشهير: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي المعروف بابن الأثير، وهو أخو الحافظ عز الدين أبي الحسن علي صاحب الكامل في التاريخ ، وأخو الوزير وزير الأفضل ضياء الدين نصر الله ، ولد المترجم له سنة ٥٤٤ هـ في أحد الربيعين وسمع الحديث الكثير وقرأ القرآن وأتقن علومه وحررها ، وجمع في سائر العلوم كتباً مفيدة منها : جامع الأصول ، والنهاية في غريب الحديث . والتفسير في أربع مجلدات . أقام بالموصل وكان معظماً عند ملوكها ، توفي رحمه الله رحمة واسعة سنة ٦٠٦ هـ .

انظر ترجمته : البداية والنهاية (١٣ / ٥٤) والشذرات (٥ / ٢٢) .

(٢) النهاية في غريب الحديث (١ / ٤٨٥) .

(٣) هو علي بن محمد بن علي الحسيني الشريف الجرجاني الفقيه الحنفي المتكلم اللغوي اشتهر صيته وطارت مصنفاته في الأقطار وصارت عمدة الناس ، له نحو خمسين مؤلفاً اشهرها التعريفات ، وشرح فرائض الحنفية ، وتفسير الزهراوين ، توفي سنة ٨١٦ هـ بشيراز ، رحمه الله .

انظر ترجمته : مفتاح السعادة (١ / ١٩٢ - ١٩٣) والبدر الطالع (١ / ٤٨٨) .

(٤) تعريفات الجرجاني (ص : ١٤٠) .

(٥) الكواشف الجلية (ص : ٥٩) وشرح الواسطية للفوزان (ص : ١٥٧) .

(٦) روضة المحبين (ص : ٣٧٧) .

(٧) سورة النساء ، آية / ٨٥ .

(٩) سورة المائدة ، آية / ٢ .

(١٠) روضة المحبين (ص : ٣٧٧) .

المراد بالشفاعة هنا : المعاونة على أمر من الأمور أ . هـ (١)

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : " الاستشفاع : طلب الشفاعة : وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه " أ . هـ .(٢) .

وقد عرفها العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله(٣) بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوله : "هي توجه المأذون له فيها لمن ارتضى الله عنه ، إما برفع درجاته ، وإما بدخوله الجنة من أول وهلة بلا حساب ، وإما بعدم دخوله النار التي قد استحق دخولها بأعمال سيئة كانت قد صدرت منه ، وإما بإخراجه منها بعد أن دخلها ". ا . هـ .(٤)

وقال العلامة صديق حسن خان في فتح البيان : " تقول : استشفعته : أى سألته أن يشفع لي ، أى يضم جاهه الى جاهك عند المشفوع إليه ، ليصل النفع الى المشفوع له "(٥) .

فالشفاعة " مأخوذة من الشفع المقابل للوتر . فاستعملت في الشفيع باعتبارين :

الأول : كونه شافعاً لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة .

الثاني : كونه شافعاً للمسؤول منه قضاء الحاجة في قضائها اذ هي لم تُقضَ إلا بسبب شفاعته ، فكأنه شاركه وشفعه فيها . فمن الأول قوله تعالى : ﴿ من يشفعْ شفاعةً حسنةً يكُنْ له نصيبٌ منها ومن يشفعْ شفاعةً سيئةً يكُنْ له كِفْلٌ منها ﴾ (٦) .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما

---

(١) تفسير السعدي (٢ / ١١٦) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤٤١) .

(٣) إمام جليل ومحدث وفقيه نحرير ، طلب العلم صغيرا فنبغ وكان آية في الذكاء ، حافظا للحديث وعلله ورجاله ، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر . من مؤلفاته تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، والتوضيح عن توحيد الخلاق ، ورسائل أخرى كثيرة . ولد سنة ١٢٠٠ هـ . واستشهد ـ إن شاء الله ـ سنة ١٢٣٣ هـ . انظر ترجمته : عنوان المجد (١/ ٢١٢) .

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق (ص : ٣٥٢) .

(٥) انظر فتح البيان (١/١٣٦) .

(٦) سورة النساء ، آية / ٨٥ .

يشركون ﴾(١) . وقوله ﴿ قُلِ ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فُزع عن قلوبهم ﴾(٢) وقوله : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾(٣) " (٤) .

مما تقدم من التعريفات اللغوية والاصطلاحية يعرف وجه الربط بينهما بما لا مزيد عليه .

وأما عن التعريفات الاصطلاحية : فمن خلال تأملها يتبين التالي :

١ - أن بعضهم يجعل الشفاعة لكشف الضر ومحو الذنوب والعفو عنها .

٢ - وبعضهم يجعلها لجلب الخير والنفع ، ومعلوم أن التجاوز عن الذنوب فيه جلب منفعة . فهذا التعريف أعم .

٣ - وبعضهم يجعلها بالقول وهو السؤال ، وبعضهم يجعلها بالقول والفعل وفي الخير والشر ، كابن القيم رحمه الله تعالى ، وهذا أقرب الى التفسير اللغوي ، مع ما يملك من قوة الدليل بقوله تعالى : ﴿ من يشفعْ شفاعة حسنة ﴾ الآية .

وكذا تعريف ابن حجر ، لأن الشفاعة عنده " انضمام الأدنى الى الأعلى ليستعين به على ما يرومه " فهو عام يشمل الفعل والقول ويشمل الوصول الى الخير والشر .

٤ - من الملاحظ من التعريفات أن الشفاعة غالب استعمالها لجلب النفع أو لرفع الضر ، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح « اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء » (٥) .

---

(١) سورة يونس ، آية / ١٨ .

(٢) سورة سبأ ، آية / ٢٢ - ٢٣ .

(٣) سورة الزمر ، آية / ٣ .

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق (ص ٧٥ - ٧٦) .

(٥) رواه البخاري (الزكاة - باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها - ٣ / ٣٥١، رقم ١٤٣٢) و (الأدب - باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً - ١٠ / ٤٦٤ رقم ٦٠٢٦) و (فيه أيضاً - باب قول الله تعالى ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ﴾ الآية - ١٠ / ٤٦٦ رقم ٦٠٢٨) و (التوحيد - باب في المشيئة والإرادة - ١٣ / ٤٥٦ رقم ٧٤٧٦) ومسلم (البر والصلة - باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام - ٤/ ٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٧) .

وكذلك إطلاقات القرآن كقوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يُقبلُ منها شفاعةٌ ولا يُؤخذ منها عدلٌ ولا هم ينصرون ﴾(١) . إلا قوله تعالى : ﴿ ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ﴾ الآية ، فهذه الآية تحمل على أنها مقيدة بالشفاعة السيئة وهي شفاعة من حيث المعنى اللغوي .

٥ ـ إن هذه التعريفات سليمة من حيث توافقها مع اللغة أو من حيث الشفاعة الدنيوية ، وأما الشفاعة الأخروية ، فهذه التعريفات تشمل بعض صورها ، وليس كلها ـ إلا تعريف الشيخ سليمان بن عبد الله ـ اللهم إلا إن أرادوا بذلك الشفاعة العظمى ، وكما هو معلوم فإن الآخرة فيها أنواع من الشفاعات .

٦ ـ إن أجمع التعريفات للشفاعة الأخروية هو تعريف العلامة سليمان ، إلا أنه لم يشمل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب ـ كما سيأتي ـ " وهي تخفيف العذاب " ، بالإضافة إلى طوله ، ومن المعلوم أن من ميزة التعريف أن يكون مختصراً .

وها أنا أحاول مستعيناً بالله أن أصوغ تعريفاً للشفاعة الأخروية على ضوء ما تقدم من تعريفات ، وأما الشفاعة الدنيوية فيشملها تعريف الحافظ ابن حجر وكلام ابن القيم رحمهما الله تعالى .

فالشفاعة الأخروية المقبولة هي : " توجه المأذون له فيها لمن ارتضى الله عنه بسؤال النعيم أو زيادته أو كشف الضر أو تخفيفه " أو يقال " سؤال الله ـ ممن أذن له لمن رضي عنه ـ النعيمَ أو زيادتَه أو كشفَ الضر أو تخفيفَه " .

فهذا التعريف ـ بحمد الله ـ يشمل :

١ ـ أنواع الشفعاء .

٢ ـ شروط الشفاعة . وهي إذن الله للشافع والرضى عن المشفوع له .

٣ ـ أنواع الشفاعات .

---

(١) سورة البقرة ، آية / ٤٨ .

المبحث الثاني
في أدلة الشفاعة من الكتاب والسنة

الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف

أولاً : أدلة الكتاب :

والأدلة على الشفاعة من الكتاب كثيرة أذكر بعضها :

قال الله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾(١) . وقال : ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾(٢) . وقال ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾(٣) ، وقال عز من قائل : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾(٤) ، وقال : ﴿ يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ﴾(٥) . إلى غيرها من الآيات .

ودلالة الآيات على الشفاعة ظاهرة ، وهي أن الشفاعة حق وثابتة لمن أذن الله له بها . قال ابن جرير عن قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ : ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه ، والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي (٦) أ . هـ .

وقال ملاّ علي قاري رحمه الله :" ومن الأدلة على تحقيق الشفاعة قوله تعالى : ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾(٧) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾(٨) ،

---

(١) سورة البقرة ، آية / ٢٥٥ .

(٢) سورة يونس ، آية / ٣ .

(٣) سورة سبأ ، آية /٢٢-٢٣ .

(٤) سورة النجم ، آية / ٢٦ .

(٥) سورة طه ، آية / ١٠٩ .

(٦) تفسير ابن جرير (٣ / ٦ - ٧) وانظر تفسير ابن عطية (٢ / ٢٧٦) .

(٧) سورة محمد ، آية / ١٩ .

(٨) سورة المدثر ، آية / ٤٨ .

إذ مفهومه أنها تنفع المؤمنين ، وكذا شفاعة الملائكة لقوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾(١) ". أ . هـ (٢) .

ثانياً : أدلة السنة

أما أدلة السنة على الشفاعة يوم القيامة فهي كثيرة جداً بلغت حد التواتر ، كما نص على ذلك كثير من أهل العلم المتقدمين والمتأخرين ، منهم القاضي عياض(٣) ، وابن عطية(٤) ، وابن تيمية(٥) ، وابن القيم(٦) ، وابن أبي العز(٧) (٨) ، وابن حجر(٩) ، وغيرهم كثير . ومن المتأخرين حافظ الحكمي(١٠) (١١) ،

---

(١) سورة النبأ ، آية / ٣٨ .

(٢) انظر شرح الفقه الأكبر (ص : ١٣٨)

(٣) شرح مسلم للنووي (٣ / ٣٥) .

(٤) المحرر الوجيز (١ / ٢٠٩) .

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١٢) .

(٦) انظر فتح المجيد (ص : ٢٨٧) .

(٧) هو الإمام العلامة الفقيه صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي ، ولد سنة ٧٣١ هـ واشتغل بالعلوم وكان ماهراً في دروسه وفتاويه ، ولي قضاء مصر شهراً ثم استعفي ورجع إلى دمشق وأصابته محن لاتباعه منهج السلف الصالح ولموافقته وحبه لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، من أهم كتبه شرح الطحاوية ، والاتباع ، ورسالة في حكم الإقتداء بالمخالف . ت ٧٩٢ هـ . انظر ترجمته : الدرر الكامنة (٣ / ٨٧) وإنباء الغمر (١ / ٢٥٨) .

(٨) شرح الطحاوية (ص : ٢٥٨) .

(٩) الفتح (١١ / ٤٣٤) .

(١٠) هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي أحد العلماء الأفذاذ ، ولد ١٣٤٢ هـ بقرية السلام بالقرب من جازان جنوب المملكة العربية السعودية ، نشأ على حب العلم من صغره فحفظ ونسخ وطالع، تتلمذ على عبد الله القرعاوي رحمه الله، ثم صنف المصنفات المتعددة التي تدل على سعة علمه وتمكنه ، وأشهرها معارج القبول شرح سلم الأصول في التوحيد . وأعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، والنور الفائض في علم الفرائض ، ت ١٣٧٧ هـ وعمره خمس وثلاثون سنة . ترك أربعة أبناء ، ومكتبة عامرة . انظر ترجمته مقدمة معارج القبول (طبعة دار ابن القيم) بقلم ابنه د . أحمد .

(١١) معارج القبول (٢ / ٩٠٦) .

والعلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني(١) ، والعلامة مقبل بن هادي الوادعي حيث صنف كتاباً في الشفاعة جمع فيه ما وقف عليه من أحاديث في هذا الموضوع ، وحكم على كل حديث بما أدى إليه اجتهاده على ضوء أقوال أهل العلم . وغيرهم كثير لا تكاد تحصيهم السطور .

وبما أن أحاديث الشفاعة متواترة وكثير من أحاديثها فيه طول ، فإنني سأذكر بعضها عند الكلام عن أنواع الشفاعة إن شاء الله تعالى .

ثالثا : الإجماع :

وأما الإجماع فقد أجمع السلف على ثبوت الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولغيره من النبيين ولمن أذن الله له من المؤمنين فممن نقل الإجماع : ابن عطية(٢) ، والقاضي عياض(٣). فقال :" وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها " أ . هـ .

وقال الإمام ابن تيمية(٤) : " وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم " أ . هـ .

والإجماع ثابت عن غير هؤلاء الأعلام بكثرة مستفيضة ليس بالإمكان حصرها ، والله أعلم.

المبحث الثالث

إنكار الخوارج والمعتزلة للشفاعة

على الرغم من تضافر النصوص ، وتظاهر دلالاتها على إثبات الشفاعة فإن الخوارج وبعض المعتزلة قد خالفوا في ذلك وأنكروا الشفاعة للمذنبين والعصاة جرياً على مذهبهم في صاحب الكبيرة ، وأنه خالد مخلد في النار لا يخرج منها ، وأن من دخل النار لا يخرج منها .

واستدلوا بعموم الآيات التي تنفي الشفاعة كقوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ﴾(٥) ، وبقوله تعالى : ﴿ ولا يقبل

---

(١) الطحاوية شرح وتعليق (ص : ٣٠) .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (١ / ٢٠٩) .

(٣) شرح مسلم للنووي (٣ / ٣٥) .

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١٢) .

(٥) سورة البقرة ، آية / ٤٨ .

منهـا عدل ولا تنفعها شفاعة ﴾(١) ، وقولـه : ﴿ مـن قبـل أن يـأتي يـوم لا بيـع فيـه ولا خلّـة ولا شفاعة ﴾(٢) ، وقوله عز وجل : ﴿ ما للظالمين من حميـم ولا شـفيع يطـاع ﴾(٣) ، وقولـه جل في علاه : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾(٤) .

والجواب عليهم من وجوه :

الأول : أن الشفاعة تنقسم الى قسمين : شفاعة منفية ، وشفاعة مثبتة .

فهم استدلوا بآيات الشفاعة المنفية ، والتي هي في حق الكافرين الذين لا يخرجون من النـيران نعوذ با لله منها . قال ابن عطية : " فأعلمهم الله تعالى عن يوم القيامة أنه لا تقبل فيه الشفاعة ، ولا تجزى نفس عن نفـس . وهـذا إنمـا هـو في الكـافرين ، للإجمـاع وتواتـر الحديـث بالشـفاعة للمؤمنين "(٥) أ . هـ .

والشفاعة المثبتة تكون بعد إذن الله سبحانه وتعالى ورضاه عـن المشـفوع لـه ، وهمـا شـرطا قبول الشفاعة كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشـفاعة عنـده إلا لمـن أذن لـه ﴾(٦) ، وقولـه : ﴿ وكـم مـن ملـك في السـموات لا تغـني شـفاعتهم شـيئا إلا مـن بعـد أن يـأذن لمـن يشـاء ويرضى ﴾(٧) ، وقوله تعالى : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شـهد بـالحق وهم يعلمون ﴾(٨) الى غيرها من الآيات .

الثاني : أن القول بتخليد صاحب الكبيرة في النار باطل ، وهـو مـن أكـبر ضـلالات المعتزلـة والخوارج إذ أخرجوا كثيراً من المسلمين الموحدين من الإسلام ، وبطلانه معلوم عنـد أهـل السـنة متواتر في سننهم ، مشهور في كتبهم ، وليس هنا مكان بسطه .

---

(١) سورة البقرة ، آية / ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية / ٢٥٤ .

(٣) سورة غافر ، آية / ١٨ .

(٤) سورة المدثر ، آية / ٤٨ .

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١ / ٢٠٩) .

(٦) سورة سبأ ، آية / ٢٣ .

(٧) سورة النجم ، آية / ٢٦ .

(٨) سورة الزخرف ، آية / ٨٦ .

الثالث : ثبت بالتواتر القطعي خروج الموحدين من النار ، وسوف تأتي بعض أدلة ذلك إن شاء الله .

الرابع : إجماع الصحابة والعلماء على ذلك .

ـ قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :" مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ، ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالى : ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ﴾(١) ، وقوله : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾(٢) وأمثالهما وبخبر الصادق صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين ، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها ، وتعلقوا بمذهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾(٣) وبقوله تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾(٤) . وهذه الآيات في الكفار ، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل ، وألفاظ الأحاديث في الكتاب(٥) وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار "(٦) . أ . هـ .

قال الإمام مِدْرَهُ السنة الأظهر وقامع البدعة الأقهر(٧) أحمد ابن تيمية : " وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم .

وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية ، وقال هؤلاء : من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها ، وعند هؤلاء ما ثَمَّ إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار ،

---

(١) سورة طه ، آية / ١٠٩ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية / ٢٨ .

(٣) سورة المدثر ، آية / ٤٨ .

(٤) سورة غافر ، آية / ١٨ .

(٥) يقصد كتاب مسلم الذي شرحه .

(٦) شرح مسلم للنووي (٣ / ٣٥) .

(٧) أطلق عليه هذا الوصف الشيخ العلامة محمد رشيد رضا . والمِدْرَهُ : هو السيد الشريف والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال وهو المدافع والمحامي عن القوم انظر القاموس المحيط (ص : ١٦٠٧) .

ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة ، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب .وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة كالأربعة وغيرهم ، فيقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يخرج من النار قوماً بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم ، يخرجهم بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم . و يخرج آخرين بشفاعة غيره ويخرج قوماً بلا شفاعة . ثم ذكر أدلة المانعين للشفاعة وأجاب عنها بقوله : وجواب أهل السنة أن هذا لعله يراد به شيئان :

أحدهما : أنها لا تنفع المشركين كما قال تعالى في نعتهم : ﴿ ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * و لم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾(١) . فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفاراً .

والثاني : أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي أثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين ، الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه ، كما يشفع الناس بعضهم عند بعض ، فيقابل المشفوع إليه شفاعة الشافع لحاجته إليه رغبة ورهبة كما يعامل المخلوقُ المخلوقَ بالمعاوضة ، فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ، ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون : هؤلاء خواص الله ، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا ،كما يُتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب الى الملوك من غيرهم ، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره ، فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة ، فأنكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾(٢) وقال : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تُغْني شَفَاعَتُهُم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾(٣) ، وقال عن الملائكة : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن وَلَداً سبحانه بل عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ،

---

(١) سورة المدثر ، آية / ٤٢ ـ ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية / ٢٥٥ .

(٣) سورة النجم ، آية / ٢٦ .

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾(١) أ . هـ (٢) . وبعد أن ذكر بقية الآيات قال : " فهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين ، حتى صوروا تماثيلهم وقالوا : استشفاعنا بتماثيلهم استشفاعٌ بهم ، وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا : نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله ، وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك ، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم بها ، قال الله تعالى عن قوم نوح : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً ﴾(٣) .قال ابن عباس وغيره : " هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم "(٤) . وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث وغيرها كالبخاري وغيره "(٥) . أ . هـ

المبحث الرابع
شروط الشفاعة وأقسامها وأركانها

أولا : شروط الشفاعة .

للشفاعة التي يقبلها الله عز وجل شرطان :

الشرط الأول : إذن الله للشافع أن يشفع ودليله قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ وأمثالها من الآيات .

الشرط الثاني : رضى الله عن المشفوع ودليله قوله تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾(٦) ، ولا يرضى الله من القول والعمل إلا توحيده وإتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال عليه الصلاة والسلام : «وهي نائلة إن شاء الله من لا يشرك

---

(١) سورة الأنبياء ، آية / ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) التوسل والوسيلة (ص : ١٢ ـ ١٣) .

(٣) سورة نوح ، آية / ٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) انظر تخريجه (ص : ٢٢٩) من قسم التحقيق .

(٥) التوسل والوسيلة (ص : ١٥) .

(٦) سورة الأنبياء ، آية / ٢٨ .

با لله شيئا »(١) (٢) .

ثانيا: أقسام الشفاعة .

مما تقدم يتبين أن الشفاعة تنقسم الى قسمين : شفاعة مثبتة ، وشفاعة منفية ، فالشفاعة المثبتة هي التي توفرت فيها الشروط ، وأما إذا ما اختل منها شرط فتصبح شفاعة منفية لا يقبلها الله عز وجل .

قال سبحانه وتعالى عن الشفاعة المنفية : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾(٣) وقال: ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾(٤) وقال عنهم : ﴿ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ﴾(٥) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لابيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ والكافرون هم الظالمون ﴾(٦) قال تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾(٧) وقال : ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ﴾(٨) وقال عز من قائل : ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾(٩) .

فتبين من هذه الآيات أن النفي فيها نوعان :

١ ـ نوع نفاها عن الكافرين والظالمين .

٢ ـ ونوع نفاها نفيا مطلقاً .

---

(١) انظر فتح المجيد (ص : ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ومعارج القبول (٢ / ٨٨٧ ـ ٨٨٨) والكواشف الجلية (ص : ٥٩٠ - ٥٩١) .

(٢) رواه مسلم (الإيمان ـ باب إختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته ١ / ١٨٩ رقم ١٩٩) من حديث أبي هريرة .

(٣) سورة المدثر ، آية / ٤٨ .

(٤) سورة غافر ، آية / ١٨ .

(٥) سورة الشعراء ، آية / ١٠٠ .

(٦) سورة البقرة ، آية / ٢٥٤ .

(٧) سورة البقرة ، آية / ٤٨

(٨) سورة البقرة ، آية / ١٢٣ .

(٩) سورة الزمر ، آية / ٤٤ .

وأما النوع الأول : فلا إشكال فيه فهي منفية عن الظالمين والكافرين .

وأما النوع الثاني : فقد جرى فيه أهل العلم مجرى الجمع بين الآيات فقالوا :

أ ـ هذه الآيات النافية للشفاعة مطلقاً مفسرة بالآيات التي نفتها عن الكافرين(١) .

ب ـ أن الآيات التي نفت الشفاعة مطلقاً قد بينها الله بآيات أخرى وأظهر فيها الشروط التي تقبل بها ، مثل قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾(٢) وقوله جل جلاله : ﴿ ولا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾(٤) وقوله :﴿ يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾(٥) .

جـ : أن الشفاعة المنفية هي " التي أثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين ، الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه "(٦)، فهم يطلبونها من غير الله ويزعمون أن هؤلاء المدعوين هم شفعاؤهم عند الله فنفاها الله عنهم ، قال تعالى:﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾(٧) وقال : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾(٨) وقال : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه

---

(١) انظر المحرر الوجيز (١ / ٩٠٢) والتوسل والوسيلة (ص : ١٣) وتفسير ابن كثير (١ / ٩٣) وفتح الباري (١١ / ٤٣٤) .

(٢) سورة البقرة ، آية / ٢٥٥ .

(٣) سورة سبأ ، آية / ٢٣ .

(٤) سورة النجم ، آية / ٢٦ .

(٥) سورة طه ، آية / ١٠٩ .

(٦) التوسل والوسيلة (ص : ١٣) .

(٧) سورة الزخرف ، آية / ٨٦ .

(٨) سورة الأنعام ، آية / ٩٤ .

ترجعون ﴾(١) وقال صاحب يس : ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون * أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * إني إذاً لفي ضلال مبين * إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾(٢) (٣) .

ثالثا : أركان الشفاعة وهي أربعة :

- الشافع أو الشفيع : وهو من أذن الله له بالشفاعة .
- المشفّع : وهو الله عز وجل .
- المشفوع له : من رضي الله أن يُشْفَع له .
- المشفوع فيه : كتعجيل الحساب ، أو الإخراج من النار .

المبحث الخامس

أنواع الشفاعة

إن المتتبع لأحاديث الشفاعة وأقوال أهل العلم يجد أن الشفاعة عدة أنواع . فمنهم من اقتصر على أهم الشفاعات ومنهم من حاول الاستقصاء

فابن تيمية ذكر في الواسطية ثلاث شفاعات : وضَمَّن شفاعة شفاعتين ، فممكن أن تكون أربعة (٤) .

والقاضي عياض رحمه الله جعلها خمسة أقسام(٥) .

وأوصلها ابن كثير إلى ثماني وتابعه ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية(٦) .

وجعلها العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز ست شفاعات(٧) .

---

(١) سورة الزمر ، آية / ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة يس ، آية / ٢٢ - ٢٥ .

(٣) انظر التوسل (ص : ١٣ - ١٥) وفتح المجيد (ص : ٢٨٥) .

(٤) العقيدة الواسطية (ص : ١٣٦ - ١٣٨) .

(٥) شرح مسلم للنووي (٣ / ٣٥ - ٣٦) .

(٦) انظر النهاية لابن كثير (٢ / ١٧٩ - ١٨٥) وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص : ٢٥٣ - ٢٥٩) .

(٧) حاشية ابن باز على شرح السعدي للواسطية (ص : ٧٣) .

وليس هذا خلافا ، بل كل واحد من هؤلاء ذكر حسب ما وصل إليه علمه ، وقد يكون بعضهم أنقص شيئاً منها لظنه أنه لم يثبت .

وسأذكر هاهنا ـ إن شاء الله ـ أنواع الشفاعات مشفوعة بما يدل على ثبوتها . والذي لم أجد له دليلا فإني أعزوه إلى من قاله .

١ ـ **الشفاعة العظمى** : وهي المقام المحمود(١) ودليلها رواه عدة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكتفى برواية أبي هريرة رضي الله عنه . فعنه قال : أُتي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فَرُفِع إليه الذراع ، وكانت تعجبه فنهس(٢) منها نهسة فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيُسمعهم الداعي ، ويَنفُذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي . اذهبوا الى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض ، وسمّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة ، دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري . اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقولون :

---

(١) سيأتي الكلام عليه في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى (ص : ١٢٨)

(٢) نهس اللحم أخذه بمقدم أسنانه ونتفه . انظر القاموس المحيط (ص : ٧٤٧) .

يا موسى : أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك .ألا ترى الى ما نحن ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى صلى الله عليه وسلم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها نفسي نفسي ، اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه وسلم فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى صلى الله عليه وسلم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنباً . نفسي ، نفسي .اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم : فيأتوني فيقولون : يا محمد . أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ . فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليّ ، ويلهمني من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك ، سل تعطه . اشفع تشفع . فأرفع رأسي فأقول : يارب أمتي ، أمتي ، فيقال : يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر أو كما بين مكة وبُصرى »(١) .

قلت : إن الناظر في هذه الرواية رواية أبي هريرة يرى أن الشفاعة الأولى هي في دخول الجنة، وليست للإراحة من العذاب كما جاء في صدر الحديث ، ولكن جاء في رواية أخرى عن أنس وأوضح منها عن أبي هريرة وحذيفة معاً تزيل الأشكال والإلباس وتبين أن هذا اختصار من بعض الرواة ، ففي رواية أنس بن مالك رضي الله عنه : « ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، عبداً قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً . فيدعني ما شاء الله .

---

(١) رواه البخاري (الأنبياء ـ باب قول الله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ ـ ٦ / ٤٢٨ رقم ٣٣٤٠) و (فيه ـ مختصرا ـ باب يزفون : النَسَلان في المشي ـ ٦/ ٤٥٥ رقم ٣٣٦١) و (التفسير ـ باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ـ ٨ / ٢٤٧ رقم ٤٧١٢) .

ومسلم (الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ـ ١ / ١٨٤ رقم ٣٢٧) . والسياق له .

فيقال : يا محمد . ارفع رأسك ، قل تسمع ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلّمُنيه ربي ثم أشفع ، فيُحدّ لي حَدّاً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة »(١) الخ .

قوله « فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي » قال القاضي عياض رحمه الله : معناه – والله أعلم - فيؤذن لي بالشفاعة الموعود بها ، والمقام المحمود الذي ادخره الله تعالى له وأعلمه أنه يبعثه فيه ، قال القاضي : وجاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بعد سجوده وحمده والإذن له بالشفاعة بقوله : « أمتي أمتي » وقد جاء في حديث حذيفة بعد هذا في هذا الحديث نفسه ، قال : فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقوم ويُؤذن له وتُرسل الأمانة والرحم ، فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق ... وساق الحديث(٢) وبهذا يتصل الحديث ، لأن هذه هي الشفاعة التي لجأ الناس فيها وهي الإراحة من الموقف والفصل بين العباد ، ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته صلى الله عليه وسلم ، وفي المذنبين ، وحلت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم ، كما جاء في الحديث الآخر . أ . هـ .(٣)

وهذا الإمام علي بن علي بن أبي العز الحنفي يبين السبب الذي جعل الرواة تختصر هذه الروايات فقال : والعجب كل العجب ، من إيراد الأئمة لهذا الحديث - وكلامه عن حديث أبي هريرة - من أكثر طرقه لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء كما ورد في حديث الصور(٤) ، فإنه المقصود في هذا المقام .

---

(١) رواه مسلم (الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها - ١ / ١٨٠ - ١٨١ رقم ٣٢٢) .

(٢) رواه مسلم (الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها - ١ / ١٨٦ رقم ٣٢٩) .

(٣) شرح مسلم للنووي (٣ / ٥٧ - ٥٨) .

(٤) أخرجه ابن جرير (٢ /١٩٢ – ١٩٣) و (٢٤ / ٤٠) و(٣٠ / ١١٩ – ١٢٠) ومواضع أخرى ، والطبراني في الأحاديث الطوال (ص : ٩٤ - ١٠١ رقم ٣٦) وأبو الشيخ في العظمة (ص : ١٧٧ رقم : ٣٨٨) والبيهقي في البعث والنشور (ص : ٣٢٥ رقم ٦٦٩) وغيرهم . انظر الدر المنثور (٥/ ٣٣٩) . قال ابن كثير (٢ / ١٥٤) : هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكاره ، تفرد به اسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه ...وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة . وأما سياقه فغريب جداً ، ويقال : إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك ... أ . هـ . وصححه ابن العربي --

ومقتضى سياق أول الحديث ، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم ، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه ، فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار ، وكان مقصود السلف - في الإقتصار على هذا المقدار من الحديث - هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها ، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث ، وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور . أ . هـ (١) .

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى : " وأجاب القرطبي(٢) عن أصل الإشكال بأن قوله في آخر حديث أبي زرعة(٣) ، عن أبي هريرة بعد قوله صلى الله عليه وسلم : « فأقول يا رب أمتي فيقال : أدخل من أمتك من الباب الأيمن من أبواب الجنة من لاحساب عليه ولا عذاب» قال : "في هذا ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يُشَفَّع فيما طلب من تعجيل الحساب فإنه لما أذن له في إدخال من لا حساب عليه دل على تأخر من عليه حساب ليحاسب"(٤) . أ . هـ . وبتعدد الأجوبة حول هذا الإشكال يزول بحمد الله وتوفيقه ، والشفاعة العظمى

-- وتبعه القرطبي ، وضعفه البيهقي وعبد الحق والحافظ ابن حجر . انظر الفتح (١١ / ٣٧٦) والمطالب العالية (رقم ٢٩٩١) ، وضعفه أحمد شاكر في تخريج تفسير ابن جرير (٤ / ٢٦٨ رقم ٤٠٣٩) ، وضعفه الألباني لوجود ضعيفين ومجهول (شرح الطحاوية ص : ٢٥٦) .

(١) شرح الطحاوية (ص : ٢٥٥) .

(٢) هو الإمام العلامة الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر . كان من عباد الله الصالحين والعلماء الورعين الزاهدين في الدنيا . أوقاته معمورة ما بين عبادة وتوجيه وتصنيف . من أهم مصنفاته : جامع أحكام القرآن وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً ، وكتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، وشرح الأسماء الحسنى ، وغير ذلك . ت ٦٧١ هـ .انظر الديباج المذهب (ص : ٣١٧) .

(٣) أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي ، الكوفي اختلف في اسمه ، وهو ثقة روى له الجماعة . انظر : طبقات خليفة (ص : ٢٨١) والتقريب (ص : ٦٤١) .

(٤) التذكرة (ص : ٢٨١) وفتح الباري (١١ / ٤٤٧) .

لاينكرها المعتزلة .

الشفاعة الثانية : شفاعته صلى الله عليه وسلم لأقوام من أمته أن يدخلوا الجنة بغير حساب . قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى : ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلهم الجنة بغير حساب "(١) . أ . هـ (٢).

واستُدل له بحديث أبي هريرة ، حديث الشفاعة العظمى الطويل الذي مر سابقاً بقوله صلى الله عليه وسلم « أمتي ، أمتي » فيجاب : « أدخل من أمتك من لا حساب عليهم » قال ابن حجر : كذا قيل ، ويظهر لي أن دليله سؤاله صلى الله عليه وسلم الزيادة على السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فأُجيب . أ . هـ .(٣) ، يقصد ما رواه أحمد والبيهقي(٤) في البعث والنشور عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« سألت ربي عز وجل فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً على صورة القمر ليلة البدر فاستزدت فزادني مع كل ألفٍ سبعين ألفاً فقلت : أي رب إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي قال : إذاً أكملهم لك من الأعراب» . وفي الباب أحاديث عدة في الإستزادة .

وبالرجوع إلى ألفاظ حديث السبعين ألفاً والزيادة عليها فإني لم أجد فيها ما يدل أن هذه الشفاعة تكون في الآخرة ، بل كانت في الدنيا ، سواء قصة عكاشة مع السبعين ألفاً ، أو الاستزادة مع كل ألف سبعين ألفاً .

فيبقى ما ضعفه ابن حجر هو الأنسب للاستدلال لأنه في مقام الشفاعة ولكن ـ ربما والله أعلم ـ الذي جعل ابن حجر يرجح خلافه أن حديث الشفاعة فيه « أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليهم » فليس فيه " اللهم اجعل لي من أمتي قوماً تدخلهم الجنة بغير حساب " بل قال أدخل الجنة من لا حساب عليهم فلذلك رأى الشفاعة في الاستزادة والله أعلم .

---

(١) انظر تخريجه (ص : ٣١٧) من قسم التحقيق .

(٢) شرح الطحاوية (ص : ٢٥٧) وانظر النهاية لابن كثير (٢ / ١٨٣) .

(٣) الفتح (١١ / ٤٣٦)

(٤) رواه أحمد (٢ / ٣٥٩) والبيهقي في البعث والنشور (ص : ٢٢٩ رقم ٤٦٠) وقال الحافظ عن سنده : جيد (الفتح ١١ / ٤١٨) .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ : أن الشفاعة لأقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب مع الاستزادة كانت في الدنيا ، و لم أجد فيما اطلعت عليه حديثاً صحيحاً واحداً يدل على أنها في الآخرة . والله أعلم . وأما الشفاعة الأخروية فهي في تعجيل إدخال هؤلاء غير المحاسبين الجنة بعد الشفاعة العظمى ، ويؤيده قول القرطبي المتقدم في الشفاعة الأولى . والله أعلم . فلو كانت الشفاعة الثانية هي : تعجيل إدخال من لا حساب عليه ولا عذاب الجنة ـ لكونهم شفع لهم في الدنيا ـ لكان أحسن ، والله أعلم وأحكم .

الشفاعة الثالثة : الشفاعة لقوم قد حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا . واستُدل لها بحديث حذيفة عند مسلم «ونبيكم على الصراط يقول رب سلم سلم » وغيره من الأحاديث(١) .

قال السبكي : وظاهر هذا أنها شفاعة تحل بعد وضع الصراط بعد الشفاعتين الأوليين وأنها في إجازة الصراط ويلزم من ذلك النجاة من النار و لم يرد تصريح بذلك ولا بكونها مختصة أو غير مختصة . أ . هـ (٢) .

قلت : إن الأمر كما ذكر السبكي في كونه لم يرد تصريح بذلك في الحديث نفسه . وكونه يلزم اجتياز الصراط النجاة من النار لا يعني أن كل من اجتازه كان مستحقاً للعذاب ، بل قد يكون هناك قوم استحقوا العذاب ولكن غفر الله لهم دون شفاعة شافع كما في قوله تعالى :﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾(٣) ، فهذا الدليل لهذه الشفاعة أجدر لأن يكون لشفاعة الصراط وتكون به نوعا منفرداً من أنواع الشفاعة . لأن شفاعة الصراط عامة تشمل كل من مر على الصراط أن يجوزه بسلام كما في الحديث « رب سلم ، سلم » فيسلمون حسب أعمالهم فمنهم من يسلم فيمر كالبرق ومنهم ومنهم ومنهم من يخدش ثم ينجو ويسلم ، كل بعمله ، فسواء استحق عليه عذاب النار أو عذاب الكلاليب على الصراط ، فهذه الشفاعة فيها التخفيف على المؤمنين ليمروا على الصراط ، فقد يكون الذي يستحق أن يُكلم يُشفع له بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيجوز بدون كَلْم ، أو الذي يستحق النيران يخفف عنه بالشفاعة فيكلم وقد يكون

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٤٣٦) وشفاء السقام (ص : ٢١٨)

(٢) انظر شفاء السقام (ص : ٢١٨) .

(٣) سورة النساء ، آية / ٤٨ .

المار زحفاً فيشفع له فيمر كالجواد ، وهكذا ومنهم من لا يسلم ، فالذي ينجو ويجوز الصراط أصابته الشفاعة ومن لا فلا وا لله أعلم .

وأما قول السبكي المتقدم و لم يرد تصريح بذلك ولا بكونها مختصة أو غير مختصة ، فإن كان دليل هذه الشفاعة هو هذا الحديث ففي بعض الروايات « ودعاء الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم »(١) .

هذا وقد نص القاضي عياض رحمه ا لله في شرح مسلم أن موقف النبي صلى ا لله عليه وسلم على الصراط ودعاءه للمؤمنين يُسمى شفاعة ، فقال : فيحتمل أن الأمر باتباع الأمم ما كانت تعبد هو أول الفصل والإراحة من هول الموقف ، وهو أول المقام المحمود وأن الشفاعة التي ذكر حلولها هي الشفاعة في المذنبين على الصراط ، وهو ظاهر الأحاديث وأنها لنبينا صلى ا لله عليه وسلم ولغيره كما نص عليه في الأحاديث ، ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار ، وبهذا تجتمع متون الحديث وتترتب معانيها إن شاء ا لله . أ . هـ (٢) . وا لله أعلم ، وقد تقدم قول السبكي أنها على الصراط .

وأما الدليل الواضح على أن النبي صلى ا لله عليه وسلم يشفع لقوم استحقوا العذاب فهو قوله(٣) صلى ا لله عليه وسلم : « أمرّ بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار ، قال : فيقولون : يا محمد ننشدك الشفاعة . قال : فآمر الملائكة أن يقفوا بهم . قال : فأنطلق وأستأذن على الرب عز وجل ، فيأذن لي فأسجد وأقول : يارب . قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار . قال : فيقول : انطلق فأخرج منهم . قال : فأنطلق وأخرج منهم من شاء ا لله أن أخرج ثم ينادي الباقون : يامحمد ننشدك الشفاعة ، فأرجع إلى الرب فأستأذن فيؤذن لي ، فأسجد فيقال لي : ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأثني على ا لله بثناء لم يثنِ عليه أحد ، أقول : ثَمَّ من أمتي قد أمر بهم إلى النار ، فيقول : انطلق فأخرج منهم ، قال : فأقول يارب أخرج منهم من قال : لا إله إلا ا لله . ومن كان في قلبه حبة من إيمان . قال : فيقول : يا محمد ليست تلك لك ، تلك لي . قال فأنطلق وأخرج من شاء ا لله أن أخرج . قال : ويبقى قوم فيدخلون النار فيعيرهم أهل النار فيقولون : أنتم كنتم تعبدون ا لله

---

(١) رواه البخاري (الرقاق - باب الصراط جسر جهنم - ١١ / ٤٥٣ برقم ٦٥٧٣) ومسلم (الإيمان - باب معرفة الرؤية ١ / ١٦٣ - ١٦٧ رقم ١٨٢) عن ابي هريرة رضي ا لله عنه .

(٢) انظر شرح النووي على مسلم (٣ / ٥٨) .

(٣) وانظر أيضا : التذكرة للقرطبي (٣٩٥ - ٣٩٦) .

ولا تشركون به أدخلكم النار ، قال : فيحزنون لذلك ، قال : فيبعث الله ملكاً بكف من ماء فينضح بها في النار ويغبطهم أهل النار ، ثم يخرجون ويدخلون الجنة ، فيقال : انطلقوا فتضيفوا النس فلو أنهم جميعا نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المحررين »(١) .

قال الحافظ ابن كثير : وهذا يقتضي تعداد هذه الشفاعة ، فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات أن لا يدخلوها ويكون معنى قوله « أخرج » أي أنقذ بدليل قوله بعد ذلك « ويبقى قوم فيدخلون النار » والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . أ . هـ (٢) .

الشفاعة الرابعة : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .

قال ابن حجر : وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال : " السابق يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يرحمه الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم " . وقد تقدم ...أن أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم . أ . هـ (٣).

قال ابن كثير : واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم ؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، نص عليه : حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله . أ . هـ (٤) .

قلت : إن قول ابن حجر رحمه الله : وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ، قد سبقه إليه الإمام ابن كثير في النهاية وتبعه الإمام

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال كما في النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢ / ١٨١) ولم أجده في المطبوع تحقيق مجدي السيد . قال الشيخ مقبل : رجاله رجال الصحيح إلا أن فلاناً وذكره . وذكر أنه يخشى من إرساله.(الشفاعة ص : ١١١) .

(٢) النهاية لابن كثير (٢ /١٨٢) .

(٣) أنظر فتح الباري (١١ / ٢٢٥) . والأثر رواه الطبراني في الكبير (١١ / ١٨٩ رقم ١١٤٥٤) ، وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني ، قال في الزوائد (١٠ / ٣٧٨) : وضاع .

(٤) أنظر تفسير ابن كثير (٢ / ٢٢٥) .

علي بن علي بن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية ، وا لله أعلم(١) .

الشفاعة الخامسة : شفاعته صلى ا لله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة وخالفوا في ما عداها من المقامات(٢) إلا الشفاعة العظمى ـ وقد تقدم ذلك ـ

قال ابن تيمية : " وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين وقد قيل إن بعض أهل البدع ينكرها " . أ . هـ (٣) .

قال السبكي عن هذه الشفاعة : " ولا ينكرها المعتزلة أيضا و لم أجد في الأحاديث تصريحا بها لكن عبد الجليل القصري(٤) في كتاب شعب الإيمان له ، ذكر في تفسير الوسيلة التي اختص بها النبي صلى ا لله عليه وسلم أنها التوسل ، وأن النبي صلى ا لله عليه وسلم يكون في الجنة بمنزلة الوزير من الملك بغير تمثيل ، لا يصل إلى أحد شيء إلا بواسطته صلى ا لله عليه وسلم وإذا كان كذلك فهذه أيضاً خاصة به ". ا . هـ (٥) .

قلت : كونه لم يجد لها دليلاً صريحاً فهذا جيد ومُسلّم ، ولكن لماذا استدرك بلكن وأتى بهذا الدليل العليل الذي لا يروي الغليل ولا يشفي العليل ، ولو أتى به أحد من مخالفي السبكي لجعله من المشبهة الذين يشبهون ا لله بخلقه ، ثم كيف يصلح هذا دليلاً على هذه الشفاعة وليس مرفوعاً ولا موقوفاً ولا مقطوعاً ولا ولا... وهذه الأمور تحتاج إلى أدلة ثابتة وليس إلى تخمينات وتكهنات . وكذلك كونها خاصة استنبطها من هذا الدليل !!!

---

(١) انظر النهاية لابن كثير (٢ / ١٨١) وشرح الطحاوية (ص : ٢٥٧) .

(٢) انظر التذكرة (ص : ٢٨٦) والنهاية لابن كثير (٢ / ١٨٣) وشرح الطحاوية (ص : ٢٥٧) .

(٣) التوسل (ص : ١٢) لابن تيمية .

(٤) هو الشيخ الإمام العلامة القدوة أبو محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي الأندلسي القرطبي المشهور بالقصري لنزوله بقصر عبد الكريم ـ وهو قصر كتامة بلد بالمغرب الأقصى . كان زاهداً عالماً عاملاً . قال الذهبي : وكلامه في الحقائق رفيع بديع منوط بالأثر في أكثر أموره ، وربما قال أشياء باجتهاده وذوقه وا لله يغفر له .ا.هـ . صنف التفسير ، وشرح الأسماء الحسنى ، وشعب الإيمان . توفي سنة ٦٠٨ هـ . انظر ترجمته السير (٢١ / ٤٢٠) و (٢٢ / ١١) .

(٥) انظر شفاء السقام (ص : ٢٢٠) .

وذكر الحافظ ابن حجر دليلاً لبعضهم وهو « أنا أول شفيع في الجنة »(١) قال الحافظ : كذا قاله بعض من لقيناه ، وقال : وجه الدلالة منه أنه جعل الجنة ظرفاً لشفاعته ، قلت ـ أي ابن حجر ـ وفيه نظر لأني سأبين أنها ظرف في شفاعته الأولى المختصة به ، والذي يطلب هنا أن يشفع لمن لم يبلغ عمله درجة عالية بشفاعته . وأشار النووي في الروضة إلى أن هذه الشفاعة من خصائصه مع أنه لم يذكر مستندها(٢) . أ . هـ .

قلت : دليلها الإجماع الذي تقدم ذكره عن ابن تيمية ، حتى إن المعتزلة صرفوا أدلة الشفاعة إلى زيادة الثواب(٣) . ودليلها أيضا قياس الأولى في قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امريء بما كسب رهين ﴾(٤) .

قال ابن كثير : يخبر تعالى عن فضله وكرمه ، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه ، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة ، وإن لم يبلغوا عملهم ، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم ، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه ، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك ، ولهذا قال : ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ ثم ذكر آثاراً عن السلف وحديثاً رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا : « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده ، فيقال : إنهم لم يبلغوا درجتك : فيقول : يا رب قد عملت لي ولهم ، فيؤمر بإلحاقهم به »(٥) . وقرأ ابن عباس ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ﴾ الآية(٦) . فكون الله سبحان تعالى يمن على

---

(١) رواه مسلم (الإيمان ـ باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع في الجنة ـ ١ / ١٨٨ رقم ١٩٦)

(٢) انظر فتح الباري (١١ / ٤٣٦) .

(٣) انظر شرح مسلم للنووي (٣ / ٣٥)

(٤) سورة الطور ، آية / ٢١ .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١١ / ٤٤٠) والصغير (١ / ٢٢٩) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١١٤) فيه محمد بن غزوان وهو ضعيف . أ . هـ وحكم عليه الألباني بالوضع انظر ضعيف الجامع (رقم : ٥٨٤) وأخرج الحاكم (٢ / ٤٦٨) عنه موقوفاً : إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل ثم قرأ الآية .

(٦) انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٢٥٩) .

الأبناء بفضل الآباء ، فمن باب أولى أن يمن على النبي صلى الله عليه وسلم في أن يشفع لأمته برفع درجاتهم ، وهذا موافق للإجماع الذي ذكره ابن تيمية ، والله أعلم .

وشفاعة الآباء للأولاد في رفع الدرجات ثابتة في هذه الآية ، وجعل بعض أهل العلم شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في رفع الدرجات خاصة به فلكونها للمؤمنين عامة ، لمن شاء الله له أن يُرفع ، وأما التي في الآية فهي خاصة في شفاعة الآباء ، والله أعلم .

هذا مارأيت أنه يصلح دليلاً لهذا النوع ، حتى إن الشيخ مقبل ـ حفظه الله تعالى ـ حينما ذكر هذه الشفاعة في كتابه لم يذكر أدلة عن شفاعته صلى الله عليه وسلم لهذا النوع في الآخرة (١) والله أعلم .

الشفاعة السادسة : شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول المؤمنين من أمته الجنة قبل الناس(٢) . وهذه العبارة أدق من عبارة ابن كثير وابن أبي العز حيث قالا : شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة(٣) . فقولهما هنا عام يشمل كل المؤمنين وليس أمة محمد صلى الله عليه وسلم ودليلهم في ذلك حديث الصور الطويل الضعيف . وفيه « فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة فيقول الله عز وجل : قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة » . وفيما يظهر من أحاديث أخر أنه يشفع لأمته بدخول الجنة ، ويدل عليه أيضاً حديث مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا أول شفيع في الجنة »(٤) فدل على أن هناك شفعاء ، فلو شفع لكل المؤمنين بدخول الجنة لم يبق للشفعاء الآخرين محل لشفاعتهم والله أعلم .

الشفاعة السابعة : " شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة وأهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة ، فخالفوا في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث ، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته. وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً . وهذه الشفاعة تتكرر منه

---

(١) انظر الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي (ص : ١٢٣) .

(٢) انظر فتح الباري (١١ / ٤٣٦) .

(٣) انظر النهاية في الفتن والملاحم (٢ / ١٨٤) وشرح الطحاوية (ص: ٢٥٨) .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

صلى الله عليه وسلم أربع مرات "(١) إلا أنه في الرابعة لا يُشَفَّع(٢) بل يخرجهم رب العالمين ، جاء ذلك في حديث أنس الطويل المتفق عليه ، وفيه أنهم يأتون آدم ليشفع لهم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى وكلهم يرفض ويحيل على الذي بعده ، ثم يأتون محمداً صلى الله علي وسلم فيقول صلى الله عليه وسلم « فيأتوني فأقول : أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، ويلهمني محامد أحمده بها ، لايحضرني الآن ، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، واشفع تشفع ، وسل تعط . فأقول : يارب أمتي ، أمتي .فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال : يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، فأقول : يا رب أمتي فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال : يامحمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتي ، أمتي . فيقول : انطلقْ فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان ، فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل قالَ : ثم أعود الرابعة ، فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله » . وفي رواية «قال : ليس ذاك لك (أو قال ليس ذاك إليك) ولكن وعزتي وجلالي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال : لا إله إلا الله » (٣) .

وعن حماد بن زيد قال : قلت لعمرو بن دينار(٤) : أسمعت جابر بن عبد الله يحدث عن

---

(١) انظر التذكرة (ص : ٢٨٦) والنهاية لابن كثير (٢ / ١٨٥) وشرح الطحاوية (ص : ٢٥٨) .

(٢) انظر التوسل والوسيلة (ص : ١٢ فقرة ٢٠) والفتح (١١ / ٤٦٤) .

(٣) رواه البخاري (الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار ـ ١١ / ٤٢٥ رقم ٦٥٦٥) و (التوحيد ـ باب قول الله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ـ ١٣ / ٤٠٣ رقم ٧٤١٠) ومسلم (الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ـ ١ / ١٨٠ ـ ١٨٤ رقم ١٩٣)

(٤) هو الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه ولد في إمرة معاوية سنة خمس أو ست وأربعين وكان من أوعية العلم وأئمة الاجتهاد توفي سنة ١٢٦ هـ . انظر ترجمته : السير (٥ / ٣٠٠) وشذرات الذهب (١ / ١٧١) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة ؟ » قال: نعم"(١) .

وكونه يشفع فيها النبيون والملائكة والمؤمنون ففي حديث أبي سعيد الخدري : « فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً »(٢) .

الشفاعة الثامنة : شفاعته عليه الصلاة والسلام في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه من عذابه(٣) .

وقد ثبت ذلك بالحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذُكر عنده عمُّهُ أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحْضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أمُّ دماغه »(٤) .

وعن العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله : هل نفعْتَ أبا طالب بشيء ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار »(٥) .

قال ابن حجر : وأشار عياض إلى استدراك شفاعة سادسة وهي التخفيف عن أبي طالب في

---

(١) رواه البخاري (الرقاق - باب صفة الجنة والنار - ١١ / ٤٢٤ رقم ٦٥٥٨) ومسلم (الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها - ١ / ١٧٨ رقم ٣١٨) .

(٢) رواه البخاري (التوحيد - باب قول الله تعالى : وجوه يومئذٍ ناضرة - ١٣ / ٤٣١ رقم ٧٤٣٩) ومسلم (الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية - ١ / ١٦٧ رقم ٣٠٢) .

(٣) انظر التذكرة للقرطبي (ص : ٢٨٦) والتوسل والوسيلة (ص : ٤ - ٥) والنهاية لابن كثير (٢ / ١٨٣) وشرح الطحاوية (ص : ٢٥٧) .

(٤) رواه البخاري (الرقاق - باب صفة الجنة والنار - ١١ / ٤٢٥ رقم ٦٥٦٤) ومسلم (الإيمان - باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه - ١ / ١٩٥ رقم ٣٦٠) .

● والضحضاح : مارقّ من الماء إلى نحو الكعبين واستعير في النار ، انظر منال الطالب لابن الأثير (ص : ٥٣ و٤٦٩) وشرح مسلم للنووي (٣ / ٨٤)

(٥) رواه مسلم (الإيمان - باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه - ١ / ١٩٤ - ١٩٥ رقم ٣٥٧) .

العذاب . أ . هـ (١) .

ثم وجدت أن القاضي عياض ينكر هذه الشفاعة أيضاً لأن الإجماع انعقد على أن الكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين وأنه لا يخفف عنهم العذاب(٢) .

ويمكن أن يقال : نعم هذا صحيح ، ولكن يستثنى أبو طالب من ذلك لشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم له وهي خاصة بأبي طالب . قال القرطبي : فإن قيل فقد قال تعالى ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾(٣) قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار ،كما تنفع عصاة الموحدين الذين يُخرجون منها ويدخلون الجنة. أ . هـ (٤) .

وقال ابن تيمية : تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاط العذاب بالكلية(٥) .

ثم إن لفظ الحديث يرد على من نفى هذه الشفاعة ، أنها نافعة له ولكن ليس النفع المذكور في الآية . وتخفيف العذاب المذكور في الآية ﴿ ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾(٦) أي بعد دخولها ، وأما أن يستحق العذاب ثم يخفف عنه لشفاعته ، أو لغير ذلك قبل ولوج النار فلا يدخل في الآية والله أعلم . وسياق الآية يدل على أنه لا يخفف على من هو في النار ، وكون الكافرين يؤتيهم الله حسناتهم في الدنيا ليس معنى ذلك أن يكونوا طبقة واحدة في الآخرة ، بل معلوم أن النار دركات كما أن الجنة درجات ، ومن يقول إن الكفر جزاؤه النار ثم تشتد عليه على حسب أذيته وظلمه وجوره ، فهل يقول : إن جزاء الكفر في نار جهنم جمرتان تحت القدمين ، ثم العذاب يشتد على حسب ظلمه ؟ الجواب : لا ، إذن فهذه حالة خاصة بأخف أهل النار عذاباً ، أعاذنا الله منها ، والله أعلم .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١ / ٤٣٦) .

(٢) انظر شرح مسلم إكمال المعلم (٣ / ٩١٤ ــ ٩١٥) ومنهاج العوارف للقاضي عياض (ورقة : ١٦٢) مخطوط .

(٣) سورة المدثر ، آية / ٤٨ .

(٤) التذكرة (ص : ٢٨٦) ، وشرح الطحاوية (ص : ٢٥٧) .

(٥) التوسل والوسيلة (ص : ٤ ـ ٥) .

(٦) سورة فاطر ، آية / ٣٦ .

المبحث السادس

المقام المحمود

المقام المحمود خص به النبي صلى الله عليه وسلم من بين الأنبياء ، فهو منزلة رفيعة لم يصل إليها نبي مرسل ولا ملك مقرب ، يحمده الناس في هذا المقام ، ويظهر الله فيه قدره ، وعلو مرتبته ، وذلك لفضله صلى الله عليه وسلم على سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين .

وبما أن المقام المحمود له علاقة بالشفاعة أحببت أن أفرده بمبحث خاص لوجود خلاف بين أهل العلم في تحديده ، ولأن الشيخ المصنف ـ رحمه الله ـ تعرض له أثناء رده على السبكي ، فقال : " ثم ذكر ـ أي السبكي ـ بعد ذلك فصلا في المقام المحمود ولكن لم يستوف الكلام فيه ، فإن الذي تركه هو أعظم وأقرّ لعين نبينا صلى الله عليه وسلم مما ذكره ، وهو أن الله سبحانه وتعالى : يُجلس معه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على العرش يوم القيامة ، كما جاء ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين ، ومثله لا يقال من قبل الرأي بل لا بد فيه من التوقيف ، فممن روى ذلك مجاهد وغيره ، وناهيك به كما قال الشافعي والبخاري رضي الله عنهما : " إذا جاء التفسير عن مجاهد فحسبك " ولكن لما لم يوافق هذا أهواءهم وآراءهم عدلوا عنه زاعمين أن هذا يفضي الى القول بالتجسيم كما تركوا غيره من نصوص الصفات ..."(١) .

وبما أن المؤلف رحمه الله هكذا كان رأيه ، رأيت أن أعقد هذا المبحث لدراسة هذه القضية ، حسب الأدلة الموجودة بتجرد وإنصاف إن شاء الله تعالى .

فإن أهل العلم قد ذكروا عدة تفسيرات للمقام المحمود ، وسأذكر إن شاء الله تعالى أهمّ هذه الأقوال مع أدلتها،وبيان الراجح منها سائلاً الله تعالى أن يسددني فيما أقول وأكتب إنه سميع مجيب.

الرأي الأول :

إن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي خص بها النبي صلى الله عليه وسلم . ثبت ذلك مرفوعاً وموقوفاً ، وهو رأي جمهور أهل التأويل . قال ابن جرير(٢) :" قال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام المحمود الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ،

(١) انظر قسم التحقيق (ص : ٣٧٨) .

(٢) تفسير ابن جرير (١٥ / ٩٧) .

ليريحهم ربُّهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم "، ثم شرع في ذكر الأخبار والآثار التي تؤيد هذا القول .

من أدلة هذا القول :

أ ـ الأحاديث المرفوعة :

١ ـ حديث ابن عمر مرفوعاً : « إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرقُ نصفَ الأذن ، فبينما هم كذلك . استغاثوا بآدم : فيقول : لست صاحب ذلك ، ثم بموسى ، فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم . فيشفع بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم »(١) .

وجاء نحوه عن ابن عمر موقوفاً ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى ـ

٢ ـ حديث أبي هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ﴾(٢) سئل عنها فقال : « هي الشفاعة » وفي لفظ قال : « هو المقام الذي اشفع فيه لأمتي »(٣)

---

(١) رواه ابن جرير (١٥ / ٩٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص : ٢٤٤ و ص ٣٠٦) وابن منده في الإيمان (٣ / ٨٣٣ ـ ٨٣٤ رقم ٨٨٤) والطحاوي في مشكل الآثار (١ / ٤٥٠) ، ورواه البخاري في الصحيح فوصل أوله وعلق قوله فيشفع الخ ... (الزكاة ـ باب من سأل الناس تكثراً ـ ٣ / ٣٩٦ رقم ١٤٧٥) ووصله ابن منده والبزار (الفتح ٣/٣٩٨) والطبراني في الأوسط (المجمع ١٠/٣٧١) .

قال ابن منده : هذا إسناد ثابت على رسم البخاري ، وصححه الألباني في الصحيحة (٥ / ٥٩٠) وقال : " وهذا حديث عزيز في المقام المحمود ، وأنه شفاعته صلى الله عليه وسلم الخاصة به وهو أصح حديث وقفت عليه فيه ... " .

(٢) سورة الإسراء ، آية / ٧٩ .

(٣) رواه أحمد ٢ / ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٧٨ ، ٥٢٨) والترمذي (التفسير ـ باب ومن سورة بني إسرائيل ـ ٥ / ٢٨٣ رقم ٣١٣٧) وقال : هذا حديث حسن . ا . هـ . وابن أبي شيبة في المصنف (١١ / ٤٨٤) وابن أبي عاصم (ص:٣٥٠ رقم ٧٨٤) وابن خزيمة في التوحيد (ص : ٣٠٥) وابن جرير (١٥ / ٩٨) والطحاوي في مشكل الآثار (١ / ٤٤٩) وأبو نعيم في الحلية (٨ / ٣٧٢) والبيهقي في الشعب (١ / ٢٨١ رقم ٢٩٩ ـ ٣٠٢) وغيرهم ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥ / ٤٨٤) وصححه في ظلال الجنة لشواهده (رقم ٧٨٤) .

٣ـ حديث كعب بن مالك(١) مرفوعاً : « يبعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلةً(٢) خضراء ، ثم يؤذن لي ، فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذاك المقام المحمود »(٣) .

٤ ـ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ...» وفيه : « فيأتوني فأنطلق معهم فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعْقِعُها(٤) فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد صلى الله عليه وسلم . فيفتحون لي ، ويقولون مرحباً ، فأخر ساجداً فيلهمني الله تعالى من الثناء والحمد والمجد . فيقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، وقل يُسمع لقولك ، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ﴾(٥) » .

---

(١) هو كعب بن مالك بن أبي بن كعب بن القَيْن بن كعب أبو عبد الله الأنصاري السَلَمي ـ بفتحتين ـ ويقال : أبو بشير ، ويقال : أبو عبد الرحمن الشاعر المشهور شهد العقبة وبايع بها وتخلف عن بدر وشهد أحداً وما بعدها وتخلف في تبوك وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم ، اختلف في سنة موته ، فقيل : أيام قتل علي، وقيل في خلافة معاوية ويقال : إنه مات بالشام . رحمه الله ورضي عنه . الإستيعاب (٢٥١/٩) والإصابة (٨ / ٣٠٤) وأسد الغابة (٤ / ٤٨٧) .

(٢) الحُلّة : بضم الحاء المهملة : إزار ورداء ، بُردٌ أو غيره ، ولاتكون حلّة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة . (القاموس المحيط ص : ١٢٧٤)

(٣) أخرجه أحمد (٣ / ٤٥٦) والبخاري في التاريخ (٥ / ٣٠٩) وليس عنده ثم يؤذن لي الخ ... وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٣٥٠ رقم ٧٨٥) وابن جرير في التفسير (١٥ / ٩٨ و ٩٩) والطحاوي في مشكل الآثار (١ / ٤٤٩) وابن حبان (١٤ / ٣٩٩ رقم ٦٤٧٩ ـ الإحسان) والحاكم (٢ / ٣٦٣) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي والألباني (الصحيحة ٤٨٥/٥ رقم ٢٣٧٠) ورواه ابن أبي داود في البعث والنشور (ص : ٤٣ ـ ٤٤ رقم ٢٧) والطبراني في الكبير والأوسط (١٠ / ٣٧٧ مجمع) وقال الهيثمي : وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح ، وصححه الأرناؤوط في تعليقه على الإحسان (١٤ / ٣٩٩) والحويني على البعث والنشور .

(٤) أي أحركها فتحدث صوتاً ، والقعقعة : حكاية الصوت ، وتحريك الشيء اليابس الصُلْب مع صوت . انظر القاموس المحيط (ص : ٩٧٤) .

(٥) رواه الترمذي (التفسير ـ باب ومن سورة بني إسرائيل ـ ٥ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩ رقم ٣١٤٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح . ورواه مختصراً دون ذكر الشاهد (المناقب ـ باب في فضل النبي صلى الله عليه --

٥ ـ حديث علي بن الحسين بن علي(١) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ، حتى لايكون للإنسان إلا موضع قدمه » . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن ـ والله ما رآه قبلها ـ فأقول: يارب . إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ . فيقول : صدق ، ثم اشفع فأقول : يا رب عبادك في أطراف الأرض ، وهو المقام المحمود » (٢) .

ب ـ الآثار الموقوفة :

وأما الآثار الموقوفة فكثيرة أيضاً . منها :

-- وسلم ـ ٥ / ٥٤٨ رقم ٣٦١٥) وكذلك رواه ابن ماجه مختصراً (الزهد ـ باب ذكر الشفاعة ـ ٢ / ١٤٤٠رقم ٤٣٠٨) وابن مردويه (البدور السافرة ص : ١٦٤) .

وجاء ذكر المقام المحمود عن أبي سعيد الخدري مرفوعا عند أبي نعيم في الحلية (٧ / ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وسنده ضعيف جداً . انظر الشفاعة (ص : ١٥٤) للشيخ مقبل .

(١) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين فضائله كبيرة ومحاسنه منتشرة ، فقيه عابد ، زاهد متفق عليه ، كان من أورع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله ، وكان كثير الحديث ، توفي سنة ٩٣ هـ . انظر ترجمته : البداية والنهاية (٩ / ١٠٣) والسير (٤ / ٣٨٦) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٨٧) وابن أبي الدنيا في الأهوال (ص : ١٦١ رقم ١٥٠) وابن جرير (١٥ / ٩٩) وقال ابن كثير في تفسيره (٣ / ٦٢) هذا حديث مرسل .

- وأخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد (رقم ٣٧٥ زوائد نعيم) وابن أبي حاتم (الفتح ـ ٨ / ٢٥١ ـ ٢٥٢) والحاكم (٤ / ٥٧١) وأبو نعيم في الحلية (٣ /١٤٥) عن علي بن الحسين قال : أخبرني رجل من أهل العلم مرفوعاً . وصححه أبو نعيم في الحلية ، وقال الحافظ : رجاله ثقات وهو صحيح إن كان الرجل صحابياً . أ . هـ . الفتح (٨ / ٢٥٢) .
- وأخرجه البيهقي في الشُعَب (١ / ٢٨٢ رقم ٣٠٣) عن علي بن الحسين عن رجل من الصحابة مرفوعاً.
- وأخرجه الحاكم (٤ / ٥٧٠ ـ ٥٧١) عن علي بن الحسين عن جابرمرفوعاً وقال :" صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، وقد أرسله يونس بن يزيد ومعمر بن راشد عن الزهري " ووافقه الذهبي . قلت : وأرسله أيضاً عن الزهري محمد بن حميد أبو سفيان المعمري عند ابن أبي الدنيا في الأهوال (رقم ١٥٠).
- قال الحافظ في الفتح (٤٣٥/١١) :" واختلف فيه على الزهري فالمشهور عنه أنه مرسل علي ابن الحسين ". أ . هـ .

١ ـ أثر ابن عمر رضي الله عنهما قال : " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً(١) ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان . اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً "(٢) .

٢ ـ أثر حذيفة رضي الله عنه قال : " يجمع الناس في صعيد واحد يُسمِعُهم الداعي ويَنفُذُهم البصر(٣) حفاة عراة كما خلقوا قياماً لا تكلم نفس إلا بإذنه . يُنادى يامحمد . فيقول : « لبيك وسعديك . والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ومنك وإليك ، لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك رب البيت » فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل "(٤) .

---

(١) جثاً : بضم أوله والتنوين : جمع جُثوة كخطوة وخطا ، والجثوة : الحجارة المجموعة . ويروى : جُثِيّ : جمع جاث وهو الذي يجلس على ركبتيه ، وقيل . جُثّى : بفتح المثلثة ، جمع جاث مثل غاز وغُزّى . انظر القاموس المحيط (ص : ١٦٣٨) والفتح (٨ / ٢٥٢) .

(٢) رواه البخاري (التفسير ـ باب ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ـ ٨ / ٢٥١ رقم ٤٧١٨) وابن جرير في التفسير (١٥ / ٩٩) وابن منده في الإيمان (٣ / ٨٥٠ رقم ٩٢٧ و ٩٢٨) .

(٣) أي تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد . انظر شرح النووي (٣ / ٦٦ ـ ٦٧) .

(٤) رواه الطيالسي (٢ / ٢٢٨ منحة) وعبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣٨٧) وابن أبي شيبة (١١/ ٤٨٤) والنسائي في الكبري (التفسير : رقم ٣١٤) وابن جرير (١٥ / ٩٧ و ٩٨) وابن أبي في الدنيا في الأهوال (ص : ١٦٢ رقم ١٥١) وابن منده في الإيمان (٣ / ٨٥١ ـ ٨٥٢ رقم ٩٢٩ و٩٣٠ و ٩٣١) والبزار (رقم ٣٤٦٢ كشف الأستار) والحاكم في المستدرك (٢ / ٣٦٣) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، ورواه أبو نعيم (١ / ٢٧٨) .

قال ابن منده : هذا إسناد مجمع على صحته وقبول رواته . أ . هـ . وقال الهيثمي (١٠ / ٣٧٧ مجمع) عن رجال البزار : رجاله رجال الصحيح . أ . هـ . وصحح الحافظ في الفتح (٨ / ٢٥١) اسناد النسائي . وقال الألباني عن إسناد الطيالسي : وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين (ظلال الجنة ـ ٢ / ٣٥٣) وقال : وهو وإن كان موقوفاً ، فإنه في حكم المرفوع لأنه لايقال بالرأي أ . هـ .

ورواه ابن أبي عاصم في السنة مرفوعا (ص : ٣٥٣ رقم ٧٨٩) إلا ذكر المقام فهو من قول حذيفة . وأخرجه مرفوعاً أيضاً الحاكم (٤ / ٥٧٣) والطبراني في الأوسط (١٠ / ٣٧٧ مجمع الزوائد) و لم يذكرا المقام المحمود وقال الهيثمي: وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات أ . هـ . قلت : وليس عند ابن أبي عاصم : ابنُ ابي سليم . وصحح المرفوع الألباني أيضاً في ظلال الجنة .

٣ ـ أثر سلمان الفارسي رضي الله عنه(١) : في كلامه الطويل عن الشفاعة . قال : " فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة من إيمان ، أو مثقال شعيرة من إيمان ، أو مثقال حبة خردل من إيمان ، فذلك المقام المحمود "(٢) .

٤ ـ أثر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : فعن يزيد الفقير(٣) ، قال : كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ، ثم نخرج على الناس . قال : فمررنا على المدينة فإذا بجابر بن عبد الله يحدث القوم ــ جالس إلى سارية ــ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فإذا هو قد ذكر الجهنميين . قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تحدثون ؟ والله يقول : ﴿ إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾(٤) و ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها ﴾(٥) . فما هذا الذي تقولون ؟ قال: فقال : اتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام (يعني الذي بعثه الله فيه) ؟ قلت : نعم . قال : فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله

---

(١) سلمان الفارسي أبو عبد الله ويقال له : سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير كان مجوسياً من بلاد فارس فسمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاء ليسلم فأسر وبيع بالمدينة رقيقاً وكان أول مشاهده الخندق وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق وولي المدائن . آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي الدرداء وكان من المعمرين توفي في بضع الثلاثين . انظر ترجمته : أسد الغابة (٢ / ٤١٧) والإستيعاب (٤ / ٢٢١) والإصابة (٤ / ٢٢٧) .

(٢) رواه بطوله ابن أبي عاصم في السنة (ص : ٣٧٠ رقم ٨١٣) ورواه مختصراً ابن أبي شيبة في الإيمان (ص :١٢ رقم ٣٧) وفي المصنف (١١ / ٤٤٧) وابن جرير (١٥ / ٩٨) وابن خزيمة في التوحيد (ص : ٢٩٤ ــ ٢٩٥) والطبراني (١٠ / ٣٧٢ مجمع الزوائد) وصححه المنذري في الترغيب (٤ / ٢١٥) . وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وصححه الحافظ في المطالب العالية (٤ / ٣٨٨) وصححه كل من الألباني والوادعي (الشفاعة ص : ٤٦) على شرط الشيخين ، وقال الألباني عنه : " إنه في حكم المرفوع لأنه أمر غيبي ، لا يمكن أن يقال بالرأي ، ولا هو من الاسرائيليات " أ . هـ .

(٣) يزيد بن صهيب الكوفي أبو عثمان المعروف بالفقير ، قيل لأنه كان يشكو فقار ظهره ، ثقة روى له البخاري ومسلم وغيرهما . التقريب (ص : ٦٠٢) .

(٤) سورة آل عمران ، آية / ١٩٢ .

(٥) سورة السجدة ، آية / ٢٠ .

به من يخرج . قال : ثم نعت وضع الصراط ، ومرّ الناس عليه ... " الحديث(١) .

٥ ـ أثر ابن عباس رضي ا لله عنهما قال : " هذا المقام المحمود مقام الشفاعة "(٢) .

هذه بعض الآثار عن الصحابة رضي ا لله عنهم تثبت أن المقام المحمود هو الشفاعة نسأل ا لله أن ننالها ، آمين .

القول الثاني في تفسير المقام المحمود : أن ا لله يجلس نبيه محمداً صلى ا لله عليه وسلم على عرشه أو كرسيه ، كما ذهب إليه الشيخ المصنف رحمه ا لله تعالى .

وهذا قول معروف عند السلف ومشهور ، وقد كان يوماً من الأيام فاصلاً بين أهل الحديث والجهمية ، وكان مخالفه يبدع ويتهم ، وربما كان ذلك الاتهام سببه أن الجهمية تنكره من باب إنكار التشبيه والتجسيم ـ بزعمهم ـ وعلو ا لله عز وجل على خلقه .

قال أبو داود السجستاني صاحب السنن : من أنكر هذا فهو عندنا متهم . وقال : ما زال الناس يحدثون بهذا يريدون مغايظة الجهمية ، وذلك أن الجهمية ينكرون أن على العرش شيء "(٣) .

ومن أشهر من نقل عنه هذا التفسير للمقام المحمود ، الإمام الحبر مجاهد بن جبر رحمه ا لله تعالى التابعي الجليل . وكل من أتى بعده يعتمد على قوله في هذا التفسير .

هذا وقد نسب هذا القول لبعض الصحابة ، وبعضهم رفعه حديثاً للنبي صلى ا لله عليه وسلم ولا يصح ولذا فإنني سأتكلم بحول ا لله وقوته عن هذه الآثار معتمداً على أقوال أهل العلم في هذا الشأن وا لله المستعان وعليه التكلان .

أ ـ الأحاديث المرفوعة :

١ ـ حديث ابن مسعود قال : بينا أنا جالس عند رسول ا لله

---

(١) رواه مسلم (الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ـ ١ / ١٧٩ رقم ٣٢٠) .

(٢) رواه ابن جرير (١٥ / ٩٧) وابن خزيمة في التوحيد (ص : ٣٠٦) وابن عدي في الكامل (٣ / ١٠٠٨) وفيه رشدين بن كريب . قال ابن عدي : ورشدين أحاديثه مقاربة لم أر فيها حديثاً منكراً جداً وهو ـ على ضعفه ـ ممن يكتب حديثه .

(٣) انظر السنة للخلال (ص : ٢١٤ رقم ٢٤٤) .

صلى الله عليه وسلم أقرأ عليه حتى بلغت ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾(١) قال : « يجلسني على العرش »(٢) .

٢ ـ حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : في قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال : " يقعده معه على العرش "(٣) .

ب ـ الآثار الموقوفة : أما الآثار الموقوفة فقد ورد ذلك عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم منهم ابن عباس وعبد الله بن سلام(٤) .

١ـ أثر ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال : " يقعده على العرش "(٥) .

٢ ـ أثر عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : إذا كان يوم القيامة جيء بنبيكم صلى الله عليه وسلم فأقعد بين يدي الله على كرسيه . قيل لأحد رواة السند وهو أبو مسعود الجريري(٦) ـ إذا كان على كرسيه فهو معه ، قال : ويلكم هذا أَقرُّ حديث في الدنيا لعيني " وفي لفظ : إن محمداً صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بين يدي الرب عز وجل على كرسي الرب

---

(١) سورة الإسراء ، آية / ٧٩ .

(٢) ذكره الذهبي في العلو (ص : ٧٥) من طريقين وقال : هذا حديث منكر لا يفرح به . وقال الألباني : باطل (الضعيفة : ٢ / ٢٥٥ رقم ٨٦٥) .

(٣) الشرح والإبانة لابن بطة (ص : ٢٧٦ رقم ٢٧٨) والديلمي في الفردوس (٣ / ٥٨ رقم ٤١٥٩) وقد حكم الإمام الذهبي ببطلانه (العلو ص : ٩٩) قلت : وحديث ابن عمر هذا يخالف ما ثبت عن ابن عمر نفسه موقوفاً ومرفوعاً أن المقام المحمود هو الشفاعة . والله أعلم .

(٤) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري أبو يوسف كان حليفاً لهم من بني قينقاع وهو من ولد يوسف عليه السلام ، وكان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، يقال نزل فيه قوله ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل ﴾ الآية . وغيرها . دافع عن عثمان يوم قتله ، توفي سنة ٤٣ هـ . الإستيعاب (٦ / ٢٢٨) وأسد الغابة (٣ / ٢٦٤) والإصابة (٦ / ١٠٨) .

(٥) أخرجه الذهبي في العلو (ص : ٩٩) وقال : إسناده ساقط . الخ ...

(٦) انظر ترجمته (ص : ٢٤٦) .

تبارك وتعالى "(١) .

ج ـ آثار التابعين ومن بعدهم :

١ ـ أثر مجاهد رحمه الله تعالى :

أما أثر مجاهد فهو الأشهر وعليه عمدة من أخذ بهذا القول .

قال مجاهد رحمه الله تعالى في قوله سبحانه ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ قال : " يجلسه على العرش " وفي رواية " يجلسه معه على العرش "(٢) .

٢ ـ وقد أخذ بهذا القول عدة من السلف ذكر كثيراً منهم الخلال في كتاب السنة(٣) والذهبي في العلو(٣) .

القول الثالث في المراد بالمقام المحمود : إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة(٤) .

القول الرابع : عن سعيد بن أبي هلال أحد صغار التابعين(٥) ، أنه بلغه " أن المقام المحمود أن

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٣٥١ رقم ٧٨٦) وابن جرير (١٥ / ١٠٠) والخلال في السنة (الأرقام : ٢٣٦ ـ ٢٣٨ ، و ٣٠٧ ـ ٣٠٩) قال الذهبي في العلو (ص : ٧٥) هذا موقوف ولا يثبت إسناده ، وقال الألباني : رجال إسناده ثقات غير سيف السدوسي فلم أجده . ا . هـ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥ / ٩٨) وابن أبي شيبة في المصنف (١١ / ٤٣٦) والخلال في السنة (الأرقام ٢٣٩ إلى ٣١٤) ورواه الخلال في أصحاب ابن منده (١٥٧ / ٢) كما في السلسلة الضعيفة (٢ / ٢٥٥ رقم ٨٦٥) وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥٦) والذهبي في العلو (ص : ٩٤) وهو ضعيف لوجود ليث بن أبي سُليم ؛ مختلط ضعيف . وضعفه الذهبي بالنكارة (العلو ص : ١٢٦) و (الميزان ٣ / ٤٣٩) وقال الألباني : ليس له طريق معتبر . أ . هـ . هذا وقد ذكر الذهبي رحمه الله تعالى في العلو (ص : ١٢٥) أنه روى عن ليث بن أبي سليم وعطاء بن السائب ، وأبي يحيى القتات وجابر بن يزيد ، والأولان مختلطان ، والآخران ضعيفان ، بل والأخير متروك متهم . انظر مختصر العلو (ص : ١٦) .

(٣) انظر السنة للخلال من رقم (٢٣٩ ـ ٣١٤) والعلو للذهبي (ص ١٢٤ ـ ١٢٥) .

(٤) انظر تفسير الماوردي (٣ / ٢٦٦) والقرطبي في التذكرة (ص : ٢٨٤) وفتح القدير للشوكاني (٣/٣٦٠) .

(٥) سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم ، أبو العلاء المصري ، قيل مدني الأصل . ثقة معروف ، حديثه في الكتب الستة ، يروي عن نافع ونعيم المُجمر ، وعنه سعيد المقبري أحد شيوخه ، انفرد ابن حزم بتضعيفه ، توفي بعد الثلاثين ومائة وقيل قبلها ، وقيل : قبل الخمسين بسنة ، انظر ترجمته : ميزان الاعتدال (٢ / ١٦٢) والتقريب (ص : ٢٤٢)

رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وجبريل فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجمع "(١) .

القول الخامس : ثناؤه على ربه كما في حديث حذيفة .

القول السادس : أنه المراجعة في الشفاعة(٢)

الرأى الراجح في المقام المحمود :

مما سبق من دراسة لأسانيد هذه الروايات الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، يتبين أن هناك أحاديث مرفوعة صحيحة فيها ذكر المقام المحمود وأنه هو الشفاعة ، ويؤيده آثار عديدة عن الصحابة رضوان الله عليهم كما هو رأي جمهور أهل العلم بالتفسير ، ولذلك فلا مجال للمحيص عن هذا الرأي المدعم ، بالحديث المرفوع الصحيح المكرم ، إذ خير من يفسر كلام الله تبارك وتعالى رسولُه الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي بعثه ربه ليبلغ ما أنزل إليه من ربه وليبين لهم ما نزل إليهم .

وأما الرأي الثاني والذي هو جلوس النبي صلى الله عليه وسلم على العرش فهذا لم يثبت لا مرفوعاً ولا موقوفاً ولا مقطوعاً على تابعي ، حتى إن مجاهداً رحمه الله تعالى الذي ورد عنه القول به ، لم يثبت عنه و أثر مجاهد عمدة كثير ممن قال بهذا القول ، بل إن مجاهداً رحمه الله قد ثبت عنه خلاف هذا القول ألا وهو الشفاعة ، والذي هو قول الجمهور(٣) .

قال الإمام بخاري المغرب الحافظ ابن عبد البر : " وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومجاهد وإن كان أحد المقدَّمين في العلم بتأويل القرآن فإن له قولين في تأويلين اثنين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما .

أحدهما : هذا (يعني : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾(٤) قال : " تنتظر ثواب ربها ") والآخر : قوله في قول الله عز وجل ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ثم أسند

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (الفتح ١١ / ٤٣٥) وصححه الحافظ إلى سعيد بن أبي هلال .

(٢) انظر هذه الأقوال . الفتح (٨ / ٢٥١ - ٢٥٢ و ١١ / ٤٣٥) .

(٣) رواه الطبري (١٥ / ٩٧ - ٩٨) من طريقين وهو ثابت كما ذكر الألباني (مختصر العلو ص : ١٦) .

(٤) سورة القيامة ، آية / ٢٢ - ٢٣ .

أثر مجاهد ثم قال : وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم ، فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة " . أ . هـ .(١) .

وأما الأقوال الأخرى فهي لا تخالف القول بالشفاعة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع وهو موصوف بصفات أخر كأخذه لواء الحمد بيده والثناء على ربه الخ ... فلا منافاة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : " ويمكن رد الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة ، فإن إعطاءه لواء الحمد ، وثناءه على ربه ، وكلامه بين يديه ، وجلوسه على كرسيه ، وقيامه أقرب من جبريل ، كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليُقضى بين الخلق ، وأما شفاعته في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك " أ . هـ .(٢) .

وبهذا يترجح القول الأول وإن كان هناك بعض الأقوال فإنها لا تخالفه بل هي موجودة وحاصلة له صلى الله عليه وسلم . وأما قول مجاهد ومن وافقه فهو مردود لعدم ثبوته عنه فضلاً على أن يكون ثابتاً مرفوعاً . وهو أمر لا يقال من قبل الرأي بل لا بد له من التوقيف لأنه غيبي لا يخضع للاجتهاد ، لأن قضية إقعاد النبي صلى الله عليه وسلم على العرش غيبية بحتة ، فلا مجال لإثباتها بنص لم يثبت . والله أعلم وأحكم .

(١) التمهيد لابن عبد البر (٧ / ١٥٧ - ١٥٨) .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤٣٥) مع العلم بأن بعض الأقوال التي ذكرها ابن حجر لم تثبت أصلاً ، كالقيام أقرب إلى الرحمن من جبريل ، وجلوسه على الكرسي .

الفصل الرابع
في بيان منهج السلف الصالح في إثبات العقيدة عموماً والأسماء والصفات خصوصاً

تمهيـــد :

إن السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا على منهج مستقيم ، ونـور مبين ، اقتبسوه من نور الكتاب والسنة ، فكانوا كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم في الحديث الصحيح : «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »(١) .

وذلك لأنهم أخذوا نصوص الوحي غضة طرية من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذها منهم التابعون ، وهكذا ، فكانت أفهامهم سليمة ، وفطرهم مستقيمة لم يشبها آراء أهل الأهـواء والزيغ ، و لم تتقاذفهم أمواج الفتن ، لاعتصامهم بالكتاب والسنة وبما تلقوه من معلميهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبح منهجهم منهجاً ناصعاً ، يلجأ إليه كل من أراد النجاة في حياته وآخرته . وأما من حاد عن منهجهم فإننا نجده مضطرب الحال ، لا يهـدأ لـه فكـر ولا بال ، يريد مستنداً من عصر قديم ، ينصر به رأيه ، ويرفع من قدره ، فلا يجد إلا شـعراً منحـولاً أو رأياً مدخولاً ، فيتشبث به رافعاً عقيرته ، متبجحاً بما رست عليه عقيدته بهوى النفس الأمارة بالسوء فإذا جاءت نصاعة الحق وطهارته أذهب البيوت العنكبوتية ، وإذا جاءت ريح الإيمـان ، وعواصف التوحيد ، وصواعق الحق ، وبروق النصر ، كشفت تلك الشبهات ، التي من شأنها التهاوي أمام صواعق الحق ، ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾(٢) ،

---

(١) رواه عدة من الصحابة : منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أخرجه البخاري (الشهادات ـ باب لايشهد على شهادة جور إذا أشهد ـ ٥ / ٣٠٦ رقم ٢٦٥٢) و (فضائل الصحابة ـ باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ـ ٧ / ٥ رقم ٣٦٥١) وفي مواضع أخرى . ومسلم (فضائل الصحابة ـ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ـ ٤ / ١٩٦٢ رقم ٢٥٣٣)

(٢) سورة الذاريات ، آية / ٤٢ .

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾(١) .

ولقد نصر الله أهل الحق ، أتباعَ السلف الصالح بالحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة فما انكسروا في معركة ولا فروا من زحف ، ولا هزموا في جولة ولا صولة ، ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾(٢) .

وكان هذا النصر وهذه الغلبة بسلاح الحق الذي أنزله الله سبحانه وتعالى ، والسلاح وحده لا يكفي لإزالة الباطل ، بل لابد من حامل له يعرف كيف يحمله ومصاول في ساح الجهاد يعرف كيف يأخذه بحقه .

ولذلك كان الكتاب والسنة بأيدي كثير من الفرق ، إلا أنهم لم يحسنوا حملهما و لم يعرفوا كيف يُحمل هذا السلاح ، فما استعملوه ، وما سألوا - إذ لم يعرفوا - أحداً عن كيفية استعماله، فضلوا وأضلوا وخاضوا المعارك فانهزموا ، وإذا أردنا أن نقف على كيفية استعمال هذا السلاح - الكتاب والسنة — فما علينا إلا أن ننظر كيف استعمله السلف الصالح ، وجاهدوا به - ﴿ وجاهدهم به جهاداً كبيرا ﴾(٣) -

فنجد أن منهجهم يتلخص في التالي :

المبحث الأول : موافقة العقل للنقل

إن مسألة العقل والنقل من المسائل الكبيرة التي تطول ذيولها وتشعباتها ، ولكن سأتكلم في هذا المبحث - إن شاء الله - على خلاصة الأمر .

فأقول : إن أهل البدع والزيغ يقولون : إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل ، لأنه لا يمكن الجمع بينهما ولا إبطالهما ، ولا يقدم النقل لأن العقل أصل النقل ، فلو قدمنا عليه النقل لبطل العقل ، وهو أصل النقل ، فلزم بطلان النقل ، فيلزم من تقديم النقل بطلان العقل والنقل ،

---

(١) سورة الحج ، آية / ٤٠ .

(٢) سورة المائدة ، آية / ٥٦ .

(٣) سورة الفرقان ، آية / ٥٢ .

فتعين القسم الرابع وهو تقديم العقل "(١) .

ولقد جعل ابن القيم تقديم العقل على النقل وهذا التقسيم - طاغوتاً وحُقَّ له أن يسمى بذلك لأن فيه إبطالاً للنقل بعقل من لا يعقل ، وإلا لو كان يعقل ما عقل عقله أن الشرع يخالف العقل ، ولعقل عقله أن العقول تتفاوت والأفهام تختلف وهذا شيء معروف ومجرب - وأن النقل الثابت لا يحتمل الكذب ، ولذلك لما رأوا أن النصوص لا ترد كلها لجأوا إلى التأويل كما سأبين ذلك إن شاء الله في المبحث الآتي .

وكيف لا يسمى طاغوتاً ، وهو يرد النصوص بناءً على تقسيمات عقلية وضعها غير المسلمين ، وهي غير سليمة التقسيم وفيها تناقض مبين ، وإبطال لشرائع الموحدين ولعقائد المؤمنين . " فلا يجوز شرعاً ، ولا يستساغ عقلاً أن يعارض كلام الخالق العليم بالمصطلحات التي وضعها المخلوق الجاهل الضعيف ، وخاصة إذا تصورنا أن واضعي هذه المصطلحات من غير المسلمين في الغالب الكثير "(٢) .

ومما يدل على أن هذه القواعد والمصطلحات - التي يسمونها منطقية أو عقلية - غير مستقيمة ، أن العقليين أنفسهم مختلفون فيها وفي تطبيقها ، وإلا لما اختلف بعضهم في الله - الصانع على حد تعبيرهم - ولما اختلفوا في صفاته ، ولما اختلفوا في المعاد والغيب ، إذ أن قواعدهم التي انطلقوا منها لنفي الأسماء والصفات والكلام والمعاد والمغيبات قواعد عقلية ، فلِمَ أثبت هذا الفريق ما لم يثبت الآخر ، ولِمَ نفى هذا ما أثبته ذاك .

قال ابن تيمية رحمه الله : " ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء ، أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل ، بل إن منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله .

فياليت شعري ! بأي عقل يوزن الكتاب والسنة ؟! فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال : " أو كلما جاء نا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١ / ٩٨)

(٢) الصفات الإلهية (ص : ٦٠)

صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء ؟"(١) .

والكلام في هذا يطول وحسبنا هذه الإشارة العابرة(٢) ، ويدل هذا على أن العقول وأفهامها متفاوتة ومختلفة ومتباينة ، فلا يجعل عقل إنسان ـ يظنه المبتدع حَكَماً ثابت الأركان ـ لايجعل حَكَماً على الكتاب والسنة اللذين نزلا ليحكما ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ...﴾(٣) الآية . ﴿ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾(٤) .

وأهل الأهواء قد بنوا قاعدة تقديم العقل على النقل على ثلاث مقدمات خاطئة(٥) ، توصلوا بها إلى ترك النقل والشرع ، وتقديم العقل المبتدع ..

المقدمة الأولى : أثبتوا التعارض بين العقل والشرع ، ولا تعارض عند أولي العقول السليمة .

المقدمة الثانية : إنهم حصروا التقسيم في هذه الأقسام الأربعة التي سبق ذكرها .

المقدمة الثالثة : انهم أبطلوا الأقسام الثلاثة حتى يثبتوا القسم الرابع وهو تقديم العقل على النقل .

هذا وقد رد ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا الرأي من خمسين وجهاً(٦) ، ولكن أذكر شيئاً يسيراً من هذه الأوجه .

أولاً : " إن هذا التقسيم باطل من أصله ، والتقسيم الصحيح أن يقال : إذا تعارض دليلان

---

(١) الفتوى الحموية (ص : ٦٤) .

• وأثر مالك أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (١/ ١٤٤ رقم ٢٩٤) وفيه قصة وهي : أن رجلاً جاء إلى مالك بن أنس فسأله فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا . فقال ـ أي الرجل ـ : أرأيت لو كان كذا ؟ قال مالك : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ فقال مالك : الأثر المذكور ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٦ / ٣٢٤) دون القصة .

(٢) وقد صنف الإمام ابن تيمية كتباً في الرد على المناطقة وبين فيها عوارهم ، منها :كتاب الرد على المنطقيين ، وكتاب نقض المنطق ، وكتاب العقل والنقل أو دَرْء تعارض العقل والنقل ، وله أسماء أخرى .

(٣) سورة المائدة ، آية / ٤٩ .

(٤) سورة النساء ، آية / ١٠٥ .

(٥) انظر هذه المقدمات مختصر الصواعق (١ / ٩٨) .

(٦) انظر مختصر الصواعق (١ / ٩٨ ـ ٢١٦) .

سمعيان أو عقليان ، أو سمعي وعقلي ، فإما أن يكونا قطعيين ، وإما أن يكونا ظنيين ، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً .

فأما القطعيان فلا يمكن تعارضهما في الأقسام الثلاثة ، لأن الدليل القطعي هو الذي يستلزم مدلوله قطعياً، ولو تعارضا لزم الجمع بين النقيضين . وهذا لا يشك فيه أحد من العقلاء . وإن كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً تعين تقديم القطعي سواء كان عقلياً أو سمعياً، وإن كانا ظنيين صرنا إلى الترجيح ووجب تقديم الراجح منهما .

وهذا تقسيم راجح متفق على مضمونه بين العقلاء .

وأما إثبات التعارض بين الدليل العقلي والسمعي والجزم بتقديم العقلي مطلقاً فخطأ واضح معلوم الفساد "(١) .

ثانياً : قولهم إذا تعارض العقل والنقل ، فإما أن يراد به القطعيين ، وهذا لا يمكن حصوله وإما أن يراد به الظنيين فالتقديم للراجح مطلقاً ، سواء كان عقلياً أو نقلياً . فتقديم العقلي لا لأنه عقلي بل لأنه راجح وتأخير النقلي لا لأنه نقلي بل لأنه مرجوح ، وأما الحكم مطلقاً بتقديم العقل على النقل فباطل "(٢) .

ثالثاً : " أن تقديم العقل على الشرع يتضمن القدح في العقل والشرع " لأن العقل قد شهد بأن الشرع أعلم منه ، وكذلك الشرع شهد بأنه أعلم من العقل ، فاجتمعت شهادة العقل والشرع على أن الشرع أعلم من العقل ، " وأنه لا نسبة له إليه وأن نسبة علومه ومعارفه إلى الوحي أقل من خردلة بالإضافة إلى جبل ، فلو قدم حكم العقل عليه لكان قدحاً في شهادته ، وإذا بطلت شهادته بطل قبول قوله ، فتقديم العقل على الوحي يتضمن القدح فيه وفي الشرع ، وهذا ظاهر لاخفاء فيه " لأن " الشرع مأخوذ عن الله بواسطة الرسولين الملك والبشر بينه وبين عباده ، مؤيداً بشهادة الآيات وظهور البراهين على ما يوجبه العقل ، ويقتضيه تارة ويستحسنه تارة ، ويجوزه تارة ، ويضعف عن دركه تارة . فلا سبيل له إلى الإحاطة به ، ولا بد له من التسليم له والانقياد لحكمه والإذعان والقبول ـ وهناك يسقط (لِمَ) ويبطل (كيف ؟) وتزول

---

(١) المصدر نفسه (١ / ٩٨) .

(٢) المصدر نفسه (١ / ٩٩) .

(هلاّ) وتذهب (لو ، وليت) في الريح ، لأن اعتراض المعترض عليه مردود وإقتراح المقترح ـ ما ظن أنه أولى منه ـ سفه . وجملة الشريعة مشتملة على أنواع الحكمة علماً وعملاً حتى لو جمعت حكم جميع الأمم ونُسبت إليها لم تكن لها إليها نسبة "(١) . " والله تعالى قد تمم الدين بنبيه صلى الله عليه وسلم وكمله به ، ولم يحوجه هو ولاأمته بعده إلى عقل ولا نقل سواه ، ولا رأى ولا منام ولا كشف قال الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾(٢) وأنكر على من لم يكتف بالوحي فقال : ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾(٣) ذكر هذا جواباً لطلبهم آية تدل على صدقه ، فأخبر أنه يكفيهم من كل آية . فلو كان ما تضمنه من الأخبار عنه وعن صفاته وأفعاله واليوم الآخر يناقض العقل لم يكن دليلاً على صدقه فضلاً عن أن يكون كافياً ... ولا تاماً في نفسه "(٤) .

من هنا يتبين أن العقل موافق للشرع الحنيف قاض به لا يخالفه ، وأما عقول أهل البدع فإنها صيغت بقالب صنعه المتكلمون ووضعه لهم أساتذتهم ، وصبغت فطرتهم بصبغة نتنة لا يزيلها إلا صفاء الإسلام ونقاوة الإيمان .

ولا شك أن الإنسان قد يقصر فهمه وعقله عن فهم شيء جاء به الشرع بل ربما يستصعب تصوره فلا يجد إلا التسليم والإذعان له ولا يملك إلا أن يقول : ﴿ آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب ﴾(٥) ، من هنا قال من قال من أهل السنة إن النقل مقدم على العقل ، ولم يقصد أن النقل قد يخالف العقل .

بل العقل قد يقصر ولا يدرك حقيقة الأمر ، فيجب على العقل التسليم والانقياد ، وربما أطلق أهل السنة والجماعة تقديم النقل على العقل ، مقابل تقديم أهل البدع عقلهم على نقلنا ، فيراد بذلك تقديم النقل على عقلهم الفاسد وقواعدهم الباطلة التي أدت إلى تعطيل النصوص ،

---

(١) مختصر الصواعق (١ / ١٠٣) .

(٢) سورة المائدة ، آية / ٣ .

(٣) سورة العنكبوت ، آية / ٥١ .

(٤) مختصر الصواعق (١ / ١٠٥ ـ ١٠٦) .

(٥) سورة آل عمران ، آية / ٧ .

وا لله أعلم .

ولذلك فإن عند أهل الحق قاعدة تقول : إن " الشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول "(١) " والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دَرْكه ، لم تأت بما يُعلم بالعقل امتناعه ، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها ، لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً ، وهي باطل ، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به ، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة ، ودخلوا في أحوال ، وأعمال فاسدة ، وخرجوا عن التمييز الذي فضل ا لله به بني آدم على غيرهم "(٢) .

فعلم أنه لا تعارض بين العقل والنقل وأن كل من أسرف في العقل وجعله أهم وأعظم فإنه ينحرف ويرد الشرائع والنبوات ، وأن من يهمل حقه في استعماله فيما أمره ا لله به ، فإنه يخرج عن طور الإنسانية المكرمة إلى الحيوانية البهيمية ، نعوذ با لله من حال الفريقين .

رابعاً : " يقال : لو قد عارض العقل والشرع لوجب تقديم الشرع ، لأن العقل قد صدق الشرع ، ومن ضرورة تصديقه له قبولُ خبره ، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ، ولا العلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل .... قال بعض أهل الإيمان : يكفيك من العقل أن يعرفك صدق الرسول ومعاني كلامه ، ثم يخلي بينك وبينه . وقال آخر : العقل سلطان ، ولّى الرسول ثم عزل نفسه .

ولأن العقل دل على أن الرسول يجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر "(٣) فتصديقاً للعقل بما أوجب تصديقه ، نقدم النقل ـ الذي أوجب العقل تصديقه ـ

فالعقل دال على صدق النقل وموافق له ، فالنقل الأساس والعقل يوافقه بلا التباس ، والعقل إن لم يعلم النقل لا يصل إليه ولا يقاربه ، وإن علمه وافقه ودان له ، وا لله أعلم .

---

(١) شرح الطحاوية (ص : ٤٥٠ ـ ٤٥١) .

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣ / ٣٣٩) .

(٣) مختصر الصواعق (١ / ١٠٢) .

المبحث الثاني

عدم التأويل

إن من منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم في تعاملهم مع النصوص أنهم يمرونها كما جاءت بلا تأويل لها ، فلا يحملونها ما لا تحتمل ، ولا يضعونها في غير موضعها الذي أنزلت فيه وأنزلت من أجله .

وأما التأويل فهو ديدن الشاكين المرتابين قاصري العلم والعقل ، فلا يسعفهم عقلهم لتحمل معنى النص ، ولايرشدهم فهمهم لمعناه الصحيح ، وهكذا يردون كل ما قصر عقلهم عن دركه، بالتأويل والنفي والتضعيف وغيره .

وقبل الشروع في الكلام عن منهج السلف في هذه القضية لابد من تعريف التأويل وما هو التأويل المذموم الذي نتكلم عنه وما هو التأويل الممدوح والمحمود الذي يسوغ والله الموفق .

أولاً : تعريف التأويل لغة وإصطلاحاً .

أ ـ تعريف التأويل لغة :

التأويل : هو تفعيل من آل يؤول إلى كذا إذا صار اليه ، فالتأويل التصيير وأولته تأويلاً إذا صيرته اليه(١) ، والتأويل ما يؤول اليه الشيء(٢) .

ويأتي التأويل بمعنى التفسير ، يقال : أول الكلام تأويلا وتأوله : دبره وقَدّره وفسرَه(٣) ، ومن أهل العلم من يجعل " التأويل والمعنى والتفسير واحدًا "(٤) .

ب ـ التأويل إصطلاحاً :

أما التأويل في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث ، فمرادهم به معنى التفسير والبيان ، ومنه قول ابن جرير وغيره القول في تأويل قوله تعالى كذا : كذا و كذا . يريد تفسيره . فهذا المعنى يرجع إلى فهم النص وتحصيله

---

(١) الصواعق المرسلة (١ / ١٧٥) .

(٢) مختار الصحاح (ص : ٣٣) .

(٣) انظر القاموس المحيط (ص : ١٢٤٤) .

(٤) انظر لسان العرب (١١ / ٣٣) وتفسير الطبري (٣ / ١٩٣) .

في الذهن(١) .

وأما التأويل في اصطلاح الأصوليين فهو : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح لدليل(٢) .

ثانياً : أنواع التأويل وحالاته :

علم مما تقدم أن التأويل في الاصطلاح نوعان : نوع يقصد به التفسير ، ونوع يقصد به صرف المعنى عن ظاهره المتبادر منه، وهذا الأخير ، له عند علماء الأصول ثلاث حالات :

الأولى : أن يصرف عن ظاهره المتبادر منه لدليل صحيح من كتاب أو سنة ، وهذا النوع من التأويل صحيح مقبول لا نزاع فيه ، ويسمى تأويلاً صحيحاً وقريباً ، ولا مانع منه إذا دل عليه النص .

الثانية : صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده المجتهد دليلاً وهو في نفس الأمر ليس بدليل ، فهذا يسمى تأويلا بعيداً ، ويقال له : فاسد .

الثالثة : حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل ، فهذا لا يسمى تأويلاً في الإصطلاح بل يسمى لعباً لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله تعالى ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾(٣) : قالوا : عائشة ، ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان ، كقولهم استوى بمعنى استولى ، فهذا لا يدخل في اسم التأويل ، لأنه لا دليل عليه ألبتة ، وإنما يسمى في اصطلاح أهل الأصول : لعباً . لأنه تلاعب بكتاب الله جل وعلا من غير دليل ولا مستند ، فهذا النوع لا يجوز ، لأنه تهجم على كلام رب العالمين ، والقاعدة المعروفة عند علماء السلف ، أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله ولا سنة رسوله عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجب الرجوع إليه(٤) .

---

(١) انظر الصواعق المرسلة (١ / ١٧٨) وانظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي (ص : ١٨)

(٢) انظر منهج ودراسات (ص : ١٨) .

(٣) سورة البقرة ، آية / ٦٧ .

(٤) انظر منهج ودراسات (ص : ١٨ - ١٩) .

والمعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين يريدون بالتأويل هذا النوع الأخير وهو صرف النص عن ظاهره ، وحقيقته إلى مجازه - المزعوم - وما يخالف ظاهره(١) .

وهذا التأويل هو الذي صنف في تسويغه وإبطاله من الجانبين ، فصنف جماعة في تأويل آيات الصفات وأخبارها ، كأبي بكر بن فورك(٢) . وعارضهم آخرون من أهل السنة فصنفوا في إبطال التأويلات وذمها كالقاضي أبي يعلى(٣) ، وابن قدامة المقدسي وابن القيم في الصواعق ، وهذا النوع هو الذي حُكي عن السلف إجماعهم على ذمه وعلى عدم القول به(٤) .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى عشرة أنواع من هذا التأويل ، وأغلبها يدور حول عدم وجود المعنى في اللغة إما بمبنى الكلمة أو تركيبها أو سياقها أو مألوفها من حيث اللغة ... الخ(٥)

ثالثاً - ذم السلف للتأويل وإجماعهم على منعه (٦) :

لقد كان السلف بادىء الأمر لا يعلمون التأويل (٦) ولا يسمعون به وكانوا يقرؤون القرآن ويفهمونه دون تعسف أو تنطع ، فطرهم سليمة وعقائدهم متينة ، حتى ظهرت فتنة الجهمية وظهرت معها فتنة التأويل ، ورد الصفات ، فاحتاج السلف أن يردوا عليهم فتنتهم التي تولى كبرها الجهم بن صفوان ،

---

(١) انظر الصواعق (١ / ١٧٨) .

(٢) هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر الشافعي ، أكثر من التصنيف وكان رأساً من رؤوس الأشاعرة ، أضر بكثير من العلماء منهم البيهقي والقاضي عياض ، من أشهر كتبه " تأويل مشكل الحديث " أتى على أحاديث الصفات وأولها ، وهذا الكتاب عمدة المتأخرين من المؤولين غفر الله لصاحبه وعفا عنه ت ٤٠٦ هـ . انظر ترجمته : طبقات الشافعية للسبكي (٤ / ١٢٧) ووفيات الأعيان (٤ / ٢٧٢) .

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء القاضي ، أبو يعلى شيخ الحنابلة ، وممهد مذهبهم في الفروع ، سمع الحديث الكثير ، وقال ابن الجوزي عنه : وكان من سادات العلماء الثقات . وكان إماماً في الفقه ، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد ، من كتبه " إبطال التأويلات " ولد سنة ٣٨٠ هـ وتوفي سنة ٤٥٨ هـ ، انظر البداية والنهاية (٢١ / ٩٤) ، والدر المنضّد (١ / ١٩٨ - ٢٠٠) .

(٤) انظر الصواعق المرسلة (١/ ١٨٠) .

(٥) انظر المصدر نفسه (١ / ١٨٧ - ٢٠١) .

(٦) أي التأويل المذموم الذي تقدم بيانه ، وليس الذي هو بمعنى التفسير .

وبشر المريسي(١) ، وابن أبي دؤاد(٢) ، وغيرهم ، ثم توالت طبقات المؤولين وازداد شرهم ، واستشرى خطرهم ، فانبرى لهم السلف الصالح والعلماء الربانيون يردون إفكهم ، ويردعون خطرهم ، فكانت مواقفهم مشهودة وأقوالهم مشهورة ، ومآثرهم مأثورة " لأن الملاحدة قد اعترضت على آي الكتاب بما أوقعت به الشبه والشكوك ، فلولا ما تفضل الله به من العلماء الذين أزالوه وميزوه ، وإلا كان الناس في حيرة ، وكذلك اعترضوا على الأخبار ، ورد عليهم السلف الأخيار ، وكذلك فعلوا في أحاديث الصفات"(٣) . وقد حفظت لنا المصنفات أقوال ومناظرات كثير منهم ، وها أنا أذكر شيئاً قليلاً من أقوالهم في رد التأويل ورفضه وذمه ، وإجماعَهم على ذلك .

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى رحمة واسعة : " كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله ـ تعالى ذكره ـ فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته "(٤) .

قال ابن تيمية رحمه الله : " حكى شهرة القول في زمان التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش ، وبصفاته السمعية . وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف هذا "(٥) .

---

(١) هو بشر بن غياث المريسي ، مبتدع ضال تفقه على أبي يوسف فبرع وأتقن علم الكلام ، ثم جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه ولم يدرك الجهم بن صفوان ، إنما أخذ مقالته واحتج لها ودعا اليها ، كان والده يهودياً قصاباً صباغاً ، حكي عنه أقوال شنيعة كفره أكثر أهل العلم لأجلها ت ٢١٨ هـ .
انظر ترجمته : ميزان الأعتدال (١ / ٣٢٢) والبداية والنهاية (١٠ / ٢٨١) .

(٢) أحمد بن أبي دؤاد الإيادي القاضي ، الجهمي ، المعتزلي ، ولي القضاء للمعتصم ثم للواثق وكان موصوفاً بالسخاء وحسن الخلق والأدب ، ولكن الله أحبط منزلته لعدائه أهل السنة والجماعة وإمامهم أحمد بن حنبل ، وكان هو من أسباب المحنة الكبار ، توفي سنة ٢٤٠ هـ ، انظر ترجمته : البداية والنهاية (١٠ / ٣١٩) ، واللسان (١ / ١٧١) .

(٣) المختار من أصول السنة (ص : ١٣٥ ـ ١٣٦) .

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٠٤ رقم ٨٦٥) ومن طريقه الذهبي في تذكرة الحفاظ (١ / ١٨١ ـ ١٨٢) وصححه كل من ابن تيمية في الحموية (ص : ٧٥) والذهبي في التذكرة وابن القيم في إجتماع الجيوش (ص : ١٣١) . وقال الحافظ في الفتح (١٣ / ٤١٧) : " بسند جيد " .

(٥) الفتوى الحموية (ص : ٧٦) .

فهذا الأثر فيه أمور :

١ - إجماع التابعين والسلف على الإيمان بالأسماء والصفات الواردة في السنة وعدم تأويلها .

٢ - الإيمان بفوقية الله تعالى على عرشه .

٣ - وأنه كان أمراً مشهوراً بينهم يقولون به ، لا كما يظن اليوم أن الكلام في الصفات وإثباتها كما جاءت بدعة لا داعي له أو أنه يفرق أو أنه يشكك أو ... أو .

٤ - أن السلف الأوائل أطلقوا اسم الصفة على الله عز وجل . والله أعلم .

والأوزاعي قد أخذ علمه عن علماء عصره وهو ينقل موافقتهم ، وينقل عدم تأويلهم فيقول: سئل مكحول(١) والزهري عن تفسير الأحاديث فقال : أمروها كما جاءت من غير كيف(٢) .

وها هنا يتفق معهم - مع أنهم موزعون في بقاع الأرض - فعن الوليد بن مسلم(٣) قال : سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والأوزاعي : عن الأخبار التي جاءت في الصفات ، فقالوا : امروها كما جاءت ، وفي رواية ، فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف "(٤) .

---

(١) هو الإمام الحافظ عالم الديار الشامية مكحول بن أبي مسلم الهذلي أبو عبد الله التابعي الفقيه مولى امرأة من هذيل ، أصله من كابل ، جاب الأرض في طلب العلم ، قال الزهري : العلماء ثلاثة فذكر منهم مكحولاً. أ . هـ . توفى سنة ١١٣ هـ وقيل ١١٢ هـ وقيل غير ذلك .
انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ (١ / ١٠٧) والبداية والنهاية (٩ / ٣٠٥) .

(٢) رواه الخلال في السنة (الحموية ص : ٧٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢ / ٩٦)والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٧٧ رقم ٩٥٤) واللالكائي (٣ / ٤٣١ رقم ٧٣٥) وقوام السنة (١ / ١٩٢) وابن قدامة في ذم التأويل (ص : ١٨) وصححه الذهبي في الأربعين (ص : ٨٢) .

(٣) الوليد بن مسلم الإمام الحافظ عالم أهل دمشق أبو العباس الأموي مولاهم الدمشقي ، قال أحمد بن حنبل ما رأيت في الشاميين أعقل منه ، وكذا قال ابن المديني ، صنف التصانيف فأكثر ، وعُني بالأحاديث والسنة أتم عناية وحفظ المغازي والتواريخ ، ولد سنة ١١٩ هـ توفي سنة ١٩٥ هـ .
انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ (١ / ٣٠٢ - ٣٠٤) وميزان الإعتدال (٤ / ٣٤٧) .

(٤) رواه الخلال في السنة (ذم التأويل ص : ٢٠ ، والحموية ص : ٧٦) والدارقطني في الصفات (ص : ٧٥ رقم ٦٧) والآجري في الشريعة (ص : ٣١٤) وابن مندة في التوحيد (٣ / ١١٥ رقم ٥٢٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٧٧ رقم ٩٥٥) وفي الإعتقاد (ص : ٤٤) واللالكائي (٣ / ٥٢٧ رقم ٩٣٠) --

فقد اتفق ائمة الدنيا في زمانهم - في عصر تابعي التابعين - وهم :" مالك " إمام الحجاز و" الأوزاعي " إمام أهل الشام ، و" الليث " إمام أهل مصر ، و " الثوري " إمام أهل العراق - على عدم التأويل ، فقولهم رضي الله عنهم : " أمروها كما جاءت " رد على المعطلة ، وقولهم " بلا كيف " رد على الممثلة(١) .

وقال سفيان : " كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ، لا كيف ولامثل "(٢) وقيل لعبد الله بن لمبارك : يا أبا عبد الرحمن ، إني أكره الصفة - عنى صفة الرب جل وعز . فقال له عبد الله بن المبارك : أنا أشد الناس كراهة لذلك ، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء ، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه - ونحو هذا -(٣)

وعن سفيان بن عيينة قال : سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن(٤) عن قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾(٥) كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين ، وعلينا التصديق " (٦) .

--- والصابوني في عقيدة أهل السنةوالجماعة (١ / ١٢٠) المنيرية . وابن عبد البر في التمهيد (٧ / ١٤٩) والذهبي في العلو (ص : ١٠٥) وذكره في تذكرة الحفاظ (١ / ٣٠٤) .

(١) انظر الفتوى الحموية (ص : ٧٥ - ٧٦) .

(٢) رواه الدارقطني في الصفات (ص : ٧٠ رقم ٦١) ورواه اللالكائي (٣ / ٤٣١ رقم ٧٣٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ١٥٨ رقم ٧٢٥ وص ٣٠٧ رقم ٨٦٩ و ص : ٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ٩٠٦) من ثلاث طرق نحوه ، وصحح الحافظ في الفتح إحدى طرق البيهقي (١٣ / ٤١٨) .

(٣) رواه اللالكائي (٣ / ٤٣١ رقم ٧٣٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ١٥٩ رقم ٧٢٦) .

(٤) هو الإمام الحافظ الفقيه ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ أبو عثمان التيمي المدني الفقيه ، كان إماماً حافظاً فقيهاً مجتهداً مبصراً بالرأي يقال له : ربيعة الرأي ، وكان جواداً كريماً شجاعاً شهماً ، توفي سنة ١٣٦ هـ . انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ (١ / ١٥٧) والتقريب (ص : ٢٠٧) .

(٥) سورة طه ، آية / ٥ .

(٦) رواه الخلال في السنة (الحموية ص : ٧٨) واللالكائي (٣ / ٣٩٨ رقم ٦٦٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٠٦ رقم ٨٦٨) وابن قدامة في العلو (ص : ١٦٤ رقم ٧٤) والذهبي في العلو (ص : ٩٨) وقال ابن تيمية عن اسناد الخلال : " كلهم أئمة ثقات " وقال في مكان آخر : " ثابت " (٥ / ٣٦٥ مجموع الفتاوى) وصححه الألباني في مختصر العلو (ص : ١٣٢) .

كما روى مثل هذا عن مالك من طرق متعددة . أن رجلاً جاء فقال : " يا أبا عبد الله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء(١) . ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ما أراك إلا مبتدعاً . فأمر به فأخرج "(٢) .

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى : " من رأيتموه ينكر هذه الأحاديث فاحسبوه من الجهمية "(٣) .

وقال : " نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ، ولا نقول كيف هذا ؟ ولِمَ جاء هذا ؟ "(٤) .

وحكى الإجماع على ذلك محمد بن الحسن الشيباني فقيه العراق فقال :" اتفق الفقهاء من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن ، والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ، ولا تشبيه ، فمن فسر شيئاً من ذاك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفارق الجماعة ، ومن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة ، فإنه وصفه بصفة لا شيء "(٥) .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : وقد سُئل عن صفات الله : " لله أسماء وصفات لا يسع أحداً قامت عليه الحجة ردها ، لأن القرآن نزل بها . وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر ، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل ، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرويّة

---

(١) الرحضاء : عرق يغسل الجلد كثرة (القاموس المحيط ص : ٨٢٩) .

(٢) انظر تخريجه (ص : ٤٠٧) من قسم التحقيق وأزيد هنا . أنه رواه أيضاً البيهقي في الاعتقاد (ص : ٤٣) . وقال الذهبي (العلو ص : ١٠٤) (مختصر العلو : ١٤١) هذا ثابت عن مالك . ا . هـ . وقال الحافظ في الفتح (١٣ / ٤١٧) بسند جيد . وقال الألباني (مختصر العلو : ١٤١) قوي عنه .

(٣) رواه الدارقطني في الصفات (ص : ٧٠ رقم ٦٠) .

(٤) رواه الإمام عبد الله بن أحمد في السنة (٢٦٧/١ رقم ٤٩٥) ورواه الدارقطني في الصفات (ص : ٧١ رقم ٦٢) وصححه الألباني في مختصر العلو (ص : ١٦٩)

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول الأعتقاد (١ / ٤٣٢ ـ ٤٣٣ رقم ٧٤٠) ومن طريقه ابن قدامة في ذم التأويل (ص : ١٣ - ١٤) .

والفكر "(١) .

وبالجملة ذم التأويل عن السلف والإعراض عنه معروف مشهور وهم مجمعون عليه ، وإنما تركز رد الأئمة حول أحاديث الصفات لعموم الفتنة التي حصلت في زمنهم ، وإذا كان التأويل مذموماً ومستنكراً في الصفات فهو في بقية الأبواب أولى والله أعلم .

وهذه نصوص عامة في مذهب أهل السنة مع الكتاب والسنة .

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي(٢) في كتابه اعتقاد أئمة الحديث : " اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث ، أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى ، وصحت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا معدل عن ما ورد به ولا سبيل إلى رده إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة ، مضموناً لهم الهدى فيهما ، مشهوداً لهم بأن نبيهم صلى الله عليه وسلم يهدي إلى صراط مستقيم ، محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم "(٣) .

وقال ابن عبد البر : " ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فهو علم يدان به ، وما أحدث بعدهم و لم يكن له أصل فيما جاء عنهم فبدعة وضلالة ، وما جاء في أسماء الله وصفاته سُلّم له و لم يناظر فيه كما لم يناظروا فيه "(٤) .

وقال أيضاً : " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج ، فكلهم ينكرها ،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي (الفتح ١٣ / ٤١٨) ، وابن قدامة في العلو (ص : ١٨١ رقم ٩٣) وانظر (ص : ٤١١) من قسم التحقيق .

(٢) الحافظ الكبير الرحال الجوّال أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن العباس الجرجاني أبو بكر الاسماعيلي الشافعي إمام أهل جرجان والمرجوع إليه في الحديث والفقه طاف البلاد ولقي الشيوخ وصنف واستخرج ، من مصنفاته المستخرج على الصحيح ، والمعجم وغيرها ، ولد سنة ٢٧٧ هـ وتوفي ٣٧١ هـ . انظر ترجمته : السير (١٦ / ٢٩٢) والبداية والنهاية (١١ / ٢٩٨) .

(٣) اعتقاد أئمة الحديث (ص : ٤٩) .

(٤) ذم التأويل لابن قدامة (ص : ٢١) .

ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة والحمد للّه "(١) .

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي(٢) في عقيدته واصفاً السلف الصالح : " فآمنوا بما قال سبحانه في كتابه وصح عن نبيه وأمَرّوه كما ورد من غير تعرض لكيفية أو اعتقاد شبهة أو مثلية ، أو تأويل يؤدي إلى التعطيل ، ووسعتهم السنة المحمدية والطريقة المرضية و لم يتعدوها إلى البدعة المردية الرديّة ، فحازوا بذلك الرتبة السنية والمنزلة العلية "(٣) .

وقال ابن تيمية عن السلف : " قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ، ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها ، التي مضمونها تعطيل النصوص على ما دلت عليه ، ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية منها ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك ، وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات : " تمر كما جاءت " في أحاديث الوعيد مثل قوله " من غشنا فليس منا " وأحاديث الفضائل ، ومقصوده بذلك أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمي تحريفه تأويلاً بالعرف المتأخر فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل ... "(٤) .

فهذه هي عبارات الأئمة المتقدمين في ذمهم للتأويل مطلقاً ولتأويل الأسماء والصفات خاصة

---

(١) التمهيد (٧ / ٢٤٥) .

(٢) هو الإمام الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور بن رافع المقدسي الجَمَّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي ولد سنة ٥٤١ هـ بجمّاعيل ، رحل في طلب العلم فصار حافظاً من حفظة عصره ، وكان عابداً متفقهاً ، وقد ابتلي بأذى أهل البدع ، وكان رفيق ابن قدامة (صاحب المغني) في الرحلة . له مؤلفات كثيرة من أهمها : كتاب الكمال في أسماء رجال الكتب الستة وهو أصل تهذيب الكمال ، وكتاب النصيحة في الأدعية الصحيحة ، والعمدة في أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان ، وعقيدته ، وكتب كثيرة غيرها ، توفي رحمه الله سنة ٦٠٠ هـ . انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ (٤ / ١٣٧٢) والبداية والنهاية (٣١ / ٣٨ - ٣٩) .

(٣) عقيدة الحافظ المقدسي (ص : ٣٩) .

(٤) الإكليل في المتشابه والتأويل (ص : ٣٣) . وانظر كلام الزهري في ذلك (الحلية ٣ / ٣٦٩)

وفيها التسليم والإذعان للكتاب والسنة ، والآثار المروية عنهم في هذا الشأن كثيرة جداً لاتحصيها هذه السطور . " فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرنا عنهم وكذلك أهل كل عصر بعدهم ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة .

والإجماع حجة قاطعة ، فإن الله لا يجمع أمة محمد عليه السلام على ضلالة ومن بعدهم من الأئمة قد صرحوا بالنهي عن التفسير والتأويل وأمروا بإمرار هذه الأخبار كما جاءت (*) ، وقد نقلنا إجماعهم عليه فيجب اتباعه ويحرم خلافه ، ولأن تأويل هذه الصفات لا يخلو إما أن يكون علمه النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وعلماء الصحابة أو لم يعلموه ، فإن لم يكونوا علموه فكيف يجوز أن يعلمه غيرهم ، وهل يجوز أن يكون قد خبأ عنهم علماً وخبأ للمتكلمين لفضل عندهم ؟ ! ؟

وإن كانوا قد علموه ووسعهم السكوت عنه وسعنا ما وسعهم ، ولا وسّع الله على من لم يسعه ما وسعهم ، ولأن هذا التأويل لا يخلو من أن يكون داخلاً في عقد الدين بحيث لا يكمل إلا به أوليس بداخل ، فمن ادعى أنه داخل في عقد الدين لا يكمل إلا به فيقال له : هل كان الله تعالى صادقاً في قوله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾(١) قبل التأويل ؟ أو أنت الصادق في أنه كان ناقصاً حتى أكملته أنت ؟ ولأنه إن كان داخلا في عقد الدين و لم يقبله (**) النبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه وجب إن يكونوا قد أخلوا ، ودينهم ناقص ، ودين هذا المتأول كمل ، ولا يقول هذا مسلم ، ولأنه إن كان داخلاً في عقد الدين و لم يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم أمته فقد خانهم وكتم عنهم دينهم و لم يقبل أمر ربه في قوله : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾(٢) وقوله : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾(٣) ويكون النبي صلى الله عليه وسلم ومن شهد له بالبلاغ غير صادق ، وهذا كفرٌ بالله تعالى ورسوله "(٤) أ . هـ .

نعوذ بالله من حال المؤولين ونسأله سبحانه الثبات على الدين القويم كتاب الله وسنة سيد المرسلين ، آمين .

(*) أي باثباتها بلا تأويل .

(**) وفي نسخة : يقله

(١) سورة المائدة ، آية / ٣ .

(٢) سورة المائدة ، آية / ٦٧ .

(٣) سورة الحجر ، آية / ٩٤ .

(٤) ذم التأويل لابن قدامة المقدسي (ص : ٤٠ - ٤١) .

المبحث الثالث

عدم تفريق السلف بين الكتاب والسنة وبين الآحاد والمتواتر

في الاحتجاج في باب العقيدة

تقدم معنا أن من أصول مذهب السلف عدم التأويل ، وعدم تقديم العقل على النقل . وذلك حفاظا على الكتاب والسنة من أن يتلاعب بهما ويعتدى عليهما ، وهنا أصل ثالث من أصول السلف وهو عدم تفريقهم في الاستدلال بين الكتاب والسنة ، وبين الآحاد والمتواتر ، وذلك أن أهل الأهواء والبدع تقضي عليهم كثير من النصوص الحديثية التي تخالف عقولهم وهواهم ، فلا مهرب من هذه النصوص الثابتة الواضحة إلا بإحدى طريقتين ، أو بهما معاً ، إما بالتأويل - وقد سبق بيان ذكره - وإما بالرد ، بدعوى أن هذه أخبار آحاد لا تفيد العلم . والاعتقاد لا يثبت إلا بعلم ويقين .

وسوف أتكلم إن شاء الله في هذا البحث عن أمرين أساسيين هما :

١ - عدم التفريق بين الكتاب والسنة في الاستدلال .

٢ - عدم التفريق بين نصوص السنة آحادها ومتواترها .

<u>المطلب الأول</u> : عدم تفريق السلف في الاستدلال بين الكتاب والسنة .

إن السلف لم يفرقوا في الاستدلال بين الكتاب والسنة لأن الله تعالى لم يفرق بينهما ، بل أمر بالرجوع إلى السنة كما أمر بالرجوع إلى الكتاب ، وسمى السنة وحياً وأمر باتباع الوحي المنزل من عنده .

وامتثال الرجوع إلى الكتاب والسنة مجمع عليه من أهل العلم ، لا يختلف فيه اثنان . إلا أنه أخيراً ظهرت فكرة خاطئة ، تدعو إلى عدم الاحتجاج بالسنة لاحتمال تغيرها بالرواة والنساخ ونوائب الدهر . والاحتجاج على السنة بكونها حجة لنا كنا مستغنين عنه - لمعرفة هذا الأمر بالضرورة - لولا أن نبتت هذه النابتة ، فلذلك لابد من عرض لبعض الآيات والأحاديث ، التي تبين أهمية السنة وضرورة الإهتمام بها وأنه لا يجوز الاستغناء عنها بحال .

فأما المنكرون لحجية السنة فبيننا وبينهم كتاب الله ، الذي يبين أن السنة تابعة للوحي واجب الرجوع إليها . وأهل الأهواء قد وقفوا على هذه الآيات وأولوها وصرفوا معناها بأساليب

مفضوحة ، لأنهم يعلمون أنهم إن أقروا بها سوف تقضي على مذهبهم العاطل ، فلذلك لا غرابة أن ينكر منكرو السنة دلالة الكتاب على حجية السنة ، فمن بابٍ أولى أن ينكروا حجية السنة على وجوب الأخذ بها .

أولا : دلالة الكتاب على وجوب الأخذ بالسنة .

قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾(١) ، وقال عز من قائل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾(٢) . قال ميمون بن مهران(٣) : " الرد إلى الله : إلى كتابه والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم – إن قبض – : إلى سنته " وقال : ﴿ فردوه إلى الله ﴾ : إلى كتابه ، ﴿ وإلى الرسول ﴾ ما دام حياً ، فإذا مات فإلى سنته(٤) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يُطع الله ورسوله يدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾(٥) وقال سبحانه : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾(٦) ، وقال ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾(٧)

---

(١) سورة آل عمران ، آية / ٣١ .

(٢) سورة النساء ، آية / ٥٩ .

(٣) الامام القدوة ميمون بن مهران الرقي الجزري التابعي ، أبو أيوب عالم أهل الجزيرة اعتقته امرأة بالكوفة ، ونشأ بها وولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، وكان رجلاً فاضلاً ثقة إماماً ، وكان أحد العلماء الكبار في خلافة هشام بن عبد الملك روى له الجماعة ، توفي سنة ١٢٧ هـ ، وكان من أبناء الثمانين رحمه الله ، انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ (١ / ٩٨ - ٩٩) . والتقريب (ص : ٥٥٦) .

(٤) رواه ابن جرير (٥ / ٩٦) وابن بطة في الإبانة (١ / ٢١٧ – ٢١٨ رقم ٥٨ – ٥٩ و ١ / ٢٥١ – ٢٥٢ رقم ٨٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢ / ١٨٧) واللالكائي (١ / ٧٢ - ٧٣ رقم ٧٦) .

(٥) سورة النساء ، آية / ١٣ .

(٦) سورة النساء ، آية / ١٠٥ .

(٧) المائدة ، آية / ٩٢ .

وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾(1) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾(2)

فهذه الآيات تدل على وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها فرض ... وهي من طاعة الله عز وجل ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾(3) ، وقال جل ثناؤه : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾(4) .

وفرض على الخلق أجمعين طاعة رسوله ، وقرن ذلك بطاعته ، ومتصلاً بعبادته ونهى عن مخالفته بالتهديد ، وتوعد عليه بأغلظ الوعيد في آيات كثيرة من كتابه ، فقال تعالى : ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين * وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾(5) ، وقال : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾(6) ، وقال ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾(7) ، وقال : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾(8) ، وقال : ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى ﴾(9) ، وقال : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه

---

(1) سورة الأنفال ، آية / 1 .

(2) سورة الأنفال ، آية / 24 .

(3) سورة النساء ، آية / 80 .

(4) سورة النحل ، آية / 44 .

(5) سورة آل عمران ، آية / 131 - 132 .

(6) سورة آل عمران ، آية / 32 .

(7) سورة النساء ، آية / 65 .

(8) سورة النساء ، آية / 69 .

(9) سورة النجم ، آية / 1 - 5 .

فانتهوا ﴾(١) . والآيات في هذا كثيرة جداً .

ثانياً : دلالة السنة على وجوب الأخذ بها .

وأما الأحاديث في ذلك فهي كثيرة ، منها :

١ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته(٢) يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه »(٣) .

٢ ـ عن المقدام بن مَعَديْ كَرِب(٤) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجلٌ شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » . الحديث(٥) .

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال : « يا أيها الناس : إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ،

---

(١) سورة الحشر ، آية / ٧ .

(٢) الأريكة : هي السرير . انظر معالم السنن للخطابي (٥ / ١٠ ، حاشية سنن أبي داود) .

(٣) أخرجه أحمد (٦ / ٨) وأبو داود (السنة ـ باب في لزوم السنة ٥ / ١٢ رقم ٤٦٠٥) والترمذي (العلم ـ باب ما نهى أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم ـ ٥ / ٣٦ رقم ٢٦٦٣) وصححه وابن ماجه (المقدمة ١ / ٦ رقم ١٣) وابن حبان (رقم ٩٨ ـ موارد) والحاكم (١ / ١٠٨ ـ ١٠٩) وصححه ووافقه الذهبي ورواه غيرهم كثير .

(٤) المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرب أبوكريمة ويقال : أبو يحيى الكندي ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث ، وهو أحد الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كندة ، ويعد في أهل الشام ، وبها مات سنة ٨٧ هـ وقيل غير ذلك . انظر ترجمته : الاستيعاب (١٠ / ٢٦٨) وأسد الغابة (٥ / ٢٥٤) والاصابة (٩ / ٢٧٤) .

تنبيه : وقع في الاصابة : المقداد بدل المقدام ، وهو تصحيف ، والله أعلم .

(٥) رواه أحمد (٤ / ١٣٠ ـ ١٣١) وأبو داود (السنة ـ باب في لزوم السنة ـ ٥ / ١٠ رقم ٤٦٠٤) وعنه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١ / ٨٩) ورواه أيضاً في الكفاية (ص : ٨) وابن حبان (رقم ٩٧ ـ موارد) وابن بطة في الإبانة (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣١ رقم ٦٢ـ ٦٣) وابن نصر في السنة (رقم ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤) والحديث صحيح ، صححه البيهقي (مفتاح الجنة ص : ٢٣) .

كتاب الله وسنتي »(١) .

٤ ـ وقال صلى الله عليه وسلم : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد حبشي ، كأنَّ رأسه زبيبةٌ ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »(٢) .

والأحاديث في الباب كثيرة جداً(٣) .

ثالثاً : الآثار الواردة عن السلف الصالح .

أما الآثار عن السلف في اتباع السنة فكثيرة أيضاً ، وسيأتي شيء منها في المطلب الثاني إن شاء الله تعالى .

المطلب الثاني : عدم تفريق السلف رحمهم الله بين المتواتر والآحاد من السنة النبوية الثابتة .

إن " الناظر في كلام سلفنا الصالح ، يعلم أنهم كانوا يثبتون العقائد بنصوص القرآن والحديث ، لا يفرقون بين المتواتر والآحاد ، ولا يفرقون في الاحتجاج بين العقائد والأحكام ، و لم يُعرف أحدٌ خالف في هذا من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، ولا من الأئمة المرضيين ، أمثال الأئمة الأربعة . وكان السلف الصالح ، وما يزال أتباعهم ينكرون أشد الإنكار على الذين يرغبون إلى ترك الأحاديث والنصوص والاحتكام إلى العقل ، ويسفهون من قال بذلك "(٤) .

وها أنا أذكر أقوال السلف ـ في بيان منهجهم ـ في اتباع السنن والحفاظ عليها ، وأن هذا هو دأبهم وطريقتهم ، وأنهم قبلوا دينهم كله ، عقائده وأحكامه من الكتاب والسنة الثابتة ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٩٣) وعنه البيهقي في سننه (١٠ / ١١٤) وأخرجه ابن حزم في الإحكام (٦ / ٨٠٩ ـ ٨١٠) عن ابن عبد البر . وحسن إسناده البدر (ص : ٢٤ مفتاح الجنة) .

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ١٢٦ و ١٢٧) وأبو داود (السنة ـ باب في لزوم السنة ـ ٥/ ١٣ ـ ١٤ رقم ٤٦٠٧) والترمذي (العلم ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ـ ٥ / ٤٣ رقم ٢٦٧٦) وصححه ، وابن ماجه (المقدمة ـ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ـ ١ / ١٥ ـ ١٦ رقم ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) وغيرهم كثير ، صححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١ / ١٣) .

(٣) وقد جمع فيها الحافظ السيوطي كتاباً سماه " مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة " .

(٤) أصل الاعتقاد للأشقر (ص : ١١) .

وأنهم لم يفرقوا في الاستدلال لذلك بين الكتاب والسنة ، فكل ذلك عندهم سواء(١) ، ولم يفرقوا في الاستدلال بين السنة ـ آحادها ومتواترها ـ بل التفريق بين الآحاد والمتواتر في الحجية ـ وأن الآحاد يؤخذ به في الأحكام دون العقائد ـ أمر مخترع جديد لم يعرفه السلف الأوائل ، وكل ذلك حجة عندهم إن ثبت ، ونحن وإن قسمنا السنة إلى آحاد ومتواتر فإنما نستعمل هذا التقسيم لضبط النصوص ، وتمييز مراتبها وقوتها ، ولا نستعمله لرد ما لم يوافق هوانا كما يفعل أهل البدع والأهواء . وقبل الانتقال إلى كلام الأئمة رحمهم الله في بيان منهجهم ، يحسن أن نقدم بين يدي الموضوع تعريفا وجيزا يبين الآحاد والمتواتر .

أولاً : تعريف المتواتر :

أ ـ تعريف المتواتر لغة : التواتر : التتابع ، يقال : تواتر الشيء إذا جاء بعضه إثر بعض وتراً من غير أن ينقطع(٢) .

ب ـ تعريف المتواتر اصطلاحاً : " كل حديث نقله جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة عن مثلهم من أول السند إلى آخره "(٣) .

ثانياً : تعريف الآحاد :

أ ـ الآحاد لغة : جمع واحد ، وخبر الواحد في اللغة : ما يرويه شخص واحد(٤) .

ب ـ اصطلاحاً :"ما لم يجمع شروط التواتر سواء كان من راوية شخص واحد أو أكثر"(٥) .

ثالثاً : حكم المتواتر والآحاد وما يفيد كل واحد منهما

أ ـ التواتر :

١ ـ حكمه : قال الحافظ ابن حجر : " والمتواتر لا يبحث عن رجاله بل يجب العمل به من غير بحث "(٦) .

---

(١) انظر مختصر الصواعق (٢ / ٦١٣) .

(٢) انظر : مختار الصحاح (ص : ٧٠٨) والقاموس المحيط (ص : ٦٣١) .

(٣) يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر (ص : ١٣) .

(٤) انظر القاموس المحيط (ص : ٣٣٨) ونزهة النظر (ص : ١٩) .

(٥) نزهة النظر (ص : ١٩) والفتح (١٣ / ٣٣) .

(٦) نزهة النظر (ص : ١٢) .

٢ ـ إفادته : وقال الحافظ أيضاً : " المعتمد أن الخبرالمتواتر يفيد العلم (اليقيني) الضروري "(١) .

ب : خبر الواحد :

١ ـ حكمه : يجب العمل به إن صح بالإجماع ـ عند أهل السنة والجماعة ـ وخالف المعتزلة والخوارج والرافضة وبعض من لا يعتد بقوله(٢) .

٢ ـ إفادته : اختلف العلماء حول إفادة خبر الواحد هل يفيد العلم النظري أو الظن ولهم كلام يطول ليس هنا مكان بسطه ، وإجماع المتقدمين على أنه يفيد العلم إذا احتفت به القرائن وتلقته الأمة بالقبول ، وهو قول جمهور المتأخرين(٣) ، والحديث إذا أفاد العلم وجب الايمان بما فيه .

قال ابن القيم : خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه فتارة يجزم بكذبه لقيام دليل كذبه ، وتارة يظن كذبه إذا كان دليل كذبه ظنياً ، وتارة يتوقف فيه ولا يترجح صدقه ولا كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما ، وتارة يترجح صدقه ولا يجزم به ، وتارة يجزم بصدقه جزماً لا يبقى معه شك ؛ فليس خبر كل واحد يفيد العلم ولا الظن ولا يجوز أن ينفى عن خبر الواحد مطلقاً أنه يُحصّل العلم ، فلا وجه لإقامة الدليل على أن خبر الواحد لا يفيد العلم وإلا اجتمع النقيضان بل نقول : خبر الواحد يفيد العلم في مواضع ثم ذكرها(٤) .

وتقدم أن قول الجمهور بأنه يفيد العلم إذا احتفت به القرائن وتلقي بالقبول حتى إن كثيراً ممن يقول تفيد الظن فإنهم يقبلونها في الأحكام والعقائد لأنها عندهم تفيد الظن الراجح . لكن بعض أهل الكلام وخصوصاً المتأخرين منهم وتبعهم بعض الأصوليين(٥) يردون أحاديث الآحاد في العقائد لا لشيء إلا لأنها تخالف ما يهوون بدعوى أنها تخالف العقل ولا تفيد الظن ، وانتشرت هذه المقالة حتى اعتنقها الكثيرون جهلاً أو اغتراراً .

---

(١) المصدر نفسه (ص : ١١) .

(٢) انظر شرح النخبة لملا علي قاري (ص : ٣٧) .

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣ / ٣٥١) ومختصر الصواعق (٢ / ٥٨٢) .

(٤) مختصر الصواعق (٢ / ٧٥١) .

(٥) انظر المصدر نفسه (٢ / ٥٧٣) .

جمعة

ومن التناقض أن كثيراً ممن ينكر/أحاديث الآحاد ولا يقبلها في العقائد ، تجده يعتمد الكشف في تلقي العلوم ، وتجده يقبل أحاديث ضعيفة بل قد تكون موضوعة لإثبات عقيدة أو إبطال أخرى أو يؤمن بالمغيبات السابقات ، أو المستقبلة وأمور الآخرة ، أو غيرها مما لا يعلم إلا بالنصوص الثابتة ، فتجده يؤمن بالاسرائيليات ، وبروايات ضعيفات واهيات ، أو ليست بالمرفوعات ، فهذا على سبيل المثال : إبراهيم البيجوري يؤمن بكل خرافة ترد عن أصحاب القبور والمشاهد ، ويؤمن بكل ما يؤيد مذهبه ، وأما إذا جاء حديث صحيح يخالف هواه ردّه أو أوَّله وَلَوَاه ، فها هو تجده يضعف حديث أن والد الرسول صلى الله عليه وسلم في النار(١) لأنه حديث آحاد ويثبت له ولزوجه آمنة الإيمان وذلك بعد أن أحياهما الله تعالى ، وفي هذا الأمر الأخير حديث ضعيف بل منكر(٢) ، فانظر التناقض عند أهل البدع حيث رد الصحيح الثابت وأثبت الضعيف الواهي ، وهكذا دأب أهل البدع والأهواء(٣) . " ولا ميزان عند هؤلاء

---

(١) رواه مسلم (الإيمان ــ باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين - ١ / ١٩١ رقم ٢٠٣) .

(٢) حديث احياء أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ذكره السهيلي في الروض الأنف (٢ / ١٨٧) وقال : " في اسناده مجهولون " ، وقال ابن كثير : " إنه حديث منكر جداً " ، وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى ، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم . ا . هـ . البداية والنهاية (٢ / ٢٨١) .

وأما حديث إحياء آمنة والدة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرواه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ (ص : ٤٨٩ - ٤٩٠ رقم ٦٥٦) والدارقطني في غرائب مالك (أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم ص : ٤١٤) ورواه الخطيب في السابق واللاحق (انظر ص : ٣٧٧) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤) ومن طريق الخطيب أيضاً الجورقاني في الأباطيل (١/ ٢٢٣ – ٢٢٤) وابن عساكر في غرائب مالك (أدلة المعتقد ص : ٤١٤) قال ابن الجوزي : موضوع بلا شك . وقال الجورقاني : باطل ، وقال الحافظ ابن دحية : موضوع يرده القرآن والاجماع، وقال ملا علي قاري : ضعيف باتفاق المحدثين كما اعترف به السيوطي . ثم قال : إنه من وضع الرافضة ونسبوه إلى عائشة ليبعدوا الشبهة . انظر أدلة معتقد أبي حنيفة (ص : ٤١٥ - ٤١٦) . وانظر أيضاً كلام ابن الجوزي في الموضوعات حول هذا الحديث وتعليقات الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي على الأباطيل للجورقاني ، فإنه مهم .

(٣) رد عبد الله محمد الصديق الغماري على السخاوي في المقاصد الحسنة (ص : ٢٥) قوله : " والذي أراه الكف عن التعرض لهذا نفياً وإثباتاً " قال الغماري: كلا بل نجزم بنجاتهما يوم القيامة لعدة وجوه ودلائل—

إلا هواه لا غير ، وما يخالف هواه لا يبالي به ولو كان في الصحيحين عن جماعة من الصحابة ، ويحتج بما يحلو له من الروايات في أي كتاب وجد وفيما يحتج به الواهي والساقط والموضوع "(١) .

الأدلة على وجوب الأخذ بخبر الواحد وبيان أنه لا فرق بين الآحاد والمتواتر في ذلك :

بعد أن تبين مما سبق معرفة حديث الآحاد والمتواتر ، وحكم كل واحد منهما وإفادتهما ، نبدأ بعون الله بتوضيح مسألة الأخذ بخبر الواحد ووجوبه وأنه لا فرق في الاستدلال بينه وبين المتواتر (*) .

أولاً : من أدلة الكتاب .

الدليل الأول : عقد البخاري رحمه الله تعالى كتاباً في صحيحه سماه أخبار الآحاد ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾(٢) قال : ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾(٣) فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية . أ . هـ .(٤) .

فتعليم الناس الدين يكون من فرادى الناس وجماعاتهم ويكون في العقيدة والعبادة إذ لا يعقل أن يعلم العلماء الدين دون عقيدة ، وإلا لما كان ديناً يدان به رب العالمين .

الدليل الثاني : واستدل البخاري رحمه الله تعالى بقوله تعالى : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾(٥) . ووجه الدلالة أنه إذا كان عدلاً صادقاً غير فاسق فلا يتبين بل يصدق بما أخبر .

--بينها السيوطي في رسائله في هذا الموضوع بياناً شافياً أزال كل شبهة فرضي الله عنه وأرضاه ، أما علي القاري فله رسالة يؤكد فيها أنهما في النار ، وهي منه جرأة مذمومة . ا . هـ كلام الغماري .

كيف تكون جرأة مذمومة ، بل المذموم التقول على الله بلا علم بحديث ضعيف جداً ومنكر بل وموضوع هذا مع مخالفته للحديث الصحيح عند مسلم .

(١) الأنوار الكاشفة للمعلمي (ص : ٨٨) .

(٢) سورة التوبة ، آية / ١٢٢ .

(٣) سورة الحجرات ، آية / ٩ .

(٤) صحيح البخاري (أخبار الآحاد - باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق - ٣١ / ٢٤٤) .

(٥) سورة الحجرات ، آية / ٦ .

(*) ومما يجدر التنبيه عليه ، ان الذين يقبلون أحاديث التواتر ويردون الآحاد ، لا يقبلون ايضا مافي المتواتر من العقائد ، بل يؤولون ذلك ، لأن المتواتر عندهم قطعي الثبوت ظني الدلالة وكذلك الحال بالنسبة للقرآن ، فهم يؤولون ويحرفون كل نص يخالف عقولهم .

والله أعلم . قال ابن القيم : " وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد أنه لا يحتاج إلى التثبت ، ولوكان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم " . ا . هـ .[1] .

الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾[2] أي لا تتبعه ولا تعمل بـه ، و لم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها ويثبتـون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لا تفيد علماً لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهـم قد قفوا ما ليس لهم به علم .

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكـر إن كنتـم لا تعلمـون ﴾[3] فـأمر مـن لم يعلم أن يسأل أهل الذكر وهم أولـو الكتـاب والعلـم ، ولـولا أن أخبـارهم تفيـد العلـم لم يـأمر بسؤال من لا يفيد خبره علماً ، وهو سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقاً فلو كان واحداً لكان سؤاله وجوابه كافياً "[4] .

وأدلة الكتاب كثيرة جداً جداً ويكفي هؤلاء النفاة لحجية الخبر الواحد ذماً وقدحاً أن يكون لهم شبه بمن قال الله فيهم : ﴿ فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسُعُر ﴾[5] .

ثانياً : من أدلة السنة :

أما أدلة السنة فكثيرة أيضاً ، قد تقدم شيء منها عند الأمر بلزوم السنة وهنا زيادة بيان .

الدليل الأول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظهـا ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » الحديث[6].

---

(١) مختصر الصواعق (٢ / ٥٩٩) .

(٢) سورة الاسراء ، آية / ٣٦ .

(٣) سورة النحل ، آية / ٤٣ ، وسورة الأنبياء ، آية / ٧ .

(٤) انظر مختصر الصواعق المرسلة (٢ / ٦٠٠) .

(٥) سورة القمر ، آية ٢٤ .

(٦) حديث متواتر روي بألفاظ متعددة ، وأخرجه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنـه : أحمـد (٥ / ١٨٣) وأبو داود (العلم ـ باب فضل نشر العلم ـ ٤ / ٦٨ ـ ٦٩) والترمذي (العلم ـ باب ما جـاء في الحـث على تبليغ العلم ـ ٥ / ٣٣ رقم ٢٦٥٦) وحسنه وابن ماجه (المقدمة ـ باب من بلّغ علماً ـ ١ / ٨٤ رقـم ٢٣٠) وقد صنف في طرق هذا الحديث الحافظ أبو موسى المديني وصنف شيخنا العلامة عبد المحسن بن حمد العباد حفظه الله حول هذا الحديث مصنفاً سماه : دراسة حديث " نضر الله امرأ سمع مقالتي " رواية ودراية .

قال الشافعي : فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها أمر أن يؤديها ولو واحد ، دل على أنه لا يؤمر من يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه ... ا . هـ (١) .

الدليل الثاني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعث معاذاً إلى اليمن وقال له : إنك تقدم قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله » (٢) الحديث .

فهذا معاذ رضي الله عنه يذهب واحداً إلى اليمن يبلغ الاسلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقوم الحجة به .

الدليل الثالث : قال البخاري رحمه الله : " باب قول الله تعالى : ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾(٣) فإذا أذن له واحد جاز "، ثم ذكر بإسناده عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً وأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجل يستأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » ، فإذا أبو بكر ثم جاء عمر فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » ، ثم جاء عثمان فقال : « ائذن له وبشره بالجنة »(٤) .

ففي هذا الحديث دليل على الأخذ بخبر الواحد وأنه يفيد العلم في الأحكام والعقائد ، فالبشارة لهؤلاء بالجنة من الأمور العقدية الآحادية التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة ، فدل على أن أهل السنة والجماعة يأخذون بخبر الواحد الصحيح الثابت ، بالإضافة إلى ما استدل به البخاري من أنه إذا أذن واحد جاز ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم عين واحداً ليأذن والصحابة دخلوا عليه بإذن هذا الواحد ، فلو كان لا يجزيء لما عينه لحفظ الباب .

ثالثا : الإجماع :

نقل غير واحد عن السلف الإجماع على وجوب الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد منهم : الإمام الحافظ بخاري المغرب أبو عمر بن عبد البر قال : " أجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر

---

(١) مختصر الصواعق (٢ / ٦٠٤) .

(٢) تقدم تخريجه (ص : ٤٠) .

(٣) سورة الأحزاب ، آية / ٥٣ .

(٤) البخاري (اخبار الآحاد - ١٣ / ٢٥٣ رقم ٧٢٦٢) ومسلم (فضائل الصحابة - باب من فضائل عثمان رضي الله عنه - ٤ / ١٨٦٧ - ١٨٦٩ رقم ٣٤٠٣)

في جميع الأمصار ـ فيما علمت ـ على قبول خبر الواحد العدل ، وإيجاب العمل بـه إذا ثبـت و لم ينسخه غيره من أثر أو إجماع ، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابـة إلى يومنـا هذا إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع ، شرذمة لا تعد خلافاً " .

وقال : " وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ، ويعادي ويـوالي عليهـا ، ويجعلهـا شرعاً وديناً في معتقده ، على ذلك جماعة أهل السنة " أ . هـ(١) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : " فهذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسـول الله صلـى الله عليه وسلم خرقوا به إجماع الصحابة المعلـوم بـالضرورة ، وإجمـاع التـابعين ، وإجمـاع أئمـة الإسلام ، ووافقوا به المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج الذين انتهكوا هـذه الحرمـة ، وتبعهـم بعض الأصوليين والفقهاء ، وإلا فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك ، بل صرح الأئمة بخلاف قولهم " أ . هـ(٢) .

رابعاً : ذكر بعض أقوال العلماء في الأخذ بالسنن وبيان مذهبهم في عدم التفريق :

أ ـ ذكر أقوال السلف : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنـه : " يـا أيهـا النـاس عليكـم بالعلم قبل أن يرفع ، فإن من رفعه أن يقبض أصحابـه ، وإيـاكم والتبـدع ، والتنطع ، وعليكـم بالعتيق ، فإنه سيكون في آخر هذه الأمة أقوام يزعمون أنهم يدعون إلى كتـاب الله وقـد تركـوه وراء ظهورهم "(٣) .

دل هذا الأثر :

١ ـ على أن العلم ليس بالكتاب فقط بل وفي غير الكتاب وهو الأثر العتيق .

٢ ـ أنه يأتي زمان فيه أقوام يدعون إلى كتاب الله وقد تركوه وراء ظهورهم ، ومن هؤلاء : الذين يقولون : إن أحاديث الآحاد ظنية الثبوت والدلالة فلا تؤخذ منها العقيدة .

وقال ابن مسعود أيضاً : " إنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولانبتـدع ، ولـن نضـل مـا تمسـكنا بالأثر "(٤) .

---

(١) التمهيد (١ / ٢ و ٨) .

(٢) انظر مختصر الصواعق (٢ / ٥٧٣) .

(٣) رواه البيهقي في المدخل (ص : ٢٧٢ رقم ٣٨٨) صححه البدر (ذم التأويل ص : ٣١) .

(٤) رواه اللالكائي (٨٦/١ رقم ١٠٥و١٠٦) وفيه أبو جعفر الرازي صدوق سيء الحفظ (التقريب ص:٦٢٩) .

وقال أيضاً : " يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا ـ يعني مفصل الأصبع ـ فإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى ، وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلا كان أول ما يتركون " السنة " وإن آخر ما يتركون الصلاة ، ولولا أنهم يستحيون لتركوا الصلاة "(١) .

وقال محمد بن سيرين عليه رحمة الله(٢) : " كانوا يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الأثر "(٣) ، وفي لفظ : " كانوا يرونه على الطريق ما دام على الأثر "(٤) .

وقال الزهري : " كان من مضى من علمائنا يقول : " الاعتصام بالسنة نجاة ، والعلم يقبض سريعاً ، فنعش(٥) العلم ثبات الدين والدنيا ، وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله "(٦) .

وقال الزهري : " الاعتصام بالسنة نجاة "(٧)

وقال ابن عيينة عن أحاديث الرؤية :"حق نرويها على ما سمعناها ممن نثق به ونرضى به"(٨) .

---

(١) أخرجه الحاكم (٤ / ٥١٩) وأوله يكون عليكم أمراء ، وصححه ، وأخرجه ابن بطة في الإبانة (١ / ٣٣١ رقم ١٨٦) واللالكائي في شرح الأصول (١ / ٩١ رقم ١٢٢) .

(٢) هو الإمام العالم الرباني محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك النضري ، من أشراف التابعين وحفاظهم ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وسمع من أبي هريرة وعمران بن حصين وابن عباس وابن عمر وطائفة ، وكان فقيهاً إماماً غزير العلم ثقة ثبتاً علامة في تعبير الرؤى ، رأساً في الورع ، وكان ذا ضحك ومزاح .توفي سنة ١١٠ هـ ، انظر تذكرة الحفاظ (١ / ٧٧ ـ ٧٨) والبداية والنهاية (٩ / ٢٦٧) .

تنبيه : زاد بعض النساخ للبداية والنهاية ثلاث تراجم موسعة للحسن البصري وابن سيرين ووهب بن منبه . وهي في المتن وليست في الحاشية (١٠ / ٢٦٧ ـ ٣٠٢) .

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢ / ٣٥) واللالكائي (١ / ٨٧ رقم ١١٠) .

(٤) رواه الدارمي في السنن (المقدمة ـ باب من هاب الفتيا وكره التنطع ـ ١ / ٥٣ ـ ٥٤) والآجري في الشريعة (ص : ١٨) واللالكائي (١ / ٨٧ رقم ١٠٩).

(٥) نعش العلم : رفعه وبقاؤه (انظر القاموس المحيط ص : ٧٨٤) .

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد والرقاق (١ / ٢٨١ رقم ٨١٧) والدارمي (المقدمة ـ باب اتباع السنة ـ ١ / ٤٥) وأبو نعيم في الحلية (٣ / ٣٦٩) واللالكائي (١ / ٩٤ رقم ١٣٦ و ص ٩٥ رقم ١٣٧) .

(٧) رواه الآجري (ص : ٣١٣ ـ ٣١٤) واللالكائي (١ / ٦٥ رقم ١٥) وقوام السنة (١ / ٢٤٦) .

(٨) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١ / ٢٣٥ رقم ٤٢٤) والآجري في الشريعة (ص : ٢٥٤) واللالكائي (٣ / ٥٠٤ رقم ٨٧٧) .

وقال أبو عبيد(١) في بعض أحاديث الصفات : " هذه الأحاديث عندنا حق يرويها الثقات بعضهم عن بعض "(٢) .

وقد تقدم معنا قول الأوزاعي : " كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله فوق العرش ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته "(٣) . ففيه الاعتماد على السنة في أخذ العقيدة وأنهم لا يفرقون بين الكتاب والسنة في تلقيها،والسنة كما هو معروف تشمل الآحاد والمتواتر، بل إذا أطلقت السنة فإن أول ما ينصرف الذهن إلى الآحاد، لأن الأحاديث المتواترة قليلة بالنسبة للآحاد ، والأخذ بالسنة واجب مجمع عليه كما في أثر الأوزاعي هذا وكما مر في الآثار السابقة.

ب ـ ذكر قول أصحاب أبي حنيفة : وقد نص أصحاب أبي حنيفة أن خبر الواحد الذي تلقي بالقبول يوجب العلم(٤) . وقال محمد بن الحسن(٥) عن أحاديث الصفات : " إن هذه أحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها "(٦) . وقال الإمام الطحاوي(٧) في عقيدته : " هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على

---

(١) هو الإمام الحافظ الحجة أبو عبيد القاسم بن سلّام البغدادي اللغوي الفقيه المحدث ، كان حافظاً للحديث عارفاً بالفقه والاختلاف ، رأساً في اللغة ، إماماً في القراءات ، ولي قضاء الثغور مدة ، من مصنفاته : الناسخ والمنسوخ ، والإيمان ، والأموال ، والطهور . توفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ رحمه الله . انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ (٢ / ٤١٧) والبداية والنهاية (١٠ / ٢٩١) .

(٢) رواه الدار قطني في الصفات (ص : ٦٨ ـ ٦٧ رقم ٥٧) والآجري في الشريعة (ص : ٢٥٥) واللالكائي (٣ / ٥٢٦ رقم ٩٢٨) وابن منده في التوحيد (٣ / ١١٦ رقم ٥٢٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ١٩٨ رقم ٧٦٠) والذهبي في العلو (ص : ١٢٧) وصححه ابن تيمية في الحموية (ص : ٨٩) والذهبي والألباني (مختصر العلو ص : ١٨٦) .

(٣) انظر تخريجه (ص : ١٤٩)

(٤) مختصر الصواعق (٢ / ٥٧٣) .

(٥) هو الإمام الفقيه محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله الكوفي ، أحد أكبر أصحاب أبي حنيفة رحمه الله ، كان من بحور العلم والفقه ، وكان قد روى عن مالك بن أنس وهو قوي فيه ، له كتاب الآثار . توفي سنة ١٨٩ هـ . انظر ترجمته : الميزان (٣ / ٥١٣) والسير (٩ / ١٣٤) .

(٦) رواه اللالكائي (٣ / ٤٣٣ رقم ٧٤١) .

(٧) الإمام الفقيه الحنفي أحمد بن محمد بن سلامة ابن سلمة أبو جعفر الطحاوي صاحب المصنفات المفيدة =

مذهب فقهاء الملة : أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين ، وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين ... وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق ... ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض الأرواح ، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً ، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ... وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات ... وأن العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الحق ... فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً . ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه(١) أ . هـ .

فالناظر في هذه الكلمات يرى الإمام الطحاوي رحمه الله يجعل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كله حقاً ، ثم يبني على ذلك اعتقاده كالإيمان بتسمية منكر ونكير ، فإنما هو آحاد ، بل حديث حسن كما أخبر بذلك الألباني(٢) .

وكذلك العشرة المبشرون بالجنة ، وانتفاع الميت بالصدقة ، كله من الآحاد الذي أوجب الاعتقاد الحق عند الطحاوي ، وهو اعتقاد أبي حنيفة .

ولقد علق الإمام الألباني شارحاً قول الطحاوي : " وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان حق " بقوله : " يعني دون تفريق بين ما كان منه خبر آحاد أو متواتر ، ما دام أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه ، والتفريق بينهما إنما هو بدعة وفلسفة دخيلة في الإسلام ، مخالف لما كان عليه السلف

--- والفوائد الغزيرة ،وهو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة ، وهو ابن أخت المزني ، من كتبه شرح معاني الآثار ، ومشكل الآثار وأحكام القرآن . توفي ٣٢١ هـ . انظر ترجمته : تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٠٨) والبداية والنهاية (١١ / ١٧٤) .

(١) انظرا لطحاوية ، شرح وتعليق الألباني (ص : ١٧ و ٤٣ و ٥٠ و ٥٦ و ٥٨ و ٦١)

(٢) انظر المرجع نفسه (ص : ٥٠) . والحديث رواه الترمذي (الجنائز ــ باب ماجاء في عذاب القبر ــ ٣ / ٣٨٣ رقم ١٠٧١) .

الصالح والأئمة المجتهدون ... أ . هـ (١) .

ج ـ ذكر قول الإمام مالك رحمه الله : قال الفقيه المالكي ابن خوازمنداد(٢) في كتابه أصول الفقه ـ وقد ذكر خبر الواحد الذي لم يروه إلا الواحد والاثنان ـ " ويقع بهذا الضرب أيضاً العلم الضروري ، نص على ذلك مالك "(٣) .

د ـ ذكر قول الإمام الشافعي رحمه الله : وأما الإمام الشافعي فقد تقدم النقل عنه(٤) ، وهو أكثر الأئمة الأربعة كلاماً في هذا الشأن ، إذ أن كتابه الرسالة وضع فيه جملة وافرة من الاستدلالات على الأخذ بخبر الواحد وأنه يفيد العلم .

هـ ـ ذكر قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى : قال الإمام أحمد عن أحاديث الصفات : " نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئاً منها إذا كانت أسانيد صحاح "(٥) ، قال أبو بكر المروذي للإمام أحمد رحمه الله : ههنا إنسان يقول : " إن الخبر يوجب عملاً ولا يوجب علماً ، فعابه ، وقال : ما أدري ما هذا " أ . هـ .

قال القاضي أبو يعلي : وظاهر هذا أنه يسوي بين العلم والعمل . أ . هـ . وقال في رواية حنبل في أحاديث الرؤية : نؤمن بها ونعلم أنها حق نقطع على العلم بها . أ . هـ .(٦)

قال القاضي : خبر الواحد يوجب العلم إذا صح سنده و لم تختلف الرواية فيه وتلقته الأمة بالقبول ، وأصحابنا يطلقون القول فيه ، وأنه يوجب العلم وإن لم تتلقه بالقبول ، قال : والمذهب على ما حكيت لا غير . أ . هـ (٧)

---

(١) المرجع نفسه (ص : ٤٣) .

(٢) هو الإمام الفقيه محمد بن أحمد بن علي بن اسحاق بن خويزمنداد أبو عبد الله ، كان يقول : إن خبر الواحد يفيد العلم إذا صح ، ويذم المتكلمين ويهجرهم ، فذُم لذلك من الأشاعرة . له مؤلف في أصول الفقه . وكتب في الخلاف وكتاب في أحكام القرآن . تفقه على الأبهري ، وهو من طبقة الباقلاني . الديباج المذهب (ص : ٢٦٨) وشجرة النور الزكية (١ / ١٠٣) .

(٣) مختصر الصواعق (٢ / ٥٧٣) والأحكام لابن حزم (١ / ١٠٧) .

(٤) انظر (ص : ١٦٦) من هذا البحث .

(٥) رواه اللالكائي (٣ / ٤٥٣ رقم ٧٧٧) .

(٦) انظر المسودة (ص : ٢٤٢ ـ ٢٤٣) ومختصر الصواهق (٢ / ٥٧٧) .

(٧) انظر مختصر الصواعق (٢ / ٥٧٣) . والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية (ص : ٢٤٧ ـ ٢٤٨) .

وكون الأئمة رحمهم الله جعلوا أحاديث الآحاد تفيد العلم ، فمعنى ذلك أن ما ورد فيها من عقيدة يجب الإيمان به دون شك .

" فقد ثبت وجوب اتباع السلف رحمة الله عليهم بالكتاب والسنة والإجماع ، والعبرة دلت عليه ، فإن السلف لا يخلو من أن يكونوا مصيبين أو مخطئين ، فإن كانوا مصيبين وجب اتباعهم لأن اتباع الصواب واجب ، وركوب الخطأ في الاعتقاد حرام ، ولأنهم إذا كانوا مصيبين كانوا على الصراط المستقيم ، ومخالفهم متبع لسبيل الشيطان الهادي إلى صراط الجحيم ، وقد أمر الله تعالى باتباع سبيله وصراطه ، ونهى عن اتباع ما سواه فقال : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾(١) .

وإن زعم زاعم أنهم مخطئون كان قادحاً في حق الإسلام كله ، لأنه إن أجاز أن يخطئوا في هذا جاز خطؤهم في غيره من الإسلام كله ، وينبغي أن لا تنقل الأخبار التي نقلوها ، ولا تثبت معجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي رووها ، فتبطل الرواية وتزول الشريعة ، ولا يجوز لمسلم أن يقول هذا ولا يعتقده "(٢) . أ . هـ .

وبصرف النظر عن كون أحاديث الآحاد هل تفيد العلم النظري أو الظن الراجح ، فإن العلماء أوجبوا العمل والاعتقاد بما فيها ، ولم يخالف في ذلك إلا بعض المتكلمين من المتأخرين .

قال ابن القيم : " إن هذه الأخبار لو لم تفد اليقين ، فإن الظن الغالب حاصل منها ، ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لا يمنع إثبات الأحكام الطلبية بها ، فما الفرق بين باب الطلب وباب الخبر بحيث يحتج بها في أحدهما دون الآخر ، وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة ، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات ، كما تحتج بها في الطلبيات العمليات . ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا ، وأوجبه ورضيه ديناً ، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته ، ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات ، والقدر والأسماء والأحكام ، ولم ينقل عن أحد منهم ألبتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته .

فأين سلف المُفَرِّقين بين البابين ، نعم سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما

---

(١) سورة الأنعام ، آية / ١٥٣ .

(٢) ذم التأويل (ص : ٣٤ ـ ٣٥) .

جاء عن الله ورسوله وأصحابه "(١) . فإنهم إن جاءهم حديث يخالف ما يهوون قالوا : هذا حديث آحاد ، وهكذا أهل البدع والزيغ يردون السنن والآثار لأنها لا تفيد علماً ولا توجب يقيناً ـ بزعمهم ـ ولو جاءهم ماتواتر من الأخبار لأولوه بدعوى أنه ظني الدلالة ، وأن ظاهره يخالف العقل ، و لم يدروا أن عقلهم وهواهم يخالف النصوص ، وقد تقدم الكلام عن قضية العقل والنقل وقضية التأويل ، وهذه قضية ثالثة يثيرها أهل الأهواء ليردوا النصوص موافقين في ذلك أهواءهم .

قال ابن عبد البر : " أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع ـ في جميع الأمصار ـ في طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم "(٢) . أ . هـ .

وروى بإسناده عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن اسحاق بن خويز منداد المالكي قوله : " أهل البدع عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع ، أشعرياً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ويؤدب على بدعته ، فإن تمادى عليها استتيب منها "(٣) .

فأهل الكلام لا يعتد بقولهم ولا بخلافهم كما مر عن ابن عبد البر رحمه الله تعالى . "ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له ، أو عملاً به أنه يوجب العلم .

وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ، ومالك والشافعي ، وأحمد ، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك .

ولكن كثيراً من أهل الكلام ، أو أكثرهم ، يوافقون الفقهاء ، وأهل الحديث والسلف على ذلك ... وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث ، كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي

---

(١) مختصر الصواعق (٢ / ٦١٣) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٩٥ ـ ٩٦) .

(٣) المصدر نفسه (٢ / ٩٦) .

والإباحة "(١) .

فبعض أهل الكلام يتكلم في أبواب أصول الفقه عن خبر الواحد ، وربما يوافق السلف وأهل الحديث في أن الخبر يوجب العلم والعمل ، ولكن إذا جاء إلى أحاديث الصفات نسي ما كان قعَّد من قبل أو قعَّد له أشياخه وأساتذته .

"وبالجملة فمن تدبر القرآن والسنة وآثار السلف لم يخف عليه الحق في كثير منها ، وأنه لا يمنعه عن القطع والاستيقان - إن منعه - إلا الشبهات المحدثة المبنية على التعمق ، فأما من يقوى إيمانه ولا يبالي بتلك الشبهات ، فإنه يقطع بدلالة كثير من النصوص ويؤمن بها ، وأما من لا إيمان له وهو مفتون بالشبهات فإنه [يشك] بتلك الدلالة ويكفر بها "(٢) .

هذه نبذة يسيرة من أقوال أهل العلم من المتقدمين من السلف والأئمة الأربعة ومذاهبهم في وجوب الاعتقاد بخبر الواحد ، والكلام حول هذه القضية يطول ويطول ، ومن خير من تكلم عن هذا الأمر العلامة الإمام الحافظ ابن القيم في الصواعق المرسلة(٣) ، والإمام المحدث الألباني في رسالته وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين ، والدكتور الشيخ عمر الأشقر في كتابه أصل الاعتقاد ، جزى الله أئمة الإسلام وعلماءه خيراً ، ودحر كل بدعة دحراً .

خامساً : الضعيف لا يحتج به في الأحكام والعقائد(٤) :

ومما يجب التنبيه عليه هنا أننا وإن قلنا بوجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة ، فإن أهل السنة ينهون أشد النهي أن تثبت عقيدة بأحاديث ضعيفة ، بل لا بد أن تكون العقيدة ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة ، وأما أن نأتي بأحاديث ضعيفة ونبني عليها عقيدة فلا يجوز أبداً .

وقد وقع بعض المصنفين في العقائد بذكر بعض الأحاديث الضعيفة وأحياناً الموضوعة ، وكان ذلك منهم لأمور :

١ - إما أنهم يعتقدون صحتها و لم يعلموا ضعفها .

---

(١) مقدمة التفسير لابن تيمية (١٣ / ٣٥١ - ٣٥٢ مجموع الفتاوى)

(٢) القائد إلى تصحيح العقائد ، عبد الرحمن المعلمي (ص : ١٨١) .

(٣) انظر (٢ / ٥٦٧ إلى آخر الكتاب) مختصر الصواعق .

(٤) المقنع في علوم الحديث (١ / ١٠٤) .

٢ ـ إن عند المحدثين قاعدة تقول : من أسند فقد أحالك ، أي إن المصنف الذي يسند الحديث يضع إسناده أمام ناظرَي القارىء ، فينظر فيه إن كان أهلاً للحكم على الحديث فيعلم صحته أو ضعفه ، وإن لم يكن كذلك فيترك الحكم لأهله ، قال العلامة الألباني حفظه الله تعالى ونفع به : " أهل العلم يعلمون أن المحدثين إذا ساقوا الأحاديث بأسانيدها فقد برئت ذمتهم ، ورُفعت المسؤولية عنهم ، ولو كان فيها أحاديث ضعيفة بل موضوعة ، وليس كذلك من ساق الحديث دون إسناده ، فعليه أن يبين حاله مقابل حذفه لإسناده ، وبخاصة إذا ساقه محتجاً به ، ولو ذكر من أخرجه كما يفعل بعض الفقهاء المتأخرين ، فأين هذا من صنيع المحدثين الناصحين للأمة برواياتهم الأحاديث بأسانيدها التي تكشف عن مراتبها "(١) .

٣ ـ أنهم ذكروها ليس تأصيلاً لعقيدة ، بل تكثيراً لروايات أخرى ثابتة لبيان شهرة هذا الأمر .

٤ ـ أن بعض الأحاديث تبلغ حد التواتر ، فلا يضر روايتها بأسانيد أخرى ضعيفة ، فالمتواتر لا ينظر فيه إلى رواة السند .

ويتبين منهج أهل السنة والجماعة في ذلك بنقل هاتين العبارتين المقدسيتين ، إحداهما لمحدث والأخرى لفقيه ، وهكذا يعلم توافق المحدثين والفقهاء على العقيدة الصحيحة .

قال الحافظ تقي الدين عبد الغني المقدسي في نهاية عقيدته :" فهذه جملة مختصرة من القرآن والسنة وآثار من سلف ، فالزمها وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله ، وصالح سلف الأمة ممن حصل الاتفاق عليه من خيار الأئمة ، ودع أقوال من كان عندهم محقوراً ، مهجوراً مبعداً ، مدحوراً ، مذموماً ، ملوماً ، وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم وجنحوا إلى اتباعهم ، فلا تغتر بكثرة أهل الباطل " . إلى أن قال :

" واعلم رحمك الله أن الإسلام وأهله أُتوا من طوائف ثلاث :

١ ـ فطائفة ردت أحاديث الصفات وكذبوا رواتها ، فهؤلاء أشد ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار .

٢ ـ وأخرى : قالوا بصحتها وقبلوها ثم تأولوها ، فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى .

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة (١ / ٩) .

٣ ـ والثالثة : جانبوا القولين الأولين ، وأخذوا بزعمهم ينزهون وهم يكذبون ، فأداهم ذلك إلى القولين الأولين ، وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأولين .

فمن السنة اللازمة السكوت عما لم يرد فيه نص عن الله ورسوله ، أو يتفق المسلمون على إطلاقه ، وترك التعرض له بنفي أو إثبات ، فكما لا يثبت إلا بنص شرعي كذلك لا ينفى إلا بدليل سمعي "(١) .

وقال الإمام الفقيه ابن قدامة المقدسي في نهاية كتابه ذم التأويل :

فصــل

" ينبغي أن يعلم أن الأخبار الصحيحة التي ثبتت بها صفات الله تعالى ، هي الأخبار الصحيحة الثابتة بنقل العدول الثقات التي قبلها السلف ونقلوها و لم ينكروها ، ولا تكلموا فيها ، وأما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الاسلام ، أو الأحاديث الضعيفة إما لضعف رواتها أو جهالتهم أو لعلة فيها ، فلا يجوز أن يقال بها ، ولا اعتقاد ما فيها ، بل وجودها كعدمها ، وما وضعته الزنادقة فهو كقولهم الذي أضافوه إلى أنفسهم ، فمن كان من أهل المعرفة بذلك وجب عليه اتباع الصحيح واطراح ما سواه ... وليعلم أن من أثبت لله تعالى صفة بشيء من هذه الأحاديث الموضوعة ، فهو أشد حالاً ممن تأول الأخبار الصحيحة . ودين الله تعالى هو بين الغالي فيه والمقصر عنه ؛ وطريقة السلف رحمة الله عليهم ، جامعة لكل خير ، وفقنا الله وإياكم لاتباعها وسلوكها ، والحمد لله رب العالمين "(٢) .

" فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب ، فإن السنة هي الحق دون الباطل ، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة ، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً "(٣) .

---

(١) عقيدة الحافظ المقدسي (ص : ١١١ ـ ١١٣) .

(٢) ذم التأويل (ص : ٤٧ ـ ٤٨) .

(٣) الوصية الكبرى لابن تيمية (ص : ٢٦) .

وأختم هذا المبحث بهذه الخلاصة :

١ ـ أن السلف لم يفرقوا في استدلالهم بين الكتاب والسنة .

٢ ـ أنهم لم يفرقوا في استدلالهم بين المتواتر والآحاد في العقائد وأن التفريق في الاستدلال بين الآحاد والمتواتر بدعة كلامية فلسفية .

٣ ـ أن أحاديث الآحاد المتلقاة بالقبول تفيد العلم اليقيني بإجماع السلف وجمهور الخلف ، وخالف بعض المتكلمين .

٤ ـ أن تقسيم الدين إلى أصول وفروع وأنه يستدل للفروع بما لايستدل للأصول تفريق محدث وباطل لم يعهده السلف الماضون ، بل كانت استدلالاتهم لجميع أمور الدين من ذلك المصدر المعين[1] .

هذه خلاصة هذا المبحث ، والله أعلم .

---

(١) انظر الصواعق المرسلة (٢ / ٦١٣)

القســـم الثاني

التحقيـــــــــق

قال السبكي [(١)] : "الباب الثامن في التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم: اعلم أنه يجوز و يحسن التوسّل والاستغاثة والتشفُّع بالنّبي ﷺ إلى ربّه سبحانه وتعالىٰ. وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصّالحين، والعلماء، والعوامّ من المسلمين، ولم ينكر ذلك أحد من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلّم في ذلك» إلى آخره.

وجوابه أن يقال: إنَّ التجويز والتحسين ليسا من خصائص البشر وإنما ذلك من خصائص[(٢)] الله ورسوله، فما لم يشرعه الله ورسوله لا يقال فيه: هذا جائز أو حسن.

وقوله : هذه المسألة مُجمع عليها ومعروفة من سير الأنبياء والسلف إلى حد زمانه. فهذا قول ترده الأدلة الصحيحة الثابتة في الكتاب والسنة وسيرة السلف.

فأما القرآن فمن أوله /١٦٩/ إلى آخره ليس فيه آية تدل على ما قاله، ولا تومي إليه، بل فيه ما يرد ذلك؛

مثل قوله تعالى في رده على المشركين حيث يقول: ﴿ ويَعبُدونَ مِن دُونِ الله ما لا يَضرُّهُم ولا يَنفَعُهم ويَقولُونَ هٰؤلاء شُفَعَاؤنَا عندَ الله ﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿أمِ ٱتخذُوا مِن دُون الله شُفعاء ﴾[(٤)] الآية، وقوله تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فٱدعوه بهاَ ﴾[(٥)].

وأمّا السُّنة فلم يأت فيها حديث واحد يدل على طلب التوسُّل بالمعنى الذي أراده السبكي أو أنه أفضل من سؤال الله تعالى، والإقسام عليه بأسمائه وصفاته.

وأدعيته ﷺ الواردة في الصحيح والضعيف ليس فيها حرف يدل على ٱستحسان ذلك أو جوازه.

وأما الإجماع؛ فإليك ما ورد في الصحيح من توسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[(٦)] ....

---

(١) شفاء ٱلسقام ص ١٦٠.
(٢) جاء في ٱلحاشية: «حقوق».
(٣) سورة يونس، آية/١٨. ووقع في ٱلأصل: مَا لا يَنفَعُهُم ولا يَضرُّهُم.
(٤) سورة ٱلزُّمَر، آية/٤٣، وتمام ٱلآية: ﴿قُل أوَ لَو كَانُوا لا يَملِكُون شيئاً وَلا يَعقِلُون ﴾.
(٥) سورة ٱلأعراف آية/١٨٠.
(٦) هو أمير ٱلمؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد ٱلعزىٰ بن رياح بٱلتحتية، ٱلقرشّي =

بالعباس[1] عم النبي ﷺ حين أجدبوا مع وجود قبر النبي عليه الصلاة والسلام والقصة مشهورة فلا حاجة لنا بذكرها[2]. وقد أقره الصحابة على ذلك فلو كانوا يعلمون أن في القرآن أو السنة دليلاً على استحسان التوسل بالنبي ﷺ والاستغاثة به

= ٱلعدويّ، كان أوّل ٱلبعث شديداً على ٱلمسلمين ثمَّ أسلم فكان إسلامه فتحاً. قال عبد الله بن مسعود: ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر. مناقبه أجلُّ من أن تحويها سطور، وسيرته تفوح بالعبير وٱلزهور، ويكفيه أنَّه ٱلرَّجل ٱلثَّاني بعد ٱلنَّبيّين وقد بشَّره ٱلصَّادق المصدوق بالجنَّة والشَّهادة فنالهما وصدق الله ورسوله. ٱستشهد بالمدينة رضي الله عنه لثلاث ليال بقين من ذي الحجَّة سنة ٢٣ هـ. طُعن يوم ٱلاربعاء وتُوفي الخميس ودفن الأحد سنة ٢٤ هـ. انظر الاستيعاب (٨/ ٢٤٢ـ٢٧٢) وأسد الغابة (٤/ ١٤٥ـ١٨١) والإصابة (٧/ ٧٤ـ٧٦).

(١) العبَّاس بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيّ الهاشميّ ـ عمّ رسول الله ﷺ وصنو أبيه أبو الفضل وُلد قبل رسول الله ﷺ بسنتين وضاع وهو صغير فنذرت أمُّه إن وجدته أنْ تكسو ٱلكعبة الحرير والدّيباج ففعلت وكانت إليه السِّقاية والعمارة في الجاهليَّة. أُسر مع ٱلمشركين يوم بدر فافتدى نفسه. يُقال أسلم بعد ذلك وكتم قومه إسلامه ثمَّ هاجر قبل الفتحَ بقليل وشهد الفتح وثبت يوم حنين. له فضله ورأيه ومشاورته عند الصَّحابة كما في هذا الحديث، توفي بالمدينة سنة ٣٢ وكان طويلاً جميلاً أبيض. انظر الاستيعاب (٦/ ٣) وأسد الغابة (٣/ ١٦٤ـ١٦٧) والاصابة (٥/ ٣٢٨).

(٢) أخرجها البخاري (الاستسقاء ـ باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطواـ ٢/ ٥٧٤ رقم ١٠١٠) و (فضائل الصَّحابة: باب ذكر العبَّاس بن عبد المطَّلب رضي الله عنه ـ ٧/ ٩٦ رقم ٣٧١٠) وابن سعد في الطَّبقات (٤/ ٢٨ـ٢٩) والبيهقي في السُّنن الكبرى (٣/ ٨٨) كلُّهم عن أنس رضي الله عنه. ولفظه عند ٱلبخاري: أنَّ عمر بن الخطاب كانوا إذا قحطوا استسقى بٱلعبَّاس بن عبد المطَّلب فقال: «اللَّهم إنَّا كنَّا نتوسل اليك بنبيِّنا ﷺ فتسقينا، وإنَّا نتوسّل إليك بعمّ نبيِّنا فأسقنا، قال فيُسقَون». قلت: في هٰذا الحديث دليل على أنَّ التوسل بالنَّبي ﷺ كان بدعاته ﷺ لهم، ومَّما يدُل على ذلك ٱلأحاديث ٱلتي وردت في الإستسقاء، ومنها ما أخرجه البخاري (الإستسقاء ـ باب الإستسقاء في المسجد ٱلجامع ـ ٢/ ٥٠١ رقم ١٠١٣) ومسلم (ٱلإستسقاء ـ باب الدُّعاء في الإستسقاء ـ٢/ ٦١٢ـ٦١٣ـ٦١٤ رقم ٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أنَّ رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب نحو دار القضاء ـ ورسول الله ﷺ قائم يخطب ـ فاستقبل رسولَ الله ﷺ وقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه ثم قال: اللَّهم أغثنا، اللَّهم أغثنا..» الحديث.

ومَّما يدلُّ أيضاً أن توسّلهم بالعباس كان توسّلاً بدعائه لا بذاته ما أخرجه ٱلزبير بن بكار في ٱلانساب (كما في ٱلفتح ٢/ ٥٧٧) أنَّ ٱلعبَّاس لَّما ٱستسقى به عمر قال: « اللَّهم إنَّه لم ينزل بلاء إلاَّ بذنب ولم يُكشف إلاَّ بتوبة وقد توجَّه ٱلقوم بي إليك لمكاني من نبيّك، وهٰذه أيدينا إليك بٱلذنوب ونواصينا إليك بٱلتوبة فأسقنا ٱلغيث، فأرخت ٱلسَّماء مثل ٱلجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش النَّاس». وٱنظر ترجمة العبَّاس في ٱلإستيعاب (٦/ ٣) ففيه أدعية متعددة.

بعد وفاته لما ساغ لهم أن يتركوه ويعدلوا عنه، ويقرُّوا أمير المؤمنين سيدنا عمر على قوله: «اللهم إنَّا كنَّا نتوسّل [إليك][1] بنبينا فتسقينا والآن نتوسل إليك بالعباس عم نبيّنا فاسقنا». فصحّ بهذا أنَّ التوسُّل والاستغاثة[به ﷺ][*] كانامعروفين عند الصحابة في حياته ﷺ وأنّهما بمعنى طلب الدُّعاء منه ﷺ /١٧٠/ فلما قُبض عليه الصلاة والسلام فليس لنا أن نزيد في الدين ونشرع فيه ما لم يأذن به الله، بل علينا أن نسأل الله تعالىٰ ونقسم عليه بأسمائه وصفاته، ونتوسَّل إليه تعالىٰ بصالح الأعمال لقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وابْتَغُوا إليهِ الوَسيلة ﴾[2] ولحديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وهم بالغار، فتوسَّلوا إلى الله تعالىٰ بصالح أعمالهم فأنفرجت عنهم - رواه مسلم[3][4].

(*) ما بين معقوفتين استدراك من الحاشية.

(١) ما بين معقوفتين زيادة من لفظ الحديث ساقطة من الأصل.

(٢) سورة المائدة، آية/ ٣٥.

(٣) هو الإمام الهُمام الحُجَّة الثَّبت مسلم بن الحجّاج بن مسلم القُشيري ابو الحسين النيسابوري، صنّف الصحيح وغيره له علم واسع بالفقه يعتبر كتابه الصحيح ثاني كتب السُّنة بعد كتاب البخاري رحمه الله تعالىٰ. قدم له بمقدِّمة حذر فيها من رواية الأحاديث الضَّعيفة وأنّ من يرويها دونَ أن يخبر بضعفها يُعتبر غاشّاً للمسلمين، توفي سنة ٢٦١ هـ. انظر السِّير (١٢/ ٥٥٧ـ٥٨٠) وتهذيب الكمال (٢٧/ ٤٩٩ـ٥٠٧)

(٤) لم ينفرد به مسلم بل رواه البخاري (الإجارة - باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد ـ٤/ ٥٢٥ـ٥٢٦ رقم ٢٢٧٢) ومسلم (الرّقاق - باب قصَّة أصحاب الغار الثّلاثة والتَّوسُّل بصالح الأعمال ـ٤/ ٢٠٩٩ـ٢١٠٠ رقم ١٠٠). ولفظه عند البخاري: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممّن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار فقالوا: إنَّه لا ينجيكم من هٰذه الصخرة إلاّ أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللّهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً. فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أُرح عليهما حتى ناما. فحَلبتُ لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً فلبثت والقدح على يديّ انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللّهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هٰذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النّبي ﷺ: وقال الآخر: اللّهم كانت لي بنت عم كانت أحبَّ الناس اليّ فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألـمّتْ بها سَنَةٌ من السّنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أُحِل لك أن تفضّ الخاتم إلاّ بحقه، فتحرَّجت من الوقوع عليها فانصرفتُ عنها وهي أحبّ الناس إليّ. وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنتُ =

وٱعلم أنَّه لم يأت حديث في جواز التوسل يصلح للاستدلال إلاّ حديث الأعمى الذي رواه التّرمذي(١) وغيره عن طريق أبي جعفر الخطمي(٢) وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاّ من طريق أبي جعفر(٣).

= فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا ما نحن فيه، فٱنفرجت الصخرة غير أنَّهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النّبيُّ ﷺ: وقال الثالث: اللهم إنِّ استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت له أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أدِّي إليَّ أجري، فقلت له: كلّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بي، فقلت: إنِّ لا أستهزىء بك فأخذه كلّه، فٱستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللّهم فإن كنتُ فعلت ذلك ٱبتغاء وجهك فٱفرج عنّا ما نحن فيه، فٱنفرجت ٱلصخرة فخرجوا يمشون».

(١) هو الإمام الحافظ العَلَم البارع محمّد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي السُّلمي الضرير ـ مصنّف الجامع والعلل والشمائل. اختلف فيه، فقيل وُلد أعمى، والصحيح أنَّه أضر في كبره بعد رحلته وكتابته ٱلعلم، رحل إلى خراسان والعراق والحرمين، ولم يرحل إلى مصر والشام، كتب عنه البخاري وكان يُضرب به ٱلمثل في ٱلحفظ، ضَمَّن كتابه ٱلجامع مسائل كثيرة عن ٱلبخاري، قال الذهبي: في "الجامع" علم نافع وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام، لولا ما كدَّره بأحاديث واهية بعضها موضوع، وكثير منها في ٱلفضائل. توفي في رجب سنة ٢٧٩هـ.
*انظر السِّير (١٣/ ٢٧٠ـ٢٧٧) والبداية والنهاية (١١/ ٦٦ـ٦٧) وشذرات الذَّهب (٢/ ١٧٤).

(٢) هو عُمير بن يزيد بن عمير بن حبيب ٱلأنصاري، أبو حعفر الخَطْمي ـ بفتح المعجمة وسكون الطاء ـ المدني، نزيل ٱلبصرة ـ صدوق ـ انظر تهذيب التهذيب (٨/ ١٥١) والتقريب (ص: ٤٣٢).
● تنبيه: وقع في بعض نسخ ٱلترمذي عن أبي جعفر هٰذا أنَّه غير الخطْمي وفي بعضها أنَّه هو. وفي نسخة ٱبن تيمية: هو غير الخطمي. قال ابن تيمية (قاعدة جليلة ص١٨٧) وسائر ٱلعلماء قالوا: هو أبو جعفر ٱلخطمي وهو ٱلصواب ا.هـ. وغير الخطمي قال ابن حجر لعله: أبو جعفر القاري المدني المخزومي مولاهم اسمه يزيد بن القعقاع وقيل جندب بن صيرور بن فيروز، ـ وقيل: فيروز ثقة ـ مات سنة ١٢٧هـ وقيل ١٣٠هـ. التقريب (ص ٦٢٩).

(٣) أخرجه التّرمذي (الدعوات ـ باب (١١٩) (٥/ ٥٣١ رقم ٣٥٧٨) والنّسائي في عمل اليوم والليلة ص٤١٧ رقم (٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠) وابن ماجه (إقامة الصلاة ـ باب ما جاء في صلاة ٱلحاجة ـ ١/ ٤٤١ رقم ١٣٨٥) وأحمد (٤/ ١٣٨) وٱلحاكم في ٱلمستدرك (١/ ٣١٣) وٱلبيهقي في ٱلدلائل (٦/ ١٦٦ـ١٦٨) وغيرهم. قال الحاكم: صحيح الإسناد. وصحّحه الألباني (التّوسّل انواعه وأحكامه ص ٧٦). ولفظه عند التّرمذي: عن عثمان بن حنيف «أنَّ رجلاً ضرير البصر أتى النبيَّ ﷺ فقال: أدعُ الله أن يعافيني، قال: إن شئتَ دعوتُ، وإن شئْت صَبرتَ فهو خير لك، قال: فأدعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إنِّ أسألك وأتوجّه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إنِّ توجّهت بك إلى ربِّ في حاجتي هذه لتُقضىٰ لي. اللّهم فشفّعه فيَّ». هذا =

وقد تكلم العلماء على هذا الحديث؛

فمنهم من خصّه بحياته ﷺ.

ومنهم من جعله خصوصية له، وسنتكلم عليه عند إيراد السبكي له إن شاء الله تعالى[1].

وأعلم أنّني أسلك في طريق التوسل والاستغاثة والتشفُّع مسلك الترجيح بين الأدلَّة. بمعنى: ما ورد منها ثابتاً صحيحاً يُقبل وإلاّ فلا.

وأمّا من جهة الاعتقاد فأقول: إنَّ التَّوسُّل المجرد ليس فيه بأس إذا كان بلفظ ما ورد في حديث الأعمى، لأنَّ ٱلمسؤول هو الله تعالىٰ سواء سألناه تعالىٰ بأسمائه وصفاته أو توسلنا إليه بأنبيائه والصالحين من عباده[2]، غير أنَّ الوقوف عند ما ورد هو خير وأحسن تأويلا، فنحن لا نكون أعلم بألله، ولا أورع ولا أتقى له من أصحاب النَّبي ﷺ، ولو كان هذا معروفاً في زمانهم لنقل إلينا نقلاً /١٧١/ مستفيضاً ولم يروه الآحاد فقط، إذ ما من أحد منهم إلاّ كان يدعو الله تعالىٰ ويسأله حوائجه، فألخير في الاتّباع والشرُّ في الأبتداع[3].

= حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخَطْمي أ.هـ. وفي بعض النسخ أنه غير الخطمي كما في نسخة المحقق عبد الرحمٰن محمد عثمان (٥/٢٢٩ رقم ٣٦٤٩).

(١) أنظر (ص: ٢٠٥)

(٢) نعم كله سؤال لله عزَّ وجلَّ ولكن سؤاله بأسمائه وصفاته مشروع وسؤاله بالبشر من عباده ممنوع لأنّهم وسيلة غير شرعية.

(٣) قوله: إن التوسّل المجرد ليس فيه بأس ... إلخ. مستدلاً بهذا الحديث يخالف ما قرره ناقلاً عن الأئمة بعد ذلك في تفسير هذا الحديث. وأنّه لا مجال لاعتباره دليلاً على جواز التوسّل بالذات، فإنَّ الحديث معناه التوسّل بالدعاء كما سيأتي - إن شاء الله تعالىٰ فعلى ذلك فإنّه بنى جواز التوسّل على الإستحسان العقلي - الذي نقضه قبل قليل - بدعوىٰ أنَّ المدعو هو الله عزَّ وجلَّ بهٰؤلاء الأشخاص ولقد قرر رحمه الله تعالىٰ: انَّ التوسل لم يكن معروفاً في زمن الصحابة... فلم يبق إلاّ قوله: «فالخير في الاتّباع والشرّ في الابتداع».

والحاصل أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية لم ينكر شيئاً معروفاً في القرآن أو السنة أو إجماع الصحابة كما قاله هذا المعترض، بل سلك مسلك الموحدين الواقفين عند ما شرعه الله ورسوله ولم يتعدوه إلى استحسانهم وآرائهم، وهٰذا هو تعظيم النَّبيِّ ﷺ وأما الذي يجوز ويستحسن شيئاً في الدين برأيه وهواه فهو منازع لله في شرعه منتقص لرسوله ﷺ بأستدراكه عليه بعض الأحكام، فكأنَّه لم يرض بحكمه ولم يكتف بشرعه. وقد ضمن الله سبحانه وتعالىٰ محبته لمن أتَّبع نبيَّه، فقال تعالىٰ وهو أصدق القائلين: ﴿قُل إن كُنتُم تُحِبُّونَ ٱللهَ فَٱتَّبِعُوني يُحبِبكُم الله﴾[1] الآية.

وأمَّا ما أورده السبكي في هٰذا الباب من الأحاديث التي ظنَّها أدلَّة وبراهين قاطعة، وأخذ يشنِّع على شيخ الإسلام من أجل مخالفته لها، فسنتكلم عليها إن شاء الله تعالىٰ حديثاًحديثاً، وبالله التوفيق.

---

(١) سورة آل عمران، آية/ ٣١.

«فصل»

الكلام على الحديث الأول

حديث الحاكم[1] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لمَّا اقترف آدم الخطيئة»... إلخ[2].

---

(١) هو الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدِّثين محمد بن عبد الله بن محمد ابو عبد الله بن البيِّع الحاكم الضبي الطهماني النيسابوري الشافعي صاحب التّصانيف، ومنها المستدرك على الصّحيحين، والمدخل إلى علم الصحيح وغيرها كثير متساهل في شرط الصحيح. وسيأتي إن شاء الله بيان ذلك. وكان رحمه الله قد اتّهم بالتشيّع. مات رحمه الله فجأة سنة ٤٠٥ هـ. انظر السير (١٧/ ١٦٢ـ١٧٧) شذرات الذهب (٣/ ١٧٦).

(٢) ولفظه: «لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمَّد لما غفرت لي، فقال: يا آدم! وكيف عرفت محمَّداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لمّا خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي، فوجدت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ الله محمَّد رسول الله، فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحبَّ الخلق إليك، فقال: غفرت لك، ولولا محمَّد ما خلقتك.

ـ تخريجه: ● أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٥) من حديث عبد الله بن مسلم الفهري عن اسماعيل بن مَسْلَمة عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه عن عمر بن الخطّاب مرفوعاً. وقال صحيح الإسناد وهو أوَّل حديث ذكرته لعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم في هٰذا الكتاب.

● ورواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٨، ٤٨٩) من الطّريق نفسه.

● ورواه الطبراني في الصّغير (٢/ ٨٢ـ٨٣) والأوسط (مجمع البحرين ٦/ ١٥١) (ومجمع الزوائد ٨/ ٢٥٣) وقال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط والصغير ا.هـ.: ثنا محمد بن داود بن أسلم الصدفي المصري ثنا: أحمد بن سعيد المدني الفهري ثنا: عبد الله بن اسماعيل المدني عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم مرفوعاً.

● ورواه الآجري في الشريعة (ص: ٤٢٧) من حديث أبي عبد الرحمٰن بن عبد الله بن اسماعيل بن أبي مريم عن عبد الرحمٰن به موقوفاً.

● ورواه الآجري أيضاً (٤٢٢ـ٤٢٥) من طريق عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عن أبيه موقوفاً عليه.

أقوال العلماء في هٰذا الحديث:

١ـ قال الإمام البيهقي (الدلائل ٥/ ٤٨٩): تفرَّد به عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم من هٰذا الوجه عنه وهو ضعيف، والله أعلم ا.هـ.

٢ـ الإمام ابن تيمية: ضعّف الحديث بعبد الرحمٰن بن زيد (التوسل والوسيلة ١٦٨ـ١٦٩).

٣ـ الذهبي: حكم عليه بالوضع، فقال معقّباً على قول الحاكم: صحيح الإسناد: بل موضوع. عبدالرحمٰن واهٍ وعبد الله بن مسلم الفهري لا أدري من ذا» ثمَّ إنّ الذهبي رحمه الله تعالى ساق للفهري هٰذا الحديث في الميزان (٢/ ٥٠٤) ووصفه بأنّه خبر باطل.

٤ـ الامام ابن عبد الهادي قال(...إنَّه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد=

. . . .

= جدًّا، وقد حكم عليه بعض الأئمّة بالوضع وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمٰن بن زيد بصحيح بل هو مفتعل على عبد الرحمٰن كما سنبيِّنه ولو كان صحيحاً الى عبد الرحمٰن لكان ضعيفاً غير محتج به، لأنَّ عبد الرحمٰن في طريقه، وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في مواضع فإنّه قال في كتابه الضعفاء بعد أن ذكر عبد الرحمٰن منهم . . . روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه. قال في آخر هٰذا الكتاب: فهٰؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لأن الجرح لا يثبت إلاّ ببيِّنة فهم الذين أبين جَرحهم لمن طالبني به فإنّ الجرح لا أستحلّه تقليداً. والذي أختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هٰؤلاء الذين سمَّيتهم، فألرواي لحديثهم داخل في قوله ﷺ, (من حدَّث بحديث وهو يُرَىٰ أنه كذب فهو أحد الكاذِبَين) ا.هـ. الصارم المنكي (٦٠ـ٦١). أخرجه مسلم (المقدمة ـ باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين ـ(١/ ٩) من حديث المغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب).

وقال ابن عبد الهادي في موطن آخر (ص٦٣): بل هو حديث موضوع.

٥ـ الحافظ الهيثمي: حكم على إسناد الطبراني بقوله: «وفيه من لم أعرفهم» (مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٣).

٦ـ الحافظ ابن حجر: أقرَّ كلام الذهبي في الميزان وزاد عليه في اللسان في ترجمه الفهري «لا أستبعد أن يكون هو الذي قبله فإنه من طبقته». والذي قبله هو عبد الله بن مسلم بن رشيد. قال الحافظ: «ذكره ابن حبان متهم بوضع الحديث. . .يضع على ليث ومالك وابن لهيعة. لا يحل كتب حديثه. . . وهو الذي روى عن ابن هدبة نسخة كأنَّها معمولة". (اللسان ٣/ ٣٥٩).

وابن حجر أيضاً (في النكت ـ ١/ ٣٢٠ـ٣٢١) جعل تصحيح الحاكم لهٰذا الحديث من عجائب ما وقع للحاكم من التَّساهل والغفلة.

٧ـ حمد بن ناصر التميمي كما في النبذة الشريفة (ص: ١٠٧) وكما سيأتي.

٨ـ المصنّف كما سيأتي (ص١٨٦)

٩ـ العلاّمة محمد حامد الفقي المصري الأزهري قال في تعليقه على الشريعة للآجري ص (٤٢٧): تأمّل هٰذا الحديث فإنّه باطل لا أصل له وكتاب رب العالمين يرده والله يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَٱلإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ ورواته مجاهيل والسند ظلمات. ا.هـ.

١٠ـ العلامة الإمام الألباني: تكلم عن سند الطبراني بقوله: «وهٰذا سند مظلم فإنَّ كلّ من دون عبد الرحمٰن لا يعرفون». ا.هـ. التوسل أنواعه وأحكامه (ص١١٦) وقد تكلَّم عن هٰذا الحديث في ذاك الكتاب.

هٰذا ما تيسَّر جمعه في نقد هٰذا الحديث. وحسبنا هٰؤلاء الأعلام ولو أردت جمع واستقصاء من تكلّم فيه لكثُر الكلام بلا داعٍ ومن لا يقنع بالقليل لا يقنعه الكثير. والقناعة كنز لا يفنى.

والخلاصة أنَّ هٰذا الحديثَ معلول متناً وإسناداً.

* أمّا متناً:

١ـ فلمخالفته لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ فقوله في الحديث ولولا

= محمد ما خلقتك مخالف للآية. ومثل هٰذا لا يعتمد بحديث ضعيف بل لا بد من ثبوته بالأسانيد الصحيحة. والله أعلم.

٢ـ مخالفته لما ثبت عن ابن عباس موقوفاً عند الحاكم (٣/ ٥٤٥) وغيره أنَّه قال: «أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى...» الحديث وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني التوسل (ص١٢٦) والحديث سوف يُورده المؤلِّف ـ إن شاء الله ـ (ص ١٩١)

* أمَّا سنداً:

١ـ فلما مرَّ أنَّ عبد الرحمٰن بن زيد واهٍ بمرة.

٢ـ أنَّ في الإسناد مجاهيل إلى عبد الرحمٰن.

٣ـ الاضطراب: فتراه رُوي موقوفاً على عمر وتارة يروى مرفوعاً وتاره مقطوعاً على غيره وما ذلك إلاّ للاضطراب الذي فيه.

فالحديث بهٰذه العلل لا يجوز الاحتجاج به البتَّة.

وأمَّا تصحيح الحاكم فقد مرَّ شيء عن تساهله وهنا زيادة بيان:

١ـ حكى الحافظ أبو عبدالله الذهبي (ت ٧٤٨) عن أبي سعد الماليني (ت ٤١٢) أنَّه قال: «طالعت المستدرك على الشيخين الذي صنفه الحاكم من أوَّله إلى آخره فلم أرَ فيه حديثاً على شرطهما».

٢ـ قال الحافظ عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠) نظرت إلى وقت إملائي عليك هٰذا الكلام فلم أجد حديثاً على شرط البخاري ومسلم لم يخرجاه إلاّ ثلاثة أحاديث. وذكرها.

٣ـ الحافظ ابن الصلاح (ت ٦٤٣). قال في المقدمة (ص: ١٦٤) «وهو واسع الخطو في شرط الصحيح متساهل في القضاء به...»

٤ـ ابن تيمية (ت ٧٢٨) قال: ولهٰذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم. وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح، ولكن هو في المصححين بمنزلة الثقة الذي يكثر غلطه، وإن كان الصواب أغلب عليه، وليس فيمن يصحِّح الحديث أضعف من تصحيحه بخلاف أبي حاتم بن حبان البُستي، فإن تصحيحه فوق تصحيح الحاكم وأجلّ قدرا. ا.هـ. التوسل والوسيلة (ص ٧٠)

٥ـ الحافظ الذهبي: تعقب قول الماليني السابق الذكر بقوله: هٰذا غلوّ وإسراف، وإلاّ ففي المستدرك جملة وافرة على شرطهما وجملة كثيرة على شرط أحدهما، وهو قدر النصف، وفيه نحو الربع مما صحّ سنده أو حسن، وفيه بعض العلل، وباقيه مناكير وواهيات، وفي بعضها موضوعات قد افردتها في جزء. انتهى كلامه. أنظر النكت للحافظ ابن حجر (١/ ٣١٢ـ٣١٤)).

٦ـ البلقيني (ت: ٨٠٥): قال في محاسن الاصطلاح (ص: ١٦٤) (بحاشية مقدمة ابن الصلاح): «فائدة وزيادة: ما صححه الحاكم ولم يوجد لغيره تصحيحه ينبغي أن يتوقف فيه، فإنّ فيه الضعيف والموضوع أيضاً، وقد بين ذلك الحافظ الذهبي وجمع جزءاً من الموضوعات تقارب مائة حديث، ومع ذلك، ففيه صحيح قد خرجه البخاري ومسلم أو أحدهما، لم يعلم به الحاكم. وابن حبان ليس يقاربه بل هو أصحّ منه بكثير» ا.هـ.

٧و٨ـ وانظر كلام السيوطي (ت ٩١١) في الالفية (ص١٢) وتعليق العلاّمة أحمد شاكر (ت

أقول: هٰذا حديث ضعيف بأتفاق. انفرد بتصحيحه الحاكم جرياً على عادته في التساهل، وكم صحَّح أحاديث ضعيفة بل موضوعة، وإليك ما قاله أهل العلم في الحاكم هٰذا: لا يلتفت إلى تصحيحه ما لم يوافقه أحد من أئمَّة الحديث. وكيف ساغ للحاكم تصحيحه وإلزام الشيخين بإخراجه وفيه عبد الرحمٰن بن زيد؟

قال في تهذيب التهذيب[1]: عبد الرحمٰن بن زيد وذكر تضعيفه عن مالك[2]، وأحمد[3]، وأبي زرعة[4]، وأبي طالب[5]، وناهيك

= ١٣٧٧هـ) عليه.

٩- وانظر أيضاً كلام الحافظ السندي (ت١١٣٨هـ) في حاشيته على النسائي باب البول في البيت جالساً (١/ ٣١).

فإنه قال: «وتصحيح الحاكم له لا عبرة به لأنَّ تساهل الحاكم في التصحيح معروف...».

(١) صاحب تهذيب التّهذيب هو الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشّافعي علم الحديث وأمير المؤمنين فيه. من أجلّ مصنفاته: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. والإصابة في تميز الصَّحابة وتبصير المنتبه وتحرير المشتبه، وتهذيب التّهذيب وتقريبه. هذَّب فيه تهذيب الكمال في علم الرجال للحافظ المزي وزاد عليه وهو في رجال الكتب السّتة وبعض مصنفات اصحابها وُلد سنة ٧٧٣هـ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ انظر ترجمته شذرات الذهب (٧/ ٢٧٠). والبدر الطالع(١/ ٨٧).

(٢) هو الإمام الحجَّة الثقة العابد الورع إمام دار الهجرة ورأس المتقين وكبير المتبثين صاحب الموطَّأ وإليه يُنسب المذهب المالكي . مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله المدني. ولد سنة ٩٣ وتوفي سنة ١٧٩هـ. أنظر تهذيب الكمال(٢٧/ ٩١) السير (٨/ ٤٣).

(٣) هو إمام أهل السنة بلا منازع وناصر الجماعة بلا مدافع قامع البدع الأقهر والثابت الأظهر الصديق الثاني أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني يلتقي مع رسول الله ﷺ في جدّه نزار جاهد في الله حقَّ الجهاد وثبت أمام المِحن الشّداد في مسألة خلق القرآن فأبى أن يقول إلّا السَّداد فأستحق مرتبة الإمامة ولقب الصديقية. رحمه الله رحمةً واسعة. من أهمّ مؤلفاته: المسند المشهور وفضائل الصحابة. وله مسائل في العقيدة والفقه والرجال والعلل. مات سنة ٢٤١هـ وله سبع وسبعون سنة.

* أنظر ترجمته: السير (١١/ ١٧٧) والشذرات (٢/ ٩٦).

(٤) أبو زرعة هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ الرازي، إمام حافظ ثقة مشهور مات سنة ٢٦٤ هـ وله أربع وستون سنة. روى له مسلم وغيره.

* انظر السير (١٣/ ٦٥) والتقريب (ص٣٧٣) والشذرات (٢/ ١٤٨).

(٥) لم يضعف عبد الرحمٰن بل نقل عن الإمام أحمد رحمه الله تضعيفه. وأبو طالب هو: أحمد بن حميد المشكاني صاحب الإمام أحمد، روى عنه مسائل تفرد بها، وكان الإمام أحمد يكرمه ويعظمه، وكان رجلاً صالحاً فقيرا صبوراً على الفقر. توفي سنة ٢٤٤هـ. أنظر تاريخ بغداد (٤/ ١٢٢) والمقصد الأرشد (١/ ٩٥-٩٦).

وقوله: اعتمدنا فيه[1] تصحيح الحاكم، فكأنه لا يدري ما قاله العلماء في تصحيح الحاكم، وإذا كان لا يدري فما له وما للحديث ورجاله.

وقوله: ولعلَّ ابن تيمية إذا بلغه الحديث يطعن فيه بعبد الرحمن بن زيد [وعبد الرحمن][2] لم يبلغ بالضعف الى الحد الذي ادَّعاه.

أقول: قد عرفت من تكلَّم في عبد الرحمن بن زيد ولم يأتِ السبكي برجل واحد عدل عبد الرحمن بن زيد فإذا كان يعدل من شاء ويضعف من شاء بعقله ورأيه فهو الأجدر بالكلام في الدين بالظن والخرص لا شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنَّه قد تكلَّم في عبد الرحمن بكلام أهل العلم فيه، وما قاله هو الذي وجدناه في كتب الجرح والتعديل.

والذي صحَّ في تفسير هذه الآية أعني قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّه كَلِماتٍ فتابَ عليه ﴾[3] هو ما قاله الفاضل الشيخ أبو بكر خوقير[4] في كتابه فصل المقال.

قال حرسه الله تعالى[5]: «بيان ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ

---

(١) أنظر الكلام على عبد الرحمن بن زيد في تهذيب الكمال (١٧/ ١١٦) و تهذيب التَّهذيب (٦/ ١٧٧) ـ وقال الذهبي في الكاشف (٢/ ١٤٦) ضعفَّوه. وقال ابن حجر في التقريب (ص٣٤٠): ضعيف.

(٢) مابين معقوفتين زيادة يقتضيها السياق وهي معنى كلام السّبكي (ص١٦٣).

(٣) سورة البقرة، آية/ ٣٧.

(٤) هو أبو بكر بن محمّد عارف بن عبد القادر بن محمّد علي خوقير المكي الكتبي الفقيه الحنبلي، وُلد بمكة عام ١٢٨٢هـ أو ٨٤ هـ، دعاه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى إلى سلوك طريق السّلف في التّوحيد فاستجاب وعكف على قراءة كتب الإمام ابن تيمية وابن القيّم وابن عبد الوهّاب، وحارب البدع والخرافات إلى أن سُجن في مكّة سبع سنوات تقريباً في عهد الشريف حسين بن علي وكان إطلاق سراحه يوم دخول جيش الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى، واشتغل في التّدريس في الحرم المكي، وتجارة الكتب لنشر مذهب السّلف، توفي سنة ١٣٤٩ هـ. من مؤلفّاته: فصل المقال وإرشاد الضالّ في توسل الجهّال طبع بمصر سنة ١٣٢٤هـ، وما لا بدَّ منه في أمور الدين. طبع بتحقيق الأخ: خالد العنبري.

* أنظر ترجمته: معجم المؤلفين (١/ ٤٤٤). ومشاهير علماء نجد (ص٤٣٧) ومقدمة تحقيق كتاب ما لا بدَّ منه في أمور الدين، وسير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة (ص٢٢-٢٤).

(٥) فصل المقال (ص: ١٣).

فَتَابَ عَلَيه ﴾[1] في التفسير الكبير للعلاَّمة الفاضل محمَّد ابن جرير الطبري[2].

عن ابن زيد[3] تابعه أبو زهير[4] ومجاهد[5]، وقتادة[6] والحسن[7]: ﴿ ربَّنا ظَلَمنَا أَنفُسَنَا وَإن لَم تَغفِر لنَا وتَرحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، آية/ ٣٧.

(٢) هو محمَّد بن جرير بن يزيد بن خالد وقيل يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، إمام المفسرين وكبيرهم وعلم المحدثين، حفظ القرآن ابن سبع سنين وصلَّى بالنَّاس وهو ابن ثمان، وكتب الحديث وهو في التاسعة، نبغ ففاق أقرانه وأصبح إماماً في كثير من الفنون كالحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة والعروض، له مصنفات شهيرة كجامع البيان عن آي القرآن في التفسير، وتهذيب الآثار في الحديث، وتاريخ الرُّسل والملوك، وصريح السُّنَّة وذكر فيه معتقده. توفي سنة ٣١٠هـ وقد جاوز خمساً وثمانين سنة. * انظر ترجمته: السير (١٤/ ٢٦٧) وشذرات الذهب(٢/ ٢٦٠).

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوى مولاهم، ضعيف مات سنة ١٨٢هـ التقريب (ص: ٣٤٠) وهو من الأئمة الذين ينقل عنهم التفسير. وعلم التفسير والفقه ليس له علاقة بالحفظ والإتقان، وهذه الرواية عن ابن زيد تدلّ على ضعف الحديث الذي رواه وسبق الكلام عليه. والله أعلم.
● وأخرج هذه الرواية ابن جرير (١/ ١٩٣) و (١/ ١٩٤)

(٤) هو العلاء بن زهير بن عبد الله الأزدي ابو زهير الكوفي ثقة، * انظر التقريب ص ٤٣٥ هـ وهو لم يتابع ابن زيد والباقين، بل هو من رجال إسناد رواية مجاهد عند ابن جرير (١/ ٢٤٤) والذي أوهم الشيخ أنَّه متابع لابن زيد والباقين هو تحويل ابن جرير للإسناد والله أعلم.

(٥) مجاهد بن جَبْرٍ أبو الحجَّاج المخزومي مولاهم، المكّي ثقة إمام في التفسير، قالوا عنه: إذا جاء التفسير عن مجاهد فحسبك. كان من خواصّ تلاميذ ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وعرض عليه القرآن أكثر من مرَّة يستوقفه عند كل آية. وهو وارث علومه، توفي وهو ساجد سنة ١٠١ـ١٠٢ـ١٠٣ـ١٠٤هـ على خلاف. * انظر ترجمته: السير (٤/ ٤٤٩) والبداية والنّهاية(٩/ ٢٢٤) وأخرج أثر مجاهد: ابن أبي حاتم (١/ ١٣٦ رقم ٤١٤) وابن جرير (١/ ١٩٤) ووكيع وعبد بن حميد كما في الدُّرّ المنثور (١/ ٥٩).

(٦) قتادة بن دعامة بن قتادة السَّدوسي، أبو الخطَّاب البصري، ثقة ثبت، يُقال وُلد أكمه، وهو من خيار التابعين واتُّهم بالقدر. توفي بضع عشر ومائة. * انظر السير (٥/ ٢٦٩) والتقريب (ص: ٤٥٣)
● وأخرج أثره ابن جرير (١/ ١٩٤).

(٧) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري مولاهم رضيع بيت النُّبوَّة الإمام الزاهد الناطق بالحكمة، الثّقة الفقيه المشهور. ت ١١٠هـ * السير (٤/ ٥٦٣) وشذرات الذهب (١/ ١٣٦).
● وأخرج أثر الحسن: ابن جرير (١/ ١٩٣) وعبد بن حميد كما في الدُّرّ المنثور (١/ ٥٩).

(٨) سورة الأعراف، آية/ ٢٣.

* ابن عباس[١]: «أي ربّ ألم تخلقني بيديك؟[٢] قال بلى. قال: أي رب ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب. ألم تسبق رحمتُك غضَبك؟ قال: بلى. قال: أرأيت إن أنا تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: (نعم)»[٣].

* وعنه أيضا: «رب إن أنا تبت وأصلحت؟ فقال: إني إذاً راجعك إلى الجنة»[٤]

* أبي العالية: يارب أرأيت إن أنا تبت وأصلحت؟ فقال الله: إذاً راجعك إلى الجنة.

فهي من الكلمات. ومن الكلمات أيضاً: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾[٥]

* أسباط[٦] عن السُّدي:[٧] قال: رب ألم تخلقني بيديك؟ قيل له: بلى. ونفخت

---

(١) هو عبد الله بن عباس حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير ابو العباس عبد الله ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله عنه، ولد بشِعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين. صحب النبي ﷺ وحدث عنه بجملة وافرة صالحة يعد من العَبَادلة الأربعة كان جميلاً وسيماً مهيباً مديد القامة كامل العقل ذكي النفس من رجال الكمال، دعا له النبي ﷺ بالحِكْمة، وفضائله كثيرة جداً، توفي سنة ثمان أو سبع وستين هـ.
* أنظر طبقات ابن سعد(٢/ ٣٦٥) والسير(٣/ ٣٣١)

(٢) في فصل المقال (ص: ١٣) بالإفراد: بيدك، في أثر ابن عباس، والسّدي.

(٣) ما بين قوسين في الأصل بلى، والتصويب من ابن جرير.
● واخرج الأثر ابن جرير (١/ ١٩٣) وابن أبي حاتم(١/ ١٣٥ رقم ٤١١) والحاكم (٣/ ٥٤٥) وصححه ووافقه الذهبي والالباني (التوسل ص ١٢٦). وأخرجه كما في الدر المنثور(١/ ٥٨) الفريابي وعبد بن حميد وابن ابي الدنيا في التوبة (ولم أجده في المطبوع) وابن المنذر وابن مردويه.

(٤) أخرج ابن جرير نحوه عن ابن عباس (١/ ١٩٣) وأخرجه أيضاً عن قتادة (١/ ١٩٣).

(٥) سورة الاعراف، آية/ ٢٣.
● وأخرج الأثر ابن جرير (١/ ١٩٣-١٩٤). وأبو العالية هو رُفيع -بالتصغير- ابن مِهران الرّياحي مولاهم البصري، الفقيه المقرىء المفسر، رأى أبا بكر وسمع من عمر وابن مسعود وعلي وعائشة وقرأ على أبيّ. قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية ثم سعيد بن جبير توفي ٩٣هـ على الصحيح. أنظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (١/ ٦١-٦٢) والتقريب (ص: ٢١٠).

(٦) اسباط بن نصر الهَمْداني، أبو يوسف، ويقال: أبو نصر الكوفي، كان راوية السدي روى عنه التفسير. اختلف في توثيقه، فوثقه يحيىٰ بن معين وغيره وضعفه آخرون، * انظر ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/ ٢٦١) تهذيب الكمال (٢/ ٣٥٧).

(٧) هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة السُّدي ابو محمد القرشي الكوفي الأعور أصله حجازي =

فيّ من روحك ؟ قيل له: بلى. قال: وسبقت رحمتُك غَضَبَكَ ؟ قيل له: بلى. قال: رب هل كنتَ كتبتَ عليّ هذه ؟ قيل له: نعم. قال: رب إن تبتُ وأصلحتُ هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قيل له: نعم. قال الله: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّه فتابَ عَلَيهِ وَهَدَىٰ ﴾[1].

* سفيان[2] عن عبد العزيز بن رُفيع[3] عن عُبيد بن عُمير[4]، تابعه ابن سنان[5]، (ووكيع)[6] وخلافه: «قال آدم: يا رب خطيئتي التي أخطأتها أشيء كتبتَه عليّ قبل أن

= سكَن الكوفة وكان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة فسمي السدي وهو السدي الكبير، وهو ثقة رأى بعض الصحابة منهم الحسن بن علي وعبد الله بن عمر وابو سعيد الخذري وابو هريرة مات سنة ١٢٧ هـ سبع وعشرين ومائة. * انظر تهذيب الكمال(٣/ ١٣١). والسير (٥/ ٢٦٤)

(١) سورة طه، آية/ ١٢٢. ووقع في الأصل فاجتباه، وهو خطأ، وفي فصل المقال فاجتباه ربه وهداه ● والأثر أخرجه ابن جرير(١/ ١٩٤).

(٢) سفيان هو ابن سعيد بن مسروق الثوري ابو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد امام حجة كان ربما دلس مات سنة إحدى وستين ومائة- ١٦١هـ * انظر السير(٧/ ٢٢٩) التقريب ص (٢٤٤)

(٣) عبد العزيز بن رُفيع ـ بفاء مصغر ـ الأسدي، أبو عبد الله المكي نزيل الكوفة ثقة، مات سنة ١٣٠ هـ ثلاثين ومئة، ويقال بعدها وقد جاوز التسعين. * السير (٥/ ٢٢٨) التقريب ص ٣٥٧.

(٤) عُبيد بن عُمير بن قتادة الليثي، ابو عاصم المكي ولد على عهد النبي ﷺ ـ قاله مسلم ـ وعدَّه غيره من كبار التابعين، وكان قاصّ أهل مكة، مجمع على ثقته مات قبل ابن عمر ـ وقد توفي ابن عمر سنة ٧٣ هـ. * السير(٤/ ١٥٦) التقريب(ص: ٣٧٧).

(٥) أحمد بن سنان بن أسد بن حِبان ـ بكسر المهملة بعدها موحدة ـ أبو جعفر القطان الواسطي. ثقة حافظ مات سنة تسع وخمسين ومائتين وقيل قبلها. * التقريب (ص: ٨٠).

(٦) في الأصل مطيع وأظن ان الصواب وكيع لأن اسانيد هذا الأثر لا يوجد فيهامطيع بل وكيع وهو ابن الجراح بن مليح الرؤاسي ابو سفيان الكوفي ـ ثقة حافظ عابد شيخ الشافعي مات اخر سنة ست واول سنة سبع وتسعين ومائة وله سبعون سنة. * انظر تهذيب الكمال (٣٠/ ٤٦٢) * والسير(٩/ ١٤٠).

■ تنبيهان: الأول: قول الشيخ ابي بكر خوقير هنا: تابعه ابن سنان ووكيع غير مستقيم لأن ابن سنان من شيوخ ابن جرير ووكيعاً من شيوخ ابن سنان وسفيان من شيوخ وكيع فعلى ذلك ابن سنان ووكيع وخلافه ليسوا بمتابعين لسفيان بل إن مدار الأثر عند ابن جرير على سفيان ورواه عنه كل من؛ عبد الرحمن بن مهدي ومؤمّل ووكيع وأبي نعيم وعبد الرزاق فهؤلاء تابع بعضهم بعضاً.
الثاني: قوله عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير بدون واسطة لا يوجد إلا في رواية عبد الرزاق عن سفيان وأما بقية الرواة عن عبد العزيز بن رفيع عمن سمع عبيد بن عمير فعلى ذلك في السند واسطة مجهولة والله أعلم.

تخلقني أو شيء ابتدعته [من][1] قِبَل نفسي؟ قال: بل شيء كتبتُهُ عليك قبل أن أخلقَكَ قال: كتبتَهُ عليّ فاغفره لي»[2].

* عن [عبد الرحمن بن يزيد بن] معاوية[3]: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك تب عليّ إنك أنت التواب الرحيم[4].

* عن مجاهد، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك. رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير /١٧٤/ الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم[5].

* وعنه أيضاً قال: «أي ربِّ أتوبُ علي إن تُبتُ؟ قال: نعم فتاب عليه ربه»[6]، انتهى بحروفه.

وقال أيضاً في الكتاب المذكور عند الكلام على هذا الحديث لما استدل به الهندي[7]. «أقول: الذي في الدر المنثور خمس. الخامس ابن عساكر[8] يرويه جميعهم

---

(١) من فصل المقال.

(٢) أخرجه ابن جرير(١/ ١٩٤).

(٣) ما بين معقوفتين من ابن جرير(١/ ١٩٤) ووقع في الأصل وفي فصل المقال معاوية ●وأما عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فهو ابن أبي سفيان الأموي كان من الأتقياء العباد، إجتهد في العبادة حتىٰ صار كالشنِّ البالي، قال أبو زرعة الدمشقي وغيره كان من صالحي القوم وذكره ابن حبان في الثقات.
* انظر تهذيب الكمال(١٨/ ٤١) السير (٥/ ٤٩).

(٤) أخرجه ابن جرير(١/ ١٩٣).

(٥) أخرجه ابن جرير(١/ ١٩٤).

(٦) أخرجه ابن جرير(١/ ١٩٤).

(٧) ذكره خوقير في مقدمة فصل المقال (ص: ٢) وهو رجل من الهند قدم إلى ثغر جدة فذهب إليه خوقير فذاكره في التوسل وما تفرع عنه ... فظهر منه تعصب جاهلي، فأرسل إليه رسالة وهي المثبتة في الكتاب (الكشف المبدي) في الفقرات السابقة، فرد عليه الهندي برسالة ووقع باسمه: المفتي أحمد حسن الجالندري. قال خوقير: وقد أفرغ في هذه الرسالة ما في جعبته، وأعرب عن وقاحته، وجهله المركب، وما عنده من فاسد التعصب، وبرهن بلحنه وتراكيب عباراته على عدم معرفته كلام العرب، وأضاف إلى عجمته وجهله الكذبَ وسوء الأدب اهـ.

(٨) الإمام العلامة الحافظ الكبير المجدد ومحدث الشام علي بن الشيخ أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين أبو القاسم الدمشقي الشافعي صاحب تاريخ دمشق وتبيين كذب المفتري فيما =

عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطّاب يرفعه وليس عندي من كتب هؤلاء الحفاظ إلا معجم الطبراني[1] الصغير وإسناده فيه هكذا: عن محمد بن داود بن أسلم الصدفي المصري عن أحمد بن سعيد المدني الفهري عن عبدالله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبعد سياق المتن قال: لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد تفرّد به أحمد بن سعيد انتهى[2]. قال البيهقي[3]: تفرد به عبد الرحمٰن انتهى[4]. وقال بعضهم: صححه الحاكم انتهى. وفي تصحيحه نظر فليس كل ما صححه مقبولاً قال المدراسي[5]..

= نسب إلىٰ أبي الحسن الأ شعري، وأجزاء كثيرة جداً كان كثير النوافل والأذكار وله شعر حسن. توفي سنة ٥٧١هـ. * أنظر السير (٢٠/٥٥٤) والشذرات (٤/٢٣٩).

(١) هو الإمام الحافظ الثقة الرحّال الجوال محدث الإسلام عَلَم المعمرين أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة، ولد في عكا سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ٣٦٠ بأصبهان وعاش مائة عام وعشرة أشهر. رحمه الله تعالىٰ * انظر السير (١٤/١١٩) والشذرات (٣/٣٠).

(٢) معجم الطبراني الصغير (٢/٨٢-٨٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨/٢٥٣)، رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم. وقال الألباني حفظه الله تعالى: وهذا سند مظلم فإن كل من دون عبد الرحمٰن لا يعرفون. ١.هـ. * أنظر التوسل أنواعه وأحكامه ص ١١٦.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ البيهقي صاحب التصانيف الشهيرة كالأسماء والصفات والاعتقاد والسنن الكبرىٰ عني باثار الشافعي ومذهبه حتى نشره وجدده توفي سنة ٤٥٨هـ.

* انظر تذكرة الحفاظ (٣/١١٣٤) وطبقات الشافعية للأسنوي (١/١٩٨) والنجوم الزاهرة (٥/٧٧).

(٤) دلائل النبوة (٥/٤٨٩)، قال تفرد به عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه وهو ضعيف والله أعلم.

(٥) هو الأمير محمد عبد الوهاب بن مولوي محمدغوث بن ناصر الدين محمد بن نظام الدين أحمد المدراسي الشافعي مدار الأمراء مدبر الملك، ولد لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ثمان ومائتين وألف بمدراس سافرللحج والزيارة مرتين. من مصنفاته: أكمل الوسائل لرجال الشمائل، وكشف الأحوال في نقد الرجال في أسماء الضعفاء، وكاشف الرموزات إلىٰ الورقات في الأصول. وهبة الوهاب في الفقه الشافعي توفي سنة ١٢٨٥هـ. * انظر نزهة الخواطر (٧/٣١٥-٣١٦).

في كشف الأحوال في نقد الرجال: إن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاق[١] وكذا في تقريب التهذيب[٢].

قال العلامة حمد بن ناصرالتميمي[٣] في جوابه[٤] على رسالة الفاضل اليمني محمد بن أحمد الحفظي[٥] سنة ألف ومائتين وسبعة عشر ما نصه[٦]: وأما قول القائل فقد أخرج الحاكم في مستدركه وصححه أن آدم توسل بالنبي ﷺ /١٧٥/ فهو من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال أحمد بن حنبل: ضعيف. وقال ابن معين[٧]: ليس حديثه بشيء[٨] وضعفه ابن المديني[٩] ....

(١) كشف الأحوال (ص: ٦٦) طبعة هندية قديمة سنة ١٣٠٣هـ.

(٢) التقريب (ص: ٣٤٠)

(٣) حمد بن ناصر بن عثمان بن حمد آل معمر العنقري السعدي التميمي النجدي كان من بيت نفوذ وإمارة. تلقىٰ علومه علىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ حسين بن غنام برع ونبغ وذاع صيته وقصد بالأسئلة من أنحاء الجزيرة وبعثه الامام عبد العزيز بن محمد عام (١٢١١هـ) إلىٰ الشريف غالب أمير مكة ليناظر علماء الحرم في مسائل التوحيد توفي في مكة المشرفة وصلي عليه عند الكعبة في العشر الأوسط من ذي الحجة سنة ١٢٢٥هـ.
* انظر ترجمته: علماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام (١/ ٢٣٩-٢٤٣) وعنوان المجد (١/ ١٥٤)
تنبيه: وجد في الأصل أحمد وكذا في عنوان المجد والذي أثبتُ هو المشهور من اسمه. والله أعلم.

(٤) طبع هذا الجواب بعنوان النبذة الشريفة النفيسة في الرد علىٰ القبوريين عدة طبعات منها ضمن كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية للشيخ ابن قاسم/ ج٩/ وطبعها أيضاً السيد رشيد رضا. وآخرها طبعة بتحقيق الشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم.

(٥) هو والله أعلم- محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي، العجيلي، العسيري، الرجالي برع في فنون وكان سريع البادرة حسن المحاضرة مع تواضع ودماثة أخلاق واشتغال بما يقربه من الملك الخلاق.... ولما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان ممن مال إليها وحث الناس علىٰ إجابتها توفي بقرية رجَّال من عسير سنة ١٢٣٧هـ تقريباً له مؤلفات في النحو وغيره.
* انظر: نيل الوطر (٢/ ٢٢٥) معجم المؤلفين (٣/ ٢٤)

(٦) النبذة الشريفة (ص: ١٠٧-١١١).

(٧) يحيىٰ بن معين بن عون الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي ثقة حافظ مشهور. إمام في الجرح والتعديل مات سنة ٢٣٣هـ بالمدينة النبوية روىٰ له الجماعة.
* انظر: السير (١١/ ٧١) والتقريب (ص٧٩٥).

(٨) انظر المجروحين لابن حبان(٢/ ٥٨).

(٩) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم، أبو الحسن بن المديني بصري، ثقة ثبت إمام، من أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، حتىٰ قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عند علي =

جداً[1]، وقال أبو داود[2]: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيف وقال النسائي[3]: ضعيف. وقال ابن عبد الحكم[4]: سمعت الشافعي[5] يقول، ذكر رجل لمالك حديثاً فقال[6] من حدثك فذكر إسناداً له منقطعاً فقال: اذهب إلى عبد الرحمٰن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام[7].

وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال أبو حاتم[8]: ليس بقوي في الحديث، كان في

= بن المديني، وقال فيه شيخه ابن عيينة وكنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني، وقال النسائي: كأن الله خلقه للحديث، عابوا عليه إجابته في المحنة، لكنه تنصل، وتاب واعتذر بأنه كان خاف علىٰ نفسه وله كتاب العلل مطبوع. مات سنة أربع وثلاثين ومائتين علىٰ الصحيح
* انظر تهذيب الكمال (٢١/ ٥-٣٥) والسير (١١/ ٤١-٦٠).

(١) المجروحين (٢/ ٥٨).

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني أبو داود ثقة حافظ مصنف السنن والمراسيل والقدر وغيرها، من كبار العلماء مات سنة خمس وسبعين ومائتين.
* انظر: السير(١٣/ ٢٠٣) والتقريب (ص: ٢٥٠).

(٣) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمٰن النسائي الحافظ صاحب السنن الصغرىٰ والكبرىٰ من أئمة الجرح والتعديل توفي سنة ٣٠٣هـ.
* انظر: تهذيب الكمال (١/ ٣٢٨) والسير (١٤/ ١٢٥) والتقريب (ص: ٨٠)

(٤) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث الامام الفقيه أبو عبد الله المصري روىٰ عن الشافعي وغيره وثقه النسائي وغيره وقال ابن خزيمة: ما رأيت من فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم تفقه بالشافعي ونفقه بمالك أيضاً ولزمه مدة ويعد من أصحابه الكبار، له كتاب أدب القضاة ولد سنة ١٨٢هـ وتوفي سنة ٢٦٨هـ.
* انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٤٩٧) والسير (١٢/ ٤٩٧) والشذرات (٢/ ١٥٤).

(٥) هو الإمام الحجة إمام الفقهاء وقدوة الأتقياء وحافظ المحدثين مجدد الدين محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب المطلبي، أبو عبد الله الشافعي، المكي نزيل مصر، من مؤلفاته الأم والرسالة مات سنة ٢٠٤هـ.
* انظر: السير (١٠/ ٥) والتقريب (ص: ٤٦٧)

(٦) في الأصل: قال. والمثبت من فصل المقال (ص: ٢٩) والنبذة (ص: ١٠٨).

(٧) انظر المجروحين (٢/ ٥٨)

(٨) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، أحد الحفاظ وإمام من أئمة الجرح والتعديل دَوّن أكثر أقواله ابنه في كتابه الجرح والتعديل مات سنة سبع وسبعين ومائتين ٢٧٧هـ. * انظر: السير (١٣/ ٢٤٧) والتقريب (ص: ٢٦٧).

نفسه صالحاً وفي الحديث واهياً. وقال ابن حبان[1]: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتىٰ كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك[2]. وقال ابن سعد[3]: كان كثير الحديث ضعيفاً جداً. وقال ابن خزيمة[4]: ليس هو مما يحتج أهل العلم بحديثه. وقال الحاكم[5] وأبو نعيم[6]: روىٰ عن أبيه أحاديث موضوعة.

وقال ابن الجوزي[7]: أجمعوا علىٰ ضعفه. فهذا الحديث الذي استدل به تفرد به عبد الرحمٰن بن زيد وهو كما تسمع.

---

(١) هوالامام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي أبو حاتم البستي، علامة محدث مؤرخ جغرافي أحد المكثرين من التصنيف من مصنفاته، المسند الصحيح، والثقات، وكتاب المجروحين توفي سنة ٣٥٤هـ. * انظر: السير(١٦/ ٩٢) وتذكرة الحفاظ (٣/ ٩٢٠) وشذرات الذهب(٣/ ١٦).

(٢) انظر المجروحين لابن حبان (٢/ ٥٧)

(٣) هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم أبو عبد الله البصري المعروف بابن سعد وبكاتب الواقدي لكونه لازم شيخه محمد بن عمر الواقدي زمناً طويلاً وكتب له، كان كثير العلم كثير الرواية. عالماً بأخبار الصحابة والتابعين ومن أهل الفضل والعلم. من مؤلفاته الطبقات. توفي سنة: ٢٣٠هـ.
* انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٤٢٩) والوافي بالوفيات (٣/ ٨٨) والسير (١٠/ ٦٦٤).

(٤) هو الامام محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر، إمام نيسابور في عصره والملقب إمام الأئمة كان فقيهاً مجتهداً عالماً بالحديث تزيد مصنفاته علىٰ ١٤٠ مصنفاً منها: صحيح ابن خزيمة والتوحيد وهو من أجل الكتب المصنفة في التوحيد يسميه أهل البدع من المعطلة كالكوثري وأتباعه كتاب الشرك لأنه يرد علىٰ أهل البدع بالآيات والأحاديث مات سنة٣٣١هـ.
* انظر: السير (١٤/ ٣٦٥) والشذرات (٢/ ٢٦٢).

(٥) في الأصل وفصل المقال: الحكم. والتصويب من المصادر.

(٦) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الإمام الحافظ، الثقة العلامة، أبو نعيم المهراني الأصبهاني الصوفي الأحول، صاحب الحلية ولد سنة٣٣٦هـ وكان أبوه من علماء المحدثين والرحالين له من المؤلفات معجم الشيوخ والمستخرج علىٰ الصحيحين وتاريخ أصبهان وصفة الجنة ودلائل النبوة وفضائل الصحابة. كان حافظاً مبرزاً عالي الإسناد مات سنة٤٣٠هـ. * انظر: السير (١٧/ ٤٥٣) والشذرات (٣/ ٢٤٥).

(٧) هو الإمام المفسر حافظ العراق جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي بن عبيد الله بن عبد الله التيمي القرشي البكري نسبة إلىٰ أبي بكر الصديق. واعظ محدث مفسر له مصنفات في سائر الفنون من تصانيفه: زاد المسير في علم التفسير، والموضوعات، وتلبيس إبليس. مات سنة ٥٩٧هـ.
* انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٢) والسير (٢١/ ٣٦٥).

وقال الشيخ تقي الدين في رده على ابن البكري[1]: وأما قول القائل: قد توسل به الأنبياء آدم وإدريس ونوح وأيوب كما هو مذكور في كتب التفسير وغيرها، فيقال: مثل هذه القصص لا يجوز الاحتجاج بها بإجماع المسلمين فإن الناس لهم في شرع من قبلنا قولان:

أحدهما: أنه ليس بحجة.

الثاني: أنه حجة ما لم يأت شرعنا بخلافه بشرط أن يثبت /١٧٦/ ذلك بنقل معلوم كإخبار النبي ﷺ. فأما الاعتماد على نقل أهل الكتاب أو نقل من نقل عنهم فلا يجوز باتفاق المسلمين؛ لأن في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»[2]. وهذه القصص التي ذكر فيها توسل الأنبياء بذاته ليست في شيء من كتب الحديث المعتمدة ولا لها إسناد معروف عن أحد من الصحابة وإنما تذكَر مرسلة[3] كما تُذكَر الاسرائيليات التي تروى عمن لا يعرف، وقد بسطنا[4] الكلام في غير هذا الموضع على ما نقل في ذلك عن النبي ﷺ. وتكلمنا عليه

---

(١) في النبذة الشريفة (ص: ١٠٨) البكري. وانظر الرد على البكري لابن تيمية (ص: ٦٤-٦٥).
والبكري هو أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري، كان ممن ينكر على شيخ الإسلام ابن تيمية. وقال ابن كثير: وما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة كدرة لاطمت بحراً عظيماً صافياً، أو رملة أرادت زوال جبل، وقد أضحك العقلاء عليه، وقد أراد السلطان قتله فشفع فيه بعض الأمراء، ثم نُفي إلى بلدة ديروط، فكان بها حتى توفي يوم الإثنين سابع ربيع الآخر سنة ٧٢٤ هـ ودفن بالقرافة، وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة، وكان شيخه ينكر عليه إنكاره على ابن تيمية، ويقول له: أنت لا تحسن أن تتكلم أ.هـ. انظر البداية والنهاية (١٤/ ١١٤-١١٥) والشذرات (٦/ ٦٤).

(٢) أخرج البخاري (التفسير في تفسير سورة البقرة - باب ﴿ قولوا آمنّا باللهِ وما أُنزِل إلينا... ﴾ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا تصدقوا أهل الكتاب بما يحدثونكم عن الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا...".
وروى أبو داود من حديث أبي نملة الأنصاري (العلم- باب رواية حديث أهل الكتاب - ٤/ ٥٩ رقم ٣٦٤٤) بلفظ ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله ورسله... الحديث. وأخرجه أحمد (٤/ ١٣٦) وضعف الألباني رواية أبي داود عن أبي نملة.
* انظر ضعيف الجامع (ص: ٧٣٠ رقم ٥٠٥٢).

(٣) في الاصل مسأله والتصحيح من النبذة الشريفة (ص: ١٠٩).

(٤) في المطبوع (ص: ١٠٩) وقد بسط الكلام

وبيّنّا بطلانه ولو نقل ذلك عن كعب[١] ووهب[٢] ومالك بن دينار[٣] ونحوهم ممن ينقل عن أهل الكتاب لم يجز أن يحتج به لأن الواحد من هؤلاء وإن كان ثقة فغاية ما عنده [أن ينقل][٤] من كتاب من كتب أهل الكتاب أو يسمعه من بعضهم، فإنه بينه وبين الأنبياء دهر طويل، والمرسل[٥] عن المجهول من أهل الكتاب الذي لا يعرف علمه وصدقه لا يقبل باتفاق المسلمين، ومراسيل أهل زماننا عن نبينا ﷺ لا تقبل عند العلماء مع كون ديننا محفوظاً محروساً، فكيف بما يرسل عن آدم وإدريس ونوح وأيوب عليهم السلام.

والقرآن قد أخبر بأدعية الأنبياء وتوباتهم واستغفارهم وليس فيها شيء من هذا وقد نقل أبو نعيم في الحلية أن داود عليه السلام قال: «يا رب أسألك بحق آبائي عليك إبراهيم وإسحاق ويعقوب /١٧٧/ فقال يا داود أي حق لآبائك علي»[٦]. فإن كانت الإسرائيليات حجة فهذا يدل على أنه لا يسأل بحق الأنبياء وإن لم تكن حجة لم يجز الاحتجاج بتلك الإسرائيليات؛ انتهى [كلامه][٧] فبيّن رحمه الله أنه لم يصح[٨] في هذا شيء عن النبي ﷺ وأن جميع ما روي في ذلك باطل لا أصل له. [أ. هـ].

---

(١) كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، ثقة مخضرم كان من أهل اليمن فسكن الشام مات في آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة.
* انظر: السير (٣/٤٨٩) والتقريب (ص: ٤٦١).

(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني. أبو عبد الرحمن الأبناوي بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون، ثقة مات سنة بضع عشرة ومائة.
* انظر السير (٤/٥٤٤) والتقريب (ص: ٥١٧)

(٣) مالك بن دينار البصري الزاهد، أبو يحيى، صدوق عابد مات سنة ثلاثين ومائة تقريباً.
* انظر السير (٥/٣٦٢) والتقريب (ص: ٥١٧)

(٤) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل وفصل المقال (ص: ٣٠) وهو في النبذة الشريفة (ص: ١١٠).

(٥) الحديث المرسل استقر تعريفه على أنه ما رفعه التابعي سواء كان صغيراً أو كبيراً إلى النبي ﷺ.
* انظر شرح النخبة لابن حجر (ص: ٦٦). **والمرسل من انواع الضعيف، فكيف بمرسل اهل الكتاب انبيائهم**

(٦) ورد هذا القول عن يوسف عليه السلام في الحلية (١٠/٩) في ترجمة أحمد بن أبي الحواري وانظر الرد على البكري (ص: ٢٢-٢٣). وابن تيمية في رده على البكري مرة ينسبه لداود وأخرى ليوسف عليهما السلام.

(٧) ما بين معقوفتين من النبذة الشريفة (ص: ١١١).

(٨) في الأصل يصلح، والتصويب من النبذة الشريفة (ص: ١١١) وفصل المقال (ص: ٣٠).

فصل

وأما الكلام علىٰ حديث ابن عباس وهو الحديث الثاني[1]. فجوابه أن يقال: هذا الحديث أشد ضعفاً من الحديث الذي قبله كما سنبينه إن شاء الله تعالىٰ.

الحديث الثاني المروي عن ابن عباس قال في الميزان في ترجمة عمرو[2] بن أوس: يجهل حاله وروىٰ حديثاً منكراً فذكره بتمامه وقال: رواه الحاكم من طريق جندل بن والق وأظنه موضوعاً[3] ....

---

(١) ذكره السبكي في شفاء السقام (ص: ١٦٢) والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (التاريخ: ٢/ ٦١٤-٦١٥) عن علي بن حمشاذ العدل املاءً ثنا هارون بن العباس الهاشمي ثنا جندل بن والق ثنا عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسَيّب عن ابن عباس قال: أوحىٰ الله إلىٰ عيسىٰ عليه السلام: يا عيسىٰ آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقتُ آدم ولولاه ما خلقت الجنةَ ولا النار ولقد خلقت العرش علىٰ الماء فاضطرب فكتبت عليه: "لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله." فسكن.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: أظنه موضوعاً علىٰ سعيد. أ.هـ. وأخرجه الخلال في السنة (١/ ٢٦١/ رقم ٣١٦).

والحديث ليس فيه دليل علىٰ التوسل أبداً بل كل ما فيه أنه أتىٰ به شاهداً لجملة وردت في حديث عمر السابق ولولا محمد ما خلقتك والكتابة علىٰ العرش، والله أعلم، ثم إنه موقوف.

(٢) في الأصل عمر والتصحيح من المصادر.

(٣) انظر ميزان الاعتدال (٣/ ٢٤٦) واللسان (٤/ ٣٥٤).

وأما جندل بن والق[1] فقال مسلم في الكُنىٰ ضعيف[2] ومثله عن البزار[3][4].

وأما علي شيخ الحاكم وهارون بن العباس الهاشمي فلم أجدهما في رجال التهذيب لكن ذكرهما في الميزان ونقل تضعيفها عن الدارقطني انتهى[5].

فإذا تبين حال هذا الحديث علم قطعاً جراءة الحاكم علىٰ تصحيحه، وأغرب منه موافقة السبكي له انتصاراً لنفسه لا للحق، ومثل هذا لا يخفى عليه فإن تساهل الحاكم

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في التقريب (ص١٤٣): جَنْدَل بن والق التغلبي - بمثناة ومعجمة - أبو علي الكوفي، صدوق يغلط ويصحف، من العاشرة مات سنة خمس وعشرين - إي ومائتين - بخ - أي روىٰ له البخاري في الأدب المفرد ولم يذكره الإمام الذهبي في الميزان وهو علىٰ شرطه.
* وانظر تهذيب الكمال (٥/١٥٠٢).

(٢) الذي يوجد في تهذيب التهذيب (٢/١١٩) قال مسلم في الكنىٰ: "متروك". وبعد الرجوع إلى كتاب الكنى لمسلم وجدت أنه أورده دون ذكر لدرجته قال د. عبد الرحيم القشقري محقق كتاب الكنىٰ بعد نقل قول ابن حجر: قلت - أي الدكتور -: لم أجد هذا الحكم في النسخ الموجودة بحوزتي، ولعله انتقل ذهنه إلىٰ الترجمة القادمة. أ.هـ. ففيها متروك الحديث.
* انظر: الكنىٰ (١/٥٥٩ رقم ٢٢٦٢).

(٣) تهذيب التهذيب (٢/١١٩) وفيه: "ليس بالقوي".

(٤) هو الإمام الحافظ الكبير: ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار صاحب المسند الكبير، رحل لنشر الحديث في شيخوخته. وكان ثقة يخطيء ويتكل على حفظه ادركه أجله بالرملة سنة ٢٩٢هـ. * انظر السير (١٣/٥٥٤) وشذرات الذهب (٢/٢٠٩).

(٥) لم أجد علي بن حمشاذ العدل في الميزان ولكن الذي وجدته(٣/١٢٥) علي بن حمّاد بن السكن روى عن يزيد بن هارون قال الدارقطني: متروك الحديث. فلعله التبس الأمر على المصنف رحمه الله. وكذلك الحال بالنسبة لهارون بن العباس الهاشمي فلم أجده في الميزان ولعله التبس على المصنف رحمه الله بهارون بن عيسى الهاشمي. قال الذهبي: هارون بن عيسى الهاشمي عن... (قال المحقق: بياض بالأصول كلها نحو ثلاث كلمات). قال الدارقطني: ليس بالقوى أ.هـ. * انظر الميزان(٤/٢٨٥).

قلت: ■ وعلي بن حمشاذ العدل قال عنه الذهبي في السير(١٥/٣٩٨) علي بن حمشاذ بن سختويه بن نصر، العدل الثقة الحافظ الإمام شيخ نيسابور، ابو الحسن النيسابوري صاحب التصانيف أ.هـ. توفي سنة

ثم نقل كلاماً عن الحاكم وغيره في توثيقه ولم يذكر أحداً تكلم فيه.

■ وهارون بن العباس الهاشمي: ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/٢٧). وقال: "وكان ثقة".

ولكن يبقى حال الحديث كما ذكر لحال عمرو بن أوس وجندل بن والق ولكلام الذهبي السابق في بيان حال الحديث، والله أعلم.

لا يخفى على من له أدنى إلمام بهذا الفن ولكن أداه تعصبه إلى الإغضاء عن بيان حاله كما حمل ابن حجر المكي[1] تعصبُه على إنكار الحديث الوارد في إرخاءالعَذَبَة[2]. وأخذ يشنع على شيخ الاسلام وابن القيم[3].

وقد رد عليه في هذه المسألة الشيخ عبد الرؤوف المناوي[4]، والشيخ علي

---

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (بالمثناة الفوقية) المكي السعدي الانصاري الشافعي شهاب الدين ابو العباس، من مشاهير فقهاء الشافعية في عصره، كان شديد التعصب على الإمام العظيم ابن تيمية رحمه الله تعالى، حتى رماه بالكفر والزندقة، ولذلك قام السيد نعمان الآلوسي بكتابه جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: احمد بن حجر هذا، وأحمد ابن تيمية. وأنصف فيه ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ من مؤلفات ابن حجر المكي: الجوهر المنظم في زيارة القبر المعظم وتحفة المحتاج لشرح المنهاج، والفتاوى الحديثية، والزواجر عن اقتراف الكبائر، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، رد فيه على الروافض. توفي سنة ٩٧٣ هـ.
* انظر ترجمته البدر الطالع (١/١٠٩) وشذرات الذهب (٨/ ٣٧٠).
■ وهو غير ابن حجر العسقلاني الحافظ المحدث، ت ٨٥٢هـ. تقدمت ترجمته(ص: ١٨٨).

(٢) حديث إرخاء العذبة رواه الترمذي في الشمائل(١/ ٢٠٦) بشرح ملا علي القاري
وذكره الالباني في مختصر الشمائل (رقم: ٩٤)،وهذا لفظه: عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه قال نافع: وكان ابن عمر يفعل ذلك. قال عبيد الله أي ابن عبدالله ابن عمر "ورأيت القاسم بن محمد وسالماً يفعلان ذلك".
قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية انه ذكر شيئاً بديعاً وهو أنه ﷺ لما رأى ربه واضعاً يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة. * انظر جمع الوسائل في شرح الشمائل لملا علي قاري (١/ ٢٠٧).

(٣) هو الإمام الهمام ـ تلميذ علم الأعلام ـ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح ابي بكر بن ايوب بن سعد المعروف بابن قيم الجوزية. تصانيفه شهيرة منتشرة في شتى الفنون: كالصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. واجتماع الجيوش الاسلامية، وزاد المعاد في هدي خير العباد، واعلام الموقعين، والفروسية، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية. وغيرها كثير ولد ٦٩١هـ وتوفي ٧٥١هـ. * انظر ذيل طبقات الحنابلة(٢/ ٤٥٠)، والبداية والنهاية(١٤/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٤) هو الشيخ العلامة محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت اطرافه،فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي عليه مصنفاته، له نحو ثمانين مصنفاً، من كتبه من كنوز الحقائق في الحديث، والتيسير في شرح الجامع الصغير اختصره من شرحه الكبير فيض القدير وشرح شمائل الترمذي وغيرها كثير/ ت١٠٣١هـ وقيل ١٠٢٩هـ.
* انظر خلاصة الأثر (٢/ ٤١٢-٤١٦) والبدر الطالع (١/ ٣٥٧)

القاري[1] كلاهما في شرح شمائل الترمذي. انتهى[2].

وأمّا قوله: فلا فرق في هٰذا المعنى بين أن يُعبرَّ عنه بلفظ التوسُّل أو ٱلإستغاثة أو ٱلتشفُّع أو التوجُّه الخ.

أقول: هٰذا كلام من لم يعرف أسلوب لغة العرب لأنّ كلّ من له أقلّ معرفة بلغة العرب يظهر له الفرق بين التوسّل والإستغاثة والتوجُّه، ولا يشكّ عاقل في أنّ التوسُّل هو سؤال الله تعالىٰ متوسّلاً إليه سبحانه بالنبيّ أو الوليّ.

[أمّا][3] الإستغاثة فهي طلب الغوث من المستغاث به لا طلب الغوث من غيره، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[4] . . .

---

(١) هو الشيخ ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي، ولد بهراة ورحل إلى مكة واستقر بها وأخذ عن ابن حجر الهيتمي، له مؤلفات كثيرة منها: شرح مشكاة المصابيح، وشرح شمائل الترمذي وشرح الجزرية في التجويد، وشرح النخبة لابن حجر، وشرح الشفا والفقه الاكبر، وغير ذلك من الرسائل الصغيرة والكبيرة الكثيرة أثنى على الامام ابن تيمية، وله كلام طيب في السنة والاتباع والتوحيد على ما تريدية فيه ت سنة ١٠١٤هـ. * انظر ترجمته البدر الطالع(١/٤٤٦).

(٢) لقد تكلم الامام القاري بكلام قيم متين في الدفاع عن الامامين العظيمين فقال في شرح الشمائل(١/٢٠٧-٢٠٩): صانهما الله من هذه السمه الشنيعة والنسبة الفظيعة ومن طالع شرح منازل السائرين تبين له أنهما كانا من أكابر أهل السنة والجماعة ومن أولياء هذه الأمة... ثم قال: وظهر أن معتقده- أي ابن القيم - موافق لأهل الحق من السلف وجمهور الخلف فالطعن الشنيع والتقبيح الفظيع غير موجه عليه ولا متوجه اليه أ.هـ. وله كلام جميل طويل.
أما كلام المناوي فانظر في حاشية ملا علي (١/٢٠٨) على شرح الشمائل، وشتان بين علي وعبدالرؤوف. رحمهما الله تعالىٰ.

(٣) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل ويقتضيه مقام الكلام.

(٤) سورة القصص، آية/ ١٥.

فظهر الفرق.

وأيضاً فإنَّ مادة التوسُّل لا تتعدى إلاّ بالحرف كقولك: توسَّلتُ بفلان إلى فلان، ومثله تشفعت به وتوجّهت به، وتصير الباء علىٰ هٰذا بمعنى السببية.

وأمّا مادّة الإستغاثة فإنّها تتعدى بنفسها وبالحرف وكلاهما واحد فنقول: استغاثه واستغاث به وكلا المعنيين طلب الغوث من المستغاث به، فظهر الفرق بين التوسل والإستغاثة وسيأتي لهٰذا مزيد بيان.

وأمّا: قوله فالمسؤول في هٰذه الدعوات كلّها هو الله سبحانه وتعالىٰ،

أقول هٰذه الدعوات ليس فيها ما يدلّ على قصد هٰذا المعترض، لأنَّ لفظ الحديث الأوّل [ليس فيه][1] إلاّ سؤال الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته[2]، وفي حديث الغار ليس فيه إلاّ التوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بصالح الأعمال فأيّ شخص في هٰذين /١٧٩/ الحديثين قد توسّل به إلىٰ الله فتأمّل.

---

(١) ما بين معقوفتين ساقط والإستدراك يقتضيه مقام الكلام.

(٢) أورد السبكي (ص: ١٦٤) أمثلة للسؤال بغير الله تعالىٰ فقال: كما في الأدعية الصحيحة المأثورة «أسألك بكلّ اسم هو لك» «وأسألك بأسمائك الحسنىٰ» «وأسألك بأنّك أنت الله وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك»ا.هـ. فكان ردّ المؤلّف علىٰ إيراده لهذه الجمل من الأدعية وليس علىٰ حديث واحد. والله أعلم.

الكلام علىٰ حديث الترمذي هٰذا وهو أصحّ شيء ورد في هٰذا الباب[١]

ذكر العلاّمة السيّد محمود الآلوسي[٢] في كتابه فتح المنّان[٣] الذي ردّ به علىٰ داود بن جرجيس[٤] قال ما نصّه عند إيراده لهٰذا الحديث: والجواب: أنّ هٰذا الدليل لا يفيد العراقي شيئاً بل هو من نمط ما قبله وببيان[٥] معنى الحديث يعلم ذٰلك. فقوله: «اللّهم إنّي أسألك» أي أطلب منك «وأتوجّه إليك بنبيك محمّد» صرّح به[٦] مع ورود النّهي عن ذٰلك تواضعاً منه لكون التّعليم من قبله، وفي ذٰلك قصر السؤال الذي هو أصل الدُّعاء علىٰ الله تعالىٰ الملك المتعال. ولكنّه توسّل بالنّبي (أي)[٧] بدعائه، ولذا قال

---

(١) تقدّم لفظ الحديث (ص: ١٨٢)

(٢) هو أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بهاء الدّين بن محمود أبي الثناء شهاب الدّين (صاحب روح المعاني) ابن عبد الله صلاح الدّين بن محمود الخطيب الآلوسي ينتهي نسبه إلىٰ الحسين بن علي رضي الله عنهما والآلوسي نسبة إلىٰ آلوس قرية علىٰ الفرات ولد في رمضان سنة ١٢٧٣ هـ. ربّاه والده تربية حسنة حتى برع فنشأ محبّاً للأدب والعلم، له مؤلفات كثيرة منها غاية الأماني في الرّدّ علىٰ النبهاني، فتح المنان، بلوغ الأرب في أحوال العرب، تجريد السنان في الذب عن أبي حنيفة النعمان، وصب العذاب علىٰ من سبّ الأصحاب وحقق الأخير الأخ عبد الله بو شعيب البخاري في الجمعة وغيرها كثير. توفي في شوال سنة ١٣٤٣هـ.
* انظر الأعلام (٧ /١٧٢) وأعلام العراق (ص ٦٨)

(٣) (ص: ٣٣٥) جاء في الحاشية من كلام الشيخ محمد نصيف رحمه الله تعالىٰ: فتح المنان تتمة الردّ علىٰ كتاب صلح الإخوان لأنّ علامة نجد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ألّف ردّه علىٰ صلح الإخوان وتوفي قبل أن يكمله وأسماه منهاج التأسيس في الردّ علىٰ داود بن جرجيس فقام الآلوسي وأتمّه تأليفاً وقد طبعا بالهند. أ.هـ.

(٤) داود بن سليمان بن جرجيس العراقي واحد من دعاة الضّلالة في العصر المتأخر يدعو للإستغاثة بغير الله عزّ وجلّ تصدىٰ للرّدّ علىٰ دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وادّعىٰ العلم ففضحه أئمة الدّعوة في نجد والعراق وردّوا عليه ردوداً عدّة، منهم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن والشيخ محمود الآلوسي رحمهم الله تعالىٰ. وغيرهم توفي سنة ١٢٩٩هـ إنظر المسك الأذفر لمحمود شكري الآلوسي (ص ٥٩)

(٥) في الأصل وبيان والمثبت من فتح المنان.

(٦) في فتح المنان: صرح باسمه.

(٧) ليست في الفتح.

في آخره: «اللّهم فشفّعه فيّ» إذ شفاعته لا تكون إلاّ بالدّعاء لربّه قطعاً.

ولو كان المراد التوسّل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى، إذ التوسّل بقوله: «بنبيّك» كافٍ في إفادة هٰذا المعنى. فقوله: «يا محمّد إنّي توجّهت بك إلىٰ ربّي» قال الطيبي[1]: "الباء في بك للاستعانة"[2]. وقوله: «إنّي توجّهت بك» بعد قوله: «أتوجّه إليك» فيه معنى قوله: ﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[3] فيكون خطاباً لحاضر معاين[4] في قلبه مرتبط بما توجّه به عند ربّه من سؤال نبيّه بدعائه الذي هو عين شفاعته ولذٰلك أتى بألصيغة الماضوية بعد الصّيغة المضارعية، المفيد كلّ ذٰلك أنّ هٰذا الداعي قد توسّل بشفاعة نبيّه في دعائه فكأنّه استحضره /١٨٠/ وقت ندائه. ومثل ذلك كثير في المقامات الخطابية والقرائن الاعتباريّة. فقوله في حاجتي هٰذه لتُقضىٰ[5] لي أيّ ليقضيها لي ربّي (بشفاعته، أيّ في دعائه)[6]. وذٰلك مشروع مأمور به، فإنّ الصّحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يطلبون منه الدُّعاء، وكان يدعو لهم، وكذٰلك يجوز الآن أن تأتي رجلاً صالحاً فتطلب منه الدُّعاء لك، بل يجوز للأعلىٰ أن يطلب من الأدنى [الدعاء][7] له كما طلب النّبي ﷺ الدُّعاء من عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في عمرته بأن قال له: «لا تنسنا يا أُخَيّ من دعائك». قال عمر رضي الله عنه: «ما يسرني [أن لي] بها حمر النعم»[8].

---

(١) الإمام المشهور الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي شارح الكشّاف علامة في المعقول والعربيّة والمعاني والبيان كان آية في آستخراج الدّقائق من القرآن والسنن مقبلاً على نشر العلم متواضعاً شديد الرّد على الفلاسفة مظهرًا فضائحهم مع استيلائهم حينئذ، تعقّب الكشاف وشرح المشكاة. توفي وهو ينتظر الصلاة في المسجد سنة ٧٤٣هـ. * الشذرات (٦/ ١٣٧ ـ ١٣٨) والتاج المكلل (ص: ٣٧٣).

(٢) وقع في الأصل الإستغاثة والتصويب من فيض القدير (٢/ ١٣٤).

(٣) سورة البقرة، آية/ ٢٥٥.

(٤) في الأصل متعاين والتصويب من الفتح.

(٥) في الأصل: هٰذا التقضي والتصويب من لفظ الحديث.

(٦) في فتح المنان: بشفاعتك، في دعائك ربك لي.

(٧) ما بين معقوفتين من فتح المنان.

(٨) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل وهو في فتح المنان والحديث أخرجه أبو داود (الصّلاة ـ باب الدُّعاء ـ ٢/ ١٦٩ رقم ١٤٩٨) وقول عمر عند أبي داود «مايسرني أن لي بها الدُّنيا» وأخرجه الترمذي (الدعوات ـ باب فضل دعاء الحاج ـ ٢/ ٩٦٦ رقم ٢٨٩٤). وأحمد (١/ ٢٩) وقول عمر عند أحمد: «ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله يا أُخيّ» كلّهم من طريق عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب المدني وهو ضعيف. انظر الميزان (٢/ ٣٥٣) وتهذيب التّهذيب (٥/ ٤٦) وضعّف الحديث الإمام الألباني في ضعيف الجامع (٦/ ٧٨) وضعيف أبي داود (ص١٤٧).

قال العلاّمة المناوي: «سأل الله أوّلاً أن يأذن لنبيّه أن يشفع ثمّ أقبل على النبيّ ﷺ ملتمساً شفاعته له، ثمّ كر[1] مقبلاً علىٰ ربّه أن يقبل شفاعته. والباء في «بنبيّك» للتعدية وفي «بك» للاستعانة[2]. وقوله: «اللّهم فشفّعه فيّ» أي اقبل شفاعته في حقّي. والعطف علىٰ مقدّر أي اجعله شفيعاً إليّ فشفّعه[3]. وكلّ هٰذه المعاني دالّة علىٰ وجود[4] شفاعته بذٰلك ـ وهو دعاؤه ﷺ له بكشف عاهته ـ وليس ذٰلك بمحظور[5]. غاية الأمر أنّه توسل من غير دعاء بل هو نداء لحاضر. والدُّعاء أخصّ من النداء، إذ هو نداء عبادة شاملة للسؤال بما لا يقدر عليه إلاّالله. وإنّما المحظور السؤال بٱلذَّوات لا مطلقاً /١٨١/ بل[6] علىٰ معنىٰ أنهم وسائل (لله)[7] تعالىٰ بذواتهم وأمّا كونهم وسائل بدعائهم فغير محظور. وإذا اعتقد أنّهم وسائل (لله) بذواتهم يسأل منهم الشفاعة للتقرب إليهم فذٰلك عين مّا كان عليه المشركون الأوّلون.

فتبين أنّه لا دلالة في الحديث علىٰ جواز الإستغاثة بالنبي ﷺ أصلاً.

والعراقي نقل عبارة شيخ الإسلام محرفة وهٰذه هي عبارته في كتابه «اقتضاء الصّراط المستقيم»[8] قال: «والميت لا يُطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره، وكذٰلك حديث الأعمىٰ، فإنّه طلب من النّبي ﷺ أن يدعو له ليردّ الله عليه بصره، فعلّمه النبيّ ﷺ دعاءً أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة[9] [نبيّه فيه، فهٰذا يدلّ علىٰ أنّ النّبي ﷺ شفع [فيه] وأمره أن يسأل الله قبول الشّفاعة][10] وأن قوله: «أسألك وأتوجه (إليك)

(١) في الأصل (ذكر) والتصويب من فيض القدير (٢/ ٣٤) وفتح المنان (ص: ٣٣٦).

(٢) في الأصل للإستغاثة والتصويب من المصدر نفسه.

(٣) فيض القدير (٢/ ١٣٤) وفي فتح المنان شفيعاً لي ...

(٤) في فتح المنان: وجوه.

(٥) في الأصل: بحضور.

(٦) في الأصل: بدل ثم صحفت إلى يدل والتصويب من فتح المنان.

(٧) في الأصل: اسم الجلالة وكذا التي بعدها والتصويب من فتح المنان.

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٩٢ـ٧٩٤).

(٩) في الأصل شفاعته والمثبت من الإقتضاء.

(١٠) ما بين معقوفتين من الإقتضاء وكلمة (فيه) من فتح المنان (ص: ٣٣٧).

بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة» أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر: «كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا»[1]، فلفظ التوسّل والتوجه في الحديثين بمعنىً واحد.

ثمّ قال: «يا محمّد يا رسول الله إنّي أتوجّه بك إلىٰ ربيّ في حاجتي ليقضيها، اللّهم فشفعه فيّ» فطلب من الله أن يُشَفِّع فيه نبيّه.

وقوله: «يا محمّد يا نبي الله» هذا[2] وأمثاله نداء يُطلب به استحضار المنادىٰ في القلب فيخاطب المشهود بألقلب كما يقول المصلي: « السلام عليك أيُّها النّبي ورحمة الله وبركاته»[3]. والإنسان يفعل مثل هٰذا كثيراً، يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب.

المراد بلفظ التوسل

فلفظ التوسل بألشخص والتوجه به والسؤال به، فيه إجمال واشتراك ـ غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ـ:

١ـ يراد به: التسبب به لكونه داعياً وشافعاً مثلاً أو لكون الدّاعي محبّاً له مطيعاً لأمره مقتدياً به، فيكون التسبب إمّا بمحبّة[4] السّائل له واتّباعه له وإمّا بدعاء الوسيلة وشفاعته.

٢ـ ويراد به الإقسام به والتوسّل بذاته فلا يكون التوسّل لا [بشيء] منه ولا [بشيء][5] من السّائل بل بذاته، أو بمجرد الإقسام به علىٰ الله.

فهٰذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه.

وكذٰلك [لفظ][6] السؤال بشيء.

١ـ قد يراد به المعنى الأوّل وهو التسبّب لكونه سبباً في حصول المطلوب.

---

(١) تقدّم تخريجه (ص:٨٠) وما بين هلالين ليس في فتح المنان.

(٢) في الأصل (وهٰذا) والمثبت من الاقتضاء. وفتح المنان.

(٣) ورد ذٰلك في عدّة أحاديث عن عدّة من الصحابة . انظر سنن أبي داود (الصلاة ـ باب التشهد ١/ ٥٩١ الأرقام ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧١، ٩٧٤)

(٤) في الاقتضاء (٢/ ٧٩٣) لمحبة.

(٥) ما بين معقوفات من فتح المنان (ص: ٣٣٧) وأما في الاقتضاء فالأولى: لشيء والثانية شيء.

(٦) من الاقتضاء.

٢ـ وقد يراد به: الإقسام إلىٰ آخر ما قال. انتهىٰ».

والحاصل أنَّ هٰذا الحديث هو أحسن ما روي في هٰذا الباب، ومع هٰذا فلا يدل إلا على جواز التوسل، وهو سؤال الله تعالىٰ بأحد من خلقه كٱلأنبياء وغيرهم عند قوم. وقال بعضهم كٱلعزّ بن عبد السّلام[1]: «إذا صحّ حديث الأعمىٰ فهو خاصّ بالنبيّ ﷺ فقط ولا يُقاس عليه غيره[2]»، وقال بعضهم: لا يدل على جواز التوسل أصلاً كما تقدم بيان ذلك.

وقال بعضهم هو خاص بٱلنبيّ ﷺ في حياته فقط إذ هو توسل بدعائه ﷺ ويدل عليه قوله ﷺ في الحديث: «وإن شئتَ دعوتُ» بضم التاء /١٨٣/ في «دعوتُ» علىٰ أنه ضمير المتكلّم فاعل. «وإن شئت صبرتَ» بنصب التاء في «صبرتَ» علىٰ أنَّه ضمير المخاطب.

اختيار المصنف

وعندي أنَّ التوسل بالنّبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والصّالحين جائز لا فرق في ذٰلك

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الشافعي، عز الدين الملقّب بسلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ بدمشق وزار بغداد شهراً وكان خطيب الجامع الأموي، ولما سلم الصالح من العادل قلعة (صفد) للفرنج اختياراً أنكر عليه العز ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه ثمّ أطلقه فخرج إلى مصر وعاش فيها إلىٰ أن توفي سنة ٦٦٠هـ.
* انظر فوات الوفيات (٤/ ١٤٤ـ١٤٥) وشذرات الذهب (٥/ ٣٠١).

(٢) وهٰذه هي صورة المسألة والجواب الذي نقل عن العزّ بن عبد السلام:

مسألة= ما يقول سيّدنا وفقه الله تعالىٰ في الدّاعي يقسم علىٰ الله تعالىٰ بمعظّم من خلقه في دعائه كٱلنبي ﷺ والولي والملك هل يكره له ذٰلك أم لا؟

الجواب= أمّا مسألة الدُّعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أنّ رسول الله ﷺ علم بعض الناس الدعاء، فقال في أقواله: «قل اللهمّ إنّي أقسم عليك بنبيّك محمد ﷺ نبيّ الرحمة» وهٰذا الحديث إن صحّ فينبغي أن يكون محصوراً على رسول الله ﷺ، لأنّه سيّد ولد آدم وأن لا يقسم علىٰ الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء، لأنّهم ليسوا في درجته وأن يكون هٰذا مما خص به تنبيهاً على علوّ درجته ومرتبته. * انظر فتاوى سلطان العلماء (ص ٨٢ ـ ٨٣).

قلت: لقد قال الإمام العزّ ذٰلك بناء علىٰ ما يحفظ من لفظ الحديث «اللهمّ إنّي أقسم عليك بنبيّك..» الحديث. أما لو وقف على لفظه وأنعم النظر فلربّما تغيرت وجهة النظر، والله أعلم.

بين أن يكونوا أحياءً أو أمواتاً عند من يفرق بين التوسّل والإستغاثة، وقد بينا الفرق بينهما. فقد علم بهٰذا جواز التوسل إذ[1] المسؤول هو الله تعالىٰ لا غيره ولا شكّ أنّ الأنبياء سيّما نبينا ﷺ لهم الجاه العظيم ولكن حيث إنَّ بعض الناس لم يفرق بين التوسّل الذي هو جائز وبين الاستغاثة التي هي شرك، إلاّ إذا كانت بالحيّ الحاضر، كما استغاث صاحب موسى - صلوات الله عليه - به فأغاثه، وكإغاثة بعضنا بعضاً في الشيء الذي نقدر عليه، فهٰذا جائز بالإتفاق. وأمّا بعد الموت فلا يجوز طلب شيء من الميت سواء كان نبيّا أو وليّاً أو صالحاً، وأمّا من جعل التوسل والإستغاثة بمعنى واحد فقد جنى على الدين وأهله - واللهِ - وعلى لغة العرب وافترى علىٰ الله الكذب. والفرق بينهما ظاهر لمن له أدنى فهم، وهٰذا الذي ذكرناه واخترناه هو أعدل الأقوال وأوسطها جمعاً بين الأدلة سيّما والعقل لا يأبى ذٰلك[2]

(١) في الأصل (إذا).

(٢) وكيف يكون أعدل الأقوال وأوسطها بلا دليل يدل علىٰ ذٰلك، وكيف يكون جمعاً بين الأدلّة، وقرّر رحمه الله قبل قليل أنه ليس في الحديث دليل علىٰ التوسّل، بل إنَّ رأيه هٰذا هو مجرد استحسان عقلي كما قال: «والعقل لا يأبىٰ ذلك»، وليس للعقل مجال للإستحسان في التشريع، ويكفي أنه لم يأت به الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون من بعدهم ولو كان مستحباً لفعلوه وكانوا حريصين كلّ الحرص علىٰ قبول أعمالهم فلو كانوا يعتقدون جواز ذٰلك لتوسّلوا بجاه النبي ﷺ لأنَّ جاهه عند الله عظيم، فذٰلك أدعى لقبول أعمالهم - كما يزعم المجوزون - وليس الأمر كذٰلك. فإن جاه الشخص له وليس لغيره. ولا يجوز لأحد أن يسأل أحداً بشيء لا يملكه ولا فضل له به. كأن يدخل أحد علىٰ السلطان ويقول له: أرجوك أن تنفذ لي رغبتي فإنّ فلاناً قدره عظيم عندك، فهٰذا كما ترى دعاء لا معنى له . بل لو قال له: أرجوك أن تنفذ لي طلبي ورغبتي لأني أحب فلان وأعرفه - وهو في الوقت نفسه يكون محبوباً لدى السّلطان. فهٰذا طلب يرجى قبوله فهو سأل السلطان بشيء يملكه - بمحبته لهٰذا الشخص - والذي يريد أن يسأل الله تعالى يسأله بأنه يحب محمداً ﷺ وأنه متّبع له ويرجو بهٰذا الإتّباع إجابة الدُّعاء. والله أعلم.

وقد ذكر العلامة محمد جمال الدين القاسمي ، كلا ما حول التوسل في تفسيره محاسن التأويل (٨/٦/٣١) وذكر فتوى للشيخ محمد عبده ، فقال : عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[الأحزاب/٦٩] : «اتخذ العامة، وكثير من المتعالمين، وصف الوجاهة للأنبياء، ذريعة للطلب والرغبة منهم، مما لا ينطبق على عقل ولا نقل، ولا يصدق على المعنى اللغويّ بوجهٍ ما. وقد كتب في ذلك الإمام الشيخ محمد عبده فتيا، أبان وجه الصواب فيما تشابه من هٰذه المسألة. ثم ذكر الفتوى بطولها ، فانظرها هناك .

إذ لا شرك ولا شائبة شرك في سؤال الله تعالىٰ بجاه نبيّ أو وليّ، وإنّما الشرك والبليّة في طلب الحوائج من خير الدنيا والآخرة من الأموات /١٨٤/ الذين انقطع عملهم إلاّ من ثلاث: علم ينتفع به وصدقة جارية أو ولد صالح، والذين منعوا التوسل أرادوا بذٰلك سدّ باب سؤال غير الله تعالى كي لا يقع أحد في الشرك[١] سيّما العوامّ الذين لا يفرّقون بين التوسل والإستغاثة بالميت، ولذٰلك إذا سمعته يقول: يا سيّدنا الحسين[٢] أو يا سيّدتي خديجة[٣] ومثل ذٰلك وقلت له: يا شيخ هٰذا حرام وشرك لأنَّ الله يقول وهو

---

(١) جاء في الحاشية: قصدهم هو اتّباع شرع الله ورسوله ﷺ وترك المحدثات والبدع والتقوّل على الله بغير علم. ا.هـ. قلت وهو كذلك.

(٢) هو سبط رسول الله ﷺ ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنهم أبو عبد الله هو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله ﷺ. قيل ولد سنة أربع وقيل غير ذلك، روى عن رسول الله ﷺ سنناً، قُتل يوم عاشوراء سنة ٦١هـ. أنظر الاستيعاب (٣/ ١١٤) وأسد الغابة (٢/ ١٨).

(٣) أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية زوج النبي ﷺ وأول من صدقته، كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة، تزوجها النبي ﷺ سنة ١٥ قبل البعثة، محاسنها جمة وفضائلها كثيرة ماتت سنة ٣ قبل الهجرة وقيل: غير ذلك ودفنت بالحجون ونزل رسول الله ﷺفي حفرتها.

=

أصدق القائلين: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾[1] ﴿ قُلِ ٱدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾[2] يجاوبك[3] بقوله: أسكت يا شيخ أنا لا أسألهم شيئاً وإنّما أتوسّل بهم إلىٰ الله تعالىٰ. فإذا قلت له: إذا كان مقصودك التوسّل بهم ليس إلاّ فلا تنادِ أحداً من المخلوقين الغائبين بأسمه ولا تذهب إلىٰ قبره بقصد سؤاله، وإنّما غاية الأمر أن ترفع يديك إلىٰ الله تعالىٰ الذي خلقك وخلقهم وقل: يا ربّ أسألك وأتوسل إليك بفلان أو فلانة، وامّا أنّك تعرض عن سؤال الله تعالىٰ وتقبل على المخلوق وتطلب منه ما لا يقدر عليه أحد إلاّ الله تعالى، وتقول: هٰذا توسّل. كلاّ.

= أنظر الاستيعاب (١٢/ ٢٦٩) وأسد الغابة (٧/ ٧٨) والإصابة (١٢/ ٢١٣).

(١) سورة الجنّ، آية/ ١٨.

(٢) سورة الإسراء، آية/ ٥٦.

(٣) كذا في الأصل ولعلّ الأفصح يجيبك.

«فصل»

وأمّا أثر عثمان بن حُنيف[1] الذي عَلّم من له حاجة عند امير المؤمنين عثمان بن عفّان[2] فهٰذا لا حجّة فيه من وجوه:

الأوّل: أنها رواية شاذّة[3]، والرواية الصحيحة هي التي أخرجها الترمذي

---

(١) عثمان بن حُنيف بن وهب بن عكيم الأنصاري الأوسي القبائي أخو سهل بن حُنيف، وجهه عمر علىٰ السواد بالعراق وأمره أن يمسحه وولاه عليّ علىٰ البصرة وقاتل معه طلحةَ والزبيرَ ثم تواعدوا حتى يقدم عليّ. ثمّ غدر بعض اصحاب طلحة بحرسه ودخلوا عليه ونتفوا لحيته وجفونه، وقالوا لولا العهد لقتلناك ثم سجن وأخذوا بيت المال. توفي في خلافة معاوية.

* أنظر المعارف لابن قتيبة (٢٠٨ ـ ٢٠٩)، السير (٢/ ٣٢٠ـ٣٢٢).

(٢) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، أبو عمرو ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو ليلىٰ الأموي أمير المؤمنين ذو النورين، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وتزوج ابنتي رسول الله ﷺ رقية فماتت عنده ثمّ تزوج أم كلثوم فماتت عنده أيضاً، مبشر بالجنة والشهادة وقول الرسول صدق، وليس بالهزل، وهو ثالث الخلفاء الراشدين. وثالث أفضل الرجال بعد النبيين؛ قتل شهيداً مظلوماً في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. رحمه الله رحمة واسعةً وجمعنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين. وبالجملة فمناقبه كثيرة جداً.

* أنظر طبقات ابن سعد (٣/ ٥٣ ـ ٨٤)، وتهذيب الكمال (١٩/ ٤٤٥ـ٤٦٠).

(٣) وهٰذا نص القصة: عن عثمان بن حنيف: أنَّ رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حُنيف فشكىٰ ذٰلك إليه، فقال عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثمّ ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين، ثم قل: اللهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّنا محمد ﷺ ـ نبيّ الرحمة ـ يا محمد؛ إني أتوجه بك إلى ربيّ فتُقضىٰ لي حاجتي وتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل، فصنع ما قاله، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله علىٰ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فأجلسه معه علىٰ الطّنفسة فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، وقضاها له. ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجه فاذكرها. ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمتَه فيّ. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمتُه، ولكني شهدت رسول الله ﷺ، وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبيّ ﷺ: فتصبر؟ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد، وقد شقّ عليّ، فقال النبي ﷺ: «ائت الميضأة، فتوضأ، ثمّ صل ركعتين ثم ادع بهٰذه الدعوات» قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنّه لم يكن به ضر قطّ». رواه =

والنسائي والحاكم وأقرّها الذهبي[1].

وأمّا ما تفرّد به الطبراني أو البيهقي من غير تنبيه على صحّة ذٰلك ففيه نظر.

الثاني: أن هٰذا لو صحّ فهو رأي صحابي لا حجّة فيه.

الثالث: لو كان هٰذا شايعاً ذائعاً لما اختص به عثمان بن حنيف وحده من دون الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين سيّما الخلفاء الراشدين.

وأمّا ما أطال به من ذكر الآثار الدالة على جواز الإستغاثة به ﷺ في حياته[2] فلا حاجة بنا إلىٰ المناقشة معه في ذٰلك لأنّنا مُسَلّمون ومعتقدون جواز ذٰلك وطلبه حتى ممّن هو أدنىٰ من النبيّ ﷺ بمراحل. وكيف يسوغ إنكاره والله يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[3] وإنّما النزاع في جواز الإستغاثة بالمخلوق بعد وفاته بمعنى: طلب الغوث منه، كما تدلّ عليه لغة الكتاب والسنة، فهٰذا ما دلّ عليه أثر ولا جاء في خبر.

والقول الفصل في هٰذه المسألة: أنَّ الميت إذا مات انقطع عمله من قول و

= الطبراني في الكبير رقم (٨٣١١).

(١) هو الإمام الحافظ المتقن مؤرّخ الإسلام، الفقيه البارع والسلفي الورع صاحب التصانيف الرائعة الذائعة والتي إليها مآل العلماء وعليها معول الكبراء أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الأصل، الدمشقي المولد، الشافعي المذهب، خدم الإسلام خدمة عظمىٰ بتآليفه وجهاده، من أشهرها سِيَرَ أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ، وتاريخ الإسلام، وطبقات القراء، معجم الشيوخ، والعلو للعلي الغفار والأربعين في صفات ربّ العالمين وغيرها كثير. ولد رحمه الله ٦٧٣هـ وتوفي ٧٤٨هـ، وكان له رحمه الله تأثّر واضح بالإمام الرباني ابن تيمية الحرانيّ.

* انظر ترجمته الوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ١٦٣)، ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص٣٤)، ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي (ص٣٤٧).

(٢) أي الاستغاثة به ﷺ في حياته بحضوره مع أصحابه، وأمّا الاستغاثة به بحياته أثناء غيابه عنهم فهٰذا لم يحصل وما كان لأصحاب رسول الله ﷺ أن يفعلوه، وتكون الإستغاثة به ﷺ بصورتين:

الأولى: الاستغاثة به أن يعينهم علىٰ أمر من أمورهم، كما كانوا يتقون به بأس الوطيس وكما استغاثوه لاقتلاع الصخرة يوم الخندق.

والثانية: الاستغاثة به أن يدعو لهم كما في حديث عمر بن الخطاب والضرير على الرواية الصحيحة وحوادث الاستسقاء والاستصحاء. و هٰذان الأمران لا خلاف بين أحد من المسلمين في جوازهما. والله أعلم.

(٣) سورة المائدة، آية/ ٢.

فعل ولم يبقَ له إلاّ ما قدّمه في حياته[1] لا فرق في ذٰلك بين نبي وولي وصالح، ومن زعم أنَّ الأنبياء والأولياء يفعلون أشياء في قبورهم يصل إليهم ثوابها كما كانوا في حياتهم فعليه الدليل، وأنّىٰ له ذٰلك. وهٰذه المشاغبات كلّها لا تجدي نفعاً، بل تفتح على الناس باب الشرك الأصغر بل الأكبر.

وأمّا جعله الإستغاثة والتجوّه[2] والتشفّع والتوسل بمعنىً واحد فهٰذا /١٨٦/ لا يقوله أحد مارس فنّ اللغة، بل الفرق بين الإستغاثة والتوسل ظاهر كما سبق لنا بيانه. والله الموفّق والهادي إلى الصواب.

---

(١) ثبت في صحيح مسلم (رقم١٦٣١) وأحمد (٢/ ٣٧٢) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

(٢) التجوّه من الجاه. قال الرازي في مختار الصحاح (ص١١٨) مادّة «جَوَهَ»: «الجاه القدر والمنزلة وفلان ذو جاه وقد (أوجهه) و(وجهه توجيها) أي جعله (وجيهاً)، وانظر لسان العرب (١٣/ ٤٨٧) وتاج العروس (٩/ ٣٨٥). دار الفكر.

وجاء في الحاشية: هكذا في الاصل والظاهر انه: والتوجه.

« فصل »

قال الشيخ عبد اللطيف[1] في منهاج التأسيس والتقديس الذى ردّ به على داود بن جرجيس العراقي عند إيراده لكلام السبكي هٰذا وكلام السمهودي[2] في تاريخ المدينة، المسمّى: « خلاصة الوفا(*) وكلام القسطلاني[3] في المواهب(**) وكلام ابن حجر في الجوهر المنظم في باب جواز الإستغاثة بغير الله كالأنبياء والصالحين وانها بمعنىٰ التوسل وبمعنى أنّهم وسائل ووسائط وأسباب لا أنّهم فاعلون علىٰ الحقيقة قال ما نصّه[4]:

« فأقول وبالله الإستعانة ومنه أستمدّ المدد والهداية. أمّا ما في كلام العراقي[5] من

---

(١) هو الشيخ الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الأزهري الحنبلي ولد في مدينة الدَرْعية سنة ١٢٢٥ هـ ونشأ نشأة علمية من سلالة معروفة بالعلم والصلاح، وفي سنة ١٢٣٤هـ أُسر مع عائلته وكبار المشايخ حينما قدم إبراهيم باشا إلى الدرعية، فأخذ إلى مصر مع والديه وكبار المشايخ ليقيم بها الإقامة الجبرية، ولم يثنه ذٰلك عن طلب العلم، بل بقي مثابراً على الطلب على كبار المشايخ الذين أُسروا معه، وكبار مشايخ الأزهر، ثم عاد إلى بلاده سنة ١٢٦٤هـ إذ سمح له بالعودة إليها، وتتلمذ عليه طائفة من أهل العلم صاروا بعد ذلك علماء أفذاذ، توفي رحمه الله تعالىٰ سنة ١٢٩٣هـ، من مؤلفاته: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، البراهين الإسلامية في الردّ على الشبه الفارسية.

* انظر ترجمته: علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٦٣)، علماء الدعوة (ص٤٧).

(٢) هو علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الملقب نور الدين المعروف بالسمهودي، ولد سنة ٨٤٤ هـ بسمهود ونشأ بها فحفظ القرآن والمنهاج ولازم والده وقرأ عليه وقدم القاهرة وقرأ على جماعة منهم المناوي والبلقيني والمحلي ثم حج وجاور، وسمع من السخاوي وتردد ما بين مكة والمدينة وعمل للمدينة تاريخاً توفي ٩١٢هـ تقريباً. * أنظر البدر الطالع (١/ ٤٧١).

*وانظر خلاصة الوفا (٢٠٧)

(٣) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني الأصل المصري الشافعي ولد في ١٢ من ذي القعدة سنة ٨٥١هـ بمصر ونشأ بها وحفظ القرآن، وقرأه بالقراآت وصنف في التجويد وبرع في ذٰلك. من مؤلفاته: تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاريّ، وإرشاد الساري إلى صحيح البخاري، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية، وغيرها. توفي في المحرم سنة ٩٢٣هـ، وصلي عليه في الجامع الأزهر.

* أنظر النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص١٠٦ ـ ١٠٧) والبدر الطالع (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(**) انظر المواهب ٣/ ٢٩٢ دار الكتب العلمية

(٤) أنظر منهاج التأسيس والتقديس ابتداء من (ص٣٢٣).

(٥) العراقي هو داود بن جرجيس المتقدم ذكره.

فساد التركيب وبشاعة التعبير فلسنا بصدده، والكلام عليه يطول، والغرض إبطال الدّعوى ومعارضتها ونقضها، والكشف عن حالها وحال أئمّته[١] السابقين إليها من الأمم المعارضين للرّسل بآرائهم وأهوائهم الضالّة الفاسدة، والجواب عن هٰذه الشبه من وجوه:

الأول: أنَّ الله سبحانه إنما خلق خلقه لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته والخضوع له وتعظيمه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة اليه والتضرّع بين يديه، وهٰذه زبدة الرسالة الإلٰهية وحاصل الدعوة النبوية، وهو الحق الذي خلقت له السمٰوات والأرض وأنزل به الكتاب، وهو الغاية المطلوبة والحكمة المقصودة من إيجاد المخلوقات /١٨٧/، وخلق سائر البريات. قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] ودعا سبحانه عباده الى هٰذا المقصود وافترض عليهم القيام به حسب ما أمر[٣] والبراءة من الشرك والتنديد المنافي لهٰذا الأصل الذي هو المراد من خلق سائر العبيد. قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[٤] وقال: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِٱللهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[٥] وقال: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[٦].

فالقول بجواز الإستغاثة بغير الله ودعاء الأنبياء والصالحين وجعلهم وسائط بين العبد وبين الله، والتقرّب إليهم بالنذر والنحر والتعظيم بالحلف وما أشبهه[٧] مناقضة ومنافاة لهٰذه الحكمة التي هي المقصودة[٨] بخلق السمٰوات والأرض، وإنزال الكتب

---

(١) في المنهاج (ص٣٢٣): أئمة.
(٢) سورة الذاريات، آية/ ٥٦.
(٣) في الأصل: أمروا البراءة. والتصحيح من المنهاج (ص٣٢٤).
(٤) سورة النساء، آية/ ٤٨ و١١٦.
(٥) سورة المائدة، آية/ ٧٢.
(٦) سورة الحج، آية/ ٣١.
(٧) في المنهاج (ص٣٢٤). وما أشبه ذلك.
(٨) في المنهاج (ص٣٢٤) المقصود.

وإرسال الرّسل، وفتح لباب الشرك في المحبة والخضوع والتعظيم، ومشاقة ظاهرة لله ولرسله(١) ولكلّ نبيّ كريم. والنفوس مجبولة على صرف ذٰلك المذكور من العبادات إلىٰ [من](٢) أهّلته لكشف الشدائد، وسد الفاقات، وقضاء الحاجات من الأمور العامة التي لا يقدر عليها إلاّ فاطر الأرض والسمٰوات.

الوجه الثاني: أن هٰذا بعينه قول عُبّاد الأنبياء والصالحين من عهد قوم نوح إلىٰ أن بُعث [إليهم](٣) خاتم النبيين، لم يزيدوا عما قاله العراقي فيما انتحلوه من الشرك الوخيم والقول الذميم كما حكىٰ الله عنهم /١٨٨/ ذٰلك في كتابه الكريم. قال تعالىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَيَضُرهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰـؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ﴾(٤). وقال تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُم إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلىٰ اللهِ زُلْفَى ﴾(٥). وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَولاَ نَصَرهمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دِونِ اللهِ قُربَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنهُم وَذٰلِكَ إِفكُهُم وَمَا كَانُوا يَفتَرون ﴾(٦) فهٰذه النصوص المحكمة صريحة في [أنَّ](٧) المشركين لم يقصدوا إلاّ الجاه والشفاعة والتوسل بمعنى جعلهم وسائط تقرّبهم إلىٰ الله وتقضي حوائجهم منه تعالى، وقد أنكر القرآن هٰذا أشدّ الإنكار وأخبر أنَّ أهله هم أصحاب النار. وأنَّ الله حرم عليهم الجنة دار أوليائه الأبرار. وجمهور هٰؤلاء المشركين لم يَدّعُوا الاستقلال [لآلهتهم](٨) ولا الشركة في توحيد الربوبية بل قد أقرُّوا واعترفوا بأن ذٰلك [كلّه](٩) لله وحده كما حكى سبحانه إقرارهم واعترافهم بذٰلك في

---

(١) في المنهاج (ص٣٢٤) ولرسوله.

(٢) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والاستدراك من المنهاج(ص٣٢٤).

(٣) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص٣٢٤).

(٤) سورة يونس، آية/١٨ .

(٥) سورة الزمر، آية/٣ في الأصل ﴿ الذينَ اتَّخَذُوا ﴾ بِلا واو.

(٦) سورة الأحقاف، آية/٢٨ وأول الآية ﴿ فَلَولاَ نَصَرهُم ﴾ ساقط من الأصل وهو موجود في المنهاج (ص٣٢٤).

(٧) ما بين معقوفتين استدراك من المنهاج (ص٣٢٤).

(٨) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل وهو في المنهاج (ص٣٢٥).

(٩) من المنهاج (ص٣٢٥).

غير موضع من كتابه.

فحاصل ما ذكره العراقي من جواز الإستغاثة والدّعاء والتعظيم بالنذر والحلف - مع نفي الاستقلال وأن الله يفعل لأجله - هو عين دعوى المشركين وتعليلهم وشبهتهم لم يزيدوا عليه حرفاً واحدً إلاّ أنهم قالوا «قرباناً» و«شفعاء»، والعراقي سمّى ذلك توسلاً، فالعلة واحدة والحقيقة متحدة. وما ذكره العراقي من الاسهاب مجرد هوس وهذيان لا يغير الحقائق ولا يتوقف كشف باطله على معرفة الغوامض والدقائق.

الوجه الثالث: أن الله /١٨٩/ سبحانه وتعالىٰ أمر عباده بدعائه ومسألته والاستغاثة به وإنزال حاجتهم وفاقتهم وضرورتهم به، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ ﴾[١]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادعُونِي أَستَجِب لَكُم إِنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[٣] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿ وَابتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ ﴾[٤]، ﴿ فَٱبْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزقَ وَاعبُدُوهُ ﴾[٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ يَسأَلُهُ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرضِ كُلَّ يَومٍ هُوَ فِي شَأنٍ ﴾[٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا فَرَغتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرغَبْ ﴾[٧] وفي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[٨] وفيه: «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين»[٩] وحديث

---

(١) سورة البقرة، آية/ ١٨٦.

(٢) سورة غافر، آية/ ٦٠.

(٣) سورة النمل، آية/ ٦٢ وتمامها: ﴿ وَيَكشِفُ السُّوءَ وَيَجعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرضِ، أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ، قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

(٤) سورة المائدة، آية/ ٣٥ وجاء في الأصل ﴿ فَٱبْتَغُوا ﴾. وليست الآية في منهاج التأسيس.

(٥) سورة العنكبوت، آية/ ١٧.

(٦) سورة الرحمٰن، آية/ ٢٩.

(٧) سورة الشرح، آية/ ٧-٨.

(٨) أخرجه ابن ماجه (الدعاء - باب فضل الدعاء - ٢/ ١٢٥٨ رقم ٣٨٢٧) وصححه الالباني في تخريج الطحاوية (ص٥١٩).

(٩) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٨١) والحاكم (١/ ٤٩٢) والقضاعي (١/ ١١٦ رقم ١٤٣) وابو =

النزول كلّ ليلة إلى سماء الدنيا[1] يقول تعالىٰ: «هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه»[2] وعلى مذهب هٰذا العراقي وقوله باستحباب الإستغاثة بغير الله وجعل الوسائط بين العباد وبينه تعالى يهدم هٰذا الأصل، الذي هو أصل الدين ويسد بابه، ويستغاث بالأنبياء والصالحين ويرغب إليهم في حاجات الطالبين والسائلين وضرورات المضطرين من خلق الله أجمعين.

الوجه الرابع: أنَّ الله دعا عباده بربوبيته العامة الشاملة لكليات الممكنات وجزئياتها في الدنيا والآخرة، وانفراده بالايجاد والتدبير والتأثير والتقدير، والعطاء والمنع، والخفض والرفع، والعزّ والذلّ[3] /١٩٠/، والإحياء والإماتة، والسعادة والشقاوة، والهداية والمغفرة، والتوبة على عباده إلى غير ذٰلك من أفعال الربوبية وآثارها المشاهدة المصنوعة ـ إلى معرفته وعبادته الجامعة لمحبته والخضوع له وتعظيمه ودعائه وترك التعلق على غيره محبة وتعظيماً واستغاثة، قال تعالى: ﴿ أَمَّن خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتنَا بِهِ.. ﴾ إلى قوله تعالىٰ ﴿ قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم إِنْ كُنتُم صَادِقِين ﴾[4]. وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لِمَنِ الأَرضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُم

= يعلى (١/٣٤٤ رقم ٤٣٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٤٧) فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو متروك، وقال الالباني موضوع وذكر علله. انظر الضعيفة (رقم ١٧٩).

(١) في المنهاج: السماء الدنيا (ص٣٢٥).

(٢) حديث النزول روي عن عدة صحابة بألفاظ متقاربة منها ما رواه البخاري (التهجد ـ باب الصلاة والدعاء من آخر الليل ـ ٣/٣٥ـ ٣٦ رقم ١١٤٥) و(الدعوات ـ باب الدعاء نصف الليل ـ ١١/١٣٣ رقم ٦٣٢١) و(التوحيد ـ باب قول الله ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ ﴾ ـ ١٣/٤٧٣ رقم ٧٤٩٤ (الفتح)). ومسلم (صلاة المسافرين ـ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ١/٥٢١ رقم ١٦٨) عن أبي هريرة. وقد صنف الإمام علي الدارقطني في ذٰلك مصنفاً وهو مطبوع بتحقيق د. عليّ بن ناصر الفقيهي حفظه الله تعالىٰ.

(٣) في المنهاج (ص٣٢٦) الاعزاز والإذلال والأصل موافق لما في غاية الأماني. وهٰكذا كثيراً يوافق الأصل غاية الأماني ويخالف نسخة المنهاج، ولذلك، فإنّي لا أشير إلىٰ ما وافق فيه غاية الأماني. إلا نادراً.

(٤) سورة النمل، الآيات/ ٦٠ ـ ٦٤. وتمام الآيات: ﴿ فَأَنبَتنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهجَةٍ مَا كَانَ لَكُم أَنْ =

تَعلَمُونَ . . ﴾ إلى قوله ﴿ فَأَنَّى تُسحَرُونَ ﴾[1] وقال تعالىٰ: ﴿ قُل مَن يرزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ والأَرضِ . . ﴾ إلىٰ قوله ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[2]؛ فتأمّل هٰذه الآيات الكريمات وما تضمنته من تقرير أفعال الربوبية التي لا يخرج عنها فرد من أفراد الكائنات، واعرف ما سيقت [له][3] ودلت عليه من وجوب محبته تعالىٰ، وعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما عبد من دونه من الأنداد والآلهة والبراءة من ذٰلك، وانظر هل القوم المخاطبون بهٰذا زعموا الاستقلال لغير الكبير المتعال، أم أقروا له سبحانه بالاستقلال والتدبير والتأثير، وإنما أتوا من جهة الواسطة والشفاعة والتوسل بدعاء غير الله وقصد سواه فيما يحتاجه العبد وما يهواه وهٰذا صريح من تلك الحجج البينات. ونص هٰذه الآيات المحكمات؛ احتجّ سبحانه بما أقروا به من الربوبية والاستقلال على إبطال قصد غيره بالعبادة والدعاء والإستغاثة كما يفعله أهل الجهل والضلال (فإن)[4] قيل تجوز /١٩١/ الإستغاثة بالانبياء والصالحين ودعاؤهم والنذر لهم علىٰ أنهم وسائط ووسائل بين الله وبين عباده وأن الله يفعل لأجلهم انهدمت القاعدة الإيمانية وانتقضت الأصول التوحيدية، وانفتح[5] باب الشرك الأعظم، وعادت الرغبات والرهبات والمقاصد والتوجهات الى سكان القبور والأموات ومن دُعي مع الله من سائر المخلوقات، وهٰذه

= تُنبِتُوا شَجرَهَا، أَإِلَـهٌ مَعَ اللهِ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الأَرضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً، أَإِلَـهٌ مَعَ اللهِ، بَل أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرضِ، أَإِلَـهٌ مَعَ اللهِ، قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، أَإِلَـهٌ مَعَ اللهِ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ والأَرضِ، أَإِلَـهٌ مَعَ اللهِ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾.

(١) سورة المؤمنون، الآيات/ ٨٤ ـ ٨٩. وتمامهن: ﴿ سَيَقُولُونَ للهِ، قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَـوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ، قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيهِ إِنْ كُنتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ، قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾.

(٢) سورة يونس، آية/ ٣١. وتمامها: ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ، فَسَيَقُولُونَ اللهُ، فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾.

(٣) من المنهاج (ص٣٢٦).

(٤) في المنهاج (ص٣٢٦). فإذا.

(٥) في المنهاج (ص٣٢٦) وفتح

هي الغاية الشركية والعبادة الوثنية فنعوذ بالله من الضلال والشقاء والإنحراف عن أسباب الفلاح والهدىٰ.

الوجه الخامس: أنّه لا فلاح[1] ولا صلاح ولا نجاح ولا نعيم ولا لذّة للعبد إلاّ بأن يكون الله سبحانه وتعالىٰ هو إلههَ ومحبوبَه ومستغاثَه الذي إليه مفزعه عند الشدائد [وإليه][2] مرجعه في عامة المطالب والمقاصد. والعبد به فاقة وضرورة وحاجة إلىٰ أن يكون الله هو معبوده ومستغاثه، إليه إنابته ومفزعه، ولو حصلت له كلّ الكائنات، وتوجه إلى جميع المخلوقات لم تسد فاقته، ولا تدفع[3] ضرورته، ولا يحصل نعيمه وفرحه ويزول همّه وكربه وشقاؤه إلاّ بربّه[4] الذي من وجده وجد كلَّ شيء ومن فاته فاته كلُّ شيء، وهو أحب إليه من كل شيء، وهٰذه فاقة وضرورة وحاجات لا يشبهها شيء فتقاس به، وإنّما تشبه من بعض الوجوه حاجة العبد إلى طعامه وشرابه وقوته (الذي يقوم بدنه به)[5] فإن البدن لا يقوم إلا بذلك وفقده[6] غاية انعدام البدن، وموته.

وأمّا فقد محبة الله وعبادته /١٩٢/ ودعائه فعذاب وشقاء وجحيم في الآخرة والأولىٰ لا ينفكّ [عنه][7] بحال من الأحوال. قال الله تعالىٰ: ﴿ اهبِطَا مِنهَا جَمِيعاً بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدَىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبقَى ﴾[8]. وقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وتَطْمَئِنُّ

---

(١) في المنهاج (ص٣٢٧) أنه فلاح (للعبد) وهي زائدة، وقد وقع فيه أيضاً (ولا نعيم ولا نجاح).
(٢) في الأصل اسم الجلالة (الله) والتصويب من المنهاج (ص٣٢٧).
(٣) في المنهاج (ص٣٢٧) ولم تدفع.
(٤) في الأصل: من ربّه والمثبت من المنهاج (ص٣٢٧) وغاية الأماني (١/ ٢٦٦).
(٥) في المنهاج (ص٣٢٧) الذي به يقوم بدنه.
(٦) في المنهاج (ص٣٢٧) وفي فقده.
(٧) من المنهاج (ص٣٢٧).
(٨) سورة طـه، آية/ ١٢٣-١٢٧. وتمامهن: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً * وَنَحْشُرُهُ =

قُلُوبُهم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُم وَحُسْنُ مَآب ﴾[1]. وفي الحديث القدسي، حديث الأولياء: «يقول الله تعالىٰ: من عادىٰ لي ولياً فقد بارزني بالحرب[2] (بالمحاربة) وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنتُ سَمعه الذي يسمع به وبصَرهُ الذي يُبْصر به، ويدَه التي يبطش بها، فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش»[3] الحديث. . .

وعلى القول بجعل الوسائط والشفعاء بين العباد وبين الله تقلع أصول هٰذا الأصل العظيم الذي هو قطب رحى الإيمان وينهدم أساسه الذي ركب عليه البنيان، فأيّ فرح وأيّ نعيم، وأيّ فاقة سُدت وأيّ ضرورة دفعت، وأي سعادة حصلت وإي أنس واطمئنان إذا كان التوجه والدعاء والإستغاثة والذبح والنذر لغير الملك الحنّان[4] المنّان. سبحان الله ما أجرأ هٰذا المعترض علىٰ الله وعلى رسله وعلى دينه، وعلىٰ عباده المؤمنين. اللهمّ إنا نبرأ إليك مما جاء به هٰذا المفتري، وما قاله في دينك وكتابك وعلىٰ عبادك وأوليائك، قال الله تعالىٰ: ﴿ لَو كَانَ فِيهِمَا /١٩٣/ آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[5] فصلاح السمٰوات والإرض بأن يكون الله سبحانه وتعالىٰ هو الهها دون ما سواه ومستغاثها الذي تفزع اليه وتلجأ إليه في مطالبها وحاجاتها. وقرر المتكلمون هنا تمانع وجود ربين مدبرين، وأنه لا صلاح للعالَم إلاّ بأن يكون الله

= يَومَ القِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ اليَومَ تُنسَىٰ * وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾.

(١) سورة الرعد، آية/٢٨ـ٢٩.

(٢) في المنهاج (ص٣٢٧) بالمحاربة.

(٣) رواه البخاري (الرقاق ـ باب التواضع ـ ١١/٣٤٨ـ٣٤٩ رقم ٦٥٠٢).

(٤) اسم الحنّان لم يثبت لله تعالىٰ كما نصّ علىٰ ذٰلك بعض أهل العلم. قال الشيخ د. بكر أبو زيد حفظه الله تعالىٰ في معجم المناهي اللفظية (ص٣٤٧): «كره الإمام مالك الدعاء بنحو: يا حنان، لأنّه ليس من أسماء الله سبحانه الحنان، وعوام مصر يصغرون فيقولون: يا حُنين، يا ربّ، وتصغير اسم الله تعالى محرّم لا يجوز، فتنبّه فكيف ولم يثبت اسم الحنان» ا.هـ. وانظر الانباه إلىٰ ما ليس من أسماء الله (ص١٨).

(٥) سورة الأنبياء، آية/ ٢٢.

قيومَه ومدبرَه.

وقرر غيرهم من المحققين امتناع الصلاح بوجود آلهة تعبد وتقصد وترجى فالأول يرجع إلى الربوبية، والثاني إلى الألوهية[1].

الوجه السادس: أن الشرع الذي جاء به محمد ﷺ والسنة التي سنها في قـ بور الأنبياء والصالحين، وعامة المؤمنين تنافي هٰذا القول الشنيع الذي افتراه هٰذا الجاهل. وتبطله وتعارضه فإنه ﷺ سَنَّ عند القبور ما صحت به الأحاديث النبوية، وجرى عليه عمل[2] علماء الأمة من السلام عند زيارتها والدعاء لأصحابها وسؤال الله العافية لهم من جنس ما شرعه من الصلاة على جنائزهم. ونهى عن عبادة الله عند القبور، والصلاة فيها وإليها. وخصّ قبور الإنبياء والصالحين بلعن من اتخذها مساجد يعبد فيها تعالىٰ ويدعىٰ، وتواترت بذٰلك الأحاديث، (خرجها أصحاب الصحيحين وأهل السنن، ومالك في موطئه):[3]

فمنها قوله ﷺ: «اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتدّ غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[4] وحديث ابن مسعود[5]: «إن من شرار الناس من تدركهم

---

(١) في المنهاج (ص٣٢٨) الإلٰهية.

(٢) في الأصل (علىٰ) والمثبت من المنهاج (ص٣٢٨).

(٣) هٰكذا في الأصل وفي المنهاج (ص٣٢٨): مخرجة في الصحيحين وفي السنن وفي موطأ مالك. والأصل مثل غاية الأماني (١/ ٢٦٧).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٤٣) وعنه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٤٠ـ٢٤١) عن عطاء بن يسار مرسلاً، وأخرجه البزار كما في تنوير الحوالك (١/ ١٤٣) وعنه ابن عبد البر في التمهيد وصححه (٥/ ٤٣) عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، حسن إسناده العصيمي في الدر النضيد (ص٧٢) وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ « لعن الله قوماً»... الخ». بدل «اشتد غضب الله». رواه أحمد (٢/ ٢٤٦) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٤٢) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٨٣ و٧/ ٣١٧) وابن عبد البرّ في التمهيد (٥/ ٤٤) وغيرهم وصححه الإمام الالباني في الجنائز (ص٢١٧).

(٥) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي المكي المهاجري البدري حليف بني زهرة أبو عبد الرحمٰن الامام الحبر فقيه الأمة كان من السابقين الأولين ومن النجباء العاملين شهد بدراً وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل لازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه ومناقبه كثيرة جداً وفي =

الساعة /١٩٤/ وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»[١] وحديث أبي هريرة[٢]: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٣] وحديث جندب[٤] بن عبد الله[٥] سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: «إنّي بريء إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر[٦] خليلاً ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون

= رواية أنه من العشرة المبشرين بالجنة قال فيه عمر كنيف مليء علماً ت. سنة ٣٢هـ ودفن بالبقيع.
* أنظر ترجمته الاستيعاب (٧/ ٢٠) والسير (١/ ٤٦١) والإصابة (٦/ ٢١٤).

(١) رواه أحمد (١/ ٤٣٥) وابن أبي شيبة (٣/ ٣٤٥) وابن خزيمة (٧٨٩). وصححه، وابن حبان (٣٤٠-٣٤١ موارد). وأبو يعلى (٩/ ٢١٦ رقم ٥٣١٦) والبزار (٣٤٢٠) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٣٢ رقم١٠٤١٣). وعلق البخاري الشطر الأول منه (الفتن ـ باب ظهور الفتن ـ ١٣/ ١٧ رقم ٧٠٦٧) وأسنده مسلم (الفتن وأشراط الساعة ـ باب قرب الساعة ـ ٤/ ٢٢٦٨ رقم ٢٩٤٩)) وقال ابن تيمية في الإقتضاء (٢/ ٦٧٤) بإسناد جيد وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧) وحسنه الالباني في أحكام الجنائز (ص٢١٧).

(٢) اختُلف في اسمه اختلافاً كثيراً، وأرجحها أنه عبد الرحمن بن صخر الدوسي أسلم عام خيبر ولزم النبي ﷺ على ملء بطنه ودعا له الرسولﷺ بحفظ العلم، فكان كما دعا فأصبح حافظة الإسلام وراويته، حفظ الله به سنناً كثيرة، يعد من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ ومناقبه كثيرة جداً توفي سنة ٥٩ هـ. * انظر اسد الغابة (٦/ ٣١٨)، السير (٢/ ٥٧٨).

(٣) رواه البخاري (الصلاة ـ باب(٥٥) حدثنا أبو اليمان ـ ١/ ٦٣٤ رقم ٤٣٧) ومسلم (المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور ـ ١/ ٣٧٦ رقم ٥٢٩).

(٤) في المنهاج وغاية الأماني (١ /٢٦٧) جابر وهو تصحيف.

(٥) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العَلَقي وعلقة بطن من بجيلة أبو عبد الله وقد ينسب الى جدّه فيقال: جندب بن سفيان له صحبة ليس بالقديمة سكن الكوفة ثم البصرة قدمها مع مصعب بن الزبير يقال له جندب الخير وجندب الفاروق وجندب ابن أمّ جندب. توفي في حدود سنة سبعين.
* انظر الاستيعاب (٢/ ١٧٧)، وأسد الغابة (١/ ٣٦٠)، والإصابة (٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥)، والسير (٣/ ١٧٤).

(٦) هو أمير المؤمنين صدّيق الأمّة حبيب رسول الله ﷺ أفضل رجل بعد النبيين، المجاهد حفظ الله به الدين، أبو بكر عبد الله وقيل عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر يجتمع مع النبي ﷺ في مرّة بن كعب، وأمّه أم الخير سلمىٰ بنت صخر بن عمرو بن كعب، وفضائل الصديق ومناقبه جمة كثيرة؛ تولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ وقمع المرتدين. توفي سنة ثلاث عشرة.
* انظر الكامل في التاريخ (٢/ ٤١٨ وما بعدها)، وأسد الغابة (٣/ ٣٠٩) والإصابة (٦/ ١٥٥).

القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنّي أنهاكم عن ذٰلك»[1].

وحديث عائشة[2] لما نزل برسول الله ﷺ: «طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال: وهو كذلك: لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت عائشة: يحذر ما صنعوا، ولولا ذٰلك لأبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجداً»[3]. وفي رواية لمسلم: «وصالحيهم».

وإنما نهىٰ عن الصلاة عندها واتخاذها مساجد لما يفضي إليه من دعائها والإستغاثة بها، وقصدها للحوائج والمهمات والتقرب إليها بالنذر والنحر ونحو ذٰلك من القربات.

فجاء هٰذا العراقي فهتك ستر الشريعة، واقتحم الحمىٰ وشاق الله ورسوله، وقال تدعىٰ ويستغاث بها وترجىٰ.

ومن اشتم[4] رائحة العلم، وعرف شيئاً مما جاءت به الرسل عرف أنَّ هٰذا الذي قاله العراقي من جنس عبادة الأصنام والأوثان: مناقض لما دلت عليه السنة والقرآن

---

(١) رواه مسلم (المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور ـ ١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ رقم ٥٣٢).

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق، الصديقة بنت الصديق المبرّأة من فوق سبع سماوات أم المؤمنين معلمة الرجال زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه وأمها أمّ رومان ابنة عامر الكنانية تزوجها النبي ﷺ وهي ابنة ستّ وبنىٰ بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولىٰ بعد، وفاة خديجة بثلاث سنين وكان جبريل قد عرض صورتها علىٰ رسول الله ﷺ في سرقة من حرير في المنام لما توفيت خديجة. وكناها رسول الله ﷺ أمّ عبد الله بابن أختها عبد الله بن الزبير. كانت أحب الناس إلىٰ رسول الله ﷺ؛ روت عن النبي ﷺ الأحاديث والسنن الكثيرة وعن كبار الصحابة. توفي عنها رسول الله ﷺ وعمرها ثمان عشرة سنة. توفيت رضي الله عنها سنة ثمان وخمسين وقيل سبع ليلة ١٧ رمضان ودفنت في البقيع.
* انظر الاستيعاب (١٣/ ٨٤) وأسد الغابة (٧/ ١٨٨)، والإصابة (١٣/ ٣٨).

(٣) رواه البخاري (الصلاة ـ باب ٥٥ حدثنا أبو اليمان ـ ١/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤ رقم ٤٣٥ ـ ٤٣٦). و(الجنائز ـ باب ما يكره من اتخاذ القبور مساجد ـ ٣/ ٢٣٨ رقم ١٣٣٠) (وفيه ـ باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ـ ٣/ ٣٠٠ رقم ١٣٩٠) ومسلم (المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور ـ ١/ ٣٧٧ رقم ٥٣١).

(٤) في المنهاج (ص٣٢٩) شم.

ولا يستريب في ذلك عاقل من نوع الإنسان/١٩٥/.

الوجه السابع: أن الله تعالىٰ نهىٰ عن الغلو ومجاوزة الحدّ فيما شرعه من حقوق أنبيائه وأوليائه. قال تعالىٰ: [﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُم وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ ﴾ وقال تعالى:][1] ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُم غَيرَ الحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَومٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيل ﴾[2]. وعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله[3] ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النّصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»[4]. وعن ابن عبّاس في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ونَسراً * وَقَد أَضَلُّوا كَثِيراً ﴾[5] هٰذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلمّا ماتوا[6] أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا لهم أنصاباً وصوّروا تماثيلهم، فلمّا مات[7] أولئك ونسي العلم عبدت[8] وقال ابن القيم[9]: قال غير واحد من السلف: عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم فلمّا طال عليهم الأمد عُبِدَت. انتهىٰ.

فانظر إلى ما آل إليه الغلو بالتصاوير والعكوف من غير دعاء ولا عبادة فكيف بالدعاء والاستغاثة والتوسل.

والقول بأن الله يفعل لأجلهم هذا نفس الشرك. والأول وسيلته التي حدث

---

(١) الآية من سورة النساء آية/١٧١ـ سقطت من الأصل والاستدراك من المنهاج (ص٣٢٩).

(٢) سورة المائدة، آية/٧٧ وسقط من الأصل كلمة (قل) أول الآية.

(٣) في المنهاج (ص: ٣٢٩) الرسول.

(٤) رواه البخاري (الأنبياء ـ باب قول الله تعالىٰ ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ ـ ٦/٥٥١ رقم ٣٤٤٥).

(٥) سورة نوح، آية/٢٣ ـ ٢٤.

(٦) في المنهاج (ص: ٣٢٩) فلما مات.

(٧) في المنهاج (ص: ٣٢٩) ماتوا.

(٨) رواه البخاري (التفسير ـ تفسير سورة نوح باب وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ـ (٨/٦٦٧ رقم ٤٩٢٠).

(٩) إغاثة اللهفان (١/١٨٤).

الشرك بسببها، وقد قطع النبي ﷺ (وسيلة)[1] هذا الشرك، وحمى الحمى، وسد الذريعة حتى نهى عن الصلاة عندها واعتياد المجيء اليها بقوله في اشرف القبور: "لا تجعلوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ حيث ما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني"[2] ونهى عن رفع القبور/١٩٦/ وبعث علي بن أبي طالب[3] [إلى اليمن][4] أن لا يدع تمثالاً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً إلا سواه[5]، ونهى عن تعظيمها بإيقاد السُّرج[6]؛ كل هذا صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، فرحم الله امرءاً آمن بالجنة والنار، وجعل رسول الله ﷺ إمامه ومعلمه وقدوته، ولم يلتفت عما جاء به، (ولا يبالي)[7] بمن خالفه وسلك غير سبيله، وحنّ الى ما كان عليه السلف الصالح، وأئمة الهدىٰ في هذا الباب وفي غيره ﴿ أولٰئكَ الَّذِينَ هدَى اللهُ فَبِهُدٰهُمُ اقْتَدِه ﴾[8]. ﴿ قُل إنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوني يُحبِبْكُمُ اللهُ ويَغفِرْ لكُم [ذُنُوبَكُم] واللهُ غَفورٌ رَحيم * قل أطيعُوا اللهَ

---

(١) ما بين قوسين ساقط من المنهاج.

(٢) رواه أحمد (٢/٣٦٧) وأبو داود (المناسك ـ باب زيارة القبور ـ ٢/ ٥٣٤ رقم ٢٠٤٢) من حديث أبي هريرة بنحوه وصححه النووي في الاذكار(١/ ٣٢٢ رقم ٣٣٤) وحسنه الالباني في تحذير الساجد (ص١٤٢) وروى بلفظ لا تتخذوا قبري عيداً عن علي بن أبي طالب وروى مرسلاً عن الحسن بن الحسن بن علي. * انظر تحذير الساجد (ص ١٤٠ ـ ١٤١).

(٣) هو علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ أسلم وهو صبي وهو أول من أسلم من الصبيان تزوج فاطمة بنت رسول الله فولدت له الحسن والحسين، تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وصارت خصومة بينه وبين معاوية، والله يحكم بينهم يوم القيامة بعفوه، وقاتل الخوارج وقتل الغلاة الذين ادعوا فيه الألوهية، قتل شهيداً، قتله الخوارج سنة ٤٠ هـ. * انظر الاستيعاب (٨/ ١٣١) وأسد الغابة (٤/ ٩١) والاصابة (٧/ ٥٧).

(٤) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص: ٣٣٠).

(٥) رواه مسلم (الجنائز ـ باب الأمر بتسوية القبر ـ ٢/ ٦٦٦ رقم: ٩٦٩) وأبو داود (الجنائز ـ باب في تسوية القبر ـ ٣/ ٢١٥ رقم ٣٢١٨) والترمذي (الجنائز ـ باب ما جاء في تسوية القبور ـ ٣/ ٣٦٦ رقم: ١٠٤٩). والنسائي (الجنائز ـ باب تسوية القبور إذا رفعت ٤/ ٨٨ ـ ٨٩) عن أبي هياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيتُه".

(٦) لم يأت نص صريح صحيح في النهي عن ايقاد السرج ولكن النهى معلوم من عموم الأدلة الناهية عن البدع والتبذير. * وانظر ذلك (ص:٢٩٢) من هذا الكتاب.

(٧) في المنهاج (ص: ٣٣٠) (لم يبال).

(٨) سورة الأنعام، آية/ ٩١.

والرَّسولَ فإنْ تَوَلَّوا فإنَّ اللهَ لا يحبُّ الكافرين ﴾[1].

الوجه الثامن: أن من أعرض عن الله وقَصَدَ غيره، وأعد ذلك الغير لحاجته وفاقته، واستغاث به ونذر [له][2] ولاذ به فقد أساء الظن بربه. وأعظم الذنوب عند الله تعالىٰ » إساءة الظن به، فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس، فظن به ما يناقض أسماءه وصفاته. ولهذا توعد سبحانه وتعالىٰ الظانين به ظن السوء، بمالم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى: ﴿ علَيهِم دائرَةُ السَّوءِ وغَضِبَ اللهُ علَيهِم ولَعَنَهُم وأعَدَّ لَهُم جهنَّمَ وساءَتْ مصيراً ﴾[3]، وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته: ﴿ وذٰلِكم ظَنُّكُمْ الّذي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُم أرْداكُم فأصبَحتُم مِّنَ الخاسرين ﴾[4]، وقال تعالىٰ عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: إذْ[5] قال لقومه ﴿ماذا تعبدون * أئفكاً آلهةً دون الله تُريدون * /١٩٧/ فما ظَنُّكم بِربِّ العالمين ﴾[6].

أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره، وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتىٰ أحوجكم إلىٰ عبودية غيره.

فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير، وأنه غني عن كل ما سواه فقير إليه كل ما[7] عداه. وأنه قائم بالقسط علىٰ خلقه وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره. و[أنه][8] العالِم بتفاصيل الأمور فلا تخفى عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده لا يحتاج [إلىٰ معين. والرحمٰن بذاته فلا يحتاج][9] في

(١) سورة آل عمران، آية/ ٣١ ـ ٣٢.
(٢) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص: ٣٣١).
(٣) سورة الفتح، آية/ ٦.
(٤) سورة فُصِّلت، آية/ ٢٣.
(٥) في الأصل: إن.
(٦) سورة الصافات، آية/ ٨٥ ـ ٨٧.
(٧) في المنهاج (ص: ٣٣٠) من عداه.
(٨) من المنهاج (ص: ٣٣١) وغاية الأماني مثل الأصل (١/ ٢٦٩).
(٩) من المنهاج (ص: ٣٣١).

رحمته إلىٰ من يستعطفه،[ـ ماتخذتم الأنداد من دونه والوسطاء بينكم وبينه ـ][1] وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم محتاجون إلىٰ من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم [من الوسطاء الذين يعينونهم][2] علىٰ قضاء حوائجهم وإلىٰ من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلىٰ الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم. فأما القادر علىٰ كل شيء، الغني بذاته عن كل شيء، العالِم بكل شيء، الرحمٰن الرحيم. الذي وسعت رحمته كل شيء فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تَنَقُّصٌ بحق ربوبيته وإلٰهيته وتوحيده، وظَنٌّ به ظن السوء وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح[3].

يوضح هذا أن العابد معظِّم لمعبوده متأله له، خاضع ذليل له، والرب تبارك وتعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال والتألُّه والخضوع والذل، وهذا (في)[4] خالص حقه، فمن[5] أقبح الظلم أن يعطي حقه/١٩٨/ لغيره. ويشرك بينه وبينه فيه، ولا سيما إذا كان الذي جُعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه، كما قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لكُم مَثَلاً من أنفُسِكم، هلْ لَكُم مِّما مَلَكَتْ أيمانُكُم مِن شُرَكاءَ فيمَا رزَقْناكُم فأنْتُم فِيهِ سواءٌ تخافُونَهم كَخِيفَتِكُم أنْفُسَكُم﴾[6]، أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه كيف[7] تجعلون[8] لي [من][9] عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به، وهو[10] الإلٰهية التي لا تنبغي (لغيري)[11]، ولا تصح لسواي، فمن زعم ذلك فما قَدَرَني حقَّ قَدْري، ولا عظَّمَني حقَّ تعظيمي ولا أفردني

---

(١) من المنهاج (ص: ٣٣١).
(٢) من المنهاج (ص: ٣٣١).
(٣) في المنهاج (ص: ٣٣١) قبيح.
(٤) ليست في المنهاج (ص: ٣٣١).
(٥) في الأصل: من، والتصويب من المنهاج (ص: ٣٣١).
(٦) سورة الروم، آية/٢٨.
(٧) في المنهاج (ص: ٣٣١) فكيف.
(٨) تصحفت في الاصل إلى تجلعون.
(٩) من المنهاج (ص: ٣٣١).
(١٠) في غاية الأماني (١/ ٢٧٠) وهي.
(١١) ما بين قوسين ليس في المنهاج (ص: ٣٣١).

بما[1] أنا منفرد به وحدي دون خلقي.

فما قَدَرَ اللهَ حقَّ قَدْره من عبد معه غيره كما قال تعالىٰ: ﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِه والأرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يومَ القِيامَة، والسَّمٰواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِه سُبْحَانَهُ وتَعالىٰ عَمَّا يُشْرِكون ﴾[2] فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره - من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة، بل هو أعجز شيء وأضعفه، فما قدر[3] القوي العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل، وكذلك ما قدره حق قدره من قال: إنه لم يرسل إلى خلقه رسولاً، ولا أنزل كتاباً. بل نسبه الى ما لا يليق به، ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتركهم سدى وخلقهم باطلاً عبثاً.

ولا قدَرَه حقَّ قَدْرِه من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاتِهِ العليا، فنفى سمعه وبصره وإرادته واختياره وعلُوَّه فوق خلقه، وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد،(*) أو نفى عموم قدرته وتعلّقها/١٩٩/ بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم؛ فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاؤون بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى؛ فيكون في ملكه ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون، تعالىٰ الله عز وجل عن قول أشباه المجوس عُلُوّاً كبيراً.

وكذلك ما قَدَرَه حق قدره من قال: إنه يعاقب عبده على ما [لا][4] يفعله العبد ولا له عليه قدرة ولا تأثير له فيها البتة، بل هو نفس فعل الرب جل جلاله فيعاقب عبده على فعله [هو][5] وهو سبحانه وتعالى الذي جبر العبد عليه، وجبره على الفعل أعظم من إكراه المخلوقِ المخلوقَ، فإذا كان من المستقر في الفطر والعقول أن السيد لو أكرَه عبده على فعلٍ وألجأه إليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحاً. فأعدل العادلين وأحكم

---

(١) في الاصل كما والتصويب من المنهاج (ص:٣٣١).
(٢) سورة الزمر اية/٦٧.
(٣) في المنهاج فما قدروا القوى (ص: ٣٣٢).
(٤) من المنهاج (ص: ٣٣٢).
(٥) من المنهاج (ص: ٣٣٢).
(*) هذا قول الجهمية في الصفات والاسماء.

الحاكمين وأرحم الراحمين، كيف يجبر العبد على فعلٍ لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير، ولا هو واقع بإرادته بل ولا هو فَعَلَه البتّة، ثم يعاقب عليه عقوبة الأبد؟، تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً.

وقول هؤلاء شر من أقوال المجوس. والطائفتان[1] ما قدروا الله حق قدره.

وكذلك ما قدره [حق قدره][2] من لم يصنه عن بئر ولا حُش[3] ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله في كل مكان، وصانه عن عرشه أن يكون مستوياً عليه، يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وتعرج الملائكة والروح إليه. وتنزل من عنده، ويدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض ثم يعرج إليه. فصانه عن استوائه على سرير المُلك/ ٢٠٠/ ثم جعله في كل مكان يأنف الإنسان بل غيره من الحيوان أن يكون فيه. (*)

وما قدره حق قدره من نفىٰ حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقتِه، ولا من نفىٰ حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله، ولا من نفىٰ حقيقةَ فعله ولم يجعل له فعلاً اختيارياً يقوم به، بل أفعاله (مفعولات)[4] منفصلة عنه.

فنفي حقيقة محبته وإتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى ﷺ من جانب الطور ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها وزعموا أنهم بنفيها قدروا الله حق قدره. (**)

وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً وجعله يحل في مخلوقاته، وجعله عين هذا الوجود.

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال: إنه رفع أعداء رسله وأهل بيته (وأعلى)[5]

---

(١) يعني القدرية والجبرية.

(٢) من المنهاج (ص: ٣٣٢) وليست في غاية الاماني (١/ ٢٧١).

(٣) الحَشّ والحُشّ: جماعة النخل والبستان، وسمي به المتوضأ لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البستان، وقيل إلى النخل المجتمع يتغوطون فيها. على نحو تسميتهم الفناء عَذِره. * انظر لسان العرب (٦/ ٢٨٦).

(٤) تصحفت في المنهاج (ص: ٣٣٣) إلى منقولات.

(٥) في الاصل وغاية الأماني (١/ ٢٧٢) وأهمل والمثبت من المنهاج (ص: ٣٣٣) والضمير في ذكرهم يعود على أعداء الرسل.

(*) هذا قول الجهمية في العلو. أنظر التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع للملطي (١١٢)

(**) هذا قول الاشاعرة ومن وافقهم.

ذِكرَهم، وجعل فيهم المُلك والخلافة (والعزة)[1]، ووضع أولياء رسوله وأهانهم وأذلهم وضرب عليهم الذلة أين ما ثُقِفُوا، وهٰذا يتضمن غاية القدح في الرب تبارك وتعالى عن قول الرافضة علواً كبيراً. وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارىٰ في رب العالمين؛ أنه أرسل ملِكاً ظالماً فادّعى النبوة لنفسه وكذب على الله تعالى ومكث زمناً طويلاً يكذب عليه كل وقت ويقول: قال كذا، وأمر بكذا ونهى عن كذا، وينسخ شرائع أنبيائه ورسله/ ٢٠١/ ويستبيح دماء أتباعهم [وأموالهم][2] وحريمهم، ويقول: الله تعالى أباح لي ذلك، والرب تبارك وتعالى يُظهِرُه ويُؤيِّده ويُغلِيه ويُقوّيه، ويُجيب دعواته، ويُمَكِّنه مِمَّن يخالفه ويقيم الأدلة على صدقه، ولا يعاديه أحد إلا ظفر به، فيصدقه بقوله وفعله وتقريره، ويحدث أدلة تصديقه شيئاً بعد شيء، ومعلوم أن هذا يتضمن أعظم القدح والطعن في الرب سبحانه وتعالى وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته، تعالى عن قول الجاحدين علواً كبيراً.

فَوازِن بين قول (هٰؤلاء)[3] وقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين:

رضيعَا لبان ثـدي أمٍّ تَقاسَمَا بأسحم داجٍ عوضُ لا يتفرق[4]

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال: إنه يجوز أن يعذب أولياءه ومن لم يعصه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم، وينعم أعداءه ومن لم يؤمن به طرفة عين ويدخلهم دار النعيم، وأن كِلا الأمرين بالنسبة إليه سواء، وإنما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك؛ فمعناه الخبر لا لمخالفة حكمته وعدله، وقد أنكر سبحانه وتعالىٰ في كتابه على من يجوز عليه ذلك غاية الانكار، وجعل الحكم به من أسوأ الاحكام.

وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتىٰ، ولا يبعث من في القبور، ولا يجمع خلقه ليومٍ يُجازىٰ [فيه][5] المُحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ويأخذ للمظلوم

---

(١) في الاصل وغاية الاماني (١/ ٢٧٢). و(العفو) والمثبت من المنهاج (ص: ٣٣٣).

(٢) من المنهاج(ص: ٣٣٣).

(٣) في الاصل هذا والتصويب من منهاج التأسيس (ص٣٣٣).

(٤) البيت للأعشى وأسحم: سواد الليل ويقال: سواد حلمة الثدي وقيل الرحم و (عَوْضُ) أي أبداً لا يتفرق. * أنظر تاج العروس (٥/ ٥٨).

(٥) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص: ٣٣٤).

فيه حقه من ظالمه ويُكرم المتحملين المشاقّ في هذه الدار من أجله، وفي مرضاته بأفضل كرامته /٢٠٢/ ويبين لخلقه الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كافرين.

وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمْرُه فعصاه، ونَهْيُه فارتكبه وحقُّه فضَيَّعه، وذكره فأهمله، وغفل قلبُه عنه، وكان هواه آثَرَ عنده من طلب رضاه. وطاعته[1] المخلوقَ أهم عنده من طاعته، فـلله الفضلةُ من قلبه وقوله وعمله وسواه القدم في ذلك لأنه المهم عنده (يستخف)[2] بنظر الله إليه واطّلاعه عليه وهو في قبضته، وناصيتُه بيده، ويُعظِّم نظر المخلوق إليه واطّلاعهم عليه بكل قلبه وجوارحه، يستحيي من الناس ولا يستحيي من الله عز وجل، ويخشى الناس ولا يخشى الله عز وجل ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه، وإن عامل الله عز وجل عامله بأهون ما عنده وأحقره، وإن قام في خدمة إلٰهه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة. قد فَرَّغ له قلبه وجوارحه وقدّمه على كثير من مصالحه، حتى إذا قام في حق ربه ـ إن ساعده القدر ـ قام قياماً لا يرضاه مثله لمخلوق[3] من مخلوقاته، وبدا له ما يستحيي[4] أن يواجه به مخلوقاً[5] مثله، فهل قَدَرَ اللهَ حقَّ قدرِه (مَن)[6] هٰذا وصفُه؟! وهل قدره حق قدره من شارك[7] بينه وبين عدوه في محض حقه من الإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء؟؟ فلو جعل من أقرب الخلق إليه شريكاً في ذلك لكان ذلك جرأة وتوثباً على محض حقه، واستهانة به وتشريكاً بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح إلّا له سبحانه وتعالى. فكيف وإنما شرك[8] /٢٠٣/ بينه وبين أبغض الخلق إليه وأهونهم عليه وأمقتهم عنده، وهو عدو[9] على الحقيقة فإنه ما عُبِدَ من دون

---

(١) في المنهاج (ص: ٣٣٤) وطاعة.
(٢) في الأصل: يستحق والتصويب من المنهاج (ص: ٣٣٤).
(٣) في المنهاج (ص: ٣٣٤): بمخلوق.
(٤) في الاصل والمنهاج ما لم يستحى فحذفت(لم).
(٥) في الاصل مخلوق لمثله وفي غاية الاماني (١/ ٢٧٣) مخلوقاً لمثله. والمثبت من المنهاج (ص: ٣٣٤).
(٦) في الاصل (ما) والمثبت من المنهاج (ص٣٣٤).
(٧) في المنهاج (ص: ٣٣٤) شرَّك.
(٨) في المنهاج (ص: ٣٣٤) أشرك.
(٩) في المنهاج (ص: ٣٣٥) عدوه.

الله إلاّ الشيطان كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم يا بَنِي آدَم أَلاّ تَعبُدوا الشيطانَ إِنَّهُ لكُم عدوٌّ مُبين * وأَنِ اعْبُدوني هٰذا صِراطٌ مُستقيم ﴾[١]؛ ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الأمر للشيطان، وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى: ﴿ ويَومَ نحشُرُهُم جميعاً ثم نقولُ للمَلـٰئكةِ أَهٰـؤلاءِ إيّاكُم كانُوا يَعْبُدون * قالُوا سُبحَانَك أنتَ وَلِيُّنا مِن دُونِهم بَلْ كانوا يَعبُدونَ الجِنَّ أكثَرُهُم بِهم مُؤمِنون ﴾[٢]، فالشيطان يدعو المشرك[٣] إلى عبادته ويوهمه أنه ملَك، وكذلك عبّاد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب، وهي[٤] التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج. ولهذا إذا طلعت الشمس قارنها الشيطان لعنه الله تعالى، فيسجد لها الكفار، فيقع سجودهم له، وكذلك عند غروبها[٥]. وكذلك من عَبَد المسيح وأمه، لم يعبدهما وإنما عَبَد الشيطان، فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم، وأمَرَهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لعنه الله تعالىٰ، لا عَبَد الله ورسوله، ونُزِّل[٦] هٰذا كله على قوله تعالى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم يا بَنِي آدَمَ أَلاّ تَعْبُدوا الشَّيطانَ، إِنَّهُ لَكُم عدوٌّ مُبين ﴾[٧] فما عَبَدَ أحد من بني آدم غير الله عز وجل كائناً مَن كان إلاّ وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه، ويستمتع/ ٢٠٤/ المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان، ولهذا قال تعالى: ﴿ ويَومَ نَحشُرُهُم جَميعاً يا مَعشَرَ الجِنِّ قَد استَكثَرتُم مِنَ الإنس ﴾ من إغوائهم وإضلالهم ﴿ وقَال أولِيَاؤُهُم مِّنَ الإنسِ ربَّنا استَمْتَعَ بعضُنا بِبعضٍ وبَلَغْنا أجَلَنا الّذي

---

(١) سورة يس، آية/ ٦٠ ـ٦١.

(٢) سورة سبأ، آية/ ٤٠ ـ٤١. قرأ السبعة بالنون في نحشرهم ونقول إلا حفصاً فبالياء، * أنظر: البدور الزاهرة (ص: ٢٦١)

(٣) في الأصل المشركين والتصويب من المنهاج ص٣٣٥.

(٤) في المنهاج (ص: ٣٣٥) (إنها التي).

(٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَحَرَّوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بقرني شيطان» أخرجه مسلم (صلاة المسافرين ـ باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها ـ١/ ٥٦٧-٥٦٨ رقم ٨٢٨) وفي الباب عن عمرو بن عبسة عند مسلم (١/ ٥٧٠ رقم ٨٣٢) وفيه أن الكفار يسجدون للشمس عند الشروق والغروب.

(٦) في الأصل(وترك) والتصويب من المنهاج (ص: ٣٣٥).

(٧) سورة يس، آية/ ٦٠.

أجَّلْتَ لنا، قَال النارُ مَثْواكُم خَالِدِينَ فِيها إلاّ مَا شاءَ اللهُ إنَّ رَبَّكَ حكيمٌ عَليم ﴾[1]، فهٰذه إشارة لطيفة إلى السرّ الذي لأجله كان الشرك أكبرَ الكبائر عند الله تعالى وأنه لا يغفر بغير التوبة منه وأنه يوجِب الخلود في النار، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه بل يستحيل علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أن يشرع عبادة إلٰه غيرِه، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله، وكيف يظن بالمنفَرد[2] بالربوبية والإلٰهية والعَظَمة والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك أو يرضى به؟ تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً؛ انتهى.

وإنما سُقنا هذا المبحث العظيم الذي تُعقَد عليه الخناصر، ويُعَضّ عليه بالنواجذ، لما فيه من الفوائد التي لا يستغني عنها من نصح نفسه، وإنما الغرض بيان ما في التوسل والاستغاثة بالأموات والغائبين من سوء الظن بالله رب العالمين.

الوجه التاسع: أنَّ الله تعالى حرّم القول عليه بغير علم وجعله أعظم من الشرك قال تعالى: ﴿ قُل إنَّما حَرّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ والإثْمَ والبَغيَ بِغَيرِ الحقِّ، وأَنْ تُشرِكُوا بِاللهِ مٰا لَمْ يُنَزِّلْ /٢٠٥/ بِهِ سُلْطاناً [وأَنْ تَقُولُوا علىٰ اللهِ مٰا لَا تَعْلَمون ﴾[3] الآية، فرتب المحرمات منتقلاً من الأدنىٰ إلى الأعلىٰ، وقال تعالى: ﴿ ومن أظلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللهِ كَذِباً أُولٰـئِكَ يُعرَضُون على رَبِّهِم ويَقُولُ الأشْهَادُ هٰؤلاءِ الّذِينَ كَذَبُوا علىٰ رَبِّهِم أَلَا لَعنَةُ اللهِ علىٰ الظّالِمِين * الّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَّهُم بِالآخِرةِ هُم كَافِرون ﴾[4]؛ ومن عرف الشرك حق المعرفة يعلم أن من قال: تجوز[5] الاستغاثة والتوسل بالأنبياء والصالحين والنذر لهم والحلف، وما أشبهه من

---

(١) سورة الأنعام، آية/١٢٨، والمثبت غير قراءة حفص في نحشرهم وهي قراءة السبعة إلا حفصاً، وقرأ حفص بالياء التحتية. * أنظر البدور الزاهرة (ص: ١١٠).
(٢) في الاصل المنفرد والتصويب من المنهاج ص ٣٣٥.
(٣) الأعراف، آية/ ٣٣، وما بين المعقوفتين ساقط من الأصل. وهي في المنهاج (ص: ٣٣٦).
(٤) سورة هود، آية/١٨ـ١٩.
(٥) في المنهاج (ص:٣٣٦): بجواز.

التعظيم؛ له نصيب وافر[1] من الكذب على الله وعلى رسله، ومن الصدّ عن سبيل الله وابتغاء العِوَج[2]، والله المستعان، وقال الله تعالى: ﴿ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً، سُبحانَهُ، هُوَ الغَني، لَهُ ما في السَّمٰواتِ وما في الأرضِ، إنْ عِندَكُم مِّنْ سُلطانٍ بِهٰذا أتقُولونَ علىٰ اللهِ ما لا تَعلَمون * قُلْ إنَّ الّذِينَ يَفتَرُونَ علىٰ اللهِ الكَذِبَ لا يُفلِحُونَ * مَتاعٌ في الدُّنيا ثُمَّ إلَينا مَرجِعُهُم ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذابَ الشَّديدَ بِما كَانُوا يَكْفُرون ﴾[3].

(ويتبين)[4] كذب هٰذا العراقي على الله وعلى رسوله وعلى عباده الصالحين بالكلام[5] على ما ساقه هذا العراقي من الأدلة التي يزعم أنها تدل على دعواه وتنصر ما قاله وافتراه.

فأما قوله: إعلم أن المجوزين للاستغاثة بالأنبياء والصالحين مرادهم أنها أسباب ووسائل بدعائهم، وأن الله يفعل لأجلهم، لا أنهم الفاعلون استقلالاً من دون الله، فإن هذا كفر بالاتفاق، **فجواب هٰذا تقدم في الوجه الثاني**، وذكرنا أن المشركين من عهد نوح إلى عهد خاتم النبين ﷺ لم يقصدوا سوى هذا، ولم يدّعوا لآلهتهم/٢٠٦/ غيره، وأنهم ما زادوا حرفاً واحداً على هذا العراقي وشيعته، وهو يظن أن النزاع في دعواه الاستقلال، وليس الأمر كذلك، فإن النزاع بين الرسل وقومهم إنما هو في توحيد العبادة، فكل رسول أول ما يقرع أسمَاع قومه بقوله ﴿ يَا قَومِ اُعْبُدوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إلٰه غَيْرُه ﴾[6]. وكان المشركون من الجاهلية يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً[7] هو لك، تملكه وما ملك، فأثبتوا الشركة في العبادة واعتقدوا أن آلهتهم مملوكة لا مستقلة، وهذا ظاهر[8] في القرآن والسنة، لا يجهله من عرف ما الناس[9] فيه

---

(١) في المنهاج (ص: ٣٣٦): أوفر نصيب.
(٢) في المنهاج (ص: ٣٣٦): وابتغائها عوجاً.
(٣) سورة يونس، آية/٦٨-٧٠، ووقع في الأصل والمنهاج زيادة واو أول الآية.
(٤) في الاصل وتبين، والتصويب من المنهاج (ص: ٣٣٦).
(٥) وجد في الحاشية. ونختم بالكلام. وهي زيادة من القاري لا حاجة لها.
(٦) سورة الأعراف، آية/٥٩و٦٥.
(٧) في الأصل والمنهاج إلا شريك، والتصويب من غاية الأماني (١/ ٢٧٥).
(٨) في المنهاج (ص: ٣٣٧): الظاهر.
(٩) في الاصل: للناس والتصويب من المنهاج (ص: ٣٣٧).

من أمر دينهم، وإنما خفي ذلك على هذا المعترض لفرط جهله وكثافة فهمه، ولأنه نشأ بين عباد القبور المتوسلين بها وبأهلها فظن أن هذا هو الاسلام، والمسكين لم يعرف ربه، وما يجب له من الحقوق على كافة الأنام، ولم يتخرج على[1] إمام يعتمد[2] في بيان الشرائع والأحكام. مع أن عباد القبور في هذه الأزمان اعتقدوا التدبير والتصريف(*) لمن يعتقدونه. فطائفة قالت: يتصرف [في الكون سبعة، وطائفة قالت: يتصرف أربعة وطائفة قالت: يتصرف][3] سبعون، واختلفوا في قُطْبهم الذي إليه يرجعون، تعالى الله عما يقول الظالمون.

فأهل مصر يرون أنه البدوي[4]، وأهل العراق يرجحون (الشيخ)[5] عبد القادر[6] (الجيلاني)[7]، والرافضة يرون ذلك للأئمة من أهل البيت، وهذا مشتهر عنهم لا ينكره إلّا مكابر، وقد حكم العراقي بأن دعوى الاستقلال كفر بالاتفاق، وعلى قول غلاة عباد القبور: مصدر التصريف عنهم يستقلون/٢٠٧/ به لأن الوكيل يستقل بتدبير ما وكل إليه، وحينئذ فإذا لم يعرف العبادة ومسألة النزاع كيف يجادل عن قوم جزم بكفرهم وحكى عليه الاتفاق؟ فالرجل مخلط لا يدري ما يقول.

---

(١) في المنهاج (ص: ٣٣٧) عن إمام.

(٢) جاء في الحاشية يعتمد عليه: وليست هذه الزيادة في المنهاج ولا غاية الاماني

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الاصل والاستدراك من المنهاج (ص: ٣٣٧).

(٤) هو أحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر البدوي المعروف بأحمد البدوي. ولد سنة ٥١٦ هـ بفاس بالمغرب وتوفي بطنطا سنة٦٧٥ هـ صاحب ضلالات وشطحات وهو يعبد من دون الله.
* انظر ترجمته وكلامه: شذرات الذهب (٥/ ٣٤٥) وكتاب التصوف في ميزان البحث والتحقيق لعبد القادر السندي (١/ ١٣٤).

(٥) ليست في المنهاج.

(٦) هو الشيخ الامام الزاهد العارف القدوة شيخ الاسلام علم الأولياء محيي الدين، أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد مولده بجيلان سنة ٤٧١هـ، له اعتقاد جيد في مقدمة كتابه الغنية. جرى فيه على مذهب السلف؛ عاش تسعين سنة وقيل اثنتين وتسعين وتوفي سنة: ٥٦١هـ، قال الذهبي: وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن عليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه.
* أنظر السير (٢٠/ ٤٣٩ـ ٤٥١) والبداية والنهاية(١٢/ ٢٥٢).

(٧) ما بين قوسين ليس في المنهاج (ص: ٣٣٧).

(*) جاء في الحاشية: لعله التصرف.

وأما قوله: ولا يخطر ببال مسلم جاهل فضلا عن عالم، **فيقال**: أين العنقاء لتطلب وأين السمندل ليجلب[1]؟ إذا صح الاسلام لم يرغب أهله إلى دعاء غير الله من (العباد والأوثان والأصنام)[2].

وأما قوله: بل ليس هذا خاصاً بنوع الأموات، فإن الأحياء وغيرهم من الأسباب العادية، كالقطع للسكين، والشبع للأكل، والري والدفء، لو اعتقد أحد أنها فاعلة [ذلك][3] بنفسها من غير استنادها إلى الله يكفر إجماعاً، فيقال إذا كان إسناد الفعل إليها استقلالاً يكفر فاعله إجماعاً[4] وهي من الأسباب العادية التي أودع الله فيها قوة فاعلة فكيف لا يكفر من أسند ما لا يقدر عليه إلاّ الله من إغاثة اللهفات وتفريج الكربات، وإجابة الدعوات إلى غير الله من الصالحين أو غيرهم. وزعم أنهم وسائل وأن الله وكل إليهم التدبير كرامة لهم، هذا أولى بالكفر وأحق به ممن قبله.

ويقال للعراقي؛ أنت لا ترضى تكفير أهل القبور لاحتمال العذر والشبهة، وأنه شرك أصغر يثاب من أخطاء فيه، فكيف جزمت بكفر من أسند القطع للسكين من غير إسناد إلى الله؟؟!! وما الفرق بين من عذرته وجزمت بإثابته وبين من كفرته وجزمت بعقابه؟؟!! ليست إحدى المسألتين بأظهر من الأخرى، وما يقال من الجواب فيما أثبته من الكفر يقال فيما نفيته:

يوماً بجُزوى ويوماً بالعقيق /١٠٨/ وبالعُذيب يوماً ويوماً بالخُليصاء[5]

---

(١) العنقاء: الداهية، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم، القاموس المحيط (ص١١٧٨) والسمندل: طائر بالهند لا يحترق بالنار، القاموس المحيط (ص١٣١٤) وجاء في حاشيته. ويعمل من ريشه مناشف، إذا اتسخت تنظف بالنار، قال في لسان العرب (٣٤٨/١١) أبو سعيد: السمندل طائر إذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر، فيعود إلى شبابه، وقال غيره: هو دابة تدخل النار فلا تحرقه. قال: وسرفوت، كزنبور: دويبة كسام أبرص، تتولد في كيران الزجّاجين ما دامت النار توقد، فهي حية، فإذا أطفئت النار ماتت، وهي نظير السمندل يعيش في النار ويبيض، أ.هـ.

● حاشية القاموس.

(٢) جاء في المنهاج (ص: ٢٣٧) العبادة لغيره واتخاذ الأوثان والأصنام.

(٣) ما بين معقوفتين ساقط من الاصل والاستدراك من المنهاج (ص: ٣٣٨).

(٤) في المنهاج (ص: ٣٣٨) يكفر به قائله إجماعاً.

(٥) قائل هذا البيت هو: عبد الله بن أحمد بن الحارث شاعر بني عباد. انظر: معجم البلدان - للحموي (٢/ ٣٨٦)، مع اختلاف يسير في لفظه وغريبه: العقيق: مواضع كثيرة في بلاد العرب تسمى العقيق، ويقال لكل ما شقه السيل في الأرض وأنهره ووسعه عقيق. انظر لسان العرب (١٠/ ٢٥٥).

أي مذهب وافَقَ هواك تمذهبت به.

ويُقال: جمهور العقلاء على الفرق بين الأسباب العادية وغيرها، فالشبع والري والدفء أسباب عادية فاعلة، وإنما يكفر من أنكر خلق الله لهذه الأسباب، وقال بفعلها دون مدَبِّر عليم حكيم، وهذا البحث يتعلق بتوحيد الربوبية، وأما جَعْلُ الأموات أسباباً يستغاث بها (وتُدعى)[1] وتُرجى، وتعظم على أنها وسائط، فهذا دين عباد الأصنام يكفر فاعله بمجرد اعتقاده وفعله، وإن لم يعتقد الاستقلال كما نص عليه القرآن في غير موضع، فالعراقي معارِض للقرآن مصادم لنصوصه.

وأما قوله: إن السبكي والقسطلاني والسمهودي وابن حجر في الجوهر المنظم قالوا: والاستغاثة به ﷺ وبغيره في معنى التوسل إلى الله بجاهه... إلى آخره. **فمسألة** الإستغاثة به وبجاهه ليست هي مسألة النزاع، ومراد أهل العلم أن يسأل الله بجاه عبده ورسوله لا أن يسأل الرسول نفسه. فإن هذا لا يطلق عليه توسل بل هو دعاء واستغاثة، وتقدم أن لفظ التوسل صار مشتركاً، فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ودعائه رغباً ورهباً والذبح والنذر والتعظيم بما لم يشرع في حق مخلوق.

وأهل العلم يطلقونه على المتابعة والأخذ بالسُّنة [فيتوسّلون إلى الله بما شرعه لهم من العبادات وبما جاء به عبده ورسوله ﷺ وهذا هو التوسل في عرف القرآن والسنة][2] كما يأتيك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

ومنهم[3] من يطلقه على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه أو بحق عبده الصالح أو بعباده

= والعُذيب: ماء لبني تميم. وقال الازهري هو بين القادسية ومغيثة. لسان العرب (١/ ٥٨٥).
الخليصاء: الخَلصاء: ماء في البادية، وقيل موضع وقيل موضع فيه عين ماء. لسان العرب(٧/ ٢٩).
ووقع بالأصل جُزوى بالجيم بعدها زاي ولم أجدها في المعاجم، وأما الذي وجدته بالراء بدل الزاي: الجراوي، وهو ماء. لسان العرب (١٤/ ١٤٠).
ووجدت حُزوى بالحاء المهملة بعدها زاي. جَبل من جبال الدهناء.* انظر لسان العرب(١٤/ ١٧٦)

(١) ما بين قوسين ليس في المنهاج (ص: ٣٣٩).
(٢) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والاستدراك من المنهاج (ص: ٣٣٩).
(٣) الواو ليست في المنهاج.

الصالحين، وهذا هو الغالب عند الإطلاق/٢٠٩/ في كلام المتأخرين كالسبكي والقسطلاني وابن حجر.

وبالجملة فما نقله هنا عمن ذكر ليس من مسألة النزاع في شيء، وإن كابر العراقي، وزعم أنهم قصدوا دعاء الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم أنفسهم[١] وأن هذا يسمى توسلاً فهذا عين الدعوى، (والدعوى يحتج لها لا بها)[٢] فبطل كلامه على كل تقدير.

وأما قوله: أو بأن يدعو الله كما في حال الحياة إذ هو غير ممتنع؛ فيقال: هذا جرأة على الله وعلى رسوله، وتقَدُّمٌ إليه بما لم يشرعه ولم يأذن فيه. وأعلم الخلق به أصحابه وأهل بيته وأئمة الدين من أمته لم يفعل أحد منهم ذلك البتة ولا نقله من يعتد به وهم أعلم الخلق به وبدينه وشرعه وما يجوز وما يمتنع، فلا يخلو إمّا أن تسلم هذه المقامات ويجزم بأن الخروج عن هديهم من (أفضع)[٣] الجهالات، وأضلِّ الضلالات؛ أو تسلم تلك المقدمات ويُدَّعىٰ أن الخلف ـ الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ـ أحق بالصواب.

والعلم والمتابعة في تلك المسائل والمقالات؛ وهذا (انحلال عن جملة)[٤] الدين. وقدح في القرون المفضلة بنص سيد المرسلين وكفى بهذا فضيحة وجهلاً لو كانوا يعلمون.

---

(١) من كتبه السبكي في شفاء السقام (ص: ١٧٣) فيه خلط بين مفهوم التوسل والاستغاثة، ونتيجته جواز الاستغاثة، وهذا هو كلامه بحروفه: يقول: والاستغاثة طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره، وإن كان أعلى منه، فالتوسل والتشفع والتجوه والاستغاثة بالنبي ﷺ وسائر الانبياء والصالحين ليس لها معنى في قلوب المسلمين من غير ذلك ولا يقصد بها أحد منهم سواه إلى أن يقول: والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي ﷺ واسطة بينه وبين المستغيث أ.هـ. فهذا هو عين كلام داود بن جرجيس وابن حجر المكي وغيرهم من مشايخ الاستغاثة.

(٢) محرفت في الاصل والتصويب من المنهاج (ص: ٣٣٩) وغاية الأماني (١/ ٢٧٨).

(٣) كذا في الأصل وجاء في الحاشية أقبح وفي المنهاج (ص:٣٣٩): افظع.

(٤) في الاصل: وهذا الحلال من جلة الدين والتصويب من المنهاج (ص:٣٤٠) وجاء في غاية الأماني (١/ ٢٧٨): وهذا إخلال بجملة الدين.

وأما قوله مع علمه[بسؤال من سأله][1]، والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره.

فيقال، أما دعوى عموم العلم بسؤال السائلين لمن يستغيث به جهلة القبورين فالأخذ به، وإطلاقه على غير الله كفر صريح باتفاق أهل العلم. فإنَّ مَن زعَمَ إحاطة العلم وعمومه لغير الله، أو عموم[2] القدرة، أو الرزق أو الخلق/ ٢١٠/ لغيره سبحانه يكفر كفراً واضحاً كما ذكره شراح الأسماء [الحسنى][3] وغيرهم من أهل العلم، وأما دعوى تخصيص ذلك بالنبي ﷺ فهي - وإن كانت من جنس ما قبلها في الرد والمنع - تُبطل[4] مذهب عباد القبور ودعائهم لغير الله من الغائبين والأموات، فإن دعاء الغافل الذي لا يعلم بحال الداعي ولا يدريها ضلال مستبين، قال تعالى: ﴿ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدعُو مِن دُونِ اللهِ مَنْ لاَ يستَجِيبُ لَهُ إلىٰ يومِ القِيامَةِ وهُم عَنْ دُعائِهِم غَافِلون ﴾[5].

وأما قوله: والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره ممن هوأعلى منه، وليس لها في قلوب المسلمين غير ذلك إلى آخره[6]، فهذا يدل على جهل العراقي باللغة والشرع، فإن الداعي السائل لغيره لا يسمى مغيثاً، والمغيث من يفعل الإغاثة ويحصل الغوث بفعله.

قال شيخ الاسلام: من زعم أن مسألة الله بجاه عبده تقتضي أن يُسَمّىٰ العبد مغيثاً أو يكون ذلك استغاثة بالعبد فهذا جهل، ونسبته إلى اللغة أو إلى أمة من الأمم كذب ظاهر، فإن المغيث هو فاعل الإغاثة ومحدثها لا من تطلب بجاهه وحقه. ولم يقل أحد أن التوسل بشيء هو الاستغاثة به، بل العامة الذين يتوسلون في ادعيتهم بأمور كقول

---

(١) من غاية الأماني (١/ ٢٧٨): وهي ضرورية للسياق. وليست في المنهاج.
(٢) في المنهاج (ص: ٣٤٠) (وعموم).
(٣) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص: ٣٤٠).
(٤) في الاصل: ويبطل. وفي المنهاج (ص: ٣٤٠)؛ وتبطل. والمثبت من غاية الأماني (١/ ٢٧٨).
(٥) سورة الأحقاف، آية/ ٥.
(٦) قلت هذا عين كلام السبكي (ص: ١٧٣) من شفاء السقام. وقد تقدم نقله قريباً.

أحدهم: نتوسل اليك بحق الشيخ فلان أو بحرمته، أو باللوح أو[1] بالقلم أو بالكعبة في ادعيتهم يعلمون انهم لا يستغيثون بهذه الأمور وأن المستغيث [بالشيء][2] طالب منه سائل له، والمُتَوسَلُ به لا يدعى ولا/٢١١/ يطلب منه ولا يُسأل، وإنما يطلب به فكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو، وتقدم ذلك.

فقول العراقي: والنبي ﷺ مستغاث والغوث منه تسبباً وكسباً،

فيُقال: نعم هذا معتقد من يعبد الأنبياء والصالحين ويستغيث بهم يقول: هم[3] سببي وواسطتي يحصلون لي بكسبهم، والله هو الخالق ولا أدعي غير ذلك. ولا[4] نازع في الخلق والربوبية إلا فرعون والذي حاجَّ إبراهيم في ربه، وجمهور المشركين على الأول كما تقدم تقريره فبطل تعليله.

وأما قوله: ولا يعارض ذلك خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ[5] لأن في سنده ابن لَهيعة [والكلام فيه مشهورٌ][6].

(**فيقال**)[7]: إن ابن لَهيعة خرّج له البخاري ومسلم فجاوز القنطرة[8]، ولا يقدح فيما

---

(١) في المنهاج (ص: ٣٤٠): والقلم.

(٢) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص: ٣٤٠).

(٣) جاء في الاصل بقولهم: والتصويب من غاية الاماني (١/ ٢٧٩) والمنهاج(ص٣٤١).

(٤) في المنهاج ص٣٤١: (وما).

(٥) سيأتي تخريجه (ص ٢٥٥) إن شاء الله.

(٦) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص:٣٤١)

(٧) سقط في المتن وجاء في الحاشية فجوابه وفي المنهاج (ص:٣٤١) فيقال:

(٨) لم يخرج له البخاري. وخرج له مسلم مقروناً ولم يجاوز القنطرة إلا بشِقّ الأنفس بعدة شروط، وكلام أهل الجرح والتعديل فيه معروف. ولا يقارن بمن ذكرهم الشيخ بعد ذلك. وليس هذا مجال ذكر أقوالهم في ابن لهيعة، ولكن كثير من علماء الجرح والتعديل جرّحه. ومنهم من اعتبره بشروط. والذهبي رحمه الله لم يذكره في كتاب معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد وقال عنه ابن حجر في التقريب: (ص:٣١٩): عبد الله بن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء، ابن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري. القاضي صدوق ، خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في مسلم بعض شيء مقرون مات سنة اربع وسبعين، وقد ناف على الثمانين. م. دت. ق. انتهى.
وقد وقفت على عدة مواضع في تفسير ابن كثير يقول: لا بأس به عن إسناد فيه ابن لهيعة. والله أعلم. * انظر (٣/ ٥٢١ و٥٣٨).

رواه ابن لهيعة إلا جاهل بالصناعة والاصطلاح، وهو قاضي مصر وعالمها ومسندها. روى عن عطاء بن أبي رباح[١]، والأعرج[٢]، وعكرمة[٣] وخَلق. وعنه: شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث[٤]، وعمرو بن الحارث[٥]، والليث بن سعد[٦] وابن وهب[٧]، وخلق. ومن طعن في ابن لَهيعة بقول بعض الناس فيه لزمه الطعن في كثير من الأكبار المحدثين، كسعيد المقبري[٨]، وسعيد بن إياس الجُريري[٩]، وسعيد بن أبي عروبة[١٠] وإسماعيل بن ....

---

(١) عطاء بن أبي رباح، سيد التابعين علماً وعملاً واتقاناً في زمانه بمكة، روى عن عائشة وابي هريرة والكبار، وعاش تسعين سنة أو أزيد، وكان حجة إماماً كبير الشأن، أخذ عنه أبو حنيفة، وقال ما رأيت مثله: ت ١١٤هـ ميزان الاعتدال (٣/ ٧٠) والتقريب (ص: ٣٩١).

(٢) عبد الرحمن بن هرمز، أبو داود المدني، مولى ربيعة بن الحارث، ثقة ثبت عالم، مات سنة ١١٧هـ. انظر السير (٥/ ٦٩) والتقريب ص: ٣٥٢)

(٣) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة، مات سنة ١٠٤هـ وقيل بعد ذلك انظر السير (٥/ ١٢) والتقريب (ص: ٣٩٧).

(٤) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، أبو بسطام الواسطي، ثم البصري ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذب عن السنة وكان عابداً، مات سنة ١٦٠ هـ.
* انظر السير (٧/ ٢٠٢) والتقريب (ص: ٢٦٦)

(٥) عمرو بن الحارث بن يعقوب الانصاري مولاهم المصري، أبو ايوب، ثقة فقيه حافظ مات قديماً قبل الخمسين ومائة. * انظر السير (٦/ ٣٤٩) والتقريب (ص: ٤١٩).

(٦) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة. * انظر السير (٨/ ١٣٦) التقريب (ص: ٤٦٤).

(٧) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم، أبو محمد المصري الفقيه، ثقة حافظ عابد، مات سنة

(٨) سعيد بن أبي سعيد: كيسان المقبري: أبو سعد المدني، ثقة تغير قبل موته بأربع سنين مات في حدود العشرين ومائة، وقيل قبلها وقيل بعدها. * انظر السير (٥/ ٢١٦) التقريب (ص: ٢٣٦).

(٩) سعيد بن إياس الجُريري - بضم الجيم - أبو مسعود البصري ثقة، إختلط قبل موته بثلاث سنين مات سنة أربع وأربعين ومائة. ووقع في المنهاج (ص: ٣٤١) سعيد بن ابي اياس وهو خطأ * انظر السير (٦/ ١٥٣) وتهذيب الكمال (١٠/ ٣٣٨) والتقريب (ص: ٢٣٣).

(١٠) سعيد بن أبي عروبة: مهران اليشكري مولاهم، أبو النضر البصري، ثقة حافظ له تصانيف، كثير التدليس، واختلط وكان من أثبت الناس في قتادة، مات سنة ست وقيل سبع وخمسين ومائة.
* انظر السير (٦/ ٤١٣) والتقريب (ص: ٢٣٩).

أبان[1] وأزهر بن سعد السمان البصري[2]، وأحمد بن صالح المصري[3]، وأبي اليمان[4] وأمثالهم، ممن خرج لهم البخاري وغيره من الأئمة.

ليس عُشَّكِ فادرُجي[5]

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد[6]

وأما قوله: وبفرض صحته /٢١٢/ فهو على حدّ قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ ﴾[7] وقوله ﷺ: «ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم»[8].

وهٰذا من نوادر جهل هٰؤلاء الضلال، فإن لفظ الاستغاثة طلب الغوث ممن هو بيده لمن أصابته شدة ووقع في كرب، والأنجح والأولىٰ لمن أصابه ذلك أن يستغيث

= * انظر السير (٦/ ٤١٣) والتقريب (ص: ٢٣٩).

(١) إسماعيل بن أبان الوراق الأزدي، ابو إسحاق أو ابو ابراهيم، كوفي ثقة تكلم فيه للتشيع مات سنة ست عشرة ومائتين. * انظر السير (١٠/ ٣٤٧) والتقريب (ص: ١٠٥).

(٢) أزهر بن سعد السمان، أبو بكر الباهلي، بصري، ثقة، مات سنة ثلاث ومائتين وهو ابن أربع وتسعين. * انظر تهذيب الكمال (٢/ ٣٢٣) والسير(٩/ ٤٤١).

(٣) أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر ابن الطبري، ثقة حافظ تكلم فيه النسائي بسبب أوهام له قليلة، ونقل عن ابن معين تكذيبه، وجزم ابن حبان بأنه إنما تكلم في أحمد بن صالح الشُّمومي، فظن النسائي أنه عنى ابنَ الطبري، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وله ثمان وسبعون سنة. * انظر السير (٢/ ١٦٠) والتقريب (ص: ٨٠).

(٤) في الاصل والمنهاج (ص: ٣٤١) وغاية الاماني ابو اليمان (١/ ٢٧٩) وهو خطأ نحوي.
■ وابو اليمان هو الحكم بن نافع البَهْراني الحمصي مشهور بكنيته، ثقة ثبت يقال: إن أكثر حديثه عن شعيب مناولة ت ٢٢٢هـ. * انظر السير (١٠/ ٢١٩) وتهذيب الكمال (٧/ ١٤٦).

(٥) في الأصل: ادرجي، والتصويب من المنهاج (ص: ٣٤١) وانظر مجمع الأمثال للميداني (٢/ ١٨١) يضرب لمن رفع نفسه فوق قدره.

(٦) انظر تذكرة الحفاظ (١/ ٤).

(٧) سورة الأنفال، آية/ ١٧.

(٨) أخرجه البخاري (الأيمان والنذور ـ باب قول الله تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُم وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ.. ﴾ الآية ـ ١١/ ٥٢٥ ـ رقم ٦٦٢٣)، وفي (كفارات الأيمان ـ باب الاستثناء في الايمان ـ ١١/ ٦١٠ رقم ٦٧١٨) ومواضع أخر. ومسلم (الأيمان ـ باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها.. ـ ٣/ ١٢٦٨ رقم ١٦٤٩) والنَّسائي (الأيمان والنذور ـ باب الكفارة قبل الحنث ـ ٧/ ١٣ ـ ١٤ رقم ٣٧٨٩) وابن ماجه (الكفارات ـ باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ـ ١/ ٦٨١ رقم ٢١٠٧).

بمن يجيب المضطر إذا دعاه، الموصوفِ بأنه غياث المستغيثين، مجيب المضطرين، أرحم الراحمين، فلفظ الاستغاثة يستعمل في مخ العبادة، وما لايقدر عليه إلاّ الله عالم الغيب والشهادة.

فكَرِه ﷺ إطلاقَه عليه فيما يستطيعه، ويقدرُ عليه، حماية لحمىٰ التوحيد، وسدّاً لذريعة الشرك، وإن كان يجوز إطلاقه فيما يقدر عليه المخلوق، فحماية جانب التوحيد من مقاصد الرسول، ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة، فأين هذا من قوله ﴿ ومَا رَمَيتَ إذ رَمَيتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ ﴾[1] فإن الرمي المنفي هو إيصال ما رمى به إلىٰ أعين المشركين جملتهم وهزيمتهم بذلك. والرمي المثبت ما فعله النبي ﷺ من رمي ما أخذ بكفه الشريفة من التراب واستقبال وجوه العدوّ به.

وأما قوله: وكثيراً ما تجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة العلم، ويجيء القرآن من إضافة الفعل إلى مكتسبه كقوله ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله»[2] مع قوله تعالىٰ: ﴿ أُدخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ ﴾[3].

فالأمر ليس كما توهمه العراقي فإن الباء في الحديث باء المعاوضة والمبادلة[(*) والباء في الآية] هي باء السببية /٢١٣/ لا باء المعاوضة، فالمنفي غير المثبت كما نص عليه أهل العلم، وأهل التفسير، وكل فاضل وعارف بصير[4]، نعوذ بالله من القول على الله وعلىٰ كتابه بغير علم ولا سلطان منير.

وأما قوله: إن اطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو تسبباً أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعاً.

---

(١) سورة الأنفال، آية/١٧.

(٢) رواه البخاري (الرقاق ـ باب القصد والمداومة على العمل ـ ١١/٣٠٠ رقم ٦٤٦٤ و٦٤٦٧) من حديث عائشة ورقم (٦٤٦٣) و (المرضى ـ باب تمني المريض الموت ـ ١٠/١٣٢ رقم ٥٦٧٣) من حديث أبي هريرة. ومسلم (صفات المنافقين ـ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ـ ٤/٢١٦٩ رقم ٢٨١٦) من حديث أبي هريرة ورقم (٢٨١٧) من حديث جابر ورقم (٢٨١٨) من حديث عائشة.

(٣) سورة النحل، آية/٣٢.

(٤) انظر تفسير المنار (٨/٤٢٢) ومحاسن التأويل (٥/٨٥) وغيرها.

(*) مابين معقوفتين لحق من الحاشية، وهي في المنهاج

فقد تقدم كلام شيخ الإسلام في نفي الاستغاثة عمّن[1] يسأل الله بجاهه وحقه، وعمن يدعو غيره[2]، وأن من قال ذلك قد كذب على سائر اللغات والأمم، وأما من يسأل ويدعو[3] وينادي كما يفعله عباد القبور بمن يدعونه، فهذا [يسمى][4] استغاثة، كما يسمى عبادة لغير الله، وشركاً بالله، وهذا النوع ليس النزاع في اسمه، وإنما النزاع في جوازه وحِلِّه، وأما حديث الشفاعة فهو فيما يقدر عليه البشر من الدعاء، كما يُسأل الحي الحاضر أن يدعو الله وأن يستسقي.

وأما كلام الشيخ ابن تيمية الذي نقله عن المصنفين في أسماء الله، فهو حجة لنا على عباد القبور، فإنهم استغاثوا بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وقوله: وإن حصلت من غيره تعالى فهو مجاز،

جوابه: أن الاستغاثة التي هي من جنس الأسباب العادية التي يقدر عليها المخلوق، وفي وسعه فهذه وإن حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز، ولا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة. والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة، ويهب حقيقة، وينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً حقيقة، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل وهذا معروف /٢١٤/ من عقائد أهل السنة والجماعة. وإنما ينفي الفعل حقيقة عن فاعله وعمن قام به[5] القدرية المجبرة[6] الذين يزعمون أن العبد مجبور، وأنه لا اختيار له ولا

---

(١) في الأصل ممن والتصويب من المنهاج (ص: ٢٣٢).

(٢) في الأصل لغيره والتصحيح من المنهاج (ص: ٢٣٢).

(٣) في الأصل: يدعى.

(٤) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص: ٢٣٢).

(٥) في الأصل: ومن أقام به، وفي غاية الأماني (١/٢٨١) ومن قام به، والمثبت من المنهاج (ص: ٣٤٣).

(٦) المجبرة: تقول: ان العبد منفعل يجري عليه الحكم بمنزلة الآلة والمحل وجعلت حركته بمنزلة حركة الأشجار ولم تجعله فاعلاً إلاّ على سبيل المجاز، انظر شفاء العليل (ص١٣٤).

مشيئة، كما هو مبسوط في موضعه، والعراقي صِفر اليدين من هذه المباحث المهمة[1].

وكذلك قوله: «الاستغاثة: بمعنى أن يطلب منه ما هو اللائق بمنصبه» لا ينازع فيها مسلم فاللائق بمنصبه الشريف أن يطلب منه ما يستطيعه ويقدر عليه كالدعاء وسائر الأسباب العادية ونحو ذلك. وأما ما لايقدر عليه إلا الله كهداية القلوب والمغفرة للذنوب[2]، والإنقاذ من النار ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلاّ الله الواحد القهّار فهذا إنما يليق بمقام الربوبية. قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[3] وقال: ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ ﴾[4] وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾[5] وقال تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[6] وقال رجل: أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ: «عَرَفَ الحقَّ لأهله»[7].

وأما قول العراقي: وقد ذكر المجوزون أن جعل النبي ﷺ متسبباً لا مانع من ذلك شرعاً وعقلاً.

فهذه العبارة ركيكة التركيب، والمجوزون للاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله هم خصومنا فلا حجة في كلامهم، بل الشرع والعقل يرد مذهبهم ويبطله كما مر تقريره عن شمس الدين ابن القيم. وأما الأسباب العادية فإنها قد تَجِبُ وقد تُستَحب، وقد تباح، وقد تُكره، وليس الكلام فيها.

والمستغيث /٢١٥/ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله لا ينجيه مجرد اعتقاده أن

---

(١) أنظر باب رقم ١٧ و١٨ و١٩ من المرجع السابق.

(٢) في المنهاج (ص٣٤٣) ومغفرة الذنوب.

(٣) سورة القصص، آية/٥٦.

(٤) سورة آل عمران، آية/ ١٣٥.

(٥) سورة الزمر، آية/١٩.

(٦) سورة آل عمران، آية/١٢٨.

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند (٣ / ٤٣٥) والحاكم في المستدرك (٤ / ٢٥٥) والطبراني في الكبير (١ / ٢٦٣ رقم ٨٣٩) عن الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بأعرابي أسير، فقال: أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد ... فقال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم. صححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: ابن مصعب ضعيف. وقال في مجمع الزوائد (١٠ / ١٩٩) فيه محمد بن مصعب، وثقه أحمد، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. وضعفه النجم الغزي (كما في كشف الخفاء: ٢ / ٥٩) والألباني في ضعيف الجامع (رقم ٣٧٠٧).

ذلك بإذن الله بل لا بد من إخلاص الدعاء والاستغاثة. ودعاء المستغيث من أجلّ العبادات فيجب إخلاصه لله.

وقول العراقي: ومن أقر بالكرامة وأنها بإذن الله لم يجد بداً من اعترافة بجواز ذلك.

يقال له: بل البد[1] والسعة واليسر في القول بأنه لا يستغاث بالمخلوق فيما (يختص بالخالق)[2]، ولو كان المخلوق قد ثبت له من الكرامة ما ثبت، فالكرامة فعل الله لا [من][3] فِعل غيره، والمستغاث هو الله لا غيره. ولم يكن الصحابة يستغيثون ويسألون من ظهرت له كرامة أو حصلت له خارقة من الخوارق، فهذا الكلام الذي قاله العراقي جهل مركب يليق بقائله، فإن كل إناء بما فيه ينضح[4].

وأما قوله: «والأخبار النبوية قد عاضدته، والآثار قد ساعدته». فبالوقوف على[5] ما مر من كلامنا تعرف أنّ الأخبار النبوية قد عارضته وما عضدته[6] بل أبطلته، والآثار السلفية قد ردته وما ساعدته.

وأما قوله: " ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة للفعل مع اعتقاده أن الله هو الخالق كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشيء"؟

فجوابه: أن الله لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الإغاثة المطلقة. وأما الإغاثة بالأسباب العادية وما هو في طوق البشر وقدرتهم فهذا ليس الكلام فيه، والأموات لا قدرة لهم على الأسباب العادية وما يطلب من الحي الحاضر فما هنا ليس من ذلك القبيل. وما يستوي الأحياء ولا الأموات، وقد يجعل الله للعبد قدرة على بعض الأشياء، ويمنع من سؤاله وطلبه، وفي الحديث: «لا تزال /٢١٦/ المسألة

---

(١) في المنهاج (ص: ٣٤٤) (اليد).
(٢) في المنهاج (ص: ٣٤٤) (يخص الخالق).
(٣) ما بين المعقوفتين من المنهاج (ص: ٣٤٤).
(٤) في المنهاج (ص: ٣٤٤): بالذي فيه.
(٥) في الأصل مع ما مر والتصويب من المنهاج (ص: ٣٤٤).
(٦) في المنهاج (ص: ٣٤٤) عاضدته.

بأحدكم حتى يلقى الله، وليس على وجهه مزعة لحم»[1] وفيه«من يسأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً في وجهه»[2] فهذا له قدرة وقد منع السائل الغني من سؤاله، بل والسحرة جعل الله لهم قدرة على أنواع السحر والشعوذة[3] وسؤالهم ذلك من أكبر الكبائر، فبطل قول العراقي إن من جعل الله له قدرة لا مانع من سؤاله، وكون الله قد قرّب أنبياءه ورسله وأوجب على العباد برهم وتعظيمهم لا يقضي[4] ذلك أن يستغاث بهم أو يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلاّ الله. والتعظيم اللائق بمناصبهم ليس من هذا الجنس. بل تعظيمهم محبتهم وطاعتهم وتعزيرهم وتوقيرهم والإقتداء بهديهم، والأخذ بما جاءوا به. وعباد القبور تركوا هذا التعظيم الواجب وعظموهم بالاستغاثة والعبادة. والذبح والنذر من جنس تعظيم أهل الكتاب لأنبيائهم، ورهبانهم وأحبارهم، وهذا العراقي من جهله يدعو الناس إلى طريقة الغلاة من أهل الكتاب، ويعرض عما جاءت به الرسل ويصد عن السنة والكتاب. قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾[5].

وأما قوله: "وقد خلق الله فيه قوة كاسبة".

فإن أراد القوة العادية البشرية الإنسانية، فليس النزاع في هذا وإن أراد ما يعتقده عباد القبور في معبوداتهم من الصالحين وغيرهم، وأن لهم قدرة على إجابه المضطر

---

(١) أخرجه البخاري (الزكاة ـ باب من سأل الناس تكثراً ـ ٣/٣٩٦ رقم ١٤٧٤) ومسلم (الزكاة ـ باب كراهة المسألة للناس ـ ٢/ ٧٢٠ رقم ١٠٤٠) والنسائي (الزكاة ـ باب المسألة ـ ٥/٩٨ ـ ٩٩ رقم ٢٥٨٤).

(٢) رواه أبو داود (الزكاة ـ باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى ـ ٢/٢٧٧ رقم ١٦٢٦) والترمذي (الزكاة ـ باب من تحلّ له الزكاة ـ ٣/ ٤٠ ـ ٤١ رقم ٦٥٠) وقال حديث حسن وقد تكلم شعبة في حكيم. ابن جبير من أجل هذا الحديث، وأخرجه النسائي (الزكاة ـ باب حد الغنى ـ ٥/ ١٠٢ رقم ٢٥٩١) وابن ماجه(الزكاة ـ باب من سأل عن ظهر غنى ـ ١/٥٨٩ رقم ١٨٤٠) وأحمد في المسند(١/ ٣٨٨، ٤٤١) والحاكم (١/٤٠٧) .وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١ / ٢٠٠) .

(٣) الأصل الشعبثة، وفي الحاشية الشعبذة، الشعوذة، وفي غاية الأماني (١/ ٢٨٢) الشعبذة، والمثبت من المنهاج (ص: ٣٤٥).

(٤) في المنهاج (ص: ٣٤٥) لا يقتضي.

(٥) سورة الأنفال، آية/ ٢٢.

وإغاثة الملهوف وقضاء حوائج السائلين فهذا /٢١٧/ شرك (في الربوبية)[١] لم يبلغه شرك المشركين من أهل الجاهلية. بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرّفاً وتدبيراً. وإن أراد أنهم يُدعَون ويُسألون ويُستَغاث بهم، والله يعطي لأجلهم: فهذا هو قول أهل الجاهلية من الأميين والكتابيين، وتقدمت الآيات الدالّة علىٰ ذلك. وتقدم ما حكاه الشيخ من قول النصارى: يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الله، فهم طلبوا منها الشفاعة والجاه ليس إلاّ. وهذا من كفرهم وشركهم مع ما هم عليه من القول [الشنيع][٢] في عيسى وأمّه قاتلهم الله. فإن كان العراقي أراد هذا الثاني فهو شرك غليظ، وقد تقدم له التصريح بذلك، وعبارته هنا توهم الأول، وهو الغالب على عباد القبور في هذه الأزمان، نسأل الله العفو والعافية.

وأما كون (الأولياء)[٣] والصالحين في حال مماتهم كحال حياتهم يَدْعون لمن قصدهم ويتسببون في إنقاذه فهذا جهل عظيم وقول على الله بلا علم. لم يرد به كتاب ولا سنة ولا قاله ولا فعله أحد يعتد به ويقتدى به من أهل العلم والإيمان، وقد مضت القرون الثلاثة المفضلة، ولم يعهد عن[٤] أحد منهم أنه قال ذلك أو فعله، وعندهم أشرف القبور على الإطلاق، ولم يعرَف عن أحد منهم أنه سأل الرسول ﷺ أو دعاه، ولا غيره من الصالحين، وخبر العتبي[٥] (قد تقدم الكلام

---

(١) ما بين قوسين ليس في المنهاج (ص: ٣٤٥) وهي في غاية الأماني (١/ ٢٨٣) موافقاً للأصل.

(٢) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص: ٣٤٥).

(٣) في المنهاج(ص: ٣٤٦) الأنبياء والصالحين، وغاية الأماني (١/ ٢٨٣) موافقة للأصل.

(٤) في الأصل على والتصويب من المنهاج(ص: ٣٤٦).

(٥) خبر العتبي ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَو أَنَّهم إذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم جَاؤُوكَ فَاسْتَغفَرُوا اللهَ وَاستَغْفَرَ لهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رحِيمَاً ﴾ آية/ ٦٤ من سورة النساء. فقال: وقد ذكر جماعةٌ منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابة الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿ ولَو أَنَّهم إذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاستَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيمَاً ﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفِنت بالقاع أعظمُهُ ... فطاب من طيبهن القاعُ والأكمُ

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبي إلحق الأعرابي فبشره أن =

فيه)[1]، وإن فاعل ذلك أعرابي ليس ممن يقتدى به ويحتج بقوله وإن كان بعض المتأخرين /٢١٨/ احتج بحكاية الأعرابي فهو احتجاج مدخول وقد نازعهم من هو أقدم منهم وأجل من الأكابر والفحول.

وقول العراقي في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[2] "فإن [قال][3] قائل: هذا في الحي وله قدرة قلنا لا يجوز نسبة الأفعال إلى أحد حي أو ميت على أنه الفاعل استقلالاً من دون الله".

فهذا الكلام أورده العراقي بناء على أن النزاع في دعوى الاستقلال وبزعمه أنه إذا لم يعتقد الإستقلال، فالأسباب العادية كغيرها ودعاء الأموات والغائبين يجوز عنده إذا لم يعتقد الإستقلال، هذه دعواه كررها مراراً واحتج بها، والدعوى تحتاج لدليل ولا تصلح[4] هي دليلاً، لا سيما هذه الدعوى[5] الضالّة الكاذبة الخاطئة. والله سبحانه حكى استغاثة المخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه من نصره على عدوه، وهذا جائز لا نزاع فيه واعتقاد الاستقلال من دون الله وأن العبد يخلق أفعال نفسه هذه مسألة أخرى لم يقل بها إلا القدرية النفاة، والناس مختلفون في تكفيرهم بهذا القول. وبالجملة فالنزاع في غير هٰذه المسألة وإنما هو في دعاء الأموات والغائبين، وإن لم يستقل بذلك المطلوب من دون الله.

وقول العراقي: " وقد جعل الله الإغاثة في[6] غيره" قول ركيك فاسد المعنى فإن الله لم يجعل الإغاثة في غيره، بل هو المغيث على الإطلاق. وإنما جعل للعباد عملاً وكسباً في فرد جزئي مما يستطيعه العبد ويكون في قدرته. وعبارة العراقي في غاية البشاعة.

= الله قد غفر له» ا.هـ. وهي حكاية لم تصح وقد تكلم عنها الإمام ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص: ٣٥٢) طبعة الأنصاري.

(١) في غاية الأماني(١/ ٢٨٣): سيأتي الكلام عليه.
(٢) سورة القصص، آية/ ١٥.
(٣) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والاستدراك من المنهاج (ص: ٣٤٦).
(٤) في المنهاج(ص: ٣٤٦): ولا تصح.
(٥) في الأصل: الدعوة.
(٦) في الأصل: من، والتصويب من المنهاج (ص: ٣٤٧).

وقوله: فلهذا [نفى][1] النبي ﷺ الإغاثة كما تقدم حيث قال: إنه لا يستغاث إلاّ بالله[2]. فليس النفي (لما)[3] ذكره العراقي فإن المخاطبين يعلمون أن الله خالق أفعال العباد، وإنما نفي الإستغاثة عنه حماية للتوحيد، وصيانة لجانبه كما قال لمن قال له: أنت سيدنا وابن سيّدنا: السيد الله، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله[4]، ولو كان كما زعم العراقي لنفى عن رسول الله ﷺ كل فعل وكل قول صدر منه لأنه لا يفعله استقلالاً قال الله تعالىٰ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5]. والعراقي قد خاض فيما لا يدريه وما هو أجنبي عنه، فألحد في الألفاظ النبوية وحرفها، وكابر الحس والمعقول، والمنفي في الحديث الإستغاثة لا الإغاثة، وأظن المعترض لا يفرق بينهما.

انتهىٰ ما أردت نقله من كلام هذا الفاضل في الكتاب المذكور، وقد آثرت نقله بطوله لما فيه من ردّ هذه الشبهات التي تشاغب بها السبكي وابن حجر المكي وداود العراقي والنبهاني، وهؤلاء إنما أخذوا هذه الشبهات من كلام السبكي، وقد تبين دحضُها ولله الحمد.

والقول الفصل في هذه المسأله أنه من تأمل القرآن الحكيم من أوله إلىٰ آخره لم يجد

---

(١) ما بين معقوفتين من المنهاج (ص: ٣٤٧) وجاء في حاشية الأصل: فلهذا النبي ﷺ قال في الإغاثة.

(٢) ضعيف: أخرجه **الطبراني** في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد(١٠/١٥٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. ثم قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وقد رواه **أحمد** بغير هذا السياق»ا.هـ. قلت وليس كما قال في ابن لهيعة ولقد استقر الأمر على تضعيفه إلا عند بعض من تساهل حتى ان الهيثمي نفسه اضطرب فيه فمرة يحسن حديثه ومرة يضعفه. وسياق أحمد الذي أشار إليه الهيثمي: «إنه لا يقام لي ولكن يقام لله» أخرجه **أحمد** (٥/٣١٧) **وابن سعد** في الطبقات (١/٣٨٧) وفيه ابن لهيعة أيضاً وآخر لم يسم / وانظر الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد للعصيمي (ص: ٥٥).

(٣) في الأصل: كما. والتصويب من المنهاج (ص: ٣٤٧).

(٤) أخرجه أبو داود (الأدب ـ باب في كراهية التمادح ـ ٥/١٥٤ رقم ٤٨٠٦) **وأحمد**(٤/٢٤ـ٢٥). **والنسائي** في عمل اليوم والليلة ـ ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا،سيدي(رقم ٢٤٧) **والبخاري** في الأدب المفرد (رقم ٢١١). قال الحافظ في الفتح(٥/٢١٢) رجاله ثقات وقد صححه غير واحد أ.هـ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠)

(٥) سورة الصافات، آية/٩٦.

فيه آية تدل بمنطوقها أو بمفهومها علىٰ ما ذهب إليه السبكي وإضرابه من جواز الإستغاثة بالمخلوق الغائب حيّاً كان أو ميتاً، وطلب الحوائج منه، بل كلّ آيات القرآن الواردة في التوحيد تنهىٰ عن ذلك وتأمر بسؤال الله تعالىٰ وحده، والإقسام عليه بأسمائه /٢٢٠/ وصفاته، وكذا السنة الصحيحة فإنّها موافقة للقرآن. فإن جاء شيء يخالف القرآن والسنة الصحيحة فلا يلتفت إليه لأنه معارض ومناقض للكتاب والسنة الصحيحة، والذين جوّزوا الإستغاثة لم يأتوا بشيء يصلح للإستدلال كما علمت.

« فصل »

وقد اشتبه على كثير من الناس حتى المنتسبين إلى العلم معنى الإستغاثة والإستعانة والإستجارة والتوسل فنرى بعضهم يأتي بالألفاظ المتضمنة للشرك الظاهر والغلو الزائد ويقول: أنا متوسل.

ويقول [أحد من تسلط الشيطان][1] عليهم في حق الرسول ﷺ:

ما سامَني الدَّهرُ ضَيماً واستَجَرْتُ به ... إلاّ ونِلتُ جِواراً منهُ لَم يُضَمِ

ولا استلمت غنى الدارين من يده ... إلاّ استلمت النَّدى من خيرِ مُسْتَلِمِ

وقد عظم بعض الجهال ـ ممن شرح هذه القصيدة ـ هذين البيتين، وجعل لَهُمَا خصائص وفوائد. فنعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

ومثل قول بعضهم في حق الرسول ﷺ أيضاً:

فمن لي أرتجيه لكشف ضُري ... وغوثي في الشدائد والنوال[2]

فانظر إلى[3] هذا المتغالي في شعره، الناسي لربه كيف لم يجعل له إلهاً يرتجيه لكشف الضر والشدائد إلاّ الرسول ﷺ، وأمثال ذلك كثير معلوم لمن تتبع شِعر القَبوريِّين، وقد احتوت مجموعة النبهاني التي طبعها في بيروت على أكثره، وقد عرفتَ الفرق بين التوسل والإستغاثة بما مرّ. ومن جعل التوسل والإستغاثة والتشفع والتوجه كل ذلك بمعنىً

---

(١) في الأصل سقط وما بين معقوفتين من عندي ليستقيم الكلام. والبيتان من البردة (ص:٨٦) مجموع المتون.

(٢) كذا ولعلّها النوازل.

(٣) جاء في الحاشية: ومثله قول الآخر:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي ... وإلا فقل يا زلة القدم

وإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم إلخ أ.هـ.

قلت: وهذا القائل هو البوصيري نفسه أنظر قصيدة البردة (ص: ٩٠) مجموع المتون.

/٢٢١/ واحد فهو من أجهل الجاهلين بلغة القرآن والسنة، بعيد عن لسان العرب.

وللإمام الفاضل المفسّر المحدّث ذي النسبين السيد محمود شكري[1] الآلوسي في كتابه غاية الأماني الذي رد به على النبهاني، وهو كتاب لم يؤلف مثله في هذا الباب. كلام نفيس قال حرسه الله وأبقاه، ومن كل شرّ وهمّ نجّاه ووقاه، عند نقل النبهاني في كتابه شواهد الحق كلام السبكي هذا وابن حجر المكي وأضرابهما في جواز الإستغاثة والتوسل بالمخلوقين، وأنهما بمعنىً واحد:

«أقول: ومن الله المعونة وبه أَزِمَّةُ (٢) التوفيق: إن الكلام على ما حواه كلامه من الكذب والزور والبطلان يطول جدّاً فضلاً عمّا اشتملت عليه عبارته من الغلط وفساد التركيب وسوء التعبير فكتابه كله ظلمات بعضها فوق بعض فلو تكلمنا على ذلك كله لطال الكلام وكلت عن رقمه الأقلام، فإن النبهاني هذا هو من أعظم الغلاة المحادِّين لله ورسوله وكلامه كله باطل، وجهل مركب، وبهت لأهل الحق، وليس فيه جملة واحدة توافق الحق أصلاً فالحمد لله الذي خذل أعداء دينه وجعلهم عبرة لأوليائه وعباده المؤمنين.

أما مشروعية الإستغاثة ففيها تفصيل: إذ الإستغاثة بالشيء على ما ذكره بعض المحققين طلب الإغاثة والغوث منه، كما أن الإستعانة طلب الإعانة منه، فإذا كانت بنداء من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالاً منه، وظاهر أن ذلك ليس توسلاً به إلى غيره. إذ قد جرت العادة أن من توسل بأحد عند غيره أن يقول لمستغاثه: أستغيثك على هذا الأمر بفلان /٢٢٢/ فيوجه السؤال إليه ويقصر أمر شكواه عليه، ولا يخاطب المستغاث به ويقول له: أرجو منك أو أريد منك وأستغيث بك ويقول: إنه وسيلتي إلى ربي. وإن كان كما يقول فما قدر المتوسل الله حق قدره، وقد رجا وتوكل والتجأ إلى غيره. كيف واستعمال العرب يأبى عنه فإن من يقول: صار لي ضيق فاستغثت بصاحب القبر فحصل الفرج، يدل دلالة جلية على أنه قد طلب الغوث منه ولم يفد

---

(١) جاء في الحاشية: توفي في وطنه بغداد في شوال سنة ١٣٤٣ رحمه الله ورضي عنه ومن طالع كتاب أعلام العراق للأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثري تلميذ السيد الألوسي يجد في ترجمة السيد المشار إليه بيان علمه وزهده وإعراضه عن حطام الدنيا، ا.هـ.

(٢) في الغاية: وبيده ازمة التوفيق (١/٢٥٠).

كلامه أنّه توسل به، بل إنما يراد هذا المعنى إذا قال: توسلت أو استغثت عند الله بفلان، أو يقول لمستغاثه: استغثت[١] إليك بفلان، فيكون حينئذ مدخول الباء متوسلاً به، ولا يصح إرادة هذا المعنى إذا قلت: استغثت بفلان، وتريد التوسل به سيما إذا كنت داعيه وسائله بل قولك هذا نص على أن مدخول الباء مستغاث وليس مستغاثاً به، والقرائن التي تكتنفه من الدعاء وقصر الرجاء والإلتجاء شهود عدول، ولا محيد عما شهدت به ولا عدول، فهذه الاستغاثة[٢] وتوجه القلب إلى المسؤول بالسؤال والإنابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لأحد من أمته رسول رب العالمين، وهل سمعتم أنّ أحداً في زمانه ﷺ أو ممن بعده في القرون المشهود لأهلها بالنَّجاة والصدق - وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب - استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها إلاّ الله؟ أم كانوا يقصرون الإستغاثة على مالك الأمور ولم يعبدوا إلاّ إياه. ولقد جرت عليهم أمور مهمة وشدائد مدلهمة /٢٢٣/ في حياته ﷺ وبعد وفاته، فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بالنبي ﷺ ؟ أو قالوا إنا مستغيثون بك يا رسول الله، أم بلغك أنهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور؟ كلاّ لا يمكن لهم ذلك وإن الذي كان[٣] بعكس ما هنالك فلقد أثنى الله عليهم ورضي عنهم فقال عزّ من قائل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[٤]. مبيناً لنا أن هذه الإستغاثة أخص الدعاء، وأجلى أحوال الإلتجاء، وهي من لوازم السائل المضطر الذي يضطر الى طلب الغوث من غيره، فيخصّ نداءه لدى استغاثته بمزيد الإحسان في سرّه وجهره ففي استغاثته بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته.

فإن قلت: إن للمستغاث بهم[٥] قدرة كسبية وتسببية، فتنسب الإغاثة إليهم بهذا المعنى.

---

(١) في الأصل: أغثت. والتصويب من غاية الأماني (١/ ٢٥١).

(٢) زيد في خرجة في الأصل (به ﷺ). وليست في غاية الأماني(١/ ٢٥١).

(٣) زيد في خرجة في الأصل (كان) ثانية وليست في غاية الأماني(١/ ٢٥١).

(٤) سورة الأنفال، آية/ ٩.

(٥) تحرفت العبارة بالأصل وزيد فيها.

قلنا له: إن كلامنا فيمن يستغاث به عند إلمام ما لا يقدر عليه إلاّ الله أو لسؤال[1] ما لا يعطيه ويمنعه إلاّ الله.

وأما فيما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاضد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض فهذا شيء لا نقول به، ونعد منعه جنوناً كما نعد إباحة ما قبله شركاً وضلالاً، وكون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة ربّ البرية، لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، ولا يستعان به ولا يتوكل عليه، ولا يلتجأ في ذلك إليه، فلا يقال لأحد حيّ أو ميت قريب أو بعيد: أرزقني أو أمتني أو اشف مريضي إلى غير ذلك مما هو من الإفعال الخاصة بالواحد الأحد الفرد[2] الصمد، بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة /٢٢٤/ بحصولها ممن أهّله الله لها: أَعِنِّي في حمل متاعي أو غير ذٰلك، والقرآن ناطق بحظر[3] الدعاء عن كل أحد لا من الأحياء ولا من الأموات، سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها. فإن الأمور (الغير مقدورة)[4] للعباد لا تطلب إلا من خالق القدر ومنشيء البشر. كيف والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه وتعالىٰ. أسبل الله علينا بفضله عفوه ورضوانه، فالقصر على ما تَعَبَّدنَا فيه من محض الإيمان، والعدول عنه عين المقت والخذلان.

وهذا خلاصة ما ذكروه من جعل الإستغاثة والإستشفاع بغير الله شركاً ظاهراً لا يغفر، ومتعاطيه جاعل لله نداً فيذبح بأمر الله تعالىٰ وشرع رسول الله ﷺ إن لم يتب ويستغفر.

وبالجملة فالإستغاثة والاستعانة والتوكل أغصان دوحة التوحيد المطلوب من العبيد.

---

(١) جاء في الأصل: أو السؤال والتصويب من غاية الأماني (١/ ٢٥٢).

(٢) الفرد: ليس من أسماء الله الحسنى وقد وقع في نسبته غير واحد من المتقدمين والمعاصرين. وانظر معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (ص: ٦١) والإنباه إلى ما ليس من أسماء الله لصالح العصيمي (ص: ٣٨).

(٣) في الأصل بحاء مهملة ثم ظاء معجمة وفي غاية الأماني بالخاء المعجمة ثم طاء مهملة(١/ ٢٥٢).

(٤) كذا في غاية الأماني(١/ ٢٥٢) وفي الأصل الغير مقدرة ثم ضرب على أل التعريف في (غير) وحذفها هو الصحيح.

بقي هٰهنا شيء يورده المجيزون على هؤلاء المانعين؛ وهو أنه لا شك أنَّ من عَبَد غير الله مشرك حلال الدم والمال، وأن الدعاء المختص بالله سبحانه عبادة، بل هو مخ العبادة[(١)]، ولكن لا نسلم أن طلب الإغاثة ممّن استغيث بهم شرك مطلقاً، وإنما يكون شركاً لو كان المستغيث معتقداً أنهم هم الفاعلون لذلك خلقاً وإيجاداً، فحينئذ يكون من الشرك الإعتقادي قطعاً. أما من اعتقدهم الفاعلين كسباً وتسبباً فليس بمسَلّم، ولئن سَلَّمنا فليس المقصود من طلب الإغاثة منهم وندائهم إلا التوسل بهم وبجاههم. وإن كان اللفظ ظاهراً يدل على الطلب منهم وأنهم المطلوبون بهذا /٢٢٥/ النداء، لكن مقصود المستغيث التشفع والتوسل بهم إلى ربهم، و[هو][(٢)] ﷺ من أشرف الوسائل إلى الله سبحانه وتعالىٰ وقد أمرنا سبحانه بتطلب ما يتوسل به فقال تعالى: ﴿ وَابتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ﴾[(٣)] فكيف تحظرونها بل تجعلونها شركاً مخرجاً عن الملّة، وليس في قلوب المسلمين إلا هذا المعنى وإن في ذلك تكفير أكثر الناس من غير ارتياب والتباس، وكيف[(٤)] تحكمون على أناس قد أظهروا شعائر الإسلام من أذان وصلاة وصوم وحج وإيتاء زكاة يأتون بكلمة التوحيد، ويحبون الله، ويحبون سيد المرسلين ويتبلغون بالقبول بالتام ما جاء عنهما[(٥)] من أمور الدين، وغاية الأمر أنهم لرهبتهم من ربهم ومعرفتهم بعلو مرتبة نبيهم وما وعده الله سبحانه من إرضائه في أمته كما قال سبحانه: ﴿ ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[(٦)] ولا يرضى ﷺ إلاّ بأن يقف لأمته في مثل هذه التوسلات، فينالوا الرغبات وليس في أقوالكم هذه إلاّ تنقص بحقّ هذا النبي الذي أوجب الله علينا

---

(١) بل الدعاء هو العبادة كما ثبت ذلك في الحديث. وأما كونه مخ العبادة فلم يثبت الحديث فيه. وكون الدعاء هو العبادة أبلغ وأعظم لشأن الدعاء، والله أعلم. وانظر تخريج الحديث (ص١٠٣) من هذا الكتاب.

(٢) ما بين معقوفتين من غاية الأماني (١/ ٢٥٣).

(٣) سورة المائدة، آية/ ٣٥.

(٤) في الأصل: فكيف. والتصويب من الغاية (١/ ٢٥٣).

(٥) في الأصل عنها. وصحح بعنه، والصواب ما أثبت من الغاية (١/ ٢٥٣).

(٦) سورة الضحى، آية/ ٥.

حبه أكثر من محبتنا لأنفسنا وفي مثل ذلك بشاعة في القول، وشناعة بطريق الأول[1].

فالجواب عنه منهم[2] أن قالوا: أما أول اعتراضكم وقولكم إنه ليس مقصودهم إلا التوسل، وإن تكلموا بما يفيد غيره، فإنه يدل على أن الشرك لا يكون إلا اعتقادياً وأنه لا يكون كفراً إلا إذا طابق الاعتقاد، وهذا يقتضي سد أبواب الشرائع بأسرها ومحو الأبواب التي ذكرها الفقهاء في الردة ومحقها. كيف وان الله سبحانه يقول: ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِم ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُم /٢٢٦/ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعتَذِرُوا قَد كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم ﴾[4]. وقد ذكر المفسرون أنهم قالوها على جهة المزح[5].

وكذلك العلماء كفروا بألفاظ سهلة جداً وبأفعال تدل على ما هو دون ذلك ولو فتحنا هذا الباب لأمكن لكل من تكلم بكلام يُحكم على قائله بالردّة أن يقول: لم تحكمون بردتي؟ فيذكر احتمالاً ولو بعيداً يخرج [به][6] عما كفر فيه، ولما احتاج إلى توبة، ولا توجه عليه لوم ابداً، ولساغ لكل أحد أن يتكلم بكل ما أراد فَتُسَد[7] الابواب المتعلقة بأحكام الالفاظ: من حد قذف وكفارة يمين، وظهار، ولانسدت أبواب العقود من نكاح، وطلاق وغير ذلك من الفسوخ والمعاملات، فلا يتعلق حكم من الأحكام بأي لفظ كان ـ الا اذا اعتقد المعنى ـ وان أفيد بوضع الالفاظ.

وأما ما ذكرتم من أنه أشرف الوسائل فهي كلمة حق أُريد بها باطل كقولكم: [إنه][8] ذو الجاه العريض، والمقام المنيع. ونحن أولى بهذا المقام منكم لا تباعنا لأقواله وافعاله واقتدائنا به ﷺ في جميع أحواله، مقتفين لآثاره واقفين عند أخباره فهو ﷺ نبينا

(١) كذا في الأصل وغاية الأماني(١/ ٢٥٣) وفي هامش النسخة الأولى.
(٢) أي من المانعين من الاستغاثة.
(٣) سورة التوبة، آية/ ٧٤.
(٤) سورة التوبة، آية/ ٦٥ـ٦٦.
(٥) انظر الروايات في تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨١).
(٦) زيادة من غاية الاماني (١/ ٢٥٤).
(٧) في الغاية (١/ ٢٥٤) فتنسد.
(٨) من الغاية (١/ ٢٥٤).

وهادينا إلى سبيل[1] الاسلام، ومنقذنا برسالته من مهاوي أولئك الجفاة الطَّغام[2]، فلا نعمل إلاّ بأمره، ونتلقى ذلك بالسمع والطاعة في حلوه ومره، وقد أوجب علينا أن نتبع سبيل المؤمنين، ونهانا عن الغلو في الدين، فإن غلونا فإننا إذاً عن الصراط ناكبون، ولئن عدلنا إنّا إذاً لخاسرون.

وكيف يحسن طريق يؤدي إلى الإشراك، وأنىٰ يليق بالموحدين هذا الوجه المؤدي للارتباك[3]؟ وهذا طريق سلفنا الصالح، وهو الاعتقاد الصحيح الراجح. هذا وإن النبي ﷺ - وأرواحنا له الفداء - /٢٢٧/ لا يرضى بما يغضب الرب المتعال، وكيف لا وقد بعث بحماية(*) التوحيد من هذه الأقوال والأفعال، وقد قالت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ: "كان خُلُقُهُ القرآن[4]"، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، فليس لنا وسيلة إلى الله الا الدعاء المبني على أصول الذل والافتقار والثناء، فهو الوسيلة التي أمرنا الله سبحانه بالتوسل به وجعله من افضل الوسائل، وأخبرنا أنه مخ عبادته تحقيقاً لعبديتنا(**)، فسد به عن غيره أبواب الذرائع.

وقد اختلف العلماء - بعد أن اتفقوا على استحباب سؤال الله تعالىٰ [به][5] وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وبصالح أعمالنا التي حصلت لنا بمحض كرمه وأفضاله - في جواز التوسل بالذوات المنيفة، والاماكن والاوقات الشريفة، فعن العز بن عبد السلام ومن تابعه عدم الجواز إلاّ بالنبي ﷺ حيث صح الحديث(***) فيجوز ويكون ذلك خاصاً به لعلو رتبته، وعن الحنابلة في أصح القولين مكروه كراهة تحريم.

---

(١) في الغاية (سبل) بالجمع.

(٢) الطَّغام والطَّغامة: أرذال الناس وأوغادهم والواحد والجمع فيه سواء. * انظر لسان العرب (٣٦٢/١٢).

(٣) في الاصل إلى ارتباك، والمثبت من الغاية (٢٥٤/١).

(٤) رواه مسلم (صلاة المسافرين وقصرها - باب جامع صلاة الليل، ومن قام عنه أو مرض - ٥١٢/١ رقم ١٣٩) وأبو داود (الصلاة - باب في صلاة الليل - ٨٧/٢ - ٨٨ رقم ١٣٤٢) والنسائي (قيام الليل وتطوع النهار - باب قيام الليل - ٢٢١/٣ - ٢٢٢ رقم ١٦٠٠) والدارمي (الصلاة - باب صفة صلاة رسول الله ﷺ - ٤١٠/١ - ٤١١ رقم ١٤٧٥).

(٥) من الغاية (٢٥٤/١).

(*) كذا في الاصل. وزيد فيها بخط مغاير فاصبحت: لحماية.

(**) في الحاشية لعبوديتنا. (***) انظر الحديث (ص: ١٨٢)

ونقل الفقهاء الحنفية(*) عن بشر بن الوليد[1] أنه قال: سمعت أبا يوسف[2] يقول: "قال أبو حنيفة[3]: "لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به" وفي جميع متونهم أن قول الداعي. المتوسل بحق الانبياء والرسل وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم، [وقال القدوري][4][5] المسألة بخلقه لا تجوز لأنه لا حق للمخلوق على الخالق وأما حديث[6]: "أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا، وبحق نبيك والانبياء من قبله[7]"[8] ففيها وهن، وعلى تسليمها، فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله

---

(١) بشر بن الوليد بن خالد الامام العلامة المحدث الصادق قاضي العراق ابو الوليد الكندي الحنفي، كان حسن المذهب، واسع الفقه متعبداً روى عن مالك بن انس وتفقه بابي يوسف وولي قضاء مدينة المنصور، حبسه المعتصم لأنه لا يقول بخلق القرآن ثم اطلقه المتوكل، ويقال: إنه في آخر امره وقف في القرآن فأمسك أصحابُ الحديث عنه وتركوه لذلك. وكان رحمه الله كبر كثيراً وشاخ واستولى عليه الهرم قال الذهبي: وله هفوة لا تزيل صدقه وخيره إن شاء الله ت. سنة ٢٣٨هـ.
* انظر ميزان الاعتدال (١/٣٢٦) السير (١٠/٦٧٣).

(٢) هو الامام المجتهد العلامة المحدث ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصاري الكوفي كان اكبر اصحاب ابي حنيفة، واجتمع بمالك وكان اكثر اصحاب ابي حنيفة اخذاً بالحديث، كان يقول: من قال القرآن مخلوق فكلامه حرام وقال من طلب العلم بالكلام تزندق وكان يحضر في مجلس حكمه جُلّة العلماء وكان أحمد بن حنبل يحضر مجلسه وكان شاباً، له وصية لهارون الرشيد مطبوعة ولد سنة ١١٣هـ وتوفي سنة ١٨٢هـ. * انظر السير (٨/ ٤٧٠ ـ ٤٧٣) والبداية والنهاية (١٠/ ١٨٠).

(٣) الامام أبو حنيفة اسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي فقيه أهل العراق وأحد أئمة الاسلام والسادة الأعلام وأحد الأئمة الاربعة أصحاب المذاهب المتبوعة وهو أقدمهم وفاة لأنه أدرك عصر الصحابة، رأى أنس بن مالك ويقال: غيره، وروى عن جماعة من التابعين ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبىٰ أن يكون قاضياً يروى عن الشافعي أنه قال: من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة. كان كثير العبادة والتلاوة ت سنة ١٥٠هـ . * السير (٦/ ٣٩) البداية (١٠/ ١٠٧).

(٤) أحمد بن محمد بن حمدان، ابو الحسين البغدادي القدوري. انتهت اليه رئاسة الحنفية بالعراق، وعظم وارتفع جاهه، وكان حسن العبارة جريء اللسان مديماً للتلاوة. من مؤلفاته المختصر في فروع الحنفية المسمى بالكتاب. مات سنة ٤٢٨هـ.
* انظر السير (١٧/ ٥٧٤) وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٨٦).

(٥) سقطت من الاصل والاستدراك من الغاية (١/ ٢٥٥).

(٦) في الغاية أحاديث،

(٧) في الأصل والغاية (قبلي).

(٨) أخرجه ابن ماجه (المساجد والجماعات ـ باب المشي إلى الصلاة ـ ١/ ٢٥٦رقم ٧٧٨) وأحمد (٣/ ٢١)=

(*) انظر: التوسل والوسيلة (ص: ٨٢و ٢٨٢) والفتاوى الهندية (٥/ ٣١٨) وشرح الفقه الاكبر، للقاري (ص١٩٨) ، وشرح الاحياء للزبيدي (٢/ ٢٨٥)

تعالى على نفسه، وذلك من أفعاله، لأن حق السائلين الاجابة، وحق المطيعين /٢٨٨/ الاثابة، وحق الانبياء التقريب والتفضيل(*) بما يخص أولئك العصابة صلى الله تعالى عليهم(١) وسلم، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وكَانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ المُؤمِنِين ﴾(٢) وقوله: ﴿ وَعْداً عَلَيه حَقّاً في التّوْراةِ والإنجيلِ والقُرْآنِ ﴾(٣) وقوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُم علىٰ نَفْسِه الرَّحْمَةَ ﴾(٤) وقوله ﷺ: "حقُّ اللهِ على العباد أن يعبُدوهُ ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذِّبَهم"(٥).

أو(٦) السؤال بالأعمال لأن المشي إلىٰ الطاعة امتثالاً لأمره عمل طاعة. وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الّذين آمَنُوا اتّقُوا اللهَ وابْتَغُوا إلَيهِ الوَسِيلَةَ ﴾(٧). فمن نظر إلىٰ الأدعية الواردة في الكتاب والسنة لم يجدها خارجة عما ذكرنا، قال الله تعالى في دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنا إنَّنَا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلإيمانِ أَنْ آمِنُوا

= وابن السُّني في اليوم والليلة (رقم ٨٤) وغيرهم وهو حديث ضعيف فيه: فضيل بن مرزوق وثقه جماعة وضعفه آخرون وعطية العوفي وهو ضعيف بإجماع أهل العلم ومدلس أيضاً، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: هذا الاسناد مسلسل بالضعفاء أ. هـ. وضعفه ابن تيمية (قاعدة جليلة ص: ٢١٥) والالباني في السلسلة الضعيفة (رقم٢٤) وغيرهم من أهل العلم، وصنف الأخ البحاثة علي بن حسن الحلبي جزءاً في هذا الحديث وبين فيه ضعفه وأقوال أهل العلم في ذلك وسماه الكشف والتبيين عن حال حديث: "اللهم إني أسألك بحق السائلين".

(١) في الأصل: عليه بالأفراد والتصويب من غاية الاماني (١/ ٢٥٥).
(٢) سورة الروم، آية/ ٤٧.
(٣) سورة التوبة، آية/ ١١١ ووقع في الأصل وعداً علينا.
(٤) سورة الانعام، آية/ ٥٤.
(٥) أخرجه البخاري (الجهاد ـ باب اسم الفرس والحمار ـ ٦/ ٦٩ رقم ٢٨٥٦) و (اللباس ـ باب إرداف الرجل خلف الرجل ـ ١٠/ ٤١٢ رقم ٥٩٦٧) وفي (الرقاق ـ باب من جاهد نفسه في طاعة الله ـ ١١/ ٣٤٥ رقم ٦٥٠٠) وفي(التوحيد ـ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ـ ١٣/ ٣٥٩ رقم ٧٣٧٣) ومسلم(الأيمان ـ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ـ ١/ ٥٨ رقم ٣٠).
(٦) في الأصل والغاية (والسؤال) والتصحيح من جلاء العينين ص٤٥٣ إذ المقصود يراد بالحديث حق الله الذي أوجبه على نفسه أو السؤال بالأعمال... والله أعلم.
(٧) سورة المائدة، آية/ ٣٥.
(*) في الاصل: التفضل والتصويب من غاية الاماني (١/ ٢٥٥)

بِرَبِّكُم فَآمَنَّا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كانَ فريقٌ مِنْ عِبادِي يَقُولُون رَبَّنا آمَنّا فَاغْفِرْ لَنا وارْحَمنا وأَنتَ خَيرُ الرّاحِمِين ﴾[2]. وقوله تعالى عن الحواريين: ﴿ ربَّنا آمَنّا بِما أَنْزَلتَ واتَّبَعْنا الرَّسولَ فاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِين ﴾[3].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: "إنك أمرتني فأطعتُك[4] ودعوتني فأجبتُك فاغفر لي". ودعاء النبي ﷺ الذي جمعه العلماء لا يخرج عن هذا النمط، وخلاف ذلك يعد كالخروج عن جادة الصواب والشطط، فاتبع أيها الناظر نبيك المصطفى تسلم من اللغط والغلط.

هذا ما كان من تحرير مدعي المانعين وتقريره على وجه أبان عن لباب تلخيصهم بتسطيره ثم اخذ يذكر الجواب عما استدل به المجوزون. فإن أردت الوقوف عليه فارجع إلى كتاب العقد الثمين[5].

فتبين مما نقلناه أنّ الاستغاثة /٢٩٩/ (*) بمخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مما لا يجوز فإن الاستغاثة دعاء والدعاء عبادة بل مخ العبادة[6]، وغير الله تعالى لا يعبَد[7]، بل هو (**) المخصوص بالعبادة، فإذا أصاب الناس جدب وقحط فلا يقال: يا رسول الله: إرفع عنا القحط والجدب، وإذا نزل بالناس بلاء أو وباء فلا يقال: يا رسول الله أو يا جبريل أو يا ميكائيل ارفع عنا البلاء والوباء، وإذا مرض أحد فلا يقال: يا رسول الله: شافني[8] وعافني ولا غيره، وإذا احتاج أحد إلى رزق فلا يقول: يا رسول الله [ارزقني ولا غيره، وإذا لم يكن لأحد ولد فلا يجوز له أن يقول يا رسول الله][9] اعطني ولداً، وإذا كان في شدة في بر أو بحر فلا يجوز أن يقول يا رسول الله أدركني او

---

(١) سورة آل عمران، آية/ ١٩٣.
(٢) سورة المؤمنون، آية/ ١٠٩ ووقع في الاصل "فريق من المؤمنين".
(٣) سورة آل عمران، آية/ ٥٣.
(٤) في الأصل وأطمتك. والتصويب من الغاية (١/ ٢٥٦).
(٥) انظر جلاء العينين (ص: ٤٥٣). وكتاب العقد الثمين للسويدي، يحقق في الجامعة الاسلامية.
(٦) حديث الدعاء مخ العبادة ضعيف، والصحيح أن الدعاء هو العبادة أنظر تخريجه (ص١٠٣).
(٧) جاء في خرجة في الأصل (بل الله هو...) ولفظ الجلالة ليس في غاية الاماني (١/ ٢٥٦).
(٨) كذا في الأصل والغاية (١/ ٢٥٦) وجاء في حاشية الأصل: اشفني ولعله الصواب.
(٩) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والاستدراك من غاية الاماني (١/ ٢٥٦).
(*) في الحاشية: بالمخلوق فيما.
(**) زيد في الاصل بين الاسطر بخط مغاير (الله)

ألتجيء إليك أو أستغيث بك أو نحو ذلك، بل كل ذلك شِرك مُخرِج عن الدين لأنه عبادة لغير الله، ونحن نوضح المسألة فقد زلت فيها أقدام. فنبين أولاً معنى العبادة ثم نذكر ما هو مِن خصائص الألوهية ومِن الله نستمد التوفيق.

أما العبادة: فهي في اللغة: الذل والانقياد[1].

واصطلاحاً: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالتوحيد فأنه عبادة في نفسه، والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان، والوضوء، وصلة الأرحام وبر الوالدين والدعاء والذكر والقراءة وحب الله، وخشية الله، والانابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وغير ذلك مما رضيه وأحبه، فأمر به وتعبد الناس فيه[2].

قال العلامة عمر بن عبد الرحمٰن الفارسي[3] في كشفه على الكشاف للزمخشري[4] - عند تفسير قوله تعالى / ٢٣٠/: ﴿ يا أيُّها النّاسُ آعْبُدُوا رَبّكُمُ الّذي خَلَقَكُم ﴾[5]: "وهو خطاب لمشركي أهل مكة،" ونقل عن علقمة[6] أنّ كل خطاب بيا أيها الناس

---

(١) انظر لسان العرب (٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧٤).

(٢) انظر كتاب العبودية لابن تيمية (١٠/ ١٤٩) مجموع الفتاوى.

(٣) عمر بن عبد الرحمن بن عمر البهبهاني الكتاني القزويني الفارسي سراج الدين، كان له حظ وافر من العلوم سيما العربية، اخترمته المنية شاباً عن سبع أو ثمان وثلاثين سنة له: الكشف على الكشاف، توفي سنة ٧٤٥هـ. * انظر شذرات الذهب ٦/ ١٤٣ ـ ١٤٤ والاعلام (٥/ ٤٩).

(٤) العلاّمة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب الكشاف والمفصل والفائق في غريب الحديث كان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وكان داعية للاعتزال مات ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ.
* انظر وفيات الأعيان (٥/ ١٦٨) والسير (٢٠/ ١٥١).

(٥) سورة البقرة، آية/ ٢١.

(٦) علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك النخعي الهمداني، ابو شبل تابعي كان فقيه العراق يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله ولد في حياة النبي ﷺ وروى الحديث عن الصحابة وسكن الكوفة وتوفي فيها سنة ٦٢هـ. * انظر تذكرة الحفاظ (١/ ٤٥) التقريب (ص: ٣٩٧).

فهو مكي، وبيا أيها الذين آمنوا فهو مدني ما لفظه: تحرير الكلام فيه أن العبادة قد تطلق على أعمال الجوارح بشرط قصد القربة ومنه قوله ﷺ: «الفَقِيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[1] وهي على هٰذا غير الايمان بمعنى التصديق، والنية والإخلاص بل مشروطة بها، وقد تطلق على التحقق بالعبدية بارتسام ما أمر السيد جلّ وعَلا أو نهى، وعلى هذا يتناول الاعمال والعقائد القلبية أيضاً، فيدخل فيها الايمان، وهو عبادة في نفسه وشرط لسائر العبادات؛ انتهى.

وقال ابن القيم[2] في شرح منازل السائرين ما نصه: "فالعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع. والعرب تقول: طريق معبد أي مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً".

ثم قال[3] في مكان آخر مِن شرحه هٰذا: مراتب العبودية وأحكامها لكل واحد من القلب واللسان والجوارح.

فواجب القلب: منه متفق على وجوبه، ومختَلَف فيه، فالمتفق على وجوبه كالإخلاص والتوكل والمحبة والصبر والإنابة والخوف والرجاء والتصديق الجازم[4]، والنية للعبادة[5]، وهٰذه قدر زائد على الاخلاص فإن الاخلاص إفراد المعبود

---

(١) رواه الترمذي (العلم - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة - ٥/ ٤٦ - ٤٧ رقم ٢٦٨١) وقال: هذا حديث غريب ولا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم أ.هـ. ورواه ابن ماجه (المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم - ١/ ٨١ رقم ٢٢٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال الالباني: موضوع، انظر ضعيف الجامع رقم(٣٩٩١).

(٢) المدارج (١/ ٨٥).

(٣) المدارج (١/ ١٢٤).

(٤) في الأصل والمدارج بالجيم وفي غاية الاماني بالحاء المهملة.

(٥) كذا في الاصل والغاية، وجاء في المدارج (١/ ١٢٤) في العبادة.

عن[1] غيره.

ونية العبادة لها مرتبتان: **إحداهما**[2]: تمييز / ٢٣١/ العبادة عن العادة، **والثانية**: تمييز مراتب العبادات بعضهاعن بعضها، والاقسام الثلاثة واجبة.

وكذلك الصدق: والفرق بينه وبين الإخلاص أن للعبد مطلوباً وطلباً، فالإخلاص توحيد مطلوبه، والصدق توحيد الطلب[3]، فالإخلاص أن لا يكون المطلوب منقسماً - والصدق أن لا يكون الطلب منقسماً، فالصدق بذل الجهد والإخلاص إفراد المطلوب.

واتفقت الأمة على [وجوب][4] هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة.

وكذلك النصح في العبودية، ومدار الدين عليه، وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضى له[5] وأصل هذا واجب، وكماله مرتبة المقربين.

وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان، واجب مستحق وهو مرتبة أصحاب اليمين، وكمال مستحب وهو مرتبة المقربين؛ انتهى بعض ما قاله في بعض عبودية القلب، وعقبه بعبودية[6] اللسان الواجب منها والمستحب وعبودية الجوارح الواجب منها والمستحب أيضاً، ومن اشتغل بالنظر الى أنواع العبادات هان عليه تمييزها والله الهادي إلى سواء السبيل.

وبالجملة فكل عبادة فهي مقصورة على الإله الواحد من أعمال القلوب والجوارح، فكما لو صلى لغير الله أو صام على وجه التقرب إليه كان كافراً مشركاً عند جميع الناس فكذلك من تقرب إليه بالأعمال القلبية المذكورة من التوكل والإنابة والخوف والرجاء

---

(١) في الاصل من غيره والتصحيح من المدارج وغاية الاماني (١/٢٥٧).
(٢) في الأصل أحدهما والمثبت من المدارج والغاية.
(٣) في المدارج "توحيد طلبه".
(٤) ما بين معقوفتين من المدارج وغاية الاماني (١/٢٥٧).
(٥) في الأصل المرضي به والتصويب من المدارج.
(٦) في الاصل عبودية، والتصويب من الغاية (١/٢٥٨).

وغير ذلك، لكن لما كانت هذه الأمور القلبية من التألّه ـ وكان الأولون يتألهون بها ويسمون من تألّه /٢٣٢/ بها إلٰهاً، وكان مرجع كل ذلك إلى القلب وأعماله التي هي منبع التوحيد ومصدر هذا الدين والمرجع إليه في الشك واليقين، ومع ذلك فهي الفارقة بين الإلٰه الحق الذي اختص بها على الدوام، والإلٰه الباطل الذي لا يحوم الموحد حوله بهذا المقام ـ كان ذلك هو الداعي للتخصيص والموجب للتنصيص. وأيضاً فالكلام على من حصل منه الشرك بما تألهه[1] في قلبه ورسخ بفؤاده ولبه من الاعمال الغير[2] المختصة بالمسلمين، وأما هذه الأعمال الظاهرة الشرعية المختصة بهم فلا يتعاطاها أحد لمن سواه، ولم نرها تُعمَل إلا لله، ولم يعبدوا بها إلاّ إياه، فهذا هو الذي أوجب تخصيصهم لهذه الأعمال القلبية وبعض البدنية كالسجود وحلق الرأس عبودية، وإلا فجميع العبادات قلبيها وقوليها وبدنيها مختصة به سبحانه وتعالى لا تصلح إلاّ له.

قال المحقق السعد التفتازاني[3] في شرحه للمقاصد[4] ما نصه: إعلم أن حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواتمها، ولا نزاع بين أهل الإسلام أن خلق الاجسام وتدبير العالم واستحقاق العبادة من الخواص، ثم قال في آخر هذا المبحث: وبالجملة فإن التوحيد في الألوهية واجب شرعاً وعقلاً، وفي استحقاق العبادة شرعاً ﴿ ومَا أُمِرُوا ألاّ لِيَعْبُدُوا إلٰهاً واحِداً لا إلٰهَ إلاّ هُوَ سُبحانَه عَمّا يُشرِكون ﴾[5]، انتهى.

وقد أفرد شيخ الاسلام لتحقيق معنى العبادة رسالة مفيدة وهي رسالة العبودية فراجعها؛

وأما الثاني ـ أعني ما هو من خصائص الالوهية ـ: فاعلم أن توحيد الله تعالى

---

(١) في الاصل تأله والمثبت من غاية الاماني (١/٢٥٨).

(٢) كذا في الاصل ثم ضرب على (ال) والمثبت كما في الغاية (١/٢٥٨) "الغير".

(٣) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق ولد بتفتازان من بلاد خراسان وأقام بسرخس وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند وتوفي فيها سنة ٧٩٣ هـ على خلاف، له من المؤلفات تهذيب المنطق ومقاصد الطالبين وشرحها، وغير ذلك من المؤلفات.
* انظر الدرر الكامنة (٥/١١٩) والاعلام (٧/٢١٩).

(٤) في الاصل: شرحه المقاصد والمثبت من الغاية(١/٢٥٨).

(٥) سورة التوبة، آية/٣١. وجاء في الأصل سبحانه وتعالى عما يشركون. وسقط من الأصل: لا اله الا هو. وكذلك من الغاية.

بالتعظيم ـ كما قاله العلامة القرافي[1] في كتاب الفروق (*) ـ /٢٣٣/ : ثلاثة أقسام: واجب إجماعاً، وغير واجب إجماعاً، ومختلف فيه هل يجب توحيد الله تعالى به أم لا ؟

القسم الأول الذي يجب توحيد الله تعالى به من التعظيم بالإجماع [فذلك كالصلوات][2] على اختلاف أنواعها والصوم على اختلاف رتبه في الفرض والنفل، والنذر فلا يجوز أن يفعل شيء من ذلك لغير الله تعالى، وكذلك الحج ونحو ذلك ـ أي كالاستغاثة والاستعانة والالتجاء، وكذلك الخلق والرزق والإماتة والإحياء والبعث والنشر والسعادة والشقاء والهداية والاضلال، والطاعة والمعصية، والقبض والبسط، فيجب على كل أحد أن يعتقد توحيد الله تعالى وتوحده بهذه الامور على سبيل الحقيقة، وإن أضيف شيء منها لغيره تعالى فإنما ذلك على سبيل الربط العادي لا أن ذلك المشار إليه فعل شيئاً [حقيقة كقولنا: قتله السمّ، وأحرقته النار، وأرواه الماء فليس شيء من ذلك يفعل شيئاً][3] مما ذكر حقيقة[4] بل الله تعالى ربط هذه المسببات بهذه الأسباب كما شاء وأراد، ولو شاء لم يربطها وهو الخالق لمسبباتها عند وجودها لا أن تلك الأسباب هي الموجدة. وكذلك إخبار الله تعالى عن عيسى عليه السلام (أنه كان يحي الموتى،

(*) انظر الفروق (٣ / ٢٤ - ٢٥)

(١) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي من علماء المالكية ولد ونشأ ومات في مصر، له مصنفات جليلة في الفقه والاصول منها: أنوار البروق في ألواء الفروق، والإحكام في تمييز الفتاوى والاحكام وتصرف القاضي والامام، والذخيرة في فقه المالكية وشرح تنقيح الفصول ومختصره. ت سنة ٦٨٤هـ.

* انظر الديباج المذهب (ص:٦٢ـ٦٧) وشجرة النور (ص: ١٨٨).

(٢) جاء في الأصل بالإجماح كالصلاة، والمثبت من غاية الأماني (١/ ٢٥٩).

(٣) ما بين معقوفتين سقط من الاصل والاستدراك من غاية الاماني (١/ ٢٥٩).

(٤) بل ان هذه الأمور حقيقية ولا داعي لادعاء المجاز فيها. فنقول: النار تحرق لان الله خلق فيها الاحراق والسم يقتل لان الله جعل فيه مادة قاتلة، فكون هذه الأشياء تفعل ذلك حقيقة لا يعني أنها بدل فعل الله عزوجل بل ذلك بتقدير الله وأذنه. انظر كلام الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ فيما سبق (ص٤٩ ٢). قال ابن تيمية رحمه الله (٩/ ٢٨٨ مجموع الفتاوى): «وهؤلاء ينكرون الأسباب أيضاً ويقولون: إن الله يفعل عندها لا بها. فيقولون: إن الله لا يُشبع بالخبز ولا يُروي بالماء ولا يُنبت الزرع بالماء، بل يفعل عنده لا به، وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة وإجماع السلف. مع مخالفة صريح العقل والحس» ثم ذكر الأدلة القرآنية والحسية.

وقال أبو اليسر البزدوي: «قال أهل السنة والجماعة . . . والعبد فاعلٌ على الحقيقة، وهو ما يحصل منه باختيار وقدرة حادثتين.» أصول الدين (ص: ٩٩).

ويبرىء الأكمه والأبرص، معناه أن الله تعالى كان (*) يحي الموتى ويبرىء عند إرادة عيسى عليه السلام لذٰلك، لا أنّ عيسى عليه السلام) هو الفاعل لذلك حقيقة، بل الله تعالى هو الخالق لذلك ومعجزة عيسى عليه السلام في ذلك ربط وقوع ذلك الاحياء وذلك الإبراء بإرادته، فإن غيره يريد ذلك ولا يلزم إرادته ذٰلك، فاللزوم بإرادته هو معجزته عليه السلام وكذلك جميع ما يظهر على أيدي الانبياء والأولياء من المعجزات والكرامات؛ الله تعالى هو خالقها.

وكذلك يجب توحيده تعالى باستحقاق العبادة والإلٰهية وعموم تعلق صفاته تعالى /٢٣٤/ فيتعلق علمه بجميع المعلومات وإرادته بجميع الكائنات، وبصره بجميع الموجودات الباقيات والفانيات؛

انتهى ما أردت نقله من هذا الكتاب المذكور، وهو كتاب جليل مفرد في بابه جعله مصنِّفُه في مجلدين، أتى على كل شبهة تمسك بها المبتدعون الذين أجازوا أن يُعبَد مع الله غيره، وقد طبع في مصر، وقد علمت بما نقلناه منه الفرق بين الاستغاثة والاستعانة والتشفع والتوجه والتوسل، وأن الذي جعل ذلك كله بمعنى واحد فقد أخطأ، وضل ضلالاً مبيناً، فنعوذ بالله من الضلال بعد الهدى و[نسأله][1] أن يجنبنا طريق الردىٰ. آمين.

---

(١) ما بين معقوفتين زيادة مني ليستقيم الكلام. والله اعلم.

(*) مابين قوسين من الحاشية، وهو في غاية الاماني .

« فصل »

ومما يوضح هذه المسألة ويكشفها لمن أرادها ويكون هو فصل المقال فيها ما قاله الامام الفاضل صاحب كتاب الدين الخالص[١] المطبوع في الهند قال فيه ما نصّه: باب في سؤال عن التوسل بالأموات وكذلك الأحياء، والاستغاثة بهم ومناجاتهم عند الحاجة وتعظيم قبورهم واعتقاد أن لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين، وإنجاح طلبات السائلين، وما حُكمُ من فعل شيئاً من ذلك؟ وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة ودعاء الله عندها من غير استغاثة بهم بل التوسل بهم فقط ؟.

والجواب عليه قال رضي الله عنه[٢]: فأقول مستعيناً بالله: إعلم أن الكلام على هذه الأطراف يتوقف على إيضاح ألفاظ هي منشأ الاختلاف والالتباس، فمنها **الاستغاثة** بالغين المعجمة والمثلثة، ومنها **الاستعانة** بالعين المهملة والنون، ومنها **التشفع**، ومنها **التوسل**.

---

(١) هو الامام العلامة محيي السنة في الديار الهندية محمد صديق حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخارى القنوجي ولد ونشأ في قنوج بالهند وتعلم في دهلي وسافر إلى بهو بال طلباً للمعيشة ففاز بثروة وافرة وتزوج بملكة بهوبال، وتفرغ للتصنيف والتعليم له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية. منها كتاب الدين الخالص. وأبجد العلوم والتفسير المسمى فتح البيان في مقاصد القرآن، وعون الباري شرح مختصر البخاري. وقطف الثمر في عقيدة أهل الأثر وغيرها كثير. * انظر ـ جلاء العينين (ص ٣٠) والتاج المكلل (ص ٥٤١) للمترجم.

(٢) أي الامام الشوكاني رحمه ت ١٢٥٠ الله تعالى حيث ذكره قبل فقرة في كتابه الدين الخالص(٤/٤٨) وهي الرسالة المسماة بالدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد، وقد اختصرها وهذبهاالشيخ علي بن محمد بن سنان المدرس في المسجد النبوي. جزاه الله خيراً. والامام الشوكاني هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني ولد يوم الإثنين ١١٧٣/١١/٢٨ هـ نشأ بصنعاء وكان والده قاضياً فحفظ القرآن وعدة مختصرات وطلب العلم وفاق اقرانه، ترك التقليد ودعا إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وكان نابغة ذكياً شاعراً عبقرياً من أهم مؤلفاته: فتح القدير في التفسير ونيل الأوطار والسيل الجرار، وإرشاد الفحول إلى علم الأصول. والتحف في مذاهب السلف وغيرها كثير جداً توفي سنة ١٢٥٠ هـ انظر البدر الطالع للمترجم (٢/ ٢١٤) ومعجم المؤلفين (٣/١ ٤ ٥).

فأما الإستغاثة /٢٣٥/ بالمعجمة والمثلثة فهي: طلب الغوث وهو[1] إزالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر، ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على[2] الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال[3] فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف ومنه: ﴿ فَٱسْتَغَاثَهُ الّذي مِنْ شِيعَتِهِ علىٰ الّذي مِنْ عَدُوِّهِ[4] ﴾، وكما قال: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنْصَروكُم في الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصرُ ﴾[5] وكما قال تعالى: ﴿ وتَعاوَنُوا علىٰ البِرِّ والتَقوىٰ ﴾[6]. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به، كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر، والرزق ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ومَن يَغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ اللهُ ﴾[7] وقال: ﴿ إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أحْبَبتَ ولٰكِنَّ اللهَ يهدِي مَن يَشَاءُ ﴾[8]، وقال: ﴿ يَا أيُّها النّاسُ اذكُروا نِعمةَ اللهِ عَلَيكُم هَلْ مِنْ خالقٍ غَيْرُ اللهِ يَرزُقُكُم مِّنَ السّماءِ والأرض ﴾[9]؛ وعلى هذا يحمل ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله "[10] فمراده ﷺ أنه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك، مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر أو يحول بينه وبين عدوه الكافر أو يدفع عنه سبعاً صائلاً أو لصاً أو نحو ذلك. وقد ذكر أهل العلم أنه يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الاطلاق إلا الله سبحانه وتعالى /٢٣٦/ وأن كل غوث من عنده، وإذا

---

(١) في الأصل: وهي، والتصويب من (أ) و(ب).
(٢) في نسخة (أ) عليه على الغوث.
(٣) في نسخة(أ) بـ الاستدلال.
(٤) سورة القصص، آية/ ١٥.
(٥) سورة الانفال، آية/ ٧٢.
(٦) سورة المائدة، آية/ ٢.
(٧) سورة آل عمران، آية/ ١٣٥.
(٨) سورة القصص، آية/ ٥٦.
(٩) سورة فاطر، آية/ ٣.
(١٠) ضعيف: وقد تقدم تخريجه ص ٢٥٥

حصل شيء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز[١] ومن أسمائه المغيث والغياث[٢].

قال أبو عبد الله الحليمي[٣]: الغياث هو المغيث، وأكثر ما يقال: غياث[٤] المستغيثين[٥]. ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه، ومجيبهم ومخلصهم، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين[٦]: "اللّهم أغثنا، اللّهم أغثنا" إغاثةً غياثة[٧] وغوثاً، وهو في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[٨] الآية. إلا أن الإغاثة أحق بالأفعال، والاستجابة بالأقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاواه[٩] ما لفظه، والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ﷺ ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه[١٠] مسلم، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر[١١] وأما مخطىء ضال.

وأما بالمعنى الذي نفاها رسول الله ﷺ فهو أيضاً مما يجب نفيها، ومن اثبت لغير

---

(١) في (أ) مخاز.

(٢) ليس من أسمائه تعالى المغيث والغياث بل هي من باب الإخبار لأن الأسماء توقيفية تحتاج لدليل.

(٣) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، فقيه محدث، متكلم أديب، ولد ببخارى سنة ٣٣٨هـ ونشأ فيها وولي القضاء وتوفي في ربيع الأول سنة ٤٠٣هـ له من التصانيف منهاج الدين في شعب الايمان وآيات الساعة وأحوال القيامة.
* انظر ترجمته السير (١٧/ ٢٣١ ـ٢٣٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٠) وشذرات الذهب (٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨). **وانظر كلام الحليمي في المنهاج (١ / ٢٠٤)**

(٤) زيد في الأصل بخط مغاير (يا) النداء.

(٥) وقع في الاصل أغثني وليست في (أ) و(ب) ولا فتاوى ابن تيمية (١/ ١١١) **ولا المنهاج (١ / ٢٠٤)**

(٦) رواه البخاري (الاستسقاء ـ باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ـ ٢/ ٥٨٩ رقم ١٠١٤) ومسلم (الاستسقاء ـ باب الدعاء في الاستسقاء ـ ٢/ ٦١٢ ـ٦١٣ رقم ٨) ورويا مختصراً ومطولاً بعدة روايات.

(٧) في(أ) ـ أغاثه إغاثة وغوثاً وفي مجموع الفتاوى(١/ ١١١): يقال: أغاثَهُ إغاثة وغياثاً وغوثاً أ. هـ.

(٨) سورة الأنفال، آية/ ٩.

(٩) في (أ) و(ب) فتاويه. * انظر مجموع الفتاوى (١/ ١١٢).

(١٠) في مجموع الفتاوى (١/ ١١٢) لا ينازع فيها.

(١١) في مجموع الفتاوى (١/ ١١٢): اما كافر ان انكر ما يكفر به.

الله ما لا يكون [إلاّ][1] لله فهو أيضاً كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها، ومن هذا الباب قول أبي (يزيد)[2] البسطامي[3]: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق. وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي[4]: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون[5].

وأما **الاستعانة** بالنون. فهي: طلب العون، ولا خلاف أنه يجوز أن يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا. كأن يستعين [به][6] على أن يحمل معه متاعه أو يعلف دابته أو يُبَلِّغ رسالته. وأما ما لا يقدر عليه إلاّ الله جل جلاله فلا يستعان فيه إلا به ومنه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[7] / ٢٣٧/ .

وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا. وثبت بالسنة المتواترة، واتفاق جميع الأمة أن نبينا ﷺ هو الشافع المشفع [و][8] أنه يشفع للخلائق يوم القيامة وأن الناس

---

(١) ما بين معقوفتين من: (أ) ،(ب) .

(٢) سقطت كلمة يزيد من(أ).

(٣) ابو يزيد البسطامي: طيفور بن عيسى البسطامي شيخ الصوفية في عصره له نبأ عجيب وحال غريب وقد نقل عنه أشياء كثيرة جداً فيها إلحاد مثل: سبحاني. وما في الجُبّة إلا الله. الخ الشطحات. ت ٢٦١هـ . * انظر ترجمته السير (١٣/ ٨٦ ـ٨٩رقم ٤٩) وميزان الاعتدال (٢/ ٣٤٦ ـ٣٤٧) والبداية والنهاية (١١/ ٣٥) وانظر كتاب التصوف في ميزان البحث والتحقيق للشيخ عبد القادر السندي (١/ ٢٢٣) وما بعدها حيث استوفى ترجمته واقواله ورد عليها.

(٤) وفي مجموع الفتاوى (١/ ١١٢): المشهور بالديار المصرية.أ.هـ.■ وهو والله أعلم محمد بن أحمد بن ابراهيم ابو عبد الله القرشي الهاشمي. اندلسي الأصل، من الجزيرة الخضراء أقام بمصر مدة، وسكن القدس وتوفي بها سنة ٥٩٩ هـ قال ابن العماد : أحد العارفين وأصحاب الكرامات والاحوال نزل بيت المقدس وتوفي عن خمس وخمسين سنة أ.هـ، له كلمات وجمل في آداب المعاملات وطرائق أهل الرياضات جمعها بعض تلاميذه في كتاب الفصول.
* انظر ترجمته: شذرات الذهب(٤/ ٣٤٢) والاعلام(٥/ ٣١٩) الملايين.

(٥) إلى هنا انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله.

(٦) ما بين معقوفتين من (أ).

(٧) سورة الفاتحة: آية/ ٥ .

(٨) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه[١]، ولم يقع الخلاف إلا في كونها لمحو ذنوب المذنبين أو لزيادة ثواب المطيعين، ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط، وفي سنن أبي داود: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إنّا نستشفع بالله عليك، ونستشفع بك على الله فقال: شأن الله أعظم من ذلك. إنّه لا يُستَشفَعْ بِه على أحدٍ مِن خلقه[٢]»، فأقرّه على قوله نستشفع بك على الله، وأنكر عليه قوله نستشفع بالله عنيك. وسيأتي تمام الكلام في الشفاعة.

وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام: أنَّه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلاّ بالنبي ﷺ إن صح الحديث فيه -[٣] ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه[٤] والترمذي (في صحيحه)[٥]، وابن ماجه وغيرهم. أن أعمى أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أُصِبتُ في بصري فأدعُ[٦] الله لي، فقال له النبي ﷺ توضأ وصل ركعتين

---

(١) كذا في الأصل و (أ) و (ب) ثم صححت في الأصل إلى ربهم بخط مغاير. موافقة لكلام ابن تيمية في الفتاوى (١/١٠٨).

(٢) أخرجه ابو داود (السنة ـ باب في الجهمية ـ ٥/ ٩٤ رقم ٤٧٢٦) والدارمي في الرد على الجهمية(ص٤١ رقم ٧١ تحقيق البدر) وفي الرد على بشر (٨٩ و١٠٥) وابن خزيمة في التوحيد (ص١٠٣) وابن ابي عاصم في السنة (رقم ٥٧٥ ـ ٥٧٦) والطبراني في الكبير (٢/ ١٣٢ ـ ١٣٣ رقم ١٥٤٧) والاجري في الشريعة (ص: ٢٩٣) واللالكائي في شرح الأصول (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ رقم ٦٥٦) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٣١٧ رقم ٨٨٣ ـ ٨٨٤) والديلمي في الفردوس (١ / ٦٥(رقم ٨٠٦) وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤١) والبخاري في التاريخ (٢/ ٢٢٤) وابن ابي حاتم في تفسير سورة البقرة (رقم ٢٢٤) والدارقطني في الصفات (رقم ٣٨ ـ ٣٩) وابو الشيخ في العظمة (ص١٠٥ رقم ٢٠٠) والبغوي في شرح السنة (١/ ١٧٥) وابن ابي شيبة في العرش (رقم ١١) والذهبي في العلو (ص ٣٧ ـ ٣٩) وقال: هذا حديث غريب جداً الخ. ويفهم من كلام البيهقي انه يضعفه بمحمد بن اسحاق وكذلك ضعفه الالباني في ظلال الجَنَّة (٥٧٥) وحاشيته على الرد على الجهيمة (ص: ٢٤) لتدليس ابن اسحاق وقد حاول ابن القيم رحمه الله تحسينه في تهذيب السنن (٧/ ٩٧) وسيأتي: بعض الكلام عليه إن شاء الله في الباب الأخير(ص ٣٩٣)

(٣) تقدم نقل عبارة العز بن عبد السلام (ص: ٢٠٩).

(٤) ليس في السنن بل هو في عمل اليوم والليلة (ص ٤١٧ ـ ٤١٨ رقم ٦٥٨ ـ ٦٦٠).

(٥) في(أ) و(ب) والترمذي وصححه.

(٦) في(أ) و(ب) فادعو بالواو وهو خطأ إملائي.

ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إني استشفع بك في رد بصري. اللهم شفِّع النبي فيَّ. وقال: فإن كان لك حاجة فمثل ذلك. فرد الله بصره»[1]
وللناس في معنى هذا قولان /٢٣٨/ :

أحدهما: أن التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا وإنا نتوسل إليك[2] بعم نبينا، وهو في صحيح البخاري وغيره[3]. فقد ذكر عمر رضي الله عنه انهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته في الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد موته، وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو (ويدعون)[4] معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبي ﷺ كان في مثل هذا شافعاً وداعياً لهم.

والقول الثاني: أن التوسل به ﷺ يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه.

ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به ﷺ في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه[5].

وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين :

الأول: ما عرّفناك [به][6] من إجماع الصحابة رضي الله عنهم[7].

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٨٢) وقوله فإن كان لك حاجة فمثل ذلك، ليست في السنن، وقد رواها ابن ابي خيثمة في تاريخه. * انظر التوسل والوسيلة(ص: ١٩٦ رقم ٥٤٨)

(٢) في (أ) إليه.

(٣) تقدم تخريجه (ص:١٨٠).

(٤) في (أ) و (ب) أو يدعون.

(٥) وهذا التوسل من النوع الأول: إذ هو توسل بالدعاء وليس توسلاً بالذات.

(٦) ما بين معقوفتين من(أ) و(ب).

(٧) إجماع الصحابة في هذه المسألة فيه أمران: الأول: جواز التوسل بغير رسول الله ﷺ بعد موته الرسول صلوعليه اللووسلم وذ لك بدعائه لهم. الثاني: أن توسلهم بالعباس رضي الله عنه - اي بدعائه - دليل على عدم جواز التوسل بذات الرسول ﷺ بعد موته إذ لو كان جائزاً لكانوا أولى بفعله ولفعلوه والله اعلم، إذاً إجماع الصحابة على قصة عمر ليس فيه دليل البتة على جواز التوسل بذات الرسول ﷺ أو غيره.

والثاني: أنّ التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة[١]، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله. فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالِم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله[٢] فارتفعت الصخرة فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون[٣] في هذا الباب / ٢٣٩/ كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه[٤]، لم تحصل الإجابة من الله لهم، ولا سكت النبي ﷺ عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، وبهذا [تعلم][٥] أن ما يورده المانعون من التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى: ﴿ ما نَعبُدُهُم إلاّ لِيُقرِّبُونا إلى اللهِ زُلفَى ﴾[٦]، ونحو قوله تعالى: ﴿ فَلا تَدعُوا معَ اللهِ أحداً ﴾[٧] ونحو قوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ والّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبونَ

---

(١) جاء في حاشية الاصل ما نصه: "التوسل بالاعمال الصالحة إنما هو لأهلها فهي وسائلهم إلى الله تعالى، أما عمل غيري كيف يكون وسيلة لي بأي كتاب ام بأية سنة يكون عمل غيري وسيلة لي والله يقول: ﴿ قد أفلَحَ مَن زَكّاها وقد خابَ مَنْ دَسّاها ﴾ ﴿ فَمَنْ يَعمَل مِثقَالَ ذَرّةٍ خيراً يَرَهُ * ومَنْ يَعمَل مِثقَالَ ذَرّةٍ شَرّاً يَرَه ﴾ والآيات في هذا كثيرة أ.هـ. قلت لا يصح قياس التوسل بالذات على التوسل بالاعمال إذا العمل الصالح شيء قدمه الانسان من نفسه لربه، وأما التوسل بذات غيره فماذا قدم المتوسّل لربه من التوسّل به؟ لم يقدم شيئاً وبقي عمل العامل لعامله والعلم لعالمه والله اعلم واحكم وهو الهادي.

(٢) في (أ) بأعظم عمله.

(٣) في الأصل المشددون والمثبت من (أ) و (ب).

(٤) رحم الله الامام الشوكاني كيف اخطأ على هؤلاء. فإنه لم يقل أحد ان التوسل شرك فضلاً عن ان يكون التوسل بالاعمال الصالحة شركاً والذي هو وسيلة شرعية جاءت بالكتاب والسنة ولست أدري إن كان ابن عبد السلام متشدداً وهو الذي خص التوسل بالرسول ﷺ فقط وقوفاً على ما فهم من النص!! فبماذا يوصف المانعون مطلقاً؟؟ وإن كان مثل العز بن عبد السلام يعتبر هذا شركاً على حد قول الشوكاني فماذا يعتبره الأكثر تشدداً؟؟ غفر الله للامام الشوكاني ورحمه فإنه لم يحرر ما نسبه ولم يصب فيما كتبه.

(٥) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٦) سورة الزمر، آية/ ٣.

(٧) سورة الجن، آية/ ١٨.

لَهُم بِشَيْء ﴾[1] ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه[2] فإن قولهم ﴿ مَا نَعْبُدُهُم إلاّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى ﴾[3] مصرّح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يعبده بل علم أن له[4] مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك. وكذلك قوله ﴿ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾[5]. فإنه نهى[6] عن أن يدعى مع الله غيره، كأن يقول: بالله وبفلان،[7] والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدعُ إلاّ الله، وإنما وقع منه التوسل إليه بعملٍ صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم. وكذلك قوله: ﴿ والّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِهِ ﴾[8] الآية، فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب [لهم][9] ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله ولم يدع غيره دونه، ولا [دعا][10] غيره معه. وإذا عرفت هذا لم يخفَ عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل[11] من الأدلة الخارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً على ما ذكرناه، كاستدلالهم بقوله تعالى: ﴿ ومَا أَدْراكَ ما يَومُ الدِّينِ /٢٤٠/ * ثُمَّ مَا أَدْراكَ ما يَومُ الدِّينِ * يَومَ لا تَملِكُ نَفْسٌ لِنَفس شَيئاً والأَمْرُ يَومَئِذٍ لله ﴾[12]. فإن هذه الاية الشريفة ليس [فيها][13] إلا أنه تعالى المنفرد[14]

---

(١) سورة الرعد، آية/ ١٤، ووقع في (أ) والذين تدعون بالمثناه وليست من العشر المتواترة.

(٢) لا أعلم احداً استدل بهذه الايات على منع التوسل. ولا أظن ان أحداً يستدل بها على ذلك، وإنما هي في النهي عن دعاء غير الله والاستغاثة. فلا ادري من أين أتى الامام الشوكاني بقوله هذا ؟!!

(٣) سورة الزمر، آية/ ٣.

(٤) في (أ) أنه لم.

(٥) سورة الجن، آية/ ١٨.

(٦) في الأصل نفي: والتصويب من(أ) و(ب)

(٧) جاء في(أ) يا الله وبفلان.

(٨) سورة الرعد، آية/ ١٤.

(٩) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(١٠) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(١١) في الأصل للمتوسل والتصويب من (أ) و (ب).

(١٢) سورة الانفطار، آية/ ١٧ـ١٩.

(١٣) مابين معقوفتين من (أ) و (ب).

(١٤) في (أ) المتفرد.

بالأمر في يوم الدين[1]، وأنه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء هو لا يعتقد أنَّ لِمَن توسل به مشاركة لله[2] جل جلاله في أمر يوم الدين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أو غير نبي فهو في ضلال مبين.

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﴿ لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيَءٌ ﴾[3] ﴿ قُلْ لَآ أَمْلِكُ لِنفسي نَفْعاً ولاَ ضَراً ﴾[4] فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره، وليس فيها منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء أوالأولياء[5] أو العلماء، وقد جعل الله لرسوله ﷺ المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى، وأرشد الخلق الى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه[6]. وقال له «سَلْ تُعْطَ[7]، واشفَعْ تُشَفَّع»[8] وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن ارتضى، ولعله يأتي تحقيق هذا المقام إن شاء الله تعالى.

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ

---

(١) في (أ) يومئذ.
(٢) في الأصل: مشاركة الله والمثبت من (أ) و (ب).
(٣) سورة آل عمران، آية/١٢٨.
(٤) سورة الأعراف، آية/١٨٨.
(٥) في الأصل: والأولياء والمثبت من (أ) و (ب).
(٦) ورد ذلك في الحديث الذي رواه مسلم (الصلاة - باب استحباب القول مثل قول المؤذن - ١/٢٨٨ رقم١١) وغيره عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلو عليّ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة".
(٧) في (أ) و (ب) (تُعطة).
(٨) رواه البخاري (الرقاق - باب صفة الجنة والنار - ١١/٤٢٥ رقم ٦٥٦٥) وفي غير موضع. ومسلم (الإيمان - باب أدنى اهل الجنة منزلة فيها - ١/١٨٠ - ١٨٦ رقم ١٩٣ - ١٩٤) وغيرهما عن عدة صحابة.

عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين ﴾[1] «يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئاً يا فلانة بنت فلان لا أملك لكِ من الله شيئاً»[2] فإن هذا ليس فيه إلا التصريح بأنه /٢٤١/ ﷺ لا يستطيع نفع من أراد الله تعالى ضره، ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه. وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله تعالى وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله فإن ذٰلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه[3] ما يكون سبباً للإجابة[4] ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع، وهو مالك يوم الدين.

وإذا عرفت هذا، فاعلم أن الرزيةِ[5] كل الرزية، والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة. وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في[6] أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جلّ جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه[7] قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة استقلالاً، ويصرحون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم، عند[8] وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء[9] وهذا إذا لم يكن شركاً فلا ندري ما هو الشرك، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر.

وها نحن نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة رسول[10] الله ﷺ

---

(١) سورة الشعراء، آية/ ٢١٤.

(٢) رواه مسلم (الإيمان ـ باب في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين ـ ١/ ١٩٢ رقم ٢٠٥) عن عائشة بمعناه. وروى عن أبي هريرة عند مسلم برقم (٢٠٤ و٢٠٦).

(٣) في (أ) و (ب) طلبته.

(٤) هذا السؤال بسؤال بغير المقتضى والسبب إنما هو سبب لصاحبه لا لغيره.

(٥) في الأصل: الرزينة.

(٦) في الأصل (من) والتصويب من (أ) و(ب).

(٧) في (أ) عليهم.

(٨) في الأصل: وعند. والمثبت من (أ) و(ب).

(٩) جاء في الحاشية: والذي سوغ لهم هذا هو الذي فتح لهم (باب) التوسل بذوات الأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا بدعوى التوسل بأعمالهم.

(١٠) في (أ) و(ب): رسوله.

فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل، وفي بعضها التصريح بأنه شرك، وهو بالنسبة إلى هذا الذي ذكرناه يسير حقير ثم بعد ذلك /٢٤٢/ نعود إلى[1] الكلام على مسألة السؤال.

فمن ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده بإسناد لا بأس به عن عمران بن حصين[2] أن النبي ﷺ رأى [رجلاً][3] بيده حلقة من صُفر[4] فقال: ما هذه. قال: من الواهنة[5]، قال: إنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً. ولو مت وهي عليك ما أفلحت[6].

وأخرج أيضاً عن عقبة بن عامر[7] مرفوعاً: « من تعلق تميمة[8](فلا أتم اللهُ له

---

(١) في الأصل على والمثبت من (أ) و(ب).

(٢) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نُجيد ـ بنون وجيم مصغراً ـ صحابي ابن

(٣) صحابي؛ روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وكان إسلامه عام خيبر مع أبي هريرة وغزا عدة ما بين معقوفتين من (أ) و(ب).

(٤) الصُفْر: مثل قفل وكسر الصاد: النحاس. انظر المصباح المنير (ص١٣١)، والقاموس المحيط (ص٥٤٦)، والمعجم الوسيط (ص٥١٦).

(٥) قال ابن الأثير: الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، فيرقى منها، وقيل مرض يأخذ في العضد، وربما علق عليها جنس من الخرز يقال له: خرز الواهنة، وهي تأخذ الرجال دون النساء. قال: وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم، فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها» * انظر النهاية (٥/ ٢٣٤).

(٦) رواه ابن ماجه (الطب ـ باب تعليق التمائم ـ ٢/١١٦٧ ـ ١١٦٨ رقم ٣٥٣١) وليس عنده «فإنك لو مت . . .» وأحمد في المسند واللفظ له (٤/ ٤٤٥) وابن حبان (١٤١٠ـ موارد) ولفظه «. . .إنك إن تمت وهي عليك وكلت إليها» والطبراني في الكبير(١٨/ ١٧٢) والحاكم (٤/ ٢١٦) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. قال الألباني في غاية المرام ص١٨١: ضعيف وفي إسناده علتان أ.هـ. وانظر الضعيفة (١٠٢٩) وضعفه العصيمي أيضاً في الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص: ٣٦).

(٧) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي الجهني الصحابي المشهور أبو عبس، ويقال: أبو حماد، ويقال: أبو عمر ويقال أبو عامر ويقال أبو الأسد ـ المصري، كان عالماً مقرئاً فصيحاً فقيهاً فرضياً شاعراً كبير الشأن كاتباً وهو أحد من جمع القرآن، بايع رسول الله ﷺ على الهجرة وأقام معه، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية وولاه مصر وجمع له بين بالصلاة والخراج ثم عزله بعد ثلاث سنين وأمره أن يغزو رودس. كان من أصحاب الصفة وكان حسن الصوت. مات في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين.

* انظر الإستيعاب (٨/ ١٠٠)، وأسد الغابة (٤/ ٥٣)، والسير(٢/ ٤٦٧)، والإصابة (٧/ ٢٢).

(٨) **التميمة**: هي خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في العنق. كان الجاهليون يرون أنها تدفع عنهم =

ومن تعلق وَدَعَة[1] فلا وَدَعَ الله له[2]»[3].

وفي رواية: «من تَعَلَّقَ تميمة(*) فقد أشرك»[4].

ولابن أبي حاتم[5][6] عن ....

= الآفات والعين واعتقاد هذا الرأي جهل وضلالة إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى. وقد أبطل الإسلام عادات الجاهلية ويدخل فيها كل ما علق لأجل دفع العين والمرض وغير ذلك سواء كان خرزة أو خيطاً أو قشرة بيض تعلق على الزهور والورود أو حذاء صغير يعلق على مؤخرة السيارة أو غير ذلك مما يفعله الجاهلون. * انظر النهاية في غريب الحديث (١/١٩٧)، والقاموس المحيط (ص١٤٠٠)، وفتح الباري (٦/١٦٥)، وتيسير العزيز الحميد(ص١٦٠).

(١) الوَدَعة: بسكون الدال المهملة وتحريكها جمع ودعات وهي: خرز بيض تخرج من البحر بيضاء شَقُّها كشَق النواة ـ تشبه الصدف ـ تعلق لدفع العين. وهذا الاعتقاد شرك لأنه يظن أنها تدفع القدر المكتوب ولأنه طلب لدفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه.

* انظر النهاية في غريب الحديث (٥/١٦٨)، والقاموس المحيط (ص٩٩٤)، والتيسير (ص١٦٠).

(٢) بتخفيف الدال: أي لاجعله في دعة وسكون وقيل هو لفظ بني من الودعة: أي لا خفف الله عنه ما يخافه وهذا دعاء عليه فيه وعيد شديد فإنه مع كونه شركاً فقد دعا عليه بنقيض مقصوده.

* انظر النهاية (٥/١٦٨)، والتيسير (ص١٦٠).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/١٥٤)، والحاكم (٤/٢١٦)، والبيهقي (٩/٥٣٠). قال الألباني: ضعيف فيه خالد بن عبيد المعافري، لم يوثقه غير ابن حبان ولم يرو عنه غير حيوة بن شريح فهو مجهول» غاية المرام (ص١٨٠ـ١٨١) وانظر سلسلة الإحاديث الضعيفة رقم (١٢٦٦) وضعفة أيضاً الدوسري في النهج السديد (ص٥٦ـ٥٧) رقم(١٠٢). وحسنه العصيمي في الدر النضيد (ص٣٨).

(٤) أخرجها أحمد (٤/١٥٦)، والحاكم في المستدرك (الطب ٤/٢١٩) صححها الألباني في بلوغ المرام (ص: ١٨٠) والصحيحة رقم (٤٩٢)، وحسنها العصيمي في الدر (ص ٣٩) والدوسري في النهج السديد (ص: ٥٧) رقم (١٠٢). وصنيع المصنف يوهم أن هذه الرواية لذلك الحديث وليس كذلك فهذه الرواية لها قصة وهي: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: «إنّ عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها فبايعه. وقال: «من تعلق تميمة فقد أشرك».

(٥) هو العلامة الحافظ ابن الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر أبو محمد الرازي ولد سنة اربعين أو إحدى واربعين ومائتين كان رحمه الله قد كساه الله نوراً وبهاء يسر من نظر إليه أخذ علم أبيه وأبي زرعة وكان اعجوبة في علم الرجال وصنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين، من مؤلفاته الجرح والتعديل والتفسير والعلل والرد على الجهمية وغيرها توفي في المحرم سنة ٣٢٧ هـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة. * أنظر السير (١٣/٢٦٣) وطبقات الحنابلة (٢/٥٥).

(٦) انظر تفسير ابن كثير (٢/٥١٢) والأثر ضعيف. فإنه رواه عروة عن حذيفة وروايته مرسلة عنه. وقال بعض أهل العلم: الصواب عزرة عن حذيفة. وروايته أيضاً مرسلة. * انظر الدر النضيد =

(*) مابين قوسين استدراك من حاشية الاصل وهو في (أ) و (ب)

حذيفة[1] أنه رأى رجلاً في يده خيط للحُمَّى فقطعه وتلا: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2].

وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري[3] أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يَبْقَيَنَّ في رقبة بعير قلادةٌ من وتر[4] إلاّ قُطِعَت»[5].

= للعصيمي (ص: ٤٠).

(١) هو حذيفة بن حسل بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي أبو عبد الله من كبار الصحابة. واليمان لقب أبيه ولقب لأحد أجداده أيضاً واسمه جروة لكونه أصاب دماً في قومه فهرب إلى المدينة فحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه اليمان لأن أهل المدينة اصلهم من اليمن. أسلم حذيفة وأبوه وأرادا شهود بدر فصدهما المشركون، وشهد حذيفة وأخوه صفوان وأبوهما أحداً فاستشهد اليمان بها وشهد حذيفة الخندق وله فيها ذكر حسن وتتابعت مشاهده، روى عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث؛ استعمله عمر رضي الله عنه على المدائن فلم يزل عليها حتى مات بعد مقتل عثمان وبعد بيعة علي بأربعين ليلة وذلك سنة ست وثلاثين. وكان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ.

* انظر ترجمة الإستيعاب(٢/ ٣١٨)، وأسد الغابة(١/ ٤٦٨)، والإصابة(٢/ ٢٢٣).

(٢) سورة يوسف، آية/ ١٠٦.

(٣) أبو بشير الأنصاري الساعدي، ويقال: المازني، ويقال: الحارثي، لا يعرف اسمه، وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحُرير، بمهملتين مصغراً. قال الواقدي شهد أحداً وهو غلام؛ وشهد بيعة الرضوان. سكن المدينة، مات بعد الحرة، وكان عُمِّر طويلاً وقيل مات سنة أربعين. خرج له أصحاب الصحيحين. * انظر الاستيعاب (١١/ ١٤٩)، والإصابة(١١/ ٣٨).

(٤) قال ابن الجوزي: وفي المراد **بالأوتار** ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسي لئلا تصيبها العين بزعمهم. فأمروا بقطعها إعلاماً بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً، وهذا قول مالك. ثانيها: النهي عن ذلك لئلا تختنق الدابة بها عند شدة الركض... ثالثها: أنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس. حكاه الخطابي. انظر فتح الباري(٦/ ١٦٤-١٦٥). **والقلادة**: ما جعل في العنق (القاموس المحيط ص٩٣٨).

(٥) رواه **البخاري** (الجهاد - باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل - ٦/ ١٦٤ رقم ٣٠٠٥) **ومسلم** (اللباس والزينة - باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير -٣/ ١٦٧٢ رقم ٢١١٥). **وأبو داود** (الجهاد - باب في تقليد الخيل بالأوتار - ٣/ ٥٢رقم ٢٥٥٢) **ومالك** في الموطأ (صفة النبي ﷺ - باب ما جاء في نزع المعاليق والجرس من العنق - **٣ / ٨ (١ ( )**، وقال الإمام مالك: أرى أن ذلك من أجل العين. ورواه أحمد في المسند (٥/ ٢١٦).

وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرُّقى والتمائم والتِّوَلَة شرك[1]»[2].

وأخرج أحمد والترمذي عن عبد الله بن عكيم[3] مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه»[4].

وأخرج أحمد عن رويفع[5]: قال: قال رسول الله ﷺ: يا رويفع لعلّ الحياة

---

(١) غريب الحديث: الرقى: جمع رُقية وهي العُوذة. والعزيمة، وهي ما يقرأ على المريض رجاء البُرء والرقي المنهي عنها هي التي يخالطها الشرك. والرسول ﷺ رقى ورقي له وقال: «إعرضوا عليَّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»؛ رواه مسلم (السلام - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة - ١٧٢٧/٤ رقم ٢٢٠٠). * وانظر القاموس المحيط (ص١٤٦٨ و١٦٦٤)، وانظر فتح المجيد (ص١٦٨).
والتمائم جمع تميمة: وهي ما علق من القلائد خشية العين ونحو ذلك. انظر الفتح (٦/ ١٦٥).
والتولة: بكسر التاء كعنبة وضمها كهُمَزَة: شيء تضعه النساء يتحببن به إلى أزواجهن ويقال: هو خرزة تفعل ضرب من السحر». * انظر القاموس المحيط (ص: ١٢٥٥) وفتح المجيد (ص: ١٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (الطب - باب في تعليق التمائم - ٤/ ٢١٢ رقم ٣٨٨٣) وابن ماجه (الطب - باب تعليق التمائم ٢/ ١١٦٦ - ١١٦٧ رقم ٣٥٣٠) وأحمد (١/ ٣٨١) والحاكم في المستدرك (الطب -٤/ ٢١٧) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي (٩/ ٥٣٠) وابن حبان (١٤١٢ - موارد)، والبغوي في شرح السنة (١٢/ ١٥٦،١٥٧) وانظر تخريج الحديث موسعاً في الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص٤١ رقم ١٩).

(٣) عبد الله بن عُكيم الجهني أبو معبد، سكن الكوفة. أدرك النبي واختلف في رؤيته وسماعه من النبي ﷺ قال البخاري ولا يعرف له سماع صحيح.
* انظر الإستيعاب (٦/ ٣٠٦ - ٣٠٧)، والإصابة (٦/ ١٦٦).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٠،٣١١) والترمذي (الطب - باب ما جاء في كراهية التعليق - ٤/ ٣٥٢ رقم ٢٠٧٢) والحاكم (٤/ ٢١٦). وإسناده ضعيف وله شاهد مرسل عن الحسن رواه ابن وهب في الجامع (ص١١٢) والبيهقي(٩/ ٣٥١) يرتقي به إلى درجة الحسن. حسنه الألباني في غاية المرام (ص١٨١) والأرناؤوط في تخريج جامع الأصول(٧/ ٥٧٥) وكل من الدوسري في النهج (رقم: ١١٢) والعصيمي في الدر (رقم: ٢٠).

(٥) رويفع بن ثابت الأنصاري النجاري المدني ثم المصري الأمير له صحبة ورواية، وليَ طرابلس المغرب لمعاوية وغزا منها وولي برقة ومات ودفن فيها سنة ست وخمسن / ٥٦ هـ.
* انظر طبقات ابن سعد (٤/ ٣٥٤)، تهذيب الكمال (٩/ ٢٥٤) والسير(٣/ ٣٦).

ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً[١] بريء منه»[٢].

فانظر كيف جعل الرقي والتمائم والتِّوَلَةَ شركاً، وما ذلك إلا لكونها مظِنَّة لأن يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيراً في الشفاء من الداء، وفي المحبة والبغضاء، فكيف بمن نادى غير الله، وطلب منه ما لا يطلب إلا من الله، واعتقد استقلاله بالتأثير أو[٣] اشتراكه مع الله /٢٤٣/ عز وجلّ.

ومن ذلك ما أخرجه الترمذي، وصححه عن أبي واقد الليثي[٤] قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنينٍ ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سِدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو[٥] إسرائيل: ﴿ إجعَلْ لَنَا إِلَـٰهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُم قَومٌ تَجهَلُونَ ﴾[٦] لتركبن سنن من كان قبلكم»[٧] فهؤلاء إنما طلبوا أن يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم،

---

(١) في الأصل محمد.

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٠٨ ـ ١٠٩) وأبو داود ـ (الطهارة ـ باب ما ينهى عنه إن يستنجي به ـ ١/ ٣٤ ـ ٣٦ رقم ٣٦) والنسائي (الزينة ـ باب (١٢) عقد اللحية ـ ٨/ ٥١١ ـ ٥١٢ رقم ٥٨٠٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٠) ومعنى قوله: بريء منه، اي من فعله. انظر: تيسير العـ الحميد (ص ١٧٣)

(٣) في الأصل: (واشتراكه)، والمثبت من (ا) و(ب).

(٤) أبو واقد الليثي: اختلف في اسمه: سماه البخاري: الحارث بن عوف صاحَبَ النبي ﷺ شهد بدراً والفتح وسكن مكة سنة وعداده في أهل المدينة. روى عن النبي ﷺ احاديث كثيرة وحديثه في الكتب الستة وروى عن أبي بكر وعمر. واختلف في مدة حياته فقيل ٦٥ وقيل ٧٠ وقيل ٧٥ وقال الذهبي عاش نحواً من الثمانين توفي سنة ٦٨هـ. * انظر السير (٣/ ٥٧٤)، وتهذيب الكمال (٣٤/ ٣٨٦).

(٥) في (أ) بني إسرائيل.

(٦) سورة الأعراف، آية/١٣٨.

(٧) رواه أحمد (٥/ ٢١٨) والترمذي (الفتن ـ باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ـ ٤/ ٤٧٥ رقم ٢١٨٠)، وقال: «حديث حسن صحيح» وغيرهم وصححه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢١٦) والألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٣٥).

غريب الحديث: ينوطون: يعلقون. وأنواط جمع نوط وهو ما يتعلق به (معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٧٠).

سَنَن: القصد والطريقة (انظر غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٥٠٤).

كما كانت الجاهلية تفعل ذلك، ولم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة، أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور، فأخبرهم ﷺ أن ذلك بمنزلة الشرك الصريح وأنه بمنزلة طلب آلهة غير الله تعالىٰ.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم[1] في صحيحه عن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه(*) قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غيّر منار الأرض».

وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب[2] أن رسول الله ﷺ قال: «دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف[3] ذلك يا رسول الله؟ قال: «مرّ رجلان على قوم لهم صنم (لا يجاوزه)[4] أحد حتى يقرب إليه شيئاً، (قالوا)[5] لأحدهم قرب ولو ذباباً. [فقرب ذباباً][6] فخلوا سبيله، فدخل النار وقالوا للآخر: قرّب فقال: ما كنت (لأقرب)[7] لأحد غير الله /٢٤٤/ عزّ وجلّ، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»[8].

---

(١) أخرجه مسلم (الأضاحي - باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله - ٣/١٥٦٧ رقم ١٩١٨)، والنسائي (الضحايا - باب ٣٤ من ذبح لغير الله عز وجل - ٧/٢٦٦ رقم٤٤٢٤)، وأحمد في المسند (١/١٠٨ - ١١٨).

(٢) طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي أبو عبد الله الكوفي رأى النبي ﷺ وأرسل عنه ولم يسمع منه وغزا في خلافة أبي بكر غير مرة وكان يقول رأيت رسول الله ﷺ وغزوت في خلافة أبي بكر وعمر بضعاً وثلاثين أو قال بضعاً وأربعين من بين غزوة وسرية ومع كثرة جهاده كان معدوداً من العلماء. مات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين هـ.
* انظر الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٢٣٤)، والسير (٣/٤٨٦).

(٣) في (أ) و (ب): كيف، والمثبت كلفظ أحمد.

(٤) في (أ) و (ب): لا يجوزه، وهو لفظ أحمد.

(٥) في (أ) و (ب): فقالوا وكذا الزهد.

(٦) ما بين المعقوفين من (أ) و (ب).

(٧) في (أ) و (ب): أقرب، والأصل موافق لأحمد.

(٨) أخرجه أحمد في الزهد (١٥ - ١٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٠٣)، وابن أبي شيبة (١٢/٣٥٨) عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفاً عليه، وهو صحيح ولم يوجد مرفوعاً من حديث طارق بن شهاب، والله أعلم. * انظر الدر النضيد (ص: ٩٤).

(*) الاولى عدم تخصيص بعض الصحابة بهذا الدعاء.

فانظر لعْنَه ﷺ لمن ذبح لغير الله، وإخباره بدخول مَن قرَّب لغير الله النار وليس في ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله فما ظنك بما كان شركاً بحتاً.

قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة لأنها: إما هدي أو أضحية أو نسك، وكذلك ما يذبح للبيع لأنه مكسب حلال فهو عبادة ويتحصل من ذلك شكل قطعي هو أن[1] إراقة دماء الأنعام عبادة وكل عبادة لا تكون إلاّ لله فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله[2]، ودليل الكبرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أُعبدوا اللهَ مَا لَكُم مِن إلَـهٍ غَيرُه ﴾[3] ﴿ فإيايَ فاعبُدُونِ ﴾[4] ﴿ إيَّاكَ نَعبُدُ ﴾[5] ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ﴾[6] ﴿ وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعبُدُوا الله مُخلِصينَ لَهُ الدِّين ﴾[7].

ومن ذلك أنه ﷺ نهى عن الحلف بغير الله فقال [8]: «من حلف فليحلف بالله أو ليصمت»[9]. وقال: «من حلف بملة غير الإسلام لم يرجع إلى الإسلام سالماً»[10] أو كما قال.

---

(١) ليست في (أ) و (ب).

(٢) في (ب): يكون.

(٣) سورة الأعراف، آية/ ٥٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية/ ٥٦؛ وفي (أ) و(ب): إياي.

(٥) سورة الفاتحة، آية/٥؛ و(أ): وإياك.

(٦) سورة الإسراء آية/ ٢٣.

(٧) سورة البينة، آية/ ٥.

(٨) في (أ) و (ب): وقال.

(٩) رواه **البخاري** (الأيمان والنذور ـ باب لا تحلفوا بآبائكم ـ ٥٣٨/١١ رقم ٦٦٤٦) **ومسلم** (الأيمان ـ باب النهي عن الحلف بغير الله ـ ٣/ ١٢٦٦ ـ ١٢٦٧ رقم ١٦٤٦).

(١٠) أخرجه **أحمد** (٥/ ٣٣٥ و٣٥٦) **وأبو داود** (الأيمان والنذور ـ باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الاسلام ـ ٣/ ٥٧٤ رقم ٣٢٥٨)، والنسائي(الأيمان - الحلف بالبراءة من الإسلام - ٧/ ١٠ رقم ٣٧٨١) **وابن ماجه**، (الكفارات ـ باب من حلف بملة غير الاسلام ـ ١/ ٦٧٩ رقم ٢١٠٠)، **والحاكم** (٤/ ٢٩٨) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ورواه عن الحاكم **البيهقي** في السنن (١٠/ ٣٠) وصححه الألباني على شرط مسلم ـ انظر الارواء(٨/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ رقم ٢٥٧٦).

ملاحظة: أول الحديث: «من حلف فقال: هو بريء من الإسلام...». والمثبت في المتن صدر لحديث آخر.

[و][1] سمع رجلاً يحلف باللات والعزى[2] فأمره أن يقول: لا إله إلاّ الله[3].

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث [ابن][4] عمر[5] أنّ رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[6].

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ) و(ب).

(٢) قال ابن كثير (٤/ ٢٧١) في تفسير سورة النجم: «وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ـ وهم ثقيف ومن تابعها ـ يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: «اللات» يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرأوا «اللاتّ» بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلاً يلت للحجيج في الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه... قال ابن جرير وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها..أ.هـ.
وانظر تفسير ابن جرير(٢٧/ ٣٤ ـ ٣٥).

(٣) روى البخاري ـ (الأيمان والنذور ـ باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت ـ ١١/ ٥٤٥ رقم ٦٦٥٠) ومسلم (٣/ ١٢٦٧ ـ ١٢٦٨ رقم١٦٤٧) وغيرهما: «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق».
وروى النسائي (الأيمان ـ باب الحلف باللات والعزى ـ ٧/ ١٢ رقم ٣٧٨٦) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: حلفت باللات والعزى فقال لي أصحابي: بئس ما قلت: قلت هجراً. فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «قل لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفث عن شمالك ثلاثاً وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد».

(٤) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل ومن (أ) و(ب) والتصويب من مصادر التخريج.

(٥) هو الصحابي الجليل: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي رضي الله عنهما صحب النبي ﷺ وروى عنه الأحاديث الكثيرة ويعد من أروى الصحابة ومن المكثرين ومن العبادلة الأربعة، اعتزل الفتن كلها وكان من دعاة العزلة في ذلك الزمن وكان متبعاً للسنة أشد الاتباع حتى أنه كان في سفره ينزل حيث ينزل رسول الله ﷺ ويتغوط مكان تغوطه ويتشبه به أشد التشبه ومن فقهه رضي الله عنه أنه كان يصلي خلف السلطان الجائر، فلقد كان يصلي خلف الحجاج رغم جوره وفجوره، وكان يدعو الصحابة الذين خرجوا للقتال في الفتن للقعود، وكان من فقهاء الصحابة. ت سنة ٧٣ في آخرها.
* ابن سعد (٢/ ٣٧٣ و٤/ ١٤٢)، والسير (٣/ ٢٠٣).

(٦) رواه الترمذي (الأيمان والنذور ـ باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ـ ٤/ ٩٣ رقم ١٥٣٥) وقال: هذا حديث حسن. والإمام أحمد في المسند (٢/ ١٢٥) ولفظهما فقد كفر أو أشرك، ورواه الحاكم في المستدرك(١/ ١٨) بلفظ «كفر» ولم يشك وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه =

وهذه الأحاديث في دواوين الإسلام وفيها أن الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الإسلام(١). ذلك لكون الحلف بشيء مظنة تعظيمه فكيف بما كان شركاً محضاً يتضمن

= الذهبي؛ قال الألباني: وإنما هو على شرط مسلم...أ.هـ. وأخرجه ابن حبان (١١٧٧) بلفظ فقد أشرك كلفظ المصنف. وهناك ألفاظ أخرى لهذا الحديث فانظر السلسلة الصحيحة (٥/ ٦٩ ـ٧٠ رقم ٢٠٤٢) والأرواء (رقم ٢٥٦١).

(١) هذا القول ليس على إطلاقه فالحلف بغير الله شرك أصغر لا يخرج به صاحبه عن الإسلام. أما إذا حلف بغير الله وهو يعتقد أنه يملك ضره ونفعه فهذا شرك يخرج به الحالف عن الإسلام وأما مجرد حلف جرى على اللسان ـ كما حصل ذلك من بعض الصحابة ومنهم عمر رضي الله عنه لعادة اعتادوها في الجاهلية أو لأنهم لم يعلموا حكم الحلف بغير الله تعالىٰ ـ فلا قال الإمام الترمذي (٤/ ٩٤) عقب الحديث السابق وفُسِّر هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله: «فقد كفر أو أشرك على التغليظ والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي ﷺ سمع عمر بن الخطاب يقول: وأبي وأبي فقال: ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. وحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: من قال في حلفه واللات والعزىٰ فليقل لا إله إلاّ الله. قال أبو عيسى: هذا مثل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: إن الرّياء شرك وقد فسّر بعض أهل العلم هذه الآية: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرجُوْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحَاً... ﴾ قال: لا يرائي. انتهى.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٥٨) لم يرد به الشرك الذي يُخرج من الإسلام حتى يكون به صاحبه خارجاً عن الإسلام، ولكن أراد أنه لا ينبغي أن يحلف بغير الله تعالى لأن من حلف بغير الله تعالى فقد جعل ما حلف به محلوفاً به كما جعل الله تعالىٰ محلوفاً به وبذلك جَعلَ من حُلِفَ به أو ما حُلِفَ به شريكاً فيما يحلف به وذلك أعظم فجعله مشركاً بذلك شركاً غير الشرك الذي يكون به كافراً بالله تعالى خارجاً عن الإسلام ا.هـ. قال الألباني حفظه الله تعالى معلقاً على قول الطحاوي: يعني ـ والله أعلم ـ: أنه شرك لفظي وليس شركاً اعتقادياً والأول تحريمه من باب سد الذرائع والآخر محرم لذاته، وهو كلام وجيه متين ولكن ينبغي ان يُستثنى منه من يحلف بوليّ لأن الحالف يخشى إذا حلف في حلفه به أن يُصاب بمصيبة ولا يخشى مثلَ ذلك إذا حلف بالله كاذباً فإن بعض الجلهة الذين لم يعرفوا حقيقة التوحيد بعدُ، إذا أنكر حقاً لرجل عليه فطلب أن يحلف بالله فعل وهو يعلم أنه كاذب في يمينه فإذا طُلِبَ منه أن يحلف بالوليّ الفلاني امتنع واعترف بالذي عليه. وصدق الله العظيم ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِالله إلاَّ وَهُم مُشْرِكُونَ ﴾ سورة يوسف، آية/ ١٠٦؛ انتهى. وانظر السلسلة الصحيحة (٥/ ٧٠ ـ ٧١).

أقول: إن قول العلامة الألباني والأول تحريمه من باب سد الذرائع والآخر محرم لذاته عليه توضيح: فإن الحلف بغير الله ولو كان شركاً لفظياً أصغر إلاّ أنّه محرم لذاته لسابق كلام الطحاوي رحمه الله وهو محرم أيضاً من باب سد الذرائع عن الشرك الأكبر الذي هو تسوية غير الله بالله أو اعتقاد شيء مما يستحقه الله لغيره كالخوف والرجاء وأما الذي يحرم من باب سد الذرائع فيكون في أصله جائزاً ثم يُخشى بفعله أن يُوصَل به إلى الحرام أو الشرك، حسب الحرام ومرتبته، مثل اتخاذ =

التسوية بين الخالق والمخلوق[1] في طلب النفع أو استدفاع الضر، وقد يتضمن تعظيم المخلوق زيادة على تعظيم الخالق[2] كما يفعله كثير من المخذولين، فهم[3] يعتقدون أن لأهل القبور من جلب النفع ورفع[4] الضر ما ليس لله تعالىٰ [الله][5] عن ذلك علواً كبيراً.

فإن أنكرت هذا فانظر أحوال كثير من هؤلاء المخذولين، فإنك تجدهم كما وصف الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الله وَحدَه اشمَأَزَّت قُلُوبُ الذينَ لَا يُؤمِنُونَ بالآخِرَة، وإذا ذكر الذين من دُونِهِ إذا هُم يَستَبشِرُونَ ﴾[6].

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ عند موته أنه كان يقول: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا»[7].

وأخرج مسلم عن جندب بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد(ألا)[8] فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[9].

= القبور مساجد - أي الصلاة عند القبور - فإنها تحرم خشية أن تعظم القبور وتعبد ولذلك نهى النبي ﷺ أن يتخذ قبره عيداً. ونهى أن يتخذ القبر مسجداً. وأما تصاوير الأصنام والصالحين في الكنائس فهي محرمة لذاتها لمضاهاتها لخلق الله وتوجه قلوب إليها ومحرمة من باب سد ذريعة الشرك الأكبر. والله أعلم.

* وانظر فتح الباري (١١/٥٤٥) لتسريح النظر في حكم من حلف بغير الباري ولم ينقل عن أحد من أهل العلم أن صاحبه فعل الشرك الأكبر، فقول الشوكاني «إن الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الإسلام» قول غير محرر، يحتاج ما سبق من بيان وتفصيل، والله أعلم.

(١) في (أ) و (ب): بين الحالف والمحلوف وهو تصحيف والله أعلم.
(٢) في (أ) و (ب): المحلوف... الحالف.
(٣) في (أ) و (ب): فإنهم.
(٤) في (أ) و (ب): ودفع.
(٥) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).
(٦) سورة الزمر، آية/ ٤٥.
(٧) تقدم تخريجه (ص: ٢٢٨)
(٨) ما بين قوسين من الحاشية ومن لفظ مسلم وليس في (أ) و(ب).
(٩) تقدم تخريجه (ص: ٢٢٨).

وأخرج أحمد بسند جيد وأبو حاتم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»[1].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد مع أنه لا يعبد إلاّ الله، وذلك لقطع ذريعة التشريك، ودفع وسيلة التعظيم.

وورد ما يدل على أن عبادة الله عند القبور بمنزلة اتخاذها أوثاناً تعبد. أخرج[2] مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعْبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد»[3]. وبالغ في ذلك حتى لعن زائرات القبور كما أخرجه أهل /٢٤٦/ السنن من حديث ابن عباس قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[4]. ولعل وجه تخصيص النساء بذلك

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) في الأصل وأخرج والمثبت من(أ) و(ب).

(٣) تقدم تخريجه (ص:٢٢٦)

(٤) أخرجه **أبو داود** (الجنائز ـ باب في زيارة النساء القبور ـ ٣/٥٥٨ رقم ٣٢٣٦) **والترمذي** (أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً ـ ٢/١٣٦ رقم ٣٢٠) **والنسائي** (الجنائز ـ باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ـ ٤/٤٠٠ رقم ٢٠٤٢). قلت: سبحان الله ما ألطف ما بوّب به هؤلاء الأئمة الثلاثة لهذا الحديث ـ فكل إمام اتخذ شطراً وبوب له باباً وترتيب تبويبهم كترتيب فقرات الحديث فأبو داود الزيارة والترمذي اتخاذ المساجد على القبور والنسائي اتخاذ السرج عليها. وكأنهم اتفقوا على ذلك ﴿ وَلَو تَوَاعَدتُّم لاخْتَلَفتُم فِي المِيعَادِ ﴾.

وأما إسناد الحديث فضعيف بهذ التمام والكمال انظر السلسلة الضعيفة (١/٣٩٣ رقم ٢٢٥).

وأما فقراته فلبعضها شواهد. فلعن زائرات القبور ثابت من أحاديث أخرى، فأخرج الترمذي (الجنائز ـ باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ـ ٣/٣٧١ رقم ١٠٥٦) وابن ماجه (الجنائز ـ باب ما جاء في النهي عن زياة النساء القبور ـ ١/٥٠٢ رقم ١٥٧٦)، **وأحمد** (٢/٣٣٧، ٣٥٦). وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور» وإسناده حسن. وكذا لعن المتخذين عليها مساجد فإنه متواتر، وأما إيقاد السرج فلم يثبت في هذا الحديث، ولكن هو منهي عنه لأمور ذكرها الإمام الألباني فقال:

أولاً: كونه بدعة محدثة لا يعرفها السلف الصالح، وقد قال ﷺ: «كلّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» رواه **النسائي وابن خزيمة في صحيحه** بسند صحيح.

ثانياً: أن فيه إضاعة للمال وهو منهي عنه بالنص.

ثالثاً: أن فيه تشبهاً بالمجوس عباد النار. قال ابن حجر الفقيه في الزواجر (١/١٣٤): صرح أصحابنا بحرمة السراج على القبر، وإن قَلّ حيث لم ينتفع به مقيم ولا زائر، وعللوه بالإسراف =

ما في طبائعهن[1] من النقص إلى الإعتقاد والتعظيم بأدنى شبهة، ولا شك أن علة النهي عن[2] جعل القبور مساجد، وعن تسريجها وتجصيصها ورفعها وزخرفتها[3] هي ما ينشأ عن ذلك من الاعتقادات الفاسدة كما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة[4] ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من

= وإضاعة المال والتشبه بالمجوس، فلا يبعد في هذا أن يكون كبيرة» انظر أحكام الجنائز (ص: ٢٣٢).

قلت مما يصلح أن يكون أمراً رابعاً: أنَّ فيه تعظيماً زائداً للميت وغلواً فيه، فإن كثيراً ما يقترن هذا الفعل بنية التقرب للميت. وهذا شرك كما لا يخفى، ثم إن الميت لا ينتفع بهذا السراج.

قال ابن القيم رحمه الله (إغاثة اللهفان ١/١٨٨) ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها وجعلها نصباً يوفض إليه المشركون أ.هـ.

وقال(١/١٩٧) عن اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه. قال أبو محمد المقدسي: ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله لأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام ا.هـ.

ومما يؤيد الأمر الثاني قول المقدسي السابق (لأن فيه تضييعاً للمال).

ومما يؤيد الأمر الثالث: جعل ابن القيم رحمه الله تعالى:(١/١٩٨) من مفاسد القبوريين: «مشابهة اليهود والنصارى» ولقد عقد الإمام ابن القيم فصلاً طويلاً في كتابه «إغاثة اللهفان» في القبوريه انظر (١/١٨٢).

وقال العلامة السندي في حاشيته على النسائي(٤/٤٠٠) والنهي عنه لأنه تضييع مال بلا نفع ويشبه تعظيم القبور كاتخاذها مساجد ا.هـ. وهو ما سيذكره الشوكاني بعد قليل.

(١) في (أ) و(ب): طبايعهم.

(٢) في الأصل: من جعل والتصويب من (أ) و(ب).

(٣) ورد النهي عن ذلك في عدة أحاديث منها: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه أو يزاد عليه أو يكتب عليه» رواه مسلم (الجنائز ـ باب النهي عن تجصيص القبر ـ٢/٦٦٧ رقم ٩٧٠)، وأبو داود (الجنائز ـ باب في البناء على القبر ـ ٣/٥٥٢ ـ ٥٥٣ رقم ٣٢٢٦)، والترمذي (الجنائز ـ باب كراهية تجصيص القبور ـ ٣/٣٦٨ رقم ١٠٥٢)، والنسائي (الجنائز ـ باب الزيادة على القبر ـ ٤/٣٩١ ـ ٣٩٢ رقم ٢٠٢٦ و٢٠٢٧ و٢٠٢٨) وغيرهم وليس عند مسلم الزيادة والكتابة، والترمذي عنده الكتابة. * وانظر أحكام الجنائز وبدعها للمحدث الألباني حول هذا الموضوع (ص٢٠٤ ـ ٢١٠).

■والجص ـ بفتح الجيم وكسرها ـ: ما يبنى به ـ وهو معرب ـ انظر مختار الصحاح (ص١٠٤).

(٤) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وكان أبوها يعرف بزاد الراكب لكرمه كانت تحت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي فولدت له: سلمة، وعمر ودرة وزينب، وتوفي زوجها إثر جراحه فتزوجها رسول الله ﷺ، وكانت من =

الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله»[1]. ولابن خزيمة عن مجاهد: أفرأيتم اللات والعزى، قال: "كان يلت لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره"[2]. وكل عاقل يعلم أن لزيادة[3] الزخرفة للقبور وإسبال الستور الرائقة عليها وتسريجها[4] والتأنق في تحسينها تأثيراً في طبائع غالب العوام، ينشأ عنه التعظيم والاعتقادات الباطلة، وهكذا إذا استعظمت نفوسهم شيئاً مما يتعلق بالأحياء، وبهذا السبب اعتقدت كثير من الطوائف الإلـهية في أشخاص كثيرة.

الغلو بالمـ

ورأيت في بعض كتب التاريخ أنه قدم رسول لبعض الملوك على بعض خلفاء بني العباس فبالغ الخليفة في التخويل[5] على ذلك الرسول، وما زال أعوانه ينقلونه من رتبة إلى رتبة حتى وصل إلى المجلس الذي يقعد الخليفة في برج من أبراجه، وقد جمل ذلك المنزل بأبهىٰ الآيات، وقعد فيه أبناء /٢٤٧/ الخلفاء وأعيان الكبراء وأشرف الخليفة من

= المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة وقيل إنها أول ظعينة هاجرت إلى المدينة. ماتت سنة إحدى وستين على الراجح، وقيل تسع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة.
* انظر الإستيعاب (١٣/ ١٧٢)، وأسد الغابة (٧/ ٣٤٠)، والإصابة (١٣/ ١٦١).

(١) أخرجه البخاري (الصلاة ـ باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية... ـ ١/ ٦٢٤ رقم ٤٢٧ و (فيه ـ باب الصلاة في البيعة ـ ١/ ٦٣٣ رقم ٤٣٤) ومواضع أخرى ومسلم (مواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ـ ١/ ٣٧٥ رقم ٥٢٨).

(٢) وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد وروي أيضاً عن ابن عباس والربيع بن أنس مثله. * أنظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧١) والدر المنثور (٦/ ١٢٦).

(٣) في (أ): زيادة.

(٤) في الأصل: تستريجها.

(٥) كذا في الأصل وفي (أ) و(ب): التهويل. وجاء في حاشية الأصل: **التخويل**: اتخاذ الخول والخدم أ.هـ. قلت: وفي الصحاح (ص: ١٩٣) وخَوَلُ الرجل: حشمه الواحد خائل، وقد يكون الخول واحداً. وهو اسم يقع على العبد والأمَة؛ قال الفراء: هو جمع خائل وهو الراعي وقال غيره: هو مأخوذ من التخويل وهو التمليك ا.هـ. وانظر القاموس المحيط (ص: ١٢٨٧).

ذلك البرج، وقد انخلع قلب ذلك الرسول مما رأى فلما[1] وقعت عيناه على الخليفة، قال لمن هو قابض على يده من الأمراء أهذا[2] الله ؟ فقال ذلك الأمير بل هذا خليفة الله، فانظر [ما][3] صنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين.

ورُوي لنا أن بعض أهل جهات القبلة وصل إلى القبة[4] الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين[5] رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع، والبخور ينفح[6] من جوانبها، وعلى القبر الستور الفائقة، فقال عند وصوله إلى الباب، أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين.

الغلو اصل الشرك

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ونَسْراً ﴾[7] قال[8]: «هذه أسماء [رجال][9] من قوم نوح، لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها[10] ....

(١) في الأصل: مما، والتصويب من (أ) و (ب).

(٢) في الأصل: هذا، والمثبت من (أ) و (ب).

(٣) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل وهو في (أ) و (ب).

(٤) في الأصل القبلة. والتصويب من (أ) و (ب).

(٥) لعله أحمد بن الحسن وليس ابن الحسين كما في البدر الطالع (٤٣/١) وهو الامام المهدي أحمد بن الحسن بن الامام القاسم بن محمد ولد سنة ١٠٢٩ هـ بويع عند موت المتوكل على الله إلى أن توفي سنة ١٠٩٢ هـ وقد وجد على قبره قصيدة للقاضي علي بن صالح بن ابي رجال فيها هذا البيت:

ومال إلى ذيبين عند فسادها ... فمزقهم بالسيف في كل منهلِ.

(٦) في (أ) و (ب): ينفخ في، بالخاء المعجمة و (في) بدل (من).

(٧) سورة نوح، آية/ ٢٣؛ وجاء في الأصل (أ) و(ب) ﴿ ولا تذرن ﴾.

(٨) في (أ) وقال.

(٩) ما بين معقوفين من (أ) و(ب).

(١٠) في الأصل: إليها، والمثبت من (أ) و(ب).

أنصاباً، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم يُعبدوا حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم عُبدَت[1]».

وقال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم[2].

ومن ذلك ما أخرجه أحمد بإسناد جيد عن (قطن بن قبيصة عن أبيه)[3] انه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن العِيَافَةَ والطَرْقَ والطِّيَرَة من الجِبْت» وأخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان أيضاً[4].

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر»[5]

---

(١) رواه البخاري (التفسير ـ سورة نوح باب وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ـ ٨/٥٣٥ رقم ٤٩٢٠).

(٢) منهم ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق، ومحمد بن قيس.
* انظر تفسير ابن كثير (٤/٤٥٥).

(٣) جاء في الأصل و(أ) و(ب): قبيصة عن أبيه وهو خطأ والتصحيح من مصادر التخريج الآتية:
● **أما قطن**: فهو قطن بن قبيصة بن مخارق بن عبد الله الهلالي يكنى أبا سهلة، أمه أثيلة بنت عوف بن أصرم. بصري صدوق، وقال ابن الكلبي: كان قطن شريفاً. وقد ولي سجستان.
* انظر طبقات خليفة (ص: ١٩٦)، والتقريب (٤٥٦)، والإصابة (٨/١٣٢).
● **وأما والده قبيصة** فيكنى أبا بشر روى عن النبي ﷺ وروى عنه ولده قطن وكنانة بن نعيم وأبو عثمان النهدي وآخرون قال البخاري: وابن أبي حاتم وابن حبان له صحبة.
* أنظر الإستيعاب (٩/١٣٩)، والإصابة (٨/١٣٢)، وطبقات خليفة (ص: ٥٦) و(ص: ١٨٤).

(٤) أخرجه أبو داود (الطب ـ باب في الخط وزجر الطير ـ ٤/٢٢٨ رقم ٣٩٠٧) والنسائي في الكبرى (٨/٢٧٥ تحفة الأشراف). وأحمد (٣/٤٧٧، ٥/٦٠) وابن حبان (١٤٢٦ ـ موارد) وغيرهم. اسناده ضعيف مضطرب. ضعفه الألباني، غاية المرام (ص ١٨٣ ـ ١٨٤). والدوسري في النهج السديد (ص: ١٤٣ رقم ٢٨٤) والعصيمي في الدر النضيد (ص: ٨٨ رقم ٦٣).
■ **غريب الحديث**: قال عوف (كما في المسند ٥/٦٠) وأبي دواد (رقم ٣٩٠٨): **العيافة**: زجر الطير **والطرق**؛ الخط يخط في الأرض. **والجبت**؛ قال الحسن: «إنه الشيطان». وقال الخطابي في معالم السنن بحاشية السنن (٤/٣٢٩): قد فسره أبو عبيد فقال: العيافة زجر الطير. يقال منه عفت الطير أعيفها عيافة قال: ويقال في غير هذا ـ عافت الطير تعيف عيفاً إذا كانت تحوم على الماء. . .قال وأما الطرق فإنه الضرب بالحصى. . . وأصل الطرق الضرب ومنه سميت مطرقة الصائغ والحداد لأنه يطرق بها، أي يضرب بها ا.هـ.

(٥) رواه أبو داود (الطب ـ باب (٢٢) في النجوم ـ ٤/٢٢٦ رقم ٣٩٠٥)، وابن ماجه (الأدب ـ باب =

وأخرج النسائي (من حديث أبي)[١] هريرة رضي الله عنه: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً /٢٤٨/ وكل إليه»[٢] وهذه الأمور إنما كانت من الجبت والشرك لأنها مظنة للتعظيم الجالب للاعتقاد الفاسد.

ومن ذلك ما أخرجه أهل السنن والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد»[٣].

وأخرج أبو يعلى[٤] بسند جيد موقوفاً[٥]: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد

= (٢٨) تعلم النجوم - ١٢٢٨/٢ رقم ٣٧٢٦) وأحمد المسند (٢٢٧/١، ٣١١) حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٣٩/٢).

(١) في الأصل (عن حديث أبو هريرة) والمثبت هو الصواب وكما في (أ) و(ب).

(٢) رواه النسائي في سننه (تحريم الدم - باب الحكم في السحرة - ١٢٨/٧ رقم ٤٠٩٠) أشار إلى تضعيفه المنذري (الترغيب ٥١/٤) وضعفه الذهبي في الميزان (٣٧٨/٢). فقال: «هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه» أي بين الحسن البصري وأبي هريرة. وضعفه الإمام الألباني في غاية المرام (ص: ١٧٥). والدوسري في النهج السديد (ص: ١٣٤) رقم (٢٦٥) والعصيمي في الدر النضيد (ص٩٠ رقم ٦٥) وحسنه ابن مفلح في الآداب المرعية (٧٨/٣) وليس الأمر كما قال. وللجملة الأخيرة شاهد صحيح تقدم (ص ٢٨٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٤٢٩/٢)، وإسحٰق بن راهويه (٤٣٤/١) وأسانيدهما ضعيفه فيها انقطاع وإرسال، وأخرجه الحاكم (٨/١) وعنه البيهقي (١٣٥/٨) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه». قال الذهبي: «إسناده قوي» وصححه العراقي والمناوي. * أنظر فيض القدير (٢٣/٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٩٣٩).
تنبيه: ليس الحديث عند أهل السنن كما ذكر المصنف ... انظر تيسير العزيز الحميد (ص٤٠٩).
غريب الحديث: الكاهن: الذي يتعاطىٰ الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعى معرفه الأسرار (النهاية في غريب الحديث ٢١٤/٤). العراف: المنجم أو الحازي الذي يدعى علم الغيب وقد استأثر الله به (النهاية ٢٢٠/٣) وهو يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات اسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله كالذي يدعى معرفه الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوها. (النهاية: ٢١٥/٤).

(٤) الامام الحافظ المسند ابو يعلى أحمد بن علي بن المثنىٰ بن يحيى التميمي الموصلي محدّث الموصل وصاحب المسند والمعجم ولد سنة ٢١٠ هـ لقي الكبار وارتحل إلى الأمصار اثنى عليه الأئمة ت سنة ٣٠٧ هـ انظر السير (١٧٤/١٤) تذكرة الحفاظ (٧٠٧/٢).

(٥) في الأصل و (أ) و (ب) مرفوعاً، والتصويب من المراجع.

كفر بما أنزل على محمد»[1] وأخرج نحوه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن[2] والعلة الموجبة للحكم بالكفر ليست إلا اعتقاد أنه مشارك لله تعالى في علم الغيب. مع أنه في الغالب يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد ولكن من حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه[3].

ومن ذلك ما في الصحيحين وغيرهما عن زيد بن خالد[4] قال: (صلى)[5] لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح على إثر سماء من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس

---

(١) أخرجه البزار (٢/٤٤٣ رقم ٢٠٦٧ ـ كشف الأستار). والبيهقي (٨/١٣٦)، والطبراني في الكبير (ج١٠ رقم ١٠٠٠٥)، وقال المنذري في الترغيب (٤/٥٣): «رواه البزار وابو يعلى بإسناد جيد موقوفاً». وقال الهيثمي في المجمع (٥/١١٨): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار ورجال الكبير والبزار ثقات» وقال الحافظ في الفتح (١٠/٢٢٨): «بسند جيد»، وقال: «مثله لا يقال بالرأي»، وصححه العصيمي في الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص: ٩٦ رقم ٧١) وكذا الدوسري في النهج السديد (ص: ١٥٠ رقم ٣٠٢).

(٢) لم يخرجه الطبراني، وقد وقع للشوكاني رحمه الله سبق نظر حينما كان ينقل من كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب رحمه الله، حيث ذكر الإمام ابن عبد الوهاب حديث أبي يعلى المتقدم ثم أتى بحديث عمران بن الحصين مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه . . .» الحديث. قال ابن عبد الوهاب بعده: ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أتى . . .» إلى آخره.. فعلى ذلك الشاهد من الحديث الذي أراده الشوكاني لم يروه الطبراني من حديث ابن عباس، بل روى الشطر الأول كحديث عمران بن الحصين من حديث ابن عباس والله أعلم. (أنظر الترغيب: ٤/٥٢) وقال المنذري: «إسناده حسن» ومجمع الزوائد (٥/١١٧) وقال الهيثمي: «فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف» أ.هـ. ويتقوى بشاهده من حديث عمران بن حصين، والله أعلم.

(٣) قلت: بل العكس فإن الذاهب إلى الكاهن أو العراف لا يذهب إلاّ لظنه أنه يعلم الغيب وإلا فلم يذهب إليه، ويسأله عن ضالته ويعتقد ما يقوله له؟

(٤) زيد بن خالد الجهني يكنى أبا عبد الرحمٰن، وقيل: أبو زرعة وقيل: أبو طلحة، سكن المدينة وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، حديثه في الصحيحين وغيرهما؛ توفي سنة ٧٨ بالمدينة وله ٨٥ سنة وقيل سنة ٦٨ هـ وقيل سنة ٥٠ هـ وقيل في خلافة معاوية، وقيل غير ذلك واختلف في مكان وفاته فقيل بالمدينة وقيل بمصر وقيل بالكوفة. رضي الله عنه وأرضاه وحشرنا مع سيد المرسلين آمين.

* أنظر ترجمته الإستيعاب (٤/٥٨) وأسد الغابة (٢/ ٢٨٤)، والإصابة (٤/ ٥٢).

(٥) ما بين قوسين ليس في (ب).

بوجهه الشريف، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب[1]، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك[2] كافر بي[3] مؤمن بالكواكب»[4].

ولا يخفى على العارف[5] أن العلة في الحكم بالكفر هي[6] ما في ذلك من إيهام المشاركة، وأين هذا ممن يصرح[7] في دعائه عند أن يمسه الضر بقوله: يا الله ويا فلان[8]، وعلى الله وعلى فلان فإن هذا يعبد إلهين[9] ويدعو اثنين.

وأما من قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا[10] /٢٤٩/ فهو لم يقل: أمطره ذلك النوء، بل: أمطر به وبين الأمرين فرق ظاهر.

---

(١) كلمة الكواكب في الحديث في (أ) و(ب) بالإفراد هكذا: الكوكب.
(٢) في (أ): فلذلك.
(٣) وقع في الأصل: فذلك مؤمن بالكواكب وكافر بي، والمثبت من (أ) و(ب).
(٤) أخرجه البخاري (الأذان ـ باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ـ ٢/٣٨٨ رقم ٨٤٦)وفي مواضع أخرىٰ ومسلم (الأيمان ـ باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ـ ١/٨٣ رقم ٧١).
(٥) في (أ) و(ب): عارف.
(٦) في (أ): هو.
(٧) في (أ) و(ب): يصرخ بالخاء المعجمة.
(٨) في الأصل: يالله يا فلان والمثبت من (أ) و(ب).
(٩) في (أ) و(ب): ربَّين.
(١٠) (كذا) الثانية ليست في (ب).

ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزوجل: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»[1]. وأخرج أحمد عن أبي سعيد[2] مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال، قالوا: بلى قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيزين صلاته لما يراه من نظر رجل»[3] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالحاً وَلاَ يُشْرِكْ بعبادةِ ربِّه أَحَدَاً ﴾[4] فإذا كان مجرد الرياء الذي هو فِعل الطاعة لله عز وجل مع محبة أن يطلع عليها غيره أو يثني بها أو يستحسنها شركاً فكيف بما هو محض الشرك.

ومن ذلك ما أخرجه النسائي أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت»[5][6].

---

(١) أخرجه مسلم (الزهد والرقائق ـ باب من أشرك في عمله غير الله ـ ٤/٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥).

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد من بني خُدْرة الخزرجي الأنصاري، ابو سعيد الخدري مشهور بكنيته، استصغر يوم أحد واستشهد أبوه بها، وغزا هو بعدها اثنتي عشرة غزوة وأول مشاهده الخندق، روى عن النبي ﷺ سنناً كثيرة ويعد من المكثرين في رواية الحديث وروى عن كبار الصحابة وروى عن جمع من التابعين، وكان من أفقه أحداث الصحابة وأفاضلهم اختلف في سنة وفاته فقيل، ٦٣ وقيل ٦٤ وقيل ٦٥ وقيل ٧٤هـ.
* انظر الاستيعاب (٤/١٦٢) وأسد الغابة (٦/١٤٢) والاصابة (٤/١٦٥)

(٣) أخرجه الامام أحمد (٣/٣٠) وابن ماجه (الزهد ـ باب الرياء والسمعة ـ ٢/١٤٠٦ رقم ٤٢٠٤) والحاكم (٤/٣٢٩) وصححه وقال البوصيري في الزوائد، إسناده حسن. وحسنه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب (ص: ٨٩ رقم ٢٧) وضعف أوله وحسن آخره العصيمي في الدر النضيد (ص: ١٢٦ ـ ١٢٧ رقم ١٠٠)

(٤) سورة الكهف، آية/١١٠.

(٥) جاء في نسخة (أ): ما شاء ثم ما شئت.

(٦) أخرجه النسائي (الأيمان ـ باب الحلف بالكعبة ـ ٧/١٠ رقم ٣٧٨٢) وفي اليوم والليلة ـ النهى أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان (٩٨٦) وأحمد (٦/٣٧١ ـ٣٧٢) وابن سعد في الطبقات (٨/٣٠٩) والطحاوي في مُشكل الآثار (١/٣٥٧) والطبراني (٢٥/ ١٤ رقم ٥) والحاكم (٤/٢٩٧) والبيهقي (٣/٢١٦) وابن الاثير في اسد الغابة (٧/٢٣٩) وصححه ابن حجر في الاصابة (١٣/ ٩٤) والالباني في الصحيحة رقم (١٣٦).

وأخرج النسائي ايضاً عن ابن عباس مرفوعاً أن رجلاً قال: ما شاء (الله)[1] وشئت ، قال: «أجَعَلتني لله نداً، ما شاء الله وحده»[2].

وأخرج ابن ماجه عن الطفيل[3] قال: "رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا إنكم (تقولون)[4]: عُزَير ابن الله. وقالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارىٰ فقلت: إنكم لانتم القوم /٢٥٠/ لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. وقالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.[فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «هل[5] أخبرت بها أحداً» قلت: نعم قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: (فإن)[6] طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم (عنها)[7]، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد](*) ولكن [قولوا][8] ما شاء الله وحده»[9]؛ والوارد في هذا الباب كثير،

---

(١) ما بين قوسين ليس في (أ).

(٢) رواه أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٧٨٣ فضل الله الصمد) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٨) وابن ماجه (الكفارات ـ باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت ـ ١/ ٦٨٤ رقم ٢١١٧) والبيهقي (٣/ ٢١٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩) وغيرهم وحسنه الالباني في الصحيحة رقم (١٣٩). قال الدوسري في النهج السديد ص: ٤٧ رقم ٨٢: إسناده محتمل للتحسين. وقال العصيمي في الدر النضيد: صحيح برقم (١١٧) وحسنه برقم (١١٩).

(٣) الطفيل بن سخبرة الأزدي، حليف قريش صحابي جليل أخو عائشة لأمها قدم أبوه مكة فحالف أبا بكر الصديق فمات فخلف أبو بكر بعده على أم رومان، فعلى ذلك فيكون الطفيل أكبر من عائشة ومن عبد الرحمن أخيها، له حديث في قوله: ما شاء الله وشاء محمد قال البغوي: لا أعلم له غيره.

* انظر الاستيعاب (٢١٧٥) وأسد الغابة (٣/ ٧٧) والاصابة (٥/ ٢٢٢).

(٤) ما بين قوسين ليس في (أ).

(٥) في (أ) و (ب) فهل

(٦) في (أ) و (ب) إن

(٧) ليست في (أ) و (ب).

(٨) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٩) أخرجه أحمد (٥/ ٧٢) والدارمي (الاستئذان ـ باب في النهي عن أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان ـ ٢/ ٩٥) وابن ماجه (الكفارات ـ باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت ـ ١/ ٦٨٥ رقم ٢١١٨) =

(*) مابين معقوفتين ، لحق من الحاشية وهو موافق لـ (أ) و (ب)

وفيه: أن التشريك في المشيئة بين الله ورسوله أو غيره من عبيده فيه نوع من الشرك، ولهذا جعل ذلك في هذا المقام الصالح كشرك اليهود والنصارى بإثبات ابن الله عز وجل، وفي تلك الرواية السابقة أنه إثبات نِدّ لله عز وجل.

ومن ذلك قوله ﷺ لمن قال: "من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى": «بئس خطيب القوم أنت» وهو في الصحيح[1].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في تفسير قوله: ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾[2] أنه قال: الأنداد أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو[3] أن يقول: واللهِ، وحياتكَ يا فلان، وَحَياتي، ويقول: "لولا كلبه هذا لأتانا [اللصوص][4] ولولا البط [في الدار][5] لأتى[6] اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان [لا تجعل فيها فلان[7] فإن] هذا كله [به] شرك انتهى[8].

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين[9] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول

= وغيرهم بأسانيد صحيحة قال البوصيري في الزوائد: رجال الاسناد ثقات على شرط البخاري.
* انظر السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٨).

(١) رواه مسلم (الجمعة ـ باب تخفيف الصلاة والخطبة ـ ٢/ ٥٩٤ رقم ٨٧) والنسائي (النكاح ـ باب ما يكره من الخطبة ـ ٦/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠ رقم ٣٢٧٩) وابو داود (الصلاة ـ باب الرجل يخطب على قوس ـ ١/ ٦٦٠ رقم ١٠٩٩) وعنده في (الأدب ـ باب (٨٥) ٥/ ٢٥٩ رقم ٤٩٨١).

(٢) سورة البقرة، آية/ ٢٢.

(٣) في الأصل: هي. والتصويب من (أ) و (ب) وتفسير ابن ابي حاتم (١/ ٨١) وابن كثير (١/ ٦١).

(٤) ما بين معقوفتين من تفسير ابن ابي حاتم (١/ ٨١) وفي تفسير ابن كثير (١/ ٦١) اللصوص البارحة.

(٥) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب) وتفسير ابن ابي حاتم (١/ ٨١).

(٦) في (أ): لأتانا.

(٧) أي لا تجعل في كلامك لولا الله وفلان بل قل: لولا الله وحده.
* انظر تيسير العزيز الحميد (ص: ٥٨٩).

(٨) رواه ابن ابي حاتم في تفسيره (١/ ٨١ رقم ٢٣٠) وكل ما بين معقوفتين في هذا الأثر فمنه.، وحسنه الدوسري في النهج السديد (ص: ٢٢١ رقم٤٦٢) والعصيمي في الدر النضيد (رقم ١١١).

(٩) كذا الأصل وفي (أ) و (ب) وكتاب التوحد لابن عبد الوهاب (الصحيح).

الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم أطعم ربك وضىء[1] ربك، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي، وليقل: فتاي، وفتاتي، وغلامي»[2] ووَجْهُ هذا النهي ما يفهم من مخاطبة السيد بمخاطبة العبد لربه، والرب لعبده، وإن لم يكن ذلك مقصوداً.

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله / ٢٥١/ ﷺ: «قال الله تعالى: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة"[3]».

ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله»[4].

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار يُجعل له بكل صورة صورها نفساً يُعذَّب بها في جهنم[5]» ولهما عنه مرفوعاً: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها[6] الروح وليس بنافخ[7]» وأخرج مسلم

---

(١) في الأصل و (أ) و (ب) (وأرضِ ربك) والتصويب من الحاشية والبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (العتق ـ باب كراهية التطاول على الرقيق، وقول عبدي وأمتي ـ ٥/ ٢١٠ رقم ٢٥٥٢) ومسلم (الأدب ـ باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد ـ ٤/ ١٧٦٤ رقم ٢٢٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (اللباس ـ باب نقض الصور ـ ١٠/ ٣٩٨ رقم ٥٩٥٣) و (التوحيد ـ باب قوله تعالى: ﴿ والله خلقكُم وما تعملون ﴾ ـ ١٣/ ٥٣٧ رقم ٣٥٥٩) ومسلم (اللباس والزينة ـ باب تحريم تصوير صورة الحيوان ـ ٣/ ١٦٧١ رقم ٢١١١)

(٤) أخرجه البخاري (اللباس ـ باب ما وطىء من التصاوير ـ ١٠/ ٤٠٠ رقم ٥٩٥٤) وله (الأدب ـ باب ما يجوز من الغضب والشدة ـ ١٠/ ٥٣٣ رقم ٦١٠٩) ومسلم (اللباس ـ باب تحريم صورة الحيوان ـ ٣/ ١٦٦٨ رقم ٩١ ـ ٩٢)

(٥) أخرجه البخاري (البيوع ـ باب بيع التصاوير التي فيها روح ـ ٤/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦ رقم ٢٢٢٥) (و اللباس ـ باب من صور صورة كلف يوم القيامة،أن ينفخ فيها وليس بنافخ ـ ١٠/ ٤٠٧ رقم ٥٩٦٣). ومسلم (اللباس ـ باب تحريم تصوير الحيوان ـ ٣/ ١٦٧٠ رقم ٢١١٠)

(٦) في (أ) و (ب) فيه وفي الأصل فيه ثم صححت إلى فيها وهو الموافق للروايات.

(٧) أخرجه البخاري (اللباس ـ باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح ـ ١٠/ ٤٠٧ رقم ٥٩٦٣) و (والتعبير ـ باب من كذب في حلمه ـ ١٢/ ٤٤٦ رقم ٧٠٤٢) ومسلم (اللباس ـ باب تحريم تصوير الحيوان ـ ٣/ ١٦٧١ رقم ١٠٠).

عن أبي[1] الهياج قال: قال لي عليّ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، «ألاّ تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته»[2]، فانظر إلى ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصورين لكونهم فعلوا فعلاً يشبه فعل الخالق وإن لم يكن ذلك مقصوداً لهم. وهؤلاء القبوريون قد جعلوا بعض خلق الله شريكاً له ومثلاً وندا فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه إلا بالله، وطلبوا منه ما لا يطلب إلا من الله مع القصد والإرادة.

ومن ذلك ما أخرجه النسائي ـ بسند جيد ـ عن عبد الله بن الشخير[3] قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا قال السيد الله تبارك وتعالى، قلنا: وأفضلنا (فضلاً)[4] وأعظمنا طولاً قال: «قولوا: بقولكم [أو بعض قولكم][5] ولا يستجرينكم[6] الشيطان[7]، وفي رواية: لا يستهوينكن الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»[8] /٢٥٢/.

وبالجملة فالوارد[9] عن الشرع من الأدلة الدالة على قطع ذرائع الشرك وهدم كل

---

(١) في (أ) و (ب)) ابن الهياج وهو خطأ.
وأبو الهياج هو حيان بن حصين، الاسدي الكوفي، ثقة التقريب (ص: ١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (الجنائز ـ باب الأمر بتسوية القبر ـ ٢/٦٦٦ رقم ٩٦٩).

(٣) عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب العامري له صحبة ورؤية يعد في البصريين وهو والد مطرف الفقيه.
☆ أنظر الاستيعاب (٦/٢٣٩) الإصابة (٦/١١٦) أسد الغابة (٣/٢٧٤).

(٤) من الحاشية وهي في بعض الروايات وهي في كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب، وقد علمت أنه ينقل عنه وليست في (أ) و (ب).

(٥) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب) ومصادر التخريج.

(٦) في (أ) و (ب) يستجرنكم.

(٧) تقدم تخريجه (ص: ٢٥٥)

(٨) أخرجها النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٤٨و٢٤٩) وأحمد (٣/١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩) وروى الشطر الأول منه ابن حبان (١٤ / ١٣٣ رقم ٦٢٤٠) وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٢٥٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٩) تصحفت العبارة في الأصل والتصويب من (أ) و (ب).

شيء يوصل إليه في غاية الكثرة، ولو رُمتُ حصر ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط، فلنقتصر على هذا المقدار، ونتكلم على حكم ما يفعله القبوريون من الاستغاثة بالأموات، ومناداتهم لقضاء الحاجات، وتشريكهم مع الله في بعض الحالات، وافرادهم بذلك في بعضها فنقول:

إعلم ان الله لم يبعث رسله و (لم)[1] ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم والرازق لهم ونحو ذلك. فإن هذا يقر به كل مشرك ثم ذكر[2] الآيات القرآنية الدالة على إخلاص التوحيد لله وحده الذي من أجله أنزل كتبه وأرسل رسله ليكون الدين كله له، وبيّـن أن المشركين لم يكونوا يعتقدون في شركائهم الاستقلال بالضر والنفع، بل كانوا يعتقدون فيهم أنهم وسائطُ وشفعاءُ الى الله عز وجل كما أخبرنا عنهم بقوله: ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ﴾[3] ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[4] فإذا وازنت بين ما يفعله الناس اليوم من نداء غير الله والاستعانة به والاستغاثة به والالتجاء إليه في النوائب والشدائد والخضوع له عند قبره، وبين ما كانت تفعله المشركون بآلهتهم لم تجد فرقاً بين الفريقين. إلى أن قال:[5] وإذا تقرر هذا فلا شك أن من اعتقد في ميت من الاموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه اما استقلالاً أو مع الله تعالى، وناداه أو توجه إليه أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ولا أفرده /٢٥٣/ بالعبادة إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجراً أو شجراً أو ملَكاً أو شيطاناً كما يفعل ذلك الجاهلية، وبين أن يكون إنساناً من الأحياء أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين، وكل عالم

---

(١) ما بين قوسين ليست في (أ) و (ب).
(٢) أي الشوكاني. وليس كل مشرك مقراً بهذا، بل كثير منهم.
(٣) سورة الزمر، آية/٣.
(٤) سورة يونس، آية/١٨.
(٥) من هنا بدأ الطمس في (ب).

يعلم هذا ويقرّ به، فإن العلة واحدة وعبادة غير الله وتشريك (معه غيره)[1] يكون للحيوان كما يكون للجماد، وللحي[2] كما يكون للميت، فمن زعم أن ثمّ فرقا بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع[3]، وبين من اعتقد في ميت من بني آدم أو حي[4] منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه الا الله تعالى فقد غلط غلطاً بيناً وأقر على نفسه بجهل كثير، فإن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو[5] التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب[6] به إلا إليه، ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكاً بالصنم والوثن والإلـه لغير الله زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن إذ ليس الشرك هو بمجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسماً آخر فلا اعتبار بالاسم[7] قط ، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل /٢٥٤/ لا يستحق أن يخاطَب بما يخاطَب (به)[8] أهل العلم، وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن الا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة، والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور[9] فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله سبحانه، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريباً

---

(١) في (أ) (غيره معه) وفي (ب) طمس.
(٢) في الأصل والحي، والمثبت من (أ) وطمس في (ب)
(٣) في (أ) وينفع، وفي ب طمس.
(٤) في الأصل ـ وحي ـ والمثبت من (أ) وفي (ب) طمس.
(٥) في الأصل واو. والمثبت من (أ) و (ب)
(٦) في الأصل يقرب، والمثبت من (أ) و (ب)
(٧) في الأصل في الاسم. والمثبت من (أ) و (ب).
(٨) ليست في (أ)
(٩) من هنا يبدأ طمس (ب) مرة ثانية.

منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك [الميت][1]، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله أو في مسجد من المساجد أو قريباً من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذباً، ولم يحلف بالميت الذي يعتقده.

وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدعُ أحدٌ منهم ميتاً أو حياً[2] عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضر قائلاً: يا فلان افعل لي كذا وكذا، وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك.

وأما التقرب للأموات[3] فانظر ما يجعلونه من النذور لهم، وعلى قبورهم في كثير من المحلّات، ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالىٰ لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء.

فإن قلت: إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله هو الضار والنافع[4] والخير والشر بيده وإن استغاثوا بالأموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله سبحانه.

قلت: وهكذا كانت الجاهلية فإنهم يعلمون أن الله هو الضار والنافع[5]، وأن الخير والشر بيده، وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه /٢٥٥/ العزيز[6].

نعم، إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقاً[7]، ولكن من زعم أنه لم يقع منه الا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين، وزاد على مجرد الاعتقاد، فتقرب إلى الأموات بالذبائح والنذور وناداهم مستغيثاً بهم عند الحاجة فهذا كاذب في دعواه أنه

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ).
(٢) من هنا يبدأ الوضوح في نسخة (ب).
(٣) في الأصل، بالاموات والتصحيح من (أ) و (ب).
(٤) الضار النافع في (أ) و (ب).
(٥) الضار النافع في (أ) و (ب).
(٦) قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفى﴾، سورة الزمر آية/ ٢.
(٧) وقد أبطلناه سابقاً بفضل الله ورحمته. ص: ٢٧٨ - ٢٧٩ وانظر قسم الدراسة (ص ٧٣ - ٨٠)

متوسل فقط، فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شيء من ذلك، فالمتوسَّل[1] به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح[2] ولا تعظيم [ولا اعتقاد، لأن المدعو هو الله سبحانه، وهو أيضاً المجيب، ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط، بل هو بمنزلة التوسل][3] بالعمل الصالح، فأي جدوى في رشوة من قد صار تحت أطباق الثرى بشيء من ذلك؟ وهل هذا إلا فعل من يعتقد التأثير إشتراكاً أو استقلالاً؟ ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدعاوى الباطلة العاطلة، بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه: يا فلان. منادياً لمن يعتقده من الأموات فهو كاذب على نفسه، ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالاً فليخبرنا ما معنى ما نسمعه[4] في الأقطار اليمنية من قولهم: يا ابن العجيل! يا زيلعي! يا ابن علوان! يا فلان، يا فلان! وهل ينكر هذا[5] منكر أو يشك فيه شاك، وماعدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم [وأعظم][6] وأعم، ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه، وفي كل مدينة جماعة منهم، حتى أنهم في حرم الله ينادون يا ابن عباس يا محجوب! فما ظنك بغير ذلك ؟! /٢٥٦/ ؛ فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم الله لغالب أهل الملة الاسلامية بلطيفة تزلزل الأقدام عن الإسلام، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

أين من يعقل معنى: ﴿ إن الذين تَدْعُون من دون الله عِبادٌ أمثالُكم ﴾[7] ﴿ فلا تدعو مع الله أحداً ﴾[8] ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون

---

(١) في الأصل المتوسل، ثم زيدت فاء بخط مغاير وفي (أ) و (ب) وفي الدين الخالص (٤/ ٧٢) فلا فاء أو واو، وفي المطبوع مع الرسائل السلفية ص١٦٤ والمتوسل والذي يظهر أن اثبات الواو أو الفاء هو الأنسب لسياق الكلام

(٢) في الأصل: وذبح، والمثبت من (أ) و (ب)

(٣) ما بين معقوفتين ساقط من الاصل والاستدراك من (أ) و (ب).

(٤) في (أ) و (ب) ما سمعه

(٥) في (أ) تكررت هذا.

(٦) ما بين معقوفتين من (أ)

(٧) سورة الأعراف، آية/ ١٩٤.

(٨) سورة الجن، آية/١٨ ووقع في (أ) و (ب) (ولا).

لهم ﴾[1] وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى: أن الدعاء عبادة في محكم كتابه بقوله تعالى: ﴿ أدعوني أستجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي .. ﴾[2] وأخرج أبو داود والترمذي، وقال: "حسن صحيح". من حديث النعمان بن بشير[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة»[4].

وفي رواية «مخ العبادة»[5] ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية المذكورة.

وأخرجه[6] [أيضاً][7] النسائي وابن ماجة والحاكم وأحمد وابن أبي شيبة باللفظ المذكور؛ وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك، وإخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف، ومن زعم أن ثَمَّ فرقاً بين الأمرين فليهده إلينا.

---

(١) سورة الرعد، آية/ ١٤. وتكملة الآية: ﴿ .. بشيء إلاّ كَباسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وما هُو بِبالِغِهِ وما دُعاءُ الكافِرينَ إلاّ في ضَلال ﴾.

(٢) سورة غافر، آية/ ٦٠، وتمام الآية: ﴿ سيَدخُلونَ جهنم داخرين ﴾.

(٣) النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد الخزرجي الأنصاري، ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بثماني سنين وسبعة أشهر، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة، كان عبد الله بن الزبير يقول: النعمان اكبر مني بستة أشهر، له ولأبيه صحبة يُكنىٰ أبا عبد الله، كان أميراً لمعاوية على الكوفة سبعة أشهر ثم اميراً على حمص لمعاوية ثم لابنه يزيد فلما مات يزيد دعا لعبد الله بن الزبير، فخالفه أهل حمص، فأخرجوه منها، وأتبعوه وقتلوه وذلك بعد وقعة مرج راهط، وكان كريماً جواداً شاعراً استشهد سنة ٦٥ هـ. * انظر الاستيعاب (١٠/ ٢٩٩). وأسد الغابة (٥/ ٣٢٦) والاصابة (١٠/ ١٥٨).

(٤) صحيح ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (باب فضل الدعاء ـ ٢/ ١٧٨ رقم ٧١٤) وابو داود (الصلاة ـ باب الدعاء ـ ٢/ ١٦١ رقم ١٤٧٩) والترمذي (التفسير ـ تفسير سورة البقرة ـ ٥/ ١٩٤ رقم ٢٩٦٩) (وتفسير سورة المؤمن ـ ٥/ ٣٤٩ رقم ٣٢٤٧) و (الدعوات ـ باب ما جاء في فضل الدعاء ـ ٥/ ٤٢٦ رقم ٣٣٧٢) والنسائي في الكبرى (كما في تحفة الاشراف٩/ ٣٠) وابن ماجه (الدعاء ـ باب فضل الدعاء ـ ٢/ ١٢٥٨ رقم ٣٨٢٨) وأحمد (٤/ ٢٦٧ و٢٧١ و٢٧٦ و ٢٧٧) وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠) وابن منده (٣٢٥) والحاكم (١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) وصححه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي والألباني: أحكام الجنائز (ص ١٩٤) وصححه النووي في الأذكار (٢/ ٩٣٣ رقم ١١٦٤). وقال الحافظ في الفتح (١/ ٦٤) "أخرجه أصحاب السنن بسند جيد".

(٥) رواه الترمذي (الدعوات ـ باب ما جاء في فضل الدعاء ـ ٥/ ٤٢٥ رقم ٣٣٧١) من حديث انس بن مالك وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. وضعفه الالباني في احكام الجنائز (ص: ١٩٤)

(٦) في (أ) و (ب) أخرج.

(٧) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

ومن قال: إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتهم، فقل له: فلأي مقتضى[1] صنعت هذا الصنيع[2]؟ فإن دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبَّرَ عنه لسانُك، فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من دون /٢٥٧/ اعتقاد منك لهم فأنت مصاب بعقلك.

وهكذا إن كنت تنحر لله وتنذر لله فلأي معنى جعلت ذلك للميت وحملته إلى قبره؟ فإن الفقراء على[3] ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض. وفعلك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصد قد قصدته، أو أمرٍ قد أردته، وإلا فأنت مجنون قد رُفع عنك القلم، ولا نوافقك على دعوى الجنون إلّا بعد صدور أفعالك وأقوالك في غير هذا على نمط أفعال[4] المجانين، فإن كنت تصدرها مصدر أفعال العقلاء فأنت تكذب على نفسك في دعواك الجنون في هذا الفعل بخصوصه، فراراً عن أن يلزمك ما لزم عباد [الاصنام و][5] الأوثان الذين[6] حكى عنهم الله في كتابه العزيز ما حكاه بقوله: ﴿ وجعلوا لله مما ذَرأَ من الحَرْثِ والأنعامِ نصيباً فقالوا: هٰذا لله بِزَعمِهم وهٰذا لِشُرَكائنا ﴾[7] وبقوله: ﴿ ويجعلون لِما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم، تاللهِ لتُسألُنَّ عما كنتم تفترون ﴾[8].

فإن[9] قلت: إن المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد، وهؤلاء المعتقدون في[10] الأموات يقرون بها[11].

---

(١) في (أ) و (ب) (مقتض).
(٢) في (أ) ـ الصنع.
(٣) في الأصل في . والتصويب من (أ) و (ب)
(٤) في (أ) فعال.
(٥) ما بين معقوفتين من (أ)
(٦) في الأصل: الذي والتصويب من (أ) و (ب)
(٧) سورة الأنعام، آية/ ١٣٦.
(٨) سورة النحل؛ آية/ ٥٦. وفي (أ)، لنسألن بالنون، وليست قراءة صحيحة.
(٩) في الأصل، فإذا. والمثبت من (أ) و (ب)
(١٠) في الأصل، المعتقدون والاموات. والتصويب من (أ) و (ب)
(١١) كذا في الأصل ثم صحح إلى لهم، والمثبت موافق (أ) و (ب) وغيرها والله أعلم،

قلت: هؤلاء إنما قالوها بألسنتهم وخالفوها بأفعالهم، فإن من استغاث بالأموات أو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، أو عَظَّمهم أو نَذَر عليهم(+) بجزء من ماله[1] أو نحر لهم فقد نزَّلهم[2] منزلة الآلهة[3] التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال، فهو لم يعتقد معنى لا إلـه إلا الله /٢٥٨/ ولا عمل به،(*) بل خالفها اعتقاداً وعملاً، فهو في قوله: لا إله إلا الله كاذب على نفسه، فإنه قد جعل إلـهاً غير الله يعتقد أنه يضر وينفع، وعَبَده[4] بدعائه عند الشدائد، والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له وتعظيمه إياه. ونحر له النحائر، وقرب إليه نفائس الأموال. وليس مجرد قوله: لا إله إلا الله من دون عمل بمعناها مثبتاً للاسلام. فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلاماً. فإن قلت: قد أخرج أحمد بن حنبل والشافعي في مسنديهما من حديث عُبيد الله[5] بن عدي بن الخيار[6] أن رجلاً من الأنصار حدثه (أن رجلاً) أتى[7] النبي ﷺ وهو في مجلسه فسارّه يستأذنه في قتل رجل من المنافقين. فجهر رسول الله ﷺ فقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال

---

(١) الأصل: من مال. والتصحيح من (أ) و (ب)

(٢) الاصل، أنزلهم والمثبت من (أ) و (ب)

(٣) في الأصل: وفي (ب) الالهية. والمثبت من (أ).

(٤) في الأصل فعبده، والمثبت من (أ) و (ب).

(٥) في الأصل: عبد الله ثم صححت إلى عبيد الله، وفي (أ) و (ب) والمطبوع وفي الدين الخالص عبد الله والصواب عبيد الله بالتصغير. وذلك بعد الرجوع الى أسانيد الروايات لهذا الحديث. ولم تأت إلا رواية واحدة خطأ عبد الله مكبراً قال في التمهيد (١٠/١٦٨) قال القاضي - اي اسماعيل بن اسحاق - هكذا في كتابنا عطاء بن يزيد أن عبد الله بن عدي بن الخيار... وانما هو عبيد الله بن عدي بن الخيار فقد اتفق على ذلك مالك بن أنس وليث بن سعد وسفيان بن عيينه ومعمر بن راشد، وابن جُريج وابو أويس.

(٦) هو عبيد الله بالتصغير ابن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي.. قال ابن حبان له رؤية وقال البغوي: بلغني أنه ولد على عهد النبي ﷺ ويقال: إن اباه قتل ببدر كافراً حكاه ابن ماكولا وقال ابن سعد: أسلم أبوه يوم الفتح والجمع أن عدي الاكبر قتل والأصغر أسلم وهو والد عبيد الله هذا، ولعبيد الله رواية عن عمر وعثمان وعلي والمقداد وغيرهم. وقال العجلي عن عبيد الله: تابعي ثقه من كبار التابعين. أ.هـ. توفي سنة خمس وتسعين.
* انظر الاستيعاب (٧/ ٨٢) واسد الغابة (٣/ ٥٢٦) والاصابة (٧/ ٢٢٣).

(٧) في (أ) و(ب): أنه اتى، وعبارة الاصل رواية لبعض المصنفين، الا أن فيها أن رجلاً من الانصار.

(*) كذا في: أو (ب) والرسائل السلفية وكذا الاصل الا انه زيد فيها بخط مغاير فاصبحت

(+) كذا في الاصل وفي النسخ الاخرى، الا أنه ضرب عليها في الاصل وكتب فوقها لهم، واثبت ماكان عليه الاصل لموافقته لما في النسخ

الأنصاري: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له. قال: أليس يشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: بلى. ولكن لا شهادة له. قال: أليس يصلي؟ قال: بلى، ولا صلاة له. قال: أولـئك الذين نهاني الله عن قتلهم[1].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد في قصة الرجل الذي قال: يا رسول الله اتقّ الله، وفيه قال خالد بن الوليد[2] رضي الله عنه: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: «لا. لعله أن يكون يصلي»، فقال خالد: كم من مصلٍ يقول بلسانه، ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق قلوبهم»[3]. ومنه /٢٥٩/ قوله ﷺ لأسامة بن زيد ـ رضي الله عنه[4]ـ لما قتل رجلاً من الكفار بعد

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/ ١٨٥) والشافعي في المسند(ص٣٢٠) والسنن(ح:٦٢٨) واحمد (٥/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) وعبد الرازق في المصنف (١٨٦٨٨) ومن طريقه اسماعيل بن اسحاق القاضي (كما في التمهيد١٠/ ١٦٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٧) والصغرى (٣/ ٢٨١ رقم ٣١٧٧) رواه مالك وابن جريج وابن عُيَيْنَه عن الزهري مرسلاً ورواه الليث وابو أويس ومعمر ومحمد بن أخي الزهري موصولاً وسمى معمر الرجلَ الأنصاري الذي حدثه وأنه عبد الله بن عدي الأنصاري. * انظر التمهيد (١٠/ ١٦١ ـ ١٧٠). قال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٤) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح أ.هـ. وصححه الحافظ ابن حجر في الاصابة (٦/ ١٦٤) في ترجمة عبد الله بن عدي.

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، المخزومي، سيف الله المسلول، أبو سليمان، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل قبلها. شهد غزوة مؤتة مع زيد بن حارثة وبعد مقتل الأمير الثالث أخذ الراية فانحاز بالمسلمين. وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة فأبلى فيها ثم شهد حنيناً والطائف وهدم العزىٰ. توفي في حمص سنة إحدى وعشرين وقيل توفي بالمدينة النبوية. * انظر ترجمة الإستيعاب (٣/ ١٦٣)، أسد الغابة (٢/ ١٠٩)، والإصابة (٣/ ٧٠).

(٣) رواه البخاري (المغازي ـ باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ـ ٧/ ٦٦٥ رقم ٤٣٥١)، ومسلم (الزكاة ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم ـ ٢/ ٧٤٢ رقم ١٤٤). وفي الروايات هنا ـ ولا أشق بطونهم، وأحمد (٣/ ٤).

(٤) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الحِب بن الحِب يكنىٰ أبا محمد ويقال أبو زيد، ولد في الإسلام ومات النبي ﷺ وعمره عشرون سنة وقيل ثماني عشرة. أمّره رسول الله ﷺ على جيش عظيم فمات ﷺ قبل أن ينفذه فأنفذه أبو بكر، وكان عمر يُجله ويكرمه وكان يقدمه في العطاء على ابنه عبد الله؛ اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان. وسكن المزة ثم وادي القرىٰ ثم المدينة فمات بها بالجرف سنة ٥٤ هـ وقيل غير ذلك. * انظر الإستيعاب (١/ ١٤٣)، وأسد الغابة (١/ ٧٩)، والإصابة (١/ ٤٥).

أن قال: لا إله إلا الله. فقال له ﷺ: فما تصنع بلا إله إلا الله فقال: يا رسول الله إنما قالها تقية [فقال: هل شققت عن قلبه؛ هذا معنى الحديث][1] وهو في الصحيح[2].

قلت (و)[3] لا شك أن من قال: لا إله إلا الله ولم يتبين من أفعاله ما يخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقون الدم والمال إذا جاء بأركان الإسلام المذكورة [في حديث][4]: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويحجوا البيت، ويصوموا رمضان»[5] وهكذا من قال: لا إله إلا الله متشهداً بها شهادة الإسلام، ولم يكن قد مضى عليه من الوقت ما يجب فيه شيء من أركان الإسلام، فالواجب حمله على الإسلام [عملاً][6] بما أقر به لسانه، وأخبر به من أراد قتاله، ولهذا قال ﷺ لأسامة بن زيد ما قال.

وأما من تكلم بكلمة التوحيد وفعل أفعالاً تخالف التوحيد كاعتقاد هؤلاء المعتقدين في الأموات فلا ريب أنه قد تبين من حالهم خلاف ما حكته ألسنتهم من إقرارهم بالتوحيد. ولو كان مجرد التكلم بكلمة التوحيد موجباً للدخول في الإسلام والخروج من الكفر سواء فعل المتكلم بها ما يطابق التوحيد أو يخالفه، لكانت نافعة لليهود مع أنهم يقولون عزير ابن الله وللنصارى مع أنهم يقولون المسيح ابن الله، وللمنافقين مع أنهم يكذبون بالدين، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. وجميع هذه

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٢) رواه البخاري (المغازي - باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات - ٧/ ٥٩٠ رقم ٤٢٦٩) و(الديات - باب قول الله تعالى ومن أحياها - ١٢/ ١٩٩ رقم ٦٨٧٢)، ومسلم (الايمان - باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله - ١/ ٩٦ رقم ٩٦) وغيرهما.

(٣) ما بين قوسين ليست في (أ) و(ب).

(٤) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٥) رواه البخاري (الإيمان - باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة... الآية - ١/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٢٥) ومسلم (الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله... - ١/ ٥٣ رقم ٢٢) وروي عن عدة صحابة، ولم أجد «ويحجوا البيت ويصوموا رمضان» في هذه الروايات، وقد سألت بعض أهل العلم في هذا الفن فلم يجدها أيضاً وقال: وصنيع الشراح يدل على أنها لم ترد، والله أعلم.

(٦) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

الطوائف الثلاث يتكلمون بكلمة التوحيد[1]، بل لم تنفع الخوارج فإنهم من أكمل الناس توحيداً وأكثرهم عبادة، وهم كلاب النار، وقد أمرنا رسول الله ﷺ /٢٦٠/ بقتلهم مع أنهم لم يشركوا [بالله، ولا خالفوا معنى لا إله إلا الله، بل وحدوا الله توحيده، وكذلك المانعون الزكاة هم موحدون لم يشركوا][2] ولكنهم تركوا ركناً من أركان الإسلام، ولهذا أجمعت[3] الصحابة رضي الله عنهم على قتالهم. بل دلّ الدليل الصحيح المتواتر على ذلك، وهو الأحاديث الواردة بألفاظ منها:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويحجوا البيت، ويصوموا رمضان، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها»[4] فمن ترك أحد هذه الخمسة[5] لم يكن معصوم الدم ولا المال، وأعظم من ذلك تارك معنى التوحيد أو المخالف[6] له بما يأتي به من الأفعال. ا.هـ .

فإن قلت هؤلاء المعتقدون في الأموات لا يعلمون بإن ما يفعلونه شرك بل لو عُرِض أحدهم على السيف لم يُقِرَّ بأنه مشرك بالله، ولا فاعل لما هو شرك، ولو علم أدنى علم أن ذلك شرك لم يفعله.

قلت: الأمر كما قلت ولكن (الأمر)[7] لا يخفى عليك كما[8] تقرر في أسباب الردّة أنه لا يعتبر في ثبوتها العلم بمعنى ما قاله من جاء بلفظ كفري أو فعل فعلاً كفرياً.

---

(١) جاء في الحاشية: دعوى قول النصارىٰ لا إله إلاّ الله غير صحيحة بل يقولون باسم الأب والابن وروح القُدُس الخ ويسمون أهل التثليث. وأما قولهم بعد ذلك إله واحد (فإنهم) يتبرؤون منه قولاً واعتقاداً. ا.هـ.

(٢) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٣) في الأصل: اجتمعت، والمثبت من (أ) و(ب).

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٢١٤) وأنبه على أن الحج والصيام ليست في رواية هذه الأحاديث.

(٥) في (أ) و(ب): الخمس.

(٦) في الأصل: المخالفة، والتصويب من (أ) و(ب).

(٧) ما بين قوسين ليس في (أ) و(ب).

(٨) في (أ) و(ب): ما.

وعلى كل حال، فالواجب على كل من اطلع على شيء من هذه الأقوال والأفعال التي اتصف بها المعتقدون في الأموات أن يبلغهم الحجة الشرعية، ويبين لهم ما أمره[1] الله ببيانه، وأخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه، كما حكى ذلك لنا في كتابه العزيز، فيقول لمن صار يدعو الأموات عند الحاجات، ويستغيث بهم عند حلول المصيبات، وينذر لهم النذور وينحر لهم النحور /٢٦١/ ويعظمهم تعظيم الربّ سبحانه: إن هذا الذي يفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية، وهو الذي بعث الله رسوله بهدمه، وأنزل كتبه في ذمه، وأخذ على النبيين أن يبلغوا عباده أنهم لا يؤمنون حتى يخلصوا له التوحيد، ويعبدوه وحده فإذا علموا بهذا علماً لا يبقى معه شك ولا شبهة ثم أصروا على ما هم فيه[2] من الطغيان والكفر بالرحمٰن، وجب عليه أن يخبرهم بأنهم إذا لم يقلعوا عن هذه الغواية ويعودوا إلى ما جاءهم به رسول الله ﷺ من الهداية فقد حلت دماؤهم وأموالهم فإن رجعوا، وإلا فالسيف هو الحكم العدل، كما نطق به الكتاب والسنة في إخوانهم من المشركين[3].

فإن قلت: قد[4] ورد الحديث الصحيح بأن الخلائق يوم القيامة يأتون آدم فيدعونه ويستغيثون (به)[5] ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمّداً[6] ﷺ[7]،

قلت: أهل المحشر إنما يأتون هؤلاء الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله سبحانه، ويدعوا لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقف، وهذا جائز فأنه من

---

(١) في الأصل: أمر، والتصويب من (أ) و(ب).
(٢) في (أ): عليه، وفي (ب) مثل الأصل.
(٣) في (أ) و (ب) الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين في إخوانهم المشركين.
(٤) في (أ) و (ب): فقد.
(٥) ما بين قوسين من الأصل بخط مغاير. وليست في (أ). وفي المطبوع في الرسائل السلفية (ص ١٦٨) وغيرها. يستغيثون. وفي (ب) يستغيثون نه.
(٦) في الأصل و(أ) و (ب): محمد دون علامة النصب.
(٧) متفق عليه وقد تقدم تخريجه (ص ٢٨١).

طلب الشفاعة والدعاء المأذون فيهما، وقد كان الصحابة يطلبون من رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم كما في الحديث: يا رسول الله أدعُ الله أن يجعلني منهم لما أخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعون ألف، وحديث: «سبقك بها عكاشة[1]»[2].

وقول أم سليم[3]: يا رسول الله [خادمك أنس[4] أدع الله له[5] وقول المرأة التي كانت تصرع: يا رسول الله][6] ادع الله لي [وآخر الأمر][7] سألته الدعاء بأن لا تنكشف عند الصرع / ٢٦٢/ فدعا لها[8].

---

(١) عكاشة بن مِحصَن بن حُرْثان بن قيس بن مرة الأسدي حليف بني عبد شمس من السابقين الأولين وشهد بدراً ووقع ذكره في الصحيحين، مبشر بالجنة في الحديث: سبقك بها عكاشة، رضي الله عنه وأرضاه، استشهد في حروب الردة وكان من أجمل الرجال.
* انظر الإستيعاب (٨/ ١١٢) والإصابة (٧/ ٣٢).

(٢) هما حديث واحد. وقد أخرجه: البخاري (الطب ـ باب من اكتوى ، أو كوى غيره ـ ١٠/ ١٦٣ رقم ٥٧٠٥) و (فيه باب من لم يرقِ ـ ١٠/ ٢٢٢ رقم ٥٧٥٢) ومواضع أخرى ومسلم (الايمان ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ـ ١/ ١٩٩ رقم ٢٢٠).

(٣) أم سُليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها، فقيل سهلة وقيل رميلة، وقيل العميصاء وقيل الرميصاء، وهي أم أنس بن مالك بن النضر. مات زوجها مشركاً حينما أسلمت وتركته ثم تزوجها أبو طلحة وكان صداقها إسلامه. لها قصص مشهورة وهي التي كان ولدها يشكو فمات فتهيأت لزوجها وتحسنت له ثم قالت احتسب ابنك وقال لهما رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في ليتكما».
* انظر ترجمتها: الإستيعاب (١٣/ ٢٣٣)، والإصابة (١٣/ ٢٢٨).

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام من بني عدي بن النجار الصحابي الجليل القدر الإمام المفتي المقرىء والمحدث راوية الأنصار والإسلام أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني خادم رسول الله ﷺ ـ من وقت هجرته إلى وفاته ﷺ ـ وقرابته من النساء وتلميذه وتبعه روى عن النبي ﷺ علماً جماً وعن الخلفاء الثلاثة وكثير من الصحابة. دعا له رسول الله ﷺ. ومناقبه جمة اختلف في سنة وفاته فقيل سنة ٩١ و٩٢ ورجح كثيرون ٩٣ رحمه الله ورضي عنه.
* انظر طبقات ابن سعد (٧/ ١٧) والسير (٣/ ٣٩٥).

(٥) رواه البخاري (الدعوات ـ باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله ـ ١١/ ١٤٩ رقم ٦٣٤٤) ومسلم (المساجد ومواضع الصلاة ـ باب جواز الجماعة في النافلة. . .الخ ـ ١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ رقم ٦٦٠). . وكان دعاء النبي ﷺ له: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته».

(٦) ما بين معقوفين من (أ) و(ب).

(٧) ما بين معقوفين من (أ) و(ب) وجاء في الأصل «وقول امرأة أخرى».

(٨) رواه البخاري (المرضى ـ باب فضل من يصرع من الريح ـ ١٠/ ١١٩ رقم ٥٦٥٢)، ومسلم (البر =

ومنه إرشاده ﷺ لجماعة من الصحابة بأن يطلبوا من أويس القرني[1] [الدعاء][2] إذا أدركوه[3].

ومنه ما ورد في دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب[4]، وغير ذلك مما لا يحصَر حتى أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر لمّا خرج معتمراً: «لا تنسني[5] يا أُخَيَّ من دعائك»[6]. فمن جاء إلى رجل صالح واستمد منه أن يدعو له فهذا ليس من ذلك الذي يفعله المعتقدون في الأموات، بل هو سنة حسنة وشريعة ثابتة، وهكذا طلب الشفاعة ممن جاءت الشريعة المطهرة بأنه من أهلها كالأنبياء، ولهذا يقول الله لرسوله يوم القيامة: «سل تعطه، واشفع تشفع»[7] وذلك هو المقام المحمود الذي وعده الله به كما في كتابه العزيز.

والحاصل أن طلب الحوائج من الأحياء جائز إذا كانوا يقدرون عليها، ومن ذلك

= والصلة والآداب ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه الخ ـ ٤/ ١٩٩٤ رقم ٢٥٧٦)، وأحمد(١/ ٣٤٧).

(١) هو القدوة الزاهد سيد التابعين في زمانه، أبو عمرو، أويس بن عامر بن جزء بن مالك القَرَني المرادي اليمني وفد على عمر كان من أولياء الله المتقين ومن عباده المخلصين، وصفه رسول الله ﷺ أنه خير التابعين وأمر عمر بن الخطاب أن يطلب منه أن يستغفر له، ومناقبه جَمّة
* انظر طبقات ابن سعد (٦/ ١٦١) الحلية (٢/ ٧٩)، والسير(٤/ ١٩).

(٢) ما بين معقوفتين من: الدين الخالص (٤/ ٧٨).

(٣) روى مسلم؛ طلبَ الدعاء بالإستغفار (فضائل الصحابة باب ـ من فضائل أويس القرني - ٤/ ١٩٦٨ رقم ٢٥٤٢).

(٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل». أخرجه مسلم (الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار ـ باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ـ ٤/ ٢٠٩٤ رقم ٢٧٣٢) وأبو داود (الصلاة ـ باب الدعاء بظهر الغيب ـ ٢/ ١٨٦ رقم ١٥٣٤).

(٥) في الأصل و(أ) و(ب): لا تنساني وهو خطأ والتصويب من مصادر التخريج.

(٦) أخرجه أبو داود (الصلاة ـ باب الدعاء ـ ٢/ ١٦٩ رقم ١٤٩٨)، والترمذي (الدعوات ـ باب (١١٠) ـ ٥/ ٥٢٣ رقم ٣٥٦٢)، وقال حديث حسن صحيح؛ وابن ماجه (الحج ـ باب فضل دعاء الحاج ـ ٢/ ٩٦٦ رقم ٢٨٩٤) والبيهقي (٥/ ٢٥١) وفيه عاصم بن عبيد الله العمري ضعيف، وضعف الحديثَ غير واحد من أهل العلم، منهم صاحب عون المعبود (٤ / ٣٦٦) والألباني (ضعيف أبي داود ص: ١٤٧) وغيره.

(٧) سبق تخريجه (ص: ١١٥).

الدعاء فإنه يجوز استمداده من كل مسلم، بل يحسن ذلك، وكذلك الشفاعة من أهلها الذين ورد الشرع بأنهم يشفعون، ولكن ينبغي أن يعلم [أن][1] دعاء من يدعو له لا ينفع إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته، وكذلك [شفاعة][2] من يشفع لا تكون[3] إلا بإذن الله، كما ورد بذلك القرآن العظيم فهذا تقييد للمطلق[4] لا ينبغي العدول عنه بحال.

من شبه القبور

واعلم أن من الشبه الباطلة التي يوردها المعتقدون في الأموات: أنهم ليسوا كالمشركين من أهل الجاهلية، لأنهم إنما يعتقدون في الأولياء والصالحين وأولئك اعتقدوا في الأوثان والشياطين، وهذه الشبهة داحضة تنادي على صاحبها بالجهل، فإن الله سبحانه لم يعذر[5] من اعتقد في عيسى /٢٦٣/ عليه السلام وهو نبي من الأنبياء، بل خاطب النصارى بتلك الخطابات القرآنية، ومنها[6]: ﴿ يَا أَهلَ الكتَابِ لَا تَغلُوا في دِينِكُم وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاَّ الحَقَّ إنَّمَا المَسيحُ عِيسَى ابنُ مَريَم رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إلى مَريَمَ وَرُوحٌ مِنهُ فَآمِنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ ﴾[7] وقال لمن كان يعبد الملائكة: ﴿ ويَوم نحشُرُهُم جَمِيعَاً ثُمَّ نَقُولُ لِلمَلائكَةِ أَهـؤُلَاءِ إيَّاكُم كَانوا يَعبُدونَ * قَالُوا سُبْحَانَك أَنتَ وليُّنَا مِن دُونِهِم ﴾[8] ولا شك أن عيسى والملائكة أفضل من هؤلاء الأولياء والصالحين الذين صار هؤلاء القبوريون يعتقدونهم ويغلون في شأنهم. مع أن رسول الله ﷺ هو أكرم الخلق على الله، وسيّد ولد آدم، وقد نهى أمته أن يغلوا فيه كما غلت النصارى في عيسى [عليه السلام][9] ولم يمتثلوا [أمره، ولم

(١) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).
(٢) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).
(٣) في (ب): من شفع لا يكون.
(٤) في الأصل فهذا تقييد المطلق، والمثبت من (أ) و(ب).
(٥) في الأصل: يقرر، والمثبت من (أ) و(ب).
(٦) الواو ليست في (أ).
(٧) سورة النساء، آية/ ١٧٠؛ وفي (أ) و(ب): ورسوله، وهو خطأ.
(٨) سورة سبأ، آية/ ٤٠-٤١. والمثبت قراءة الجمهور: وقرأ حفص ويعقوب بالياء التحتية في يحشرهم ويقول (البدور الزاهرة ص٢٦١).
(٩) ما بين معقوفتين من (أ) و(ب).

يمتثلوا][1] ما ذكره الله في كتابه العزيز من قوله: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾[2] ومن قوله: ﴿ وَمَا أَدۡرَاكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ * ثم ما أدراك ما يومُ الدين * يوم لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـًٔا وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾[3] وما حكاه عن رسول الله ﷺ من أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً. وما قاله ﷺ لقرابته الذين أمره الله بإنذارهم بقوله: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[4] فقام داعياً لهم ومخاطباً لكل واحد[5] منهم قائلاً: «يا فلان ابن فلان لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أغني عنك من الله شيئاً يا بني فلان لا أغني عنكم من الله شيئاً»[6].

الغلو سبب للشرك

فانظر رحمك الله ما وقع من كثير من هذه الأمة من الغلو المنهي عنه، المخالف لما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ /٢٦٤/ كما يقول صاحب البردة رحمه الله تعالى[7] (ما نصّه هذا البيت)[8]:

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٢) سورة آل عمران، آية/١٢٨.

(٣) سورة الإنفطار، آية/١٧ـ١٩.

(٤) سورة الشعراء، آية/٢١٤.

(٥) في (أ): واحداً.

(٦) أخرجه البخاري (الوصايا ـ باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب ـ ٥/٤٤٩ رقم ٢٧٥٣)، و(المناقب ـ باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ـ ٦/٦٣٧ رقم ٣٥٢٧)، و(التفسير ـ باب ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ ـ ٨/ ٣٦٠ رقم ٤٧٧٠)، ومسلم(الإيمان ـ باب في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ـ ١/ ١٩٢ رقم ٢٠٦).

(٧) هو محمد بن سعد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ـ شرف الدين، أبو عبد الله، نسبته إلى بَوصير من أعمال بني سويف بمصر وأصله من المغرب، وتوفي في الإسكندرية سنة ٦٩٦هـ. له اشعار في مدح الرسول ﷺ فيها استغاثة به ﷺ وتعدٍ على مقام الربوبية، وقد عارض بعض قصائده عدة شعراء، وهذا البوصيري الشاعر غير البوصيري المحدث الحافظ شهاب الدين محمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني البوصيري الشافعيّ، وُلِد عام ٧٦٢ هـ وتوفي ٨٤٠ هـ.
* انظر ترجمة الأول في الوافي بالوفيات (٣/ ١٠٥)، والشذرات (٥/ ٤٣٢)؛ وترجمة الثاني: الضوء اللامع (١/ ٢٥١ـ٢٥٢)، وشذرات الذهب (٧/ ٢٢٣).

(٨) ما بين قوسين ليس في (أ) ولا (ب) ولا الدين الخالص ولا في الرسائل السلفية وهو في الأصل كما ترى. ولعل الإفصح أن يقول: ما نصه في هذا البيت.

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول[١] الحادث العمم

فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله ﷺ، وغفل عن ذكر ربه ورب نبيه[٢]. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا باب واسع قد تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الإسلام، حتى ترقوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا الخطاب، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب، من ذلك قول من يقول مخاطباً لابن العجيل:

هات (لي)[٣] منك يا ابن موسى إغاثة   عـاجـلاً في مسيرهـا[٤] حثـاثـة

فهذه محض الإستغاثة التي لا تصلح لغير الله، لميت من الأموات قد صار تحت أطباق الثرى منذ مئين من السنين. ويغلب على الظن أن مثل هذا البيت، والبيت الذي قبله إنما وقعا من قائلهما لغفلة وعدم تيقظ، ولا مقصد لهما إلا تعظيم جانب النبوة والولاية، ولو نُبها لتنبها، ورجعا وأقرا بالخطأ، وكثيراً ما يعرض ذلك لأهل العلم والأدب والفطنة. وقد سمعنا ورأينا.

فمن وقف على [شيء من][٥] هذا الجنس لحي من الأحياء فعليه إيقاظه بالحجج الشرعية فإن رجع، وإلا كان الأمر فيه كما أسلفناه. وأما إذا كان القائل قد صار تحت أطباق الثرى (فينبغي)[٦] إرشاد الأحياء إلى ما في ذلك الكلام من الخلل. وقد وقع في البردة والهمزية شيء كثير من هذا الجنس، ووقع أيضاً لمن تصدى لمدح نبينا محمد ﷺ ولمدح الصالحين والأئمة الهادين ما لا يأتي عليه الحصر /٢٦٥/ ولا يتعلق بالإستكثار منه فائدة، فليس المراد إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

---

(١) في الأصل: حلوك، والتصويب من (أ) و(ب) وغيرهما.

(٢) في (أ) و(ب): ورب رسول الله.

(٣) ما بين قوسين ليس في (أ).

(٤) في الأصل وباقي النسخ: سيرها، والمثبت هو الصحيح ليستقيم وزن الشعر. أو تحذف (لي) وتبقى (سيرها) على ما هي عليه.

(٥) ما بين معقوفتين من (أ) و(ب).

(٦) في الأصل: فيبقى، والمثبت من (أ) و(ب).

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(٢).

سبب خفاء الشرك

واعلم أن ما حررناه وقررناه من أن كثيراً مما يفعله المعتقدون في الأموات يكون شركاً قد يخفى على كثير من أهل العلم، وذلك لا لكونه خفياً في نفسه بل لأطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير وشب [عليه](٣) الصغير وهو يرى ذلك [ويسمعه] ولا [يرى ولا](٤) يسمع من ينكره، بل ربما يسمع من يرغب فيه، ويندب الناس إليه، وينضم إلى ذلك ما يظهره الشيطان للناس من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة وللعامة فيهم اعتقاد، وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور، ويستدروا منهم الأرزاق، ويقتنصوا(٥) النحائر، ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه، ويجعلوا، ذلك مكسباً ومعاشاً، وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات ويُجَمِّلون قبره بما يعظم في عين الواصلين إليه، ويوقدون في مشهده الشموع، ويوقدون فيه الأطياب، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة يجتمع فيها الجمع الجم، فينبهر الزائر ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القُرْب من الميت والتمسح باحجار قبره وأعواده، والإستغاثة به، والإلتجاء إليه، وسؤاله قضاء الحاجات /٢٦٦/ ونجاح الطلبات مع خضوعهم واستكانتهم، وتقريبهم إليه نفائس(٦) الأموال، ونحرهم أصناف النحائر فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة، وانقراض القرن بعد القرن، يظن الإنسان في مبادىء عمره

---

(١) سورة الذاريات، آية/ ٥٥.
(٢) سورة آل عمران، آية/ ٨.
(٣) ما بين معقوفتين من (أ).
(٤) ما بين معقوفتين من (أ) و(ب).
(٥) في الأصل: يقتصوا. وفي (أ) و(ب): يقتنصون. والمثبت من الرسائل السلفية (ص١٧٢) والدين الخالص (٤/ ٨١).
(٦) في (ب) نفاس.

وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات، ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك، بل يذهل عن كل حُجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه، وإذا سمع من يقول ذلك أنكره ونبا عنه سمعُه، وضاق به ذرعُهُ لأنه يبعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة، في وقت واحد عن شيء يعتقده من أعظم الطاعات إلى كونه من أقبح المقبحات، وأكبر المحرمات، مع كونه قد درج عليه الأسلاف ودب فيه الأخلاف، وتعاودته العصور، وتناوبته الدهور. وهكذا كل شيء يقلد الناس فيه أسلافهم ويحكمون العادات المستمرة، [و][1] بهذه الذريعة الشيطانية والوسيلة الطاغوتية بقي المشرك (من)[2] الجاهلية على شركه، واليهودي على يهوديته، والنصراني على نصرانيته، والمبتدع على بدعته، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وتبدلت الأمة بكثير من المسائل الشرعية غيرها، وألفوا ذلك، وتمرنت[3] عليه نفوسهم، وقبلته قلوبهم، وأنِسوا إليه حتى لو أراد من يتصدى للإرشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا بها غيرها لنفروا عن ذلك، ولم تقبله طباعهم، ونالوا ذلك المرشد بكلِّ مكروه، ومزقوا عرضه بكل لسان، وهذا كثير [جداً][4] موجود في كل فرقة من الفرق، لا ينكره إلا من هو عنهم /٢٦٧/ في غفلة.

وانظر إن كنت ممن يعتبر ما ابتليت به هذه الأمة من التقليد للأموات في دين الله، حتى صارت كل طائفة تعمل في جميع مسائل الدين بقول عالم من علماء المسلمين ولا تقبل قول غيره، ولا ترضى به. ولَيْتَها وقفت عند عدم القبول والرضا لكنها تجاوزت ذلك إلى الحط على سائر علماء المسلمين والوضع من شأنهم، وتضليلهم وتبديعهم، والتنفير عنهم ثم تجاوزوا ذلك إلى التفسيق والتكفير ثم زاد الشر حتى صار أهل كل مذهب كأهل ملة مستقلة لهم نبي مستقل، وهو ذلك العالم الذي قلدوه، فليس الشرع

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ) و(ب).
(٢) في الأصل: في، ولكن بخط مغاير. والمثبت من (أ) و(ب) وغيرهما.
(٣) في (أ) و(ب): مرنت.
(٤) ما بين معقوفتين من (أ).

إلا ما قال به دون غيره، وبالغوا وغَلَوا فجعلوا قوله مقدماً على قول الله ورسوله. وهل بعد هذه الفتنة والمحنة شيء من الفتن والمحن؟ فإن أنكرت هذا فهؤلاء المقلدون على ظهر البسيطة قد ملأوا الأقطار الإسلامية، فاعمد إلى أهل كل مذهب وانظر إلى مسألة من مسائل مذهبهم هي مخالفة لكتاب الله أو لسنة رسوله، ثم أرشدهم إلى الرجوع عنها إلى ما قاله الله ورسوله. وانظر بماذا يجيبونك فما أظنك تنجو من شرهم ولا تأمن من مضرتهم[1] وقد يستحلون[2] لذلك دمك ومالك، وأورعهم يستحل عرضك وعقوبتك.

وهذا يكفيك إن كان لك فطرة سليمة وفكرة مستقيمة، فانظر كيف خصوا بعض علماء المسلمين واقتدوا بهم في مسائل الدين، ورفضوا الباقين بل جاوزوا هذا إلى أن الإجماع ينعقد بأربعة من علماء هذه الأمة، وأن الحجة قائمة بهم، مع أن[3] في عصر كل /٢٦٨/ واحد منهم[4] من[5] هو أكثر علماً منه، فضلاً عن العصر المتقدم على عصره، والعصر المتأخر عن عصره، وهذا يعرفه كل من يَعرِف أحوال الناس، ثم تجاوزوا في ذلك إلى أنه لا اجتهاد لغيرهم، بل هو مقصور عليهم فكأن هذه الشريعة كانت لهم لا حظ لغيرهم فيها، ولم يتفضل الله على عباده بما تفضل عليهم، وكل [عالم][6] عاقل يعلم أن هذه المزايا التي جعلوها لهؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى إن كانت باعتبار كثرة علمهم وزيادته[7] على علم غيرهم فهذا مدفوع عند كل من له اطلاع على أحوالهم وأحوال غيرهم، فإن في أَتباع كل واحد منهم من هو أعلم منه، لا ينكر هذا إلا مكابر أو جاهل. فكيف بمن لم يكن من اتباعهم من المعاصرين لهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم؟

---

(١) في (أ) و(ب): معرتهم.

(٢) في الأصل: يستحلوا لذلك؛ وفي (أ): يستحلون بذلك؛ وفي (ب) يستحلوا بذلك. والمثبت من المطبوع (ص: ١٧٣) والدين الخالص (٤/٨٣)، وغيره.

(٣) في الأصل: أنهم. والتصويب من (أ) و(ب).

(٤) في (أ): في كل عصر منهم واحد.

(٥) في الأصل: ممن، والتصويب من (أ) و(ب).

(٦) ما بين معقوفتين من (أ) وأما في (ب) فهنا سقط أربع ورقات.

(٧) في الأصل: وزيادة، والمثبت من (أ).

[وإن كانت تلك المزايا بكثرة الورع والعبادة فالأمر كما تقدم، فإن في معاصريهم والمتقدمين عليهم والمتأخرين عنهم][1] من هو أكثر عبادة وورعاً منهم لا ينكر هذا إلا من لا يعرف تراجم الناس بكتب التواريخ.

[وإن كانت تلك المزايا بتقدم عصورهم فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعون أقدم منهم عصراً بلا خلاف، وهم أحق بهذه المزايا ممن بعدهم لحديث «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[2]][3].

وإن كانت تلك المزايا لأمر عقلي فما هو؟ أو لأمر شرعي فأين هو؟ ولا ننكر أن الله قد جعلهم بمحل من العلم والورع وصلابة الدين، وأنهم من أهل السبق في الفضائل والفواضل، ولكن الشأن في المتعصب لهم من أتباعهم القائل: إنه لا يجوز تقليد غيرهم، ولا يعتد بخلافه إن خالف، ولا يجوز لأحد من علماء المسلمين أن يخرج عن تقليدهم، وإن كان عارفاً بكتاب الله وسنة رسوله قادراً على العمل بما فيهما متمكناً من استخراج المسائل الشرعية منهما، فلم يكن مقصودنا إلا التعجب لمن كان له عقل صحيح وفكر رجيح، وتهوين الامر عليه فيما نحن بصدده من الكلام على ما يفعله المعتقدون للأموات، وأنه لا يغتر العاقل /٢٦٩/ بالكثرة وطول المهلة مع الغفلة، فإن ذلك لو كان دليلاً على الحق لكان ما زعمه المقلدون المذكورون حقاً [ولكان ما يفعله المعتقدون للأموات حقاً][4]. وهذا عارض من القول أوردناه للتمثيل ولم يكن من مقصودنا.

والذي نحن بصدده هو أنه إذا خفي على بعض أهل العلم ما ذكرناه وقررناه في حكم المعتقدين للأموات لسبب من أسباب الخفاء التي قدمنا ذكرها ولم يتعقل ما سقناه من الحجج البرهانية القرآنية والعقلية فينبغي أن تسأله:

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ).
(٢) تقدم (ص: ١٣٩).
(٣) ما بين معقوفتين من (أ).
(٤) ما بين معقوفتين من (أ).

ما هو الشرك؟

فإن قال: هو أن تتخذ مع الله إلٰهاً آخر كما كانت الجاهلية تتخذ الأصنام آلهة مع الله سبحانه.

قيل [له][1] وماذا كانت الجاهلية تصنعه لهذه الأصنام التي اتخذوها حتى صاروا مشركين؟

فإن قال: كانوا يعظمونها ويقربون لها ويستغيثون بها وينادونها عند الحاجات وينحرون لها النحائر ونحو ذلك من الأفعال الداخلة في مسمى العبادة.

فقل له: لأي شيء كانوا يفعلون لها ذلك؟

فإن قال: لكونها الخالقة الرازقة أو المحيية أو المميتة[2]، فأقرأ [عليه][3] ما قدمنا لك من البراهين القرآنية المصرحة بأنهم مقرون بأن الله الخالق الرازق المحيي المميت وأنهم إنما عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى، وقالوا: هم شفعاؤهم عند الله. ولم يعبدوها لغير ذلك، فإنه سيوافقك ولا محالة إن كان يعتقد أن كلام الله حق. وبعد أن يوافقك أوضح له أن المعتقدين في القبور قد فعلوا هذه الأفعال أو بعضها على الصفة التي قررناها وكررناها في هذه الرسالة، فإنه إن بقي فيه بقية من إنصاف وبارقة من علم وحصة[4] من عقل فهو /٢٧٠/ لا محالة يوافقك، وتنجلي عنه الغمرة وتنقشع عن قلبه سحائب الغفلة،ويعترف بأنه كان في حجاب عن معنى التوحيد الذي جاءت به السنة والكتاب.

فإن زاغ عن الحق وكابر وجادل فإن جاءك في مكابرته ومجادلته بشيء من الشبه فادفعه بالدفع الذي قد ذكرناه فيما سبق، فإنا لم ندع[5] شبهة يمكن إن يدعيَها مدع إلا وقد أوضحنا أمرها. وإن لم يأت بشيء في[6] جِدَاله بل اقتصر على مجرد الخصام والدفع

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ).
(٢) في الأصل: والمحيية والمميتة. والمثبت من (أ) والرسائل السلفية والدين الخالص.
(٣) ما بين معقوفتين من(أ).
(٤) في الأصل: وصحة، والتصويب من (أ) والدين الخالص (٤/ ٨٦) والرسائل السلفية (ص١٧٥).
(٥) في (أ): فإنما لم.
(٦) في الأصل: من، والتصويب من (أ).

المجرد لما[1] أوردته عليه من الكلام فاعدل معه عن حجة اللسان بالبرهان والقرآن إلى محجة السيف والسنان. فآخر الدواء الكي.

هذا إذا لم يمكن دفعه بما [هو][2] دون ذلك من الضرب والحبس والتعزير، فإن أمكن وجب تقديم الأخف على الأغلظ عملاً بقوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعلَّهُ يتذَكَّرُ أَو يَخْشَى ﴾[3] وبقوله تعالى: ﴿ ادْفعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسن ﴾[4].

ومن جملة الشبه التي عرضت لبعض أهل العلم ما جزم به السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله[5] تعالى في شرحة لأبياته التي يقول في أولها:

رجعت عن النظم[6] الذي قلت في النجدي[7][8]

---

(١) في الأصل: بما، والتصويب من (أ).

(٢) ما بين معقوفتين من (أ).

(٣) سورة طه، آية/ ٤٤.

(٤) سورة المؤمنون، آية/ ٩٦؛ وسورة فصلت، آية/ ٣٤.

(٥) هو العلامة الامام المحدث المجتهد المجدد محمد بن اسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني، من افذاذ علماء اليمن، حارب الشرك والتقليد، وكانت له اليد الطولى في التجديد، فإنه حاز على كثير من العلوم، كالحديث والفقه والأصول، رحل إلى الحرمين، وكانت وفاته في صنعاء، من مؤلفاته: سبل السلام شرح بلوغ المرام، وتوضيح الأفكار في علوم الحديث، وله قصيدة عصماء في مدح الامام محمد بن عبد الوهاب حينما بلغه من أخباره السارّة. ت سنة ١١٨٢هـ رحمه الله تعالى آمين.
* انظر ترجمته البدر الطالع(٢/ ١٣٣ ـ ١٣٩).

(٦) في(أ). القول.

(٧) هو الامام العلامة شيخ الاسلام المجدد لعلوم الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، كان كثير الذكر لله قَلَّ ما يفتر لسانه عن ذكر الله، كان سخي النفس عطاؤه عطاء من يثق بالله ولا يخشى الفقر. رأى الشرك قد أحاط في تلك البلاد فدعا للتوحيد ونصر الله به الدين، وما يزال العالم الإسلامي يعيش في بركة دعوته رغم الشائعات المغرضة والدعايات الكاذبة. من أهم مؤلفاته كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ت سنة ١٢٠٦ هـ.
* أنظر عنوان المجد (ص: ٨٩).

(٨) يقال: انه نظم هذه القصيدة بعد ما نظم قصيدته الأولى في مدح الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب=

فإنه قال: إنَّ كُفر[1] هؤلاء المعتقدين للأموات هو من الكفر العملي، لا الكفر الجحودي، ونقل ما ورد في كفر تارك الصلاة كما ورد في الأحاديث الصحيحة، وكفر تارك الحج كما في قوله تعالى: ﴿ فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين ﴾[2]، وكفر من لم يحكم بماأنزل الله كما في قوله تعالى: ﴿ ومَنْ لَمْ يَحكُم بِما أنزَلَ اللهُ فأولـئكَ هُمُ الكافِرون ﴾[3]. ونحو ذلك من الأدلة /٢٧١/ الواردة فيمن زنا، وفيمن[4] سرق[5]، ومن أتى امرأة حائضاً أو[6] امرأة في دبرها أو أتى كاهنا أو عرّافا[7] أو قال لأخيه يا

= النجدي. حينما بلغه من أخبار دعوته التجديدية، ثم إنه وصل إليه أخبار مخالفة لما كان يظن فنظم هذه القصيدة تراجعاً عن الأولى. هذا وقد فند الامام العلامة سليمان بن سحمان النجدي الحنبلي المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ نسبة هذه القصيدة للامام محمد بن اسماعيل الصَنْعاني. وان ما في هذه القصيدة الثانية مخالف ومناقض لكتبه في العقيدة ككتاب تطهير الاعتقاد وفي غيره. قال"وقد بلغني أن الذي وضع هذا النظم وشرحه رجل من ولد ولده وهو اللائق به لعدم معرفته ورسوخه في العلم". وقد رد الشيخ سليمان بن سحمان على هذه القصيدة وشارحها بكتاب سماه تبرئة الشيخين الامامين من تزوير اهل الكذب والمين، فانظره فإنه مهم. وهو كتاب مطبوع.

(١) كذا في(أ). وباقي الطبعات، واما في الأصل، فإنه سقط ثم زيد في خَرْجَة كلمة (فعل).

(٢) سورة آل عمران، آية/ ٩٧.

(٣) سورة المائدة، آية/ ٤٤. والحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً عملياً وقد يكون اعتقادياً. أنظر قسم الدراسة (ص: ٥٠).

(٤) في(أ) (ومن).

(٥) يشير إلى حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)، أخرجه البخاري (المظالم ـ باب النُهبىٰ بغير إذن صاحبه ـ٥/ ١٤٣ رقم ٢٤٧٥) ومسلم (الايمان ـ باب نقصان الايمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية ١/ ٧٦ رقم ٥٧).

(٦) في الأصل(و) والمثبت من(أ).

(٧) ورد في ذلك حديث يجمع الثلاثة أخرجه أبو داود (الطب ـ باب في الكاهن ـ ٤/ ٢٢٥ رقم ٣٩٠٤) والترمذي (الطهارة ـ باب كراهية إتيان الحائض ـ ١/ ٢٤٢ رقم ١٣٥) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الاشراف (١٠/ ١٢٤) وابن ماجه (الطهارة ـ باب النهي عن إتيان الحائض ـ ١/ ٢٠٩ رقم ٦٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»، قال الترمذي وضعف محمد ـ يعني ابن اسماعيل البخاري ـ هذا الحديث قبل إسناده أ.هـ. وصححه الالباني في الارواء رقم (٢٠٠٦) وصحيح سنن الترمذي (١/ ٤٤ رقم ١١٦). قال العصيمي في الدر النضيد (ص: ٩٤). وجملة الكاهن صحيحة لما يأتي من شواهدها. أما جملة: من أتى حائضاً فقد كفر، فمنكرة لا يعرف لها =

كافر[1].

قال: فهذه الأنواع من الكفر، وإن أطلقها الشارع على فِعل هذه الكبائر فإنه لا يخرج به العبد عن الإيمان ويفارق به الملة، ويباح به دمه وماله وأهله كما ظنه من لم يفرق بين الكفرين و [لم يميز][2] بين الأمرين. وذكر ما عقده البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان في "كفر دون كفر" وما قاله العلاّمة ابن القيم: إنّ الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة من الكفر العملي.

وتحقيقه أن الكفر: كفر عملٍ[3] وكفر جحود وعناد. فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً، فهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه.

وأما كفر العمل فهو نوعان: -

١ - نوع يضاد الايمان.

٢ - ونوع لا يضاده.

ثم نقل عن ابن القيم كلاماً في هذا المعنى، ثم قال السيد المذكور: «قلت: ومن هذا - يعني الكفر العملي - من يدعو الأولياء ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم، ويقبل جداراتها وينذر لها بشيء من ماله؛ فإنه كفر عملي لا اعتقادي، فإنه مؤمن بالله وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر، لكن زين له الشيطان أنَّ هؤلاء عباد الله الصالحين ينفعون ويشفعون ويضرون، فاعتقدوا ذلك كما اعتقده أهل الجاهلية في[4] الأصنام، لكن هؤلاء مثبتون التوحيد لله لا يجعلون الأولياء آلهة كما قاله الكفار إنكاراً

= شاهد، وكذا جملة الاتيان في الادبار لا يصح إلا النهي. أ.هـ.

(١) جاء في الحديث المرفوع «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء به أحدهما» أخرجه البخاري(الادب - باب ٧٣ من اكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال: - ٥٣١/١٠ رقم ٦١٠٣) وفي الباب عن ابن عمر وابي ذر.

(٢) ما بين معقوفتين من (أ).

(٣) في الاصل عملي، والمثبت من (أ).

(٤) في الأصل(من) والمثبت من (أ).

على رسول الله ﷺ لما دعاهم إلى كلمة التوحيد ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـهاً واحداً ﴾[1] فهؤلاء جعلوا لله شركاء/ ٢٧٢/ حقيقة فقالوا في التلبية: لبيك لا شريك لك إلا شريكا[2] هو لك، تملكه وما ملك. [فأثبتوا للأصنام شركة مع رب الأنام وإن كانت عباراتهم الضالة قد أفادت أنه لا شريك له][3] لأنه إذا كان يملكه وما ملك، فليس بشريك له تعالى بل (هو)[4] مملوك، فعباد الأصنام الذين جعلوا لله أنداداً واتخذوا من دونه شركاء، وتارة يقولون: شفعاء يقربونهم إلى الله زلفى - بخلاف جهلة المسلمين الذين اعتقدوا في أوليائهم النفع والضر فإنهم مقرون لله بالوحدانية وإفراده بالآلـهية وصدقوا رسله، فالذي[5] أتوه من تعظيم الأولياء كفر عمل لا اعتقاد، فالواجب وعظهم وتعريفهم جهلهم، وزجرهم، ولو بالتعزيز كما أُمرنا بحد الزاني وشارب الخمر[6] والسارق من أهل الكفر العملي... إلى أن قال: فهذه كلها قبائح محرمة من أعمال الجاهلية. فهو من الكفر العملي، وقد ثبت أن هذه الأمة تفعل اموراً من أمور الجاهلية هي من الكفر العملي كحديث: «أربع من أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن[7]: «الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة[8]» أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي مالك الأشعري[9]، فهذه من

(١) سورة ص، آية/ ٥.
(٢) في الأصل الا شريك والمثبت من(أ).
(٣) ما بين معقوفتين من(أ).
(٤) ليست في(أ).
(٥) في الأصل الذي، والمثبت من(أ).
(٦) في(أ) والشارب.
(٧) في الأصل: لا يتركوهن، والمثبت من(أ).
(٨) أخرجه مسلم (الجنائز - باب التشديد في النياحة - ٢/ ٦٤٤ رقم ٩٣٤). ولفظ مسلم: «أربع في أمتي» وليس من أمتي.
(٩) هو الصحابي الجليل الحارث بن الحارث الأشعري الشامي، ابو مالك، تفرد بالرواية عنه ابو سلاّم الاسود، وليس هو أبا مالك الأشعري الذي روى حديث المعازف فإن ذاك متقدم الوفاة استشهد في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة مختلف باسمه مشهور بكنيته، وأما صاحب الترجمة فمشهور باسمه وكنيته وتأخرت وفاته حتى روى عنه ابو سلاّم، وابو سلام ثقة يرسل من الثالثة.
* انظر الاستيعاب (٢/ ٢٢٧) وانظر الاصابة (٢/ ١٥٠) والتقريب (ص١٤٥ وص٥٤٥).

الكفر العملي لا تخرج بها الأمة عن الملّة. بل هم مع أتيانهم بهذه الخصلة الجاهلية أضافهم إلى نفسه فقال: «من أمتي».

فإن قلت: [أهل][1] الجاهلية تقول في أصنامها إنهم يقربونهم إلى الله زلفى كما يقوله[2] القبوريون، ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[3] كما يقوله[4] القبوريون.

قلت: لا سواء فإن القبوريين مثبتون التوحيد لله قائلون: إنه لا إلـه إلاّ هو، ولو ضربت عنقه على أن يقول: إن الولي إلـه مع الله /٢٧٣/ لما قالها، بل عنده اعتقاد جهل أن الوليّ لما أطاع الله كان له بطاعته عنده تعالى جاه به تُقْبل شفاعتُه، ويُرجى نفعه، لا أنه إلـه مع الله، بخلاف الوثني فإنه امتنع عن قول: لا إلـه إلاّ الله حتى ضربت عنقه زاعماً أن وثنه إله مع الله ويسميه رباً وإلهاً، [قال يوسف عليه السلام: ﴿ أأَرْبابٌ مُتَفرِّقونَ خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهّار ﴾[5] سماهم أرباباً لأنهم كانوا يسمونهم بذلك، كما قال الخليل: ﴿ هٰذا ربي ﴾[6] في الثلاث الآيات، مستفهماً لهم، مبكتاً[7] متكلماً على خطابهم حيث يسمون الكواكب أرباباً، وقالوا: ﴿ أجَعَل الآلِهَةَ إلـهاً واحداً ﴾[8] وقال [قوم][9] إبراهيم: ﴿مَن فَعَلَ هٰذا بآلِهَتنا ﴾[10] ﴿ أأنت فعلت هٰذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾[11] وقال إبراهيم: ﴿ أإفكاً آلهةً دونَ اللهِ تُريدون ﴾[12]. ومن هنا يُعلَم أن الكفار غير مُقرِّين بتوحيد الإلـهية والربوبية كما توهّمه من توهم من قوله:

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ).
(٢) في (أ) تقوله.
(٣) سورة يونس، آية/ ١٨.
(٤) في (أ) تقوله.
(٥) سورة يوسف، آية/ ٣٩.
(٦) سورة الأنعام، آية/ ٧٦ ـ ٧٨.
(٧) التبكيت: التقريع والغلبة بالحجة. أنظر القاموس المحيط (ص: ١٨٩).
(٨) سورة ص: آية/ ٥.
(٩) ما بين معقوفتين من(أ).
(١٠) سورة الأنبياء، آية/ ٥٩.
(١١) سورة الأنبياء، آية/ ٦٢.
(١٢) سورة الصافات، آية/ ٨٦.

﴿ ولَئِن سَألتَهُم مَّن خَلقَهم لَيَقولُنَّ [الله ﴾[1] ﴿ (ولئن سألتهم)[2] من خلق السموات والأرض ليقولن][3] خلقهن العزيز العليم ﴾[4]. ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ﴾ إلى قوله: ﴿ ليقولن الله ﴾[5]. فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما لا أنه اقرار بتوحيد الإلـهية[6]، لأنهم يجعلون أوثانهم أرباباً كما عرفت، فهذا الكفر الجاهلي[7] كفر اعتقاد ومن لازمه كفر العمل بخلاف من اعتقد في الأولياء النفع والضر مع توحيد الله والايمان به وبرسله وباليوم الآخر، فإنه كفر عمل، فهذا تحقيق بالغ، وإيضاح لما هو الحق من غير تفريط ولا إفراط[8] انتهى كلام السيد المذكور رحمه الله.

وأقول: هذا الكلام في التحقيق ليس بتحقيق بالغ، بل كلام متناقض متدافع، وبيانه:

---

(١) سورة الزخرف، آية/ ٨٧.

(٢) ما بين قوسين ساقط من (أ).

(٣) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والاستدراك من الآيات ثم من (أ) والمطبوع.

(٤) سورة الزخرف، آية/ ٩.

(٥) سورة يونس، آية/ ٣١.

(٦) قلت: إن الخلط هنا بين مفهوم الاقرار بتوحيد الربوبية والالهية مما يؤكد أن الرسالة المذكورة ليست من تأليف الامام الصنعاني، فإنه ممن ميز في رسالته تطهير الاعتقاد بين التوحيد وأنواعه، وهنا يقول: انهم مقرون بتوحيد الإلٰهية، وهذا لم يقله أحد غيره بين توحيد الربوبية والإلهية وأما قوله، فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوها، لا أنه إقرار بتوحيد الإلٰهية، ولعله يقصد الربوبية. فغير صحيح فإنهم أقروا بأعظم صفات الربوبية التي هي الخلق والرزق والتدبير والإحياء والاماتة والملك، وأقروا أيضاً أنه رب السموات والارض أفليس هذا إقراراً بالربوبية كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَبُّ السمٰوات السبع ورَبُّ العَرشِ العظيم * سيقولون للهِ، قُل أفَلا تتقون * قُل مَن بيده ملكوت كلِّ شيءٍ وهُوَ يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إن كنتم تعلمون * سيقولونَ للهِ، قُل فأنّىٰ تُسحَرون ﴾ المؤمنون/ ٨٦ ـ ٨٩ فهذا إقرار بأعظم صفات الربوبية ولذلك ألزمهم عز وجل بهذا الإقرار بتوحيده حق التوحيد، وبداهة أنهم لم يقروا بكل صفات الرب ولوازمها إذ لو أقروا لكانوا مؤمنين، والله أعلم.

(٧) في الأصل: والجاهل، والمثبت من (أ).

(٨) كذا في الأصل وأما في (أ) والرسائل السلفية(ص: ١٧٨) والدين الخالص(٤/ ٩٠) من غير إفراط ولا تفريط.

أنه لا شك أن الكفر[1] ينقسم إلى كفر اعتقاد وكفر عمل، لكن دعوى أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من كفر العمل /٢٧٤/ في غاية الفساد، فإنه قد ذكر في هذا البحث أن كفر من اعتقد في الأولياء [كفر عملي، وهذا عجيب! كيف يقول: كفر من يعتقد في الاولياء][2] ويسمي ذلك اعتقاداً ثم يقول: إنه من الكفر العملي. وهل هذا إلا التناقض البحت، والتدافع الخالص!!؟ انظر كيف ذكر في أول البحث أن كفر من يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد ويطوف بقبورهم، ويقبل جدراتها[3] وينذر لها بشيء من ماله، هو كفر عملي فليت شعري! ما هو الحامل له على الدعاء والاستغاثة وتقبيل الجدارات ونذر النذورات ؟ هل هو مجرد اللعب والعبث من غير[4] اعتقاد؟ فهذا لا يفعله الا مجنون. أم الباعث عليه الاعتقاد في الميت؟ فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الأفعال؟

ثم انظر كيف اعترف بعد أن حكم على هذا الكفر بأنه كفر عمل لا كفر اعتقاد بقوله: لكن زين له الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين، ينفعون ويشفعون فاعتقد ذلك جهلاً كما اعتقده أهل الجاهلية في الأصنام، فتأمل كيف حكم بأن هذا كفر[5] اعتقاد، ككفر أهل الجاهلية، وأثبت الاعتقاد واعتذر عنهم بأنه اعتقاد جهل، وليت شعري! أي فائدة لكونه اعتقاد جهل؟ فإن طوائف الكفر بأسرها وأهل الشرك قاطبة إنما حملهم على الكفر ودفع الحق والبقاء على الباطل الاعتقاد جهلاً. وهل يقول قائل: إن اعتقادهم اعتقاد علم حتى يكون اعتقاد الجهل عذراً[6] لأخوانهم المعتقدين في الأموات؟

ثم تمم الاعتذار بقوله: لكن هؤلاء مثبتون /٢٧٥/ للتوحيد إلى آخر ما ذكره. ولا يخفاك أن هذا عذر باطل فإن إثباتهم للتوحيد إن كان بألسنتهم فقط فهم مشتركون

---

(١) إلى هنا انتهى السقط من (ب).
(٢) ما بين معقوفتين من(أ) و (ب).
(٣) في (ب) جداراتها.
(٤) في(أ) و (ب) من دون.
(٥) في الأصل: هذا الكفر اعتقاد، والمثبت من (أ) و (ب).
(٦) في الأصل عذر.

في ذلك هم واليهود والنصارىٰ والمشركون والمنافقون، وإن كان بأفعالهم فقد اعتقدوا في الأموات ما اعتقده أهل الأصنام في أصنامهم. ثم كرر هذا المعنى في كلامه وجعله السبب في رفع السيف عنهم، وهو باطل فما ترتب عليه مثله: باطل، فلا نطول برده.

بل هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلى حدٍّ في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم. وهو: أن الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده، وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد من الأمور، كما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿ وإذا مَسَّكُمُ الضر في البحرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعونَ إلاّ إياهُ، فَلَمّا نَجّاكُم إلى البَرِّ أعرَضتُم، وكانَ الإنسانُ كَفوراً ﴾[1] وبقوله تعالى: ﴿ قُل أرأيتكُم إنْ أتاكُم عذابُ اللهِ أو أتتكُمُ الساعةُ أغَيرَ اللهِ تدعونَ إنْ كنتم صادقين﴾[2] وبقوله: ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دَعا رَبَّه مُنيباً إليهِ ثُمَّ إذا خَوَّلَهُ نعمةً مِنْهُ نَسِيَ ما كان يَدعو إليهِ مِن قَبل ﴾[3] وبقوله تعالى: ﴿ وإذا غَشِيَهُم مَوجٌ كالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[4] بخلاف المعتقدين في الأموات فإنهم إذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور، وقَلّ من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال. وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج[5] أنه اضطرب اضطراباً شديداً فسمع من أهل السفينة من الملاحين وغالب الراكبين معهم ينادون /٢٧٦/ الأموات ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون الله قط. قال: ولقد خشيت في تلك الحال الغرق لما شاهدته من الشرك بالله.

وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء أن كثيراً منهم إذا حدث له ولد جعل قسطاً من ماله لبعض الأموات المعتقَدين، ويقول: إنه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا، فإذا عاش حتى يبلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجُعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال.

وبالجملة، فالسيد المذكور رحمه الله قد جرد النظر في بحثه السابق إلى الإقرار

---

(١) سورة الاسراء، آية/ ٦٧.
(٢) سورة الأنعام، آية/ ٤٠.
(٣) سورة الزمر، آية/ ٨.
(٤) سورة لقمان، آية/ ٣٢.
(٥) في الأصل اللجج وفي حاشيته اللجي والتصويب من(أ) و(ب).

بالتوحيد الظاهري، واعتبر مجرد التكلم بكلمة التوحيد [فقط، من دون نظر إلى ما ينافي ذلك من افعال المتكلم بكلمة التوحيد][1]. ويخالفه من اعتقاده الذي صدرت عنه تلك الأفعال المتعلقة بالأموات، وهذا الاعتبار لا ينبغي التعويل [عليه][2] ولا الاشتغال به، فالله سبحانه إنما ينظر إلى القلوب، وما صدر من الأفعال عن اعتقاد لا إلى مجرد الالفاظ، وإلا لما كان فرق بين المؤمن والمنافق.

وأما ما نقله السيد المذكور (رحمه الله)[3] عن ابن القيم في أول كلامه من تقسيم الكفر إلى عملي واعتقادي فهو كلام صحيح وعليه جمهور المحققين، ولكن لا يقول ابن القيم ولا غيره: إن الاعتقاد في [الأموات][4] على الصفة التي ذكرها هو من الكفر العملي. وسننقل ههنا كلام ابن القيم في أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من الشرك الأكبر كما نقل عنه السيد رحمه الله في كلامه السابق، ثم نتبع ذلك بالنقل عن بعض أهل العلم، فإن السائل كَثّر الله فوائده قد طلب ذلك /٢٧٧/ في سؤاله.

فـنـقـول: قال ابن القيم في (شرح المنازل)[5] في باب التوبة:

وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر،

فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله، بل اكثرهم يحبون الهتهم أعظم من محبة الله، [ويغضبون][6] لمنتقص معبودهم من المشايخ أعظم مما (يغضبون)[7] اذا انتقص أحد رب العالمين، وقد شاهدنا [هذا][8] نحن

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).
(٢) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).
(٣) ليست في (أ).
(٤) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).
(٥) مدارج السالكين (٢٣٩/١/ طبعة الفقي) بتصرف واختصار يسيرين.
(٦) ما بين معقوفتين من (أ) و(ب).
(٧) في الأصل يبغضون، والمثبت من(أ) و(ب).
(٨) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

وغيرنا[1] منهم جهرة، ونرى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر، وهو لا ينكر ذلك ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عباد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولـئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذها من البشر. قال الله تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء ﴿ والذِينَ ٱتخذوا مِن دونِهِ أولياءَ ما نَعبُدُهم إلاّ لِيُقرِّبونا إلى اللهِ زُلفىٰ، إنَّ اللهَ يحكُمُ بينَهم فِيما هُم فيهِ يختَلِفون * إنَّ اللهَ لا يهدي مَن هُو كاذِبٌ كَفّار ﴾[2]؛ فهكذا حال من اتخذ من دون الله ولياً[3] يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى، وما أعزّ من تخلص (من هذا)[4]! بل ما أعز من [لا][5] يعادي من أنكره، والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا (عين)[6] الشرك، وقد أنكر الله ذلك في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له. ثم ذكر الآية التي في سورة سبأ وهي قوله تعالى ﴿ قلِ ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾[7] وتكلم عليها ثم قال: والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر /٢٧٨/ الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، ويظنه في قوم قد خلوا ولم[8] يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما تُنقَض[9] عُرى الإسلام عُروة عُروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره

---

(١) كذا في الأصل و(أ) و(ب). وفي المطبوع مع الرسائل السلفية وغيرنا، والمثبت كما في المدارج(١/ ٣٣٩).

(٢) سورة الزمر، آية/ ٣ - ووقع في الأصل وفي (أ) و(ب) خطأ في الآية وجاءت هكذا يحكم بينهم يوم القيامة. ووقع خطأ في الأصل أيضاً في قوله يختلفون فوقعت مختلفون.

(٣) في الأصل أولياء والمثبت من(أ) و(ب). وهو موافق للمدارج(١/ ٣٤٠).

(٤) في الأصل بهذا والمثبت من(أ) و(ب) وهو موافق للمدارج.

(٥) ما بين معقوفتين ليست في الأصل ولا في (أ) و (ب)، وأثبتها من الرسائل السلفية (ص: ١٨١) وهي في المدارج (١/ ٣٤٠).

(٦) في الأصل: غير ثم صححت إلى عين. وفي (أ) غير، وفي (ب) عَين والمثبت موافق للمدارج.

(٧) سورة سبأ، آية/ ٢٢.

(٨) في (أ) قد دخلوا. وتكررت كلمة (لم) في الأصل.

(٩) في (ب) تنقص بالصاد المهملة.

وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه اهل الجاهلية فتنقض[1] بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفَّر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد، ويبدّع[2] بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع. ومن له بصيرة وقلب [حي][3] يرى ذلك عياناً والله المستعان.

ثم قال في ذلك الكتاب:

فصل

وأما الشرك الأصغر فكَيَسِير الرياء والحلف بغير الله، وقول: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده. ثم قال ابن القيم رحمه الله في ذلك الكتاب بعد فراغه من ذكر الشرك الأكبر والأصغر والتعريف لهما:

---

(١) في (أ) و (ب): فتنتقص وفي المدارج: فينقض.

(٢) في الأصل ويبتدع وكذا (أ) و (ب)، ثم صححت في الأصل كما أثبتّ، وهو الموافق للمدارج (١/٣٤٤).

(٣) ما بين معقوفتين من المدارج (١/٣٤٤) و (أ) و (ب) حتى، وفي الرسائل السلفية (ص١٨١) حي سليم.

ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ.

ومن أنواعه: التوبة للشيخ فإنها[1] شرك عظيم،

ومن أنواعه: النذر لغير الله والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند /٢٧٩/ غير الله وإضافة نعمه إلى غيره.

ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم. فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإن الله تعالىٰ لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب [لأذنه][2] كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن.

والميت محتاج إلى من يدعو له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة. فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة اهل التوحيد ونسبتهم إلى التنقص بالأموات. وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم[3] أمروهم به. وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما اكثر المستجيبين لهم، ولله در خليله ابراهيم، حيث يقول: ﴿ واجْنُبْني وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصنامَ * رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثيراً مِنَ النَّاس ﴾[4] وما نجا من شَـرَك هذا الشرك الأكبر

---

(١) في الأصل: فإنه. والمثبت من (أ) و (ب). والمدارج (١/ ٣٤٥).

(٢) سقطت من الأصل وفي (لأنه) والتصويب من المدارج (١/ ٣٤٦).

(٣) في (ب) أو.

(٤) سورة إبراهيم، آية/ ٣٥ ـ ٣٦.

إلا من جرّد توحيده لله وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله. انتهى كلام ابن القيم. [رحمه الله تعالىٰ][1].

فانظر كيف صرح بأن /٢٨٠/ ما يفعله هؤلاء المعتقدون في الأموات هو شرك أكبر بل أصل شرك العالم. وما ذكره من المعاداة لهم فهو صحيح ﴿ لا تَجِدُ قوماً يُؤمِنُونَ باللهِ واليوم الآخرِ يُوآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ ورَسولَه ﴾[2] ﴿ يا أيها الَّذينَ آمَنوا لا تتَّخِذوا عدُوّي وعَدُوَّكُم أولياء.. ﴾. إلى قوله ﴿ كَفرْنا بِكُم وبَدا بيْننا وبَينَكُمْ العداوةُ والبَغضاءُ أبداً حتىٰ تُؤمِنُوا باللهِ وحدَهُ ﴾[3].

وقال شيخ الاسلام تقي الدين[4] في الإقناع، إن من دعا ميتاً وإن كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر، وإن من شك في كفره فهو كافر.

وقال أبو الوفاء ابن عقيل[5] في الفنون: "لما صعبت التكاليف على الجهال والطَّغام عدلوا[6] عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها. فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، و [هم][7] عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيه يا مولاي: إفعل لي كذا وكذا، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات[8] والعزّى".

---

(١) من (أ).

(٢) سورة المجادلة، آية/ ٢٢.

(٣) سورة الممتحنة، آية/ ١ ـ ٤.

(٤) أي ابن تيمية رحمه الله تعالى. وانظر الإقناع (٤/ ٢٩٧).

(٥) هو الامام العلامة البحر شيخ الحنابلة ابو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف، من اشهرها الفنون، كان يتوقد ذكاءً، وكان بحر معارف وكنز فضائل لم يكن في زمانه له نظير على بدعته وهي ميله لمذهب المعتزلة ثم إن الله تعالى أنقذه منهم ببركة الصدق والإخلاص. وله في ذلك مصنفات منها كتابه: مسألة القرآن يرد فيه على الأشاعرة مقرراً عقيدة أهل السنة، توفي رحمه الله سنة ٥١٣ هـ.

* انظر ترجمته السير (١٩/ ٤٤٣) وطبقات الحنابلة (٢/ ٢٥٩). والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٤).

(٦) في (أ) وعدلوا.

(٧) من (أ) و (ب).

(٨) في (ب) اللاوات.

انتهى[1].

وقال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان. في إنكار تعظيم القبور: وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غُلاتهم كتاباً سماه: مناسك المشاهد. ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام. انتهى[2]. وهذا الذي أشار اليه هو ابن المفيد[3].

وقال في النهر الفائق[4]: إعلم أن الشيخ قاسم[5] قال في [شرح][6] درر البحار: إن النذر[7] الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء/ ٢٨١ قائلاً: يا سيدي فلان إن رُدَّ (لي)[8] غائبي أو عوفي مريضي؛ فلك من الذهب والفضة، أو الشمع أو[9] الزيت (أو الشياه)[10] كذا، باطل إجماعاً لوجوه. إلى أن قال: ومنها: ظن

---

(١) انظر النص في إغاثة اللهفان (١/ ١٩٥).

(٢) اغاثة اللهفان (١/ ١٩٧) بتصرف يسير. وقال إن اسم الكتاب (مناسك حج المشاهد).

(٣) لم أجد في كتب التراجم (ابن المفيد) بل الذي وجدته هو المفيد واسمه محمد بن محمد بن النعمان البغدادي الشيعي ابو عبد الله ويعرف بابن المعلم كان صاحب فنون وبحوث وكلام واعتزال وأدب ويذكر عنه الخشوع والصلاة وكثرة التعليم والحرص عليه، وكانت علاقته بعضد الدولة قوية. بلغت تواليفه مئتين. مات سنة ٤١٣ هـ. * انظر السير (١٧/ ٣٤٤) ولسان الميزان (٥/ ٣٦٨).

(٤) هو العلامة الفقيه الحنفي عمر بن إبراهيم بن محمد سراج الدين بن نجيم ـ من أهل مصر، من مؤلفاته: النهر الفائق في الفقه الحنفي، ت: ١٠٠٥ هـ. انظر ترجمته: خلاصة الأثر (٣ / ٢٠٦) والأعلام (٥ / ٣٩).

(٥) هو الامام العلامة قاسم بن قُطْلُوبغا بن عبد الله المصري ويعرف بقاسم الحنفي زين الدين فقيه الاحناف محدث ومفسر ولد بالقاهرة في محرم سنة ٨٠٢ هـ، من مصنفاته شرح قصيدة ابن فرح الاشبيلي في أصول الحديث وشرح درر البحار، وتاج التراجم في طبقات الفقهاء الحنفية وحاشية على شرح النخبة، ونغمات الازهار في الفقه، وغيرها توفي رحمه الله بالقاهرة ٤ ربيع الأول سنة ٨٧٩ هـ.

* انظر شذرات الذهب (٧/ ٣٢٦) والبدر الطالع (٢/ ٤٥ ـ ٤٧).

(٦) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٧) في الأصل النذور. والمثبت من (أ) و (ب).

(٨) ليست في (أ) و (ب).

(٩) في الأصل والزيت. والمثبت من (أ) و (ب).

(١٠) ليست في (أ) و (ب).

أن الميت يتصرف في الأمر. واعتقاد هذا كفر. إنتهى.

وهذا القائل هو من أئمة الحنفية، وتأمل ما أفاده من حكاية الإجماع على بطلان النذر المذكور وأنه كفر عنده مع ذلك الاعتقاد.

وقال صاحب الروضة[1]: إنَّ المسلم إذا ذبح للنبي ﷺ كَفَر[2]. انتهى. وهذا القائل من [أئمة][3] الشافعية واذا كان الذبح لسيد الرسل كفراً عنده فكيف بالذبح لسائر الأموات[4]؟!

وقال ابن حجر في شرح الأربعين له[5]: من دعا غير الله فهو كافر انتهى.

وقال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى في الرسالة السُّنية: إن كل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلـهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني أو ارزقني، أو اجبرني، وأنا (في)[6] حسبك، ونحو هذه الأقوال. فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه فإن تاب والآ قتل، فإن الله إنَّما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعبَد وحده، لا يُجعَل معه إلـه[7] آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم، ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى . ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا /٢٨٢/ عند الله ﴾[8]

---

(١) في الأصل وفي (أ) و (ب) الروض. والمثبت من الرسائل السلفية (ص: ١٨٣) وهو الصواب.
* وانظر روضة الطالبين (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) ومؤلفها هو الامام الزاهد الورع ابو زكريا يحيىٰ ابن شرف الدين النووي صاحب التصانيف المشهورة والفوائد المنثورة، جعل لمصنفاته القبول وكأن الله بارك بأخلاصه، فبارك في جهده وعمره قبل وفاته، من مؤلفاته القيمة رياض الصالحين، والأربعون نووية، والمنهاج في الفقه، وروضة الطالبين وشرح صحيح مسلم والمجموع وغيرها كثير. توفي وعمره خمس وأربعون سنة، سنة ٦٧٦ هـ. * انظر ترجمته البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٨).

(٢) في الأصل بكفر. والمثبت من (أ) و (ب).

(٣) ما بين معقوفتين من (أ).

(٤) في (أ) اللاموات.

(٥) ابن حجر الهيتمي وقد تقدمت ترجمته (ص٢٠٢) **وقوله هذا في شرح الاربعين النووية .**

(٦) ليست في (أ) و (ب).

(٧) في الأصل إلهاً والمثبت من (أ) و (ب).

(٨) سورة يونس، آية/ ١٨.

فبعث الله رسله تنهىٰ أن يُدعىٰ أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة، وقال تعالى: ﴿ قُل أدعُوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكونَ كَشفَ الضرِّ عنكُم ولا تحويلاً * أولـئكَ الَّذينَ يدعونَ يبتَغونَ إلى ربِّهِمُ الوسيلةَ أيُّهم أقرَب ﴾[1] الآية. قال طائفة من السلف:كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة[2].

ثم قال في ذلك الكتاب: وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب قال الله تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أنِ اَعْبُدوا اللهَ واَجْتَنِبُوا الطّاغوتَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وما أَرسَلنا مِنْ قَبلِكَ مِنْ رَسولٍ إلاّ نُوحِي إليهِ أنَّهُ لا إلـهَ إلاّ أناْ فَاعْبُدون ﴾[4]. وكان ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت. قال: «أجَعَلتني لله نداً بل: ما شاء الله وحده»[5]، ونهى عن الحلف بغير الله [و][6] قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[7] وقال ﷺ في مرض موته: «لعنَ اللهُ اليهودَ والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[8] يحذِّر ما فعلوا، وقال ﷺ [: «اللهم لا تجعل قبرِي وثناً يُعبَد»[9]. وقال ﷺ:] (*) «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصَلُّوا عَلَيَّ حيث ما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني»[10].

ولهذا اتفق أئمة الاسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها. وذلك [لأن][11] من اكثر الأسباب لعبادة الأوثان كانت تعظيم القبور.

---

(١) سورة الإسراء، آية/ ٥٦ ـ ٥٧ وجاء في الأصل (من دون الله) وفي (أ) و (ب) على الصواب.
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠).
(٣) سورة النحل، آية/ ٣٦.
(٤) سورة الانبياء، آية/ ٢٥.
(٥) سبق تخريجه (ص:٣٠٢).
(٦) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).
(٧) تقدم تخريجه (ص: ٢٩٠).
(٨) تقدم تخريجه (ص: ٢٠٢٨)
(٩) تقدم تخريجه (ص:٢٢٦)
(١٠) تقدم تخريجه (ص: ٢٩٠)
(١١) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب). وزيد في الاصل بخرجة : كان . وحذفت كان الثانية .
(*) مابين معقوفتين من الحاشية ، وهو موافق لباقي النسخ .

ولهذا اتفق /٢٨٣/ العلماء على أن[١] من سلم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمرغ بحجرته، ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق. كل هذا لتحقيق[٢] التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه [كما][٣] قال تعالى: ﴿ إن الله لا يغفرُ أَن يُشرَكَ بِهِ ويَغفِرُ ما دون ذلكَ لِمَنْ يشاءُ، ومَن يُشرِكْ باللهِ فَقَدِ ٱفترَىٰ إثماً عظيماً ﴾[٤] ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي: ﴿ اللهُ لا إلـه إلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّوم ﴾[٥]. وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إلـه إلا الله دخل الجنة[٦]»، والإله هو الذي يألهه القلب عبادة له واستغاثة به، ورجاء له، وخشية وإجلالاً. انتهى.

وقال أيضاً شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية ـ رحمه الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم[٧]. في الكلام على قوله: ﴿ وما أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ الله ﴾[٨] (وإن ظاهره أنه)[٩] ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله. فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له اعظم من الاستغاثة باسمه في

---

(١) في (أ) و (ب) أنه.

(٢) في الأصل تحقيق والمثبت من (أ) و (ب).

(٣) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٤) سورة النساء، آية/ ٤٨

(٥) سورة البقرة، آية/ ٢٥٥.

(٦) أخرجه ابو داود (الجنائز ـ باب في التلقين ـ ٣/٤٨٦ رقم ٣١١٦) واحمد (٥/٢٣٣) والحاكم (١/٣٥١) حسنه الالباني في الارواء رقم (٦٨٧) وأحكام الجنائز (ص ٣٤)، وله شاهد عند ابن حبان (ص ١٨٤ رقم ٧١٩ موارد). عن أبي هريرة مرفوعاً: لقِّنوا موتاكم لا إله إلاّ الله فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه.

(٧) انظر الاقتضاء (٢/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) باختصار يسير.

(٨) سورة البقرة، آية/ ١٧٣.

(٩) كذا في الأصل وفي ب: (إن ظاهره أنه) وفي (أ): (إن ظاهر أن) وفي الاقتضاء (٢/ ٥٦٥) (ظاهره أنه).

فواتح الأمور والعبادة لغير الله اعظم من الاستعانة[1] بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم[2]، وإن قال فيه: بسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي /٢٨٤/ هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان[3]، ومن هذا مايفعل بمكة وغيرها من الذبح [للجن][4].

ثم قال في موضع آخر من هذا الكتاب[5]: إن العلة في النهي عن الصلاة عند القبور ما يفضي إليه ذلك من الشرك، ذكر ذلك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وغيره. وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك كأبي بكر الأثرم[6]، عللوا بهذه العلة. انتهى. وكلامه في هذا الباب واسع جداً وكذلك كلام غيره من أهل العلم.

وقد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ ومن اتباعهم ـ رحمهم الله ـ في هذه المسألة بما يشفى ويكفي، ولا يتسع المقام لبسطه، وآخر من كان منهم نكالاً على القبوريين وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية مولانا الامام المهدى العباس بن الحسين ابن القاسم ـ رحمه الله[7] ـ فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة للناس وسبباً لضلالهم، وأتى على غالبها، ونهى الناس عن الاجتماع

---

(١) في الأصل: الاستغاثة والمثبت من (أ) و (ب). والاقتضاء.

(٢) كذا في الأصل وفي نسخة من الاقتضاء. وأما في (أ) و (ب) ونسخة من الاقتضاء لحرم.

(٣) في (أ) و (ب) والأصل (تجتمع في الذبيحة مانعات)، ثم صححت في الأصل إلى (ما نعان) بالنون، وهو الموافق للاقتضاء.

(٤) ما بين معقوفتين من الاقتضاء (٢/٥٦٦)، وقد زيد بخرجة في الأصل، دون (أ) و (ب).

(٥) انظر الاقتضاء (٢/٦٧٨) بمعناه.

(٦) هو الحافظ الكبير العلامة ابو بكر احمد بن محمد بن هانيء الطائي ويقال الكلبي الأسكافي الأثرم صاحب الامام أحمد، كان إماماً جليلاً حافظاً. صنف التصانيف وروى عن الامام احمد مسائل كثيرة وصنفها ورتبها ابواباً، وله كتاب السنن يدل على إمامته وسعة حفظه. توفي بعد ٢٦٠ هـ.
* انظر ترجمته تذكرة الحفاظ (٢/٥٧٠) والمقصد الأرشد (١/١٦١).

(٧) هو الامام الزيدي المهدي لدين الله العباس بن الامام منصور بالله الحسين بن الامام المتوكل القاسم بن الحسين بن الامام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ولد سنة ١١٣١ هـ تولى خلافته في اليمن بعد موت أبيه سنة ١١٦١ هـ وكان فطنا ذكياً مهيباً عادلاً قوي التدبير عالي الهمة، منقاداً إلى الخير محباً للعلم وأهله، وكان قد ضبط الأمر في زمنه إلى حين وفاته ترجم له الشوكاني وأثنى عليه ثناء عطراً، توفي سنة ١١٨٩ هـ وقال الشوكاني ودفن بقبته التي أعدها لنفسه إ.هـ. وهذا ينافي ما ذكر عنه الشوكاني في رسالة الدر النضيد. * انظر ترجمة البدر الطالع (١/٣١٠ ـ ٣١٣).

والعكوف عليها فهدمها، ومن كان[1] في عصره من أكابر العلماء ترسلوا إليه برسائل، وكان ذلك هو الحامل له على نصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين.

وبالجملة فقد سردنا من أدلة الكتاب والسنة فيما سبق ما لا يحتاج معه إلى الاعتضاد بقول أحد من أهل العلم. ولكنا ذكرنا ما حررناه من أقوال أهل العلم مطابقة [لما طلبه السائل كثّر الله فوائده. وبالجملة فإخلاص التوحيد هو الأمر الذي بعث الله لأجله رسله وأنزل][2] به كتبه، وفي هذا الاجمال ما يغني /٢٨٥/ عن التفصيل، ولو أراد رجل أن يجمع ما ورد في هذا المعنى من الكتاب والسنة لكان مجلداً ضخماً.

أنظر فاتحة الكتاب التي تتكرر في كل صلاة مرات من كل[3] فرد من الأفراد ويفتتح بها التالي لكتاب الله والمتعلِّم له، فإنَّ فيها الإرشاد إلى إخلاص التوحيد في مواضع:

١ ـ فمن ذلك: ﴿ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴾ فإن علماء المعاني والبيان ذكروا أنه يقدر المتعلق متأخراً ليفيد اختصاص البداية باسمه تعالى لا باسم غيره، وفي هذا ما لا يخفى من اخلاص التوحيد.

٢ ـ ومنها [في][4] قوله: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فإن التعريف يفيد أن الحمد مقصور على الله، واللام في (لله) تفيد (أن)[5] اختصاص الحمد له، ومقتضى هذا أنه لا حمد لغيره أصلاً، وما وقع منه لغيره فهو في حكم العدم. وقد تقرر أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم، فلا ثناء إلا عليه ولا جميل إلاّ منه،

---

(١) وقع في (أ) و (ب) قلب في العبارة هكذا والعكوف عليها وكان في عصره فهدمها من اكابر العلماء من ترسلوا. ووقع في (ب) ونهى الناس عن جماعة والعكوف. بدل عن الاجتماع. وفي (ب) أيضاً فهدها.

(٢) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٣) في الأصل؛ في كل. والتصحيح من (أ) و (ب).

(٤) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٥) ما بين قوسين ليس في (أ) و (ب).

ولا تعظيم إلّا له، وفي هذا من إخلاص التوحيد ما ليس عليه مزيد.

٣ ـ ومن ذلك قوله: ﴿ مالكِ يومِ الدِّين ﴾ أو ﴿ مَلِكِ يومِ الدِّين ﴾ على القراءتين السبعيتين[١]، فإن كونه المالك ليوم الدين: يفيد أنه لا مُلْكَ لغيره، فلا ينفذ إلا تصرفه، لا تصرف أحد من خلقه من غير فرق بين نبي مرسل ومَلَك مقرب، وعبد صالح. وهكذا[٢] معنى كونه[٣] مَلِك يوم الدين فإنه يفيد أن الأمر أمره والحكم حكمه ليس لغيره معه أمر ولا حكم كما أنه ليس لغير[٤] ملوك الأرض معهم أمر ولا حكم، ولله المثل الأعلى /٢٨٦/. وقد فسر الله هذا المعنى الإضافي المذكور في فاتحة الكتاب في موضع آخر من كتابه العزيز فقال: ﴿ وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يومَ لا تملِكُ نفسٌ لِنَفسٍ شيئاً والأمرُ يومَئِذٍ لله ﴾[٥]. ومن كان يفهم كلام العرب ونُكَتَه وأسرارَه كفته هذه الآية عن غيرها من الأدلة، واندفعت لديه كل شبهة

٤ ـ ومن ذلك ﴿ إياك نعبد ﴾ فإن تقدم الضمير قد صرح أئمة المعاني والبيان، وأئمة التفسير أنه يفيد الأختصاص[٦]. فالعبادة لله سبحانه، ولا يشاركه فيها غيره ولا يستحقها. وقد عرفت أن الاستغاثة والدعاء والتعظيم والذبح والتقرب من أنواع العبادة.

٥ ـ ومن ذلك قوله: ﴿ وإياك نستعين ﴾ فإن تقدم الضمير هٰهنا يفيد الأختصاص كما تقدم، وهو يقتضي أنه لا يشاركه غيره في الاستعانة به في الأمور التي لا يقدر عليها غيره، فهذه خمسة مواضع في فاتحة الكتاب [يفيد كل واحد منها اخلاص التوحيد مع أن فاتحة الكتاب][٧] ليست إلا سبع آيات، فما ظنك بها في سائر الكتاب العزيز.

---

(١) في الأصل السبعتين والتصحيح من (أ) و (ب). وانظر القراءات: الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/ ٢٥)، والبدور الزاهرة ص ١٥.
(٢) في الأصل وهذا والمثبت من (أ) و (ب).
(٣) في (أ) كون.
(٤) في الأصل لغيره. "فاحتاج أن يصحح العبارة من قرأ الكتاب فأصبحت هكذا: ليس لغيره من ملوك الارض من له معهم أمر . . .". وهو لا يستقيم والتصويب من (أ) و (ب).
(٥) سورة الانفطار، آية /١٧ ـ ١٩ وقد تكررت ثم ما أدراك ما يوم الدين في (أ).
(٦) انظر تفسير الزمخشري (١/ ٦١) ومحاسن التأويل للقاسمي (١/ ١٠).
(٧) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

فذكرنا لهذه الخمسة المواضع في فاتحة الكتاب كالبرهان على ما ذكرناه من أن في الكتاب العزيز من ذلك ما يطول تعداده وتتعسر الإحاطة به[1].

٦ ـ ومما يصلح أن يكون موضعاً سادساً[2] لتلك المواضع الخمسة في فاتحة الكتاب قوله: ﴿ربِّ العالمين﴾ وقد تقرر لغة وشرعاً أن العالَم ما سوى الله سبحانه، وصيغ الحصر إذا تتبعتها من كتب المعاني والبيان والتفسير والأصول بلغت ثلاث عشرة[3] /٢٨٧/ صيغة فصاعداً، ومَن شك في هذا فليتتبع كشاف الزمخشري فإنه سيجد فيه ما ليس له ذكر في كتب المعاني والبيان كالقلب[4] فإنه جعله من مقتضيات الحصر، ولعله ذكر ذلك عند تفسيره للطاغوت. وغير ذلك مما لا يقتضي المقام بسطه، ومع الإحاطة بصيغ الحصر المذكورة تكثر الأدلة الدالة على اخلاص التوحيد وإبطال الشرك بجميع أقسامه.

واعلم أن السائل ـ كثر الله فوائده ـ ذكر في جملة، ما سأل عنه[5] أنه لو قصد الانسان قبر رجل من المسلمين مشهور بالصلاح ووقف لديه وأدّى الزيارة، وسأل الله باسمائه الحسنى وبما لهذا الميت [لديه][6] من المنزلة، هل تكون هذه البدعة عبادة لهذا الميت، ويصدق عليه أنه قد دعا غير الله وأنه قد عبد غير الرحمن، وسلب عنه اسم الايمان؟ ويصدق على هذا القبر أنه وثن من الأوثان، ويحكم بردة ذلك الداعي والتفريق بينه وبين نسائه واستباحة امواله، ويعامل معاملة المرتدين؟ او يكون فاعلاً معصية كبيرة أو مكروهاً؟

---

(١) في الأصل بها، والمثبت من (أ) و (ب).

(٢) لقد ذكر الامام الشوكاني رحمه الله تعالى في رسالته وجوب توحيد الله تعالى: ثلاثين موضعاً في الفاتحة تفيد وجوب التوحيد وإخلاصه انظر الرسالة المذكورة ص ٨٤ ـ ٩١.

(٣) في الأصل و (أ) و (ب): ثلاثة عشر. والصواب ما أثبتُه، والله أعلم.

(٤) القلب هو: جَعْل المشبه مشبهاً به لقصد المبالغة علة دعوى أن وجه الشبه فيه أظهر وأقوى. أو هو جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً،
* أنظر أسرار البلاغة في علم البيان للجرجاني (ص: ١٧٧).

(٥) في الأصل: منه. والتصويب من (أ) و (ب).

(٦) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

وأقـول: إنّا [قد][1] قدمنا في أوائل هذا الجواب أنه لا بأس بالتوسل بنبي من الانبياء، أو وليّ من الأولياء أو عالم من العلماء، وأوضحنا ذلك[2] بما لا مزيد عليه[3]، فهذا الذي جاء الى القبر زائراً (أو) دعا[4] الله وحده، وتوسل بذلك الميت كأن يقول: "اللهم إني اسألك أن تشفيني من كذا وأتوسل إليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك، والمجاهدة فيك، والتعلم والتعليم خالصاً لك فهذا /٢٨٨/ لا تردد في جوازه[5].

لكن لأي معنى قام يمشي إلى القبر، فإن كان لمحض الزيارة ولم يعزم على الدعاء والتوسل إلا بعد تجريد القصد الى الزيارة فهذا ليس بممنوع فإنه إنما جاء ليزور، وقد أذن لنا رسول الله ﷺ بزيارة القبور بحديث «كنت نهيتكم عن زيارة القبور [ألاَ][6] فزوروها»[7] وهو في الصحيح، وخرج لزيارة الموتى ودعالهم، وعلّمنا كيف نقول اذا نحن زرناهم، وكان يقول: «السلام عليكم [أهل دار قوم مؤمنين][8] وإنا بكم إن شاء الله لاحقون، وأتاكم ما توعدون نسأل[9] الله لنا ولكم العافية»[10] وهو أيضاً في الصحيح بألفاظ وطرق؛ فلم يفعل هذا الزائر إلا ما هو مأذون له به، ومشروع، لكن بشرط أن لا يشد راحلته ولا يعزم على سفر ولا يرحل كما ورد تقييد الأذن بالزيارة للقبور بحديث: «لا تُشَدُّ الرِّحال إلاّ لثلاثة»[11] وهو مُقَيِّد لمطلق الزيارة، وقد خُصِّص

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب) وليس في (ب) إنّا.

(٢) في الأصل لك والمثبت من (أ) و (ب).

(٣) وقد تقدم مناقشة رأي الشوكاني في ذلك.

(٤) في (أ) و (ب) ودعا بالواو والألف الممدودة. وفي الأصل بالمقصورة.

(٥) قد تقدم غير مرة التنبيه على أن هذا النوع من التوسل غير مشروع وانظر ص٧٨ و ص٩١؟

(٦) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٧) رواه مسلم (الجنائز - باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه - ٢/ ٦٧١ رقم ٩٧٧) والترمذي (الجنائز - باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور - ٣/ ٣٧٠ رقم ١٠٥٤) والنسائي (الجنائز - باب زيارة القبور - ٤/ ٣٩٤ رقم ٢٠٣١). وأحمد (٥/ ٣٥٠) عن بريدة رضي الله عنه.

(٨) من (أ) و (ب).

(٩) في الأصل (ونسأل الله) والمثبت من (أ) و (ب).

(١٠) رواه مسلم (الجنائز - باب مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها - ٢ / ٦٧١ رقم ٩٧٤ و ٩٧٥)

(١١) رواه البخاري (فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب مسجد بيت المقدس - ٣ / ٧٦ رقم ١١٨٩) ومسلم (الحج - باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد - ٢ / ١٠١٤ رقم ١٣٩٧) . عن أبي هريرة .

بمخصصات منها: زيارة القبر الشريف النبوي المحمدي[١] على صاحبه أفضل الصلاة والسلام[٢] وفي ذلك خلاف بين العلماء، وهي مسألة من المسائل التي طالت ذيولها، واشتهرت أصولها، وامتحن بسببها من امتحن، وليس ذكر ذلك ههنا من مقصودنا[٣].

وأما إذا لم يقصد مجرد الزيارة بل قصد المشي إلى القبر ليفعل الدعاء عنده فقط وجعل الزيارة تابعة لذلك. أو مشى [لمجموع الزيارة][٤] والدعاء. فقد كان يُغنِيه أن يتوسل إلى الله بذلك الميت / ٢٨٩/ من الاعمال الصالحة من دون أن يمشي إلى قبره.

فإن قال: إنما مشيت إلى قبره لأشير إليه عند التوسل به.

فيقال له: إن الذي يعلم السرّ وأخفى ويحول بين المرء وقلبه ويطلع على خفيات الضمائر وتنكشف لديه مكنونات السرائر لا يحتاج منك إلى هذه الاشارة التي زعمت أنها الحاملة لك على قصد القبر والمشي إليه، وقد كان يغنيك أن تذكر ذلك الميت باسمه [العلم][٥] أو بما تميز به عن غيره. فما أراك مشيت لهذه الإشارة، فإن الذي تدعوه في كل مكان مع كل إنسان[٦] بل مشيت لتُسمع الميت توسلك به وتعطف قلبه عليك وتتخذ عنده يداً بقصده وزيارته والدعاء عنده والتوسل به، وأنت إذا[٧] رجعت إلى نفسك وسألتها عن هذا المعنى فربما تقر لك به وتصدقك الخبر، فإن وجدت عندها هذا المعنى الدقيق الذي هو بالقبول منك حقيق فاعلم أنه قد علق

---

(١) الذي يخصص النص ويقيده هو نص مثله أما أن يخصص النص بمجرد حب النبي أو بمجرد خشية الناس ولومهم من منع شد الرحل لزيارة قبره المعظم - ﷺ - بل المنع أولى - ان كان الأمر بالاستحسان - سداً لذريعة الغلو، وقد حذر النبي من اتخاذ قبره مسجداً ووثناً وعيداً، وإلا فالنص قاض بمنع شد الرحل لغير المساجد الثلاثة التي هي أمكنة العبادة فما بالكم بما هو دونها والله اعلم واحكم.

(٢) في (أ) و (ب) التسليم.

(٣) وممن امتحن بهذه المسألة الامام احمد ابن تيمية وبعض تلامذته وقد وافقه علماء محققون، وعذره مخالفون منصفون. وتحامل عليه آخرون متعصبون.

(٤) في الأصل بياض والمستدرك من (أ) و (ب).

(٥) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٦) أي بعلمه سبحانه وهو فوق عرشه، جل في علاه.

(٧) في (أ) و (ب). إن.

بقلبك ما علق بقلوب عباد القبور، ولكنك قهرت هذه النفس الخبيثة عن أن تترجم بلسانك عنها، وتنشر ما انطوت عليه من محبة ذلك القبر والاعتقاد فيه، والتعظيم [له][1] والاستغاثة به، فأنت مالكٌ لها من هذه الحيثية، مملوك لها من الحيثية التي اقامتك من مقامك، ومشت بك إلى فوق القبر.

فإن تداركت نفسك بعد هذه والا كانت المستولية عليك، المتصرفة فيك المتلاعبة بك في /٢٩٠/ جميع ما تهواه مما قد وسوس به لها الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

فإن ادّعيت أنك قد رجعت إلى نفسك فلم تجد[2] عندها شيئاً من هذا وفتشتها فوجدتها صافية عن ذلك الكدر. فما أظن الحامل لك على المشي إلى القبر إلا أنك سمعت الناس يفعلون شيئاً ففعلته، ويقولون شيئاً فقلته.

فاعلم أن هذه أول عقدة من عقود توحيدك، وأول محنة من محن تقليدك، فارجع تؤجر، ولا تتقدم تنحر. فإن هذا التقليد الذي حملك على هذه المشية الفارغة العاطلة، الباطلة، ستحملك على أخواتها فتقف على باب الشرك أولاً ثم تدخل منه ثانياً، ثم تسكن فيه ثالثاً، وأنت في ذلك كله تقول: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ورأيتهم يفعلون أمراً ففعلته.

وإن قُلت: إنك على بصيرة في عملك وعلمك ولست ممن ينقاد إلى هوى نفسه كالأول، ولا ممن يقهرها، ولكنه يقلد الناس كالثاني، بل أنت صافي السر نقي الضمير خالص الاعتقاد قوى اليقين، صحيح التوحيد جيد التمييز كامل العرفان عالم بالسنة والقرآن، فلا لمراد نفسك اتبعت ولا في هوة التقليد وقعت. فقل لي بالله: ما الحامل لك على التشبه بعباد القبور والتغرير على من كان في عداد سليمي الصدور؟.

فإنه يراك الجاهل والخامل(*)، ومن هو عن علمك وتمييزك عاطل، فيفعل كفعلك يقتدي بك، وليس له بصيرة مثل بصيرتك ولا قوة في /٢٩١/ الدين مثل قوتك،

---

(١) ما بين معقوفتين من (أ) و (ب).

(٢) في الأصل: فإن قلت: قد رجعت إلى نفسي فلم نجد. وكذا في (أ) و (ب) فإن قلت قد رجعت إلى نفسك فلم تجد. ثم ضرب على فإن قلت: وصححت كما اثبت.

(*) في الاصل الحامل، وصوبت في الحاشية

فيحكي فعلك صورة[1] ويخالفه حقيقة، ويعتقد أنك لم تقصد هذا القبر إلا لأمر، ويغتنم إبليس اللعين غربة هذا المسكين الذي اقتدى بك واستن بسنتك، فيستدرجه حتى يبلغ به إلى حيث يريد، فرحم الله امرءاً هرب بنفسه من غوائل التقليد وأخلص عبادته للحميد المجيد.

وقد ظهر بمجموع هذا التقسيم أن من يقصد القبر ليدعو عنده هو أحد ثلاثة:

١ ـ إنْ مشى لقصد الزيارة فقط، وعرض له الدعاء، ولم يحصل بدعائه تغرير على الغير فذلك[2] جائز(*).

٢ ـ وإن مشى بقصد الدعاء فقط أَوْ لَهُ مع الزيارة، وكان له من الاعتقاد ما قدمنا. فهو على خطر الوقوع في الشرك، فضلاً عن كونه عاصياً.

٣ ـ وإذا لم يكن له اعتقاد في الميت على الصفة التي ذكرنا فهو عاصٍ اثم وهذا أقل احواله، وَأحقر ما يربحه في رأس ماله.

وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية، والله ولي التوفيق. انتهى ما أردت نقله على مسألة الاستعانة والتوسل، وقد استرسلت في هذه المسألة زيادة على غيرها من مسائل الكتاب لأنها هي بيت القصيد وروح الكتاب، وهذا القدر الذي نقلته فيها إنما هو بعض ما قاله العلماء المحققون، ولو أخذت أذكر جميع ما قيل فيها لطال الكتاب جداً فرأيت من الصواب أن أقتصر على ما حرره هذا الامام[3] في هذه المسألة لأنه سلك منهج الانصاف وتجنب طريق الاعتساف /٢٩٢/ وكتابه هذا مشتمل على بيان بدع كثيرة ابتدعها الناس فزيفها وقضى عليها بالنقض والإبطال بأقوم حجة وأقوى سلطان، وأعظم برهان فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل ما جازى به من ذبَّ عن سُنة سيد ولد عدنان عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة والسلام!.

---

(١) في الأصل صورته. والمثبت من (أ) و (ب).

(٢) في الأصل: فلذلك جائز. والتصويب من (أ) و (ب).

(٣) يقصد الامام صديق حسن خان وكتابه الدين الخالص. ولكن الرسالة المنقولة هي للشوكاني وهي موجودة ضمن كتاب الدين الخالص.

(*) اذا لم يكن فيه شد رحل.

ثم قال السبكي بعد هذا :

الباب التاسع

في حياة الانبياء في قبورهم صلوات الله تعالى وسلامه عليهم وحياة الشهداء وسائر الموتى[١].

ورتبه على خمسة فصول (اختصر)[٢] في الفصل الأول الجزء الذي صنفه الحافظ البيهقي في حياة الأنبياء[٣]، وزاد عليه بعض فوائد.

وتكلم في الفصل الثاني على حياة الشهداء.

وفي الفصل الثالث على سائر الموتى إلى آخر ما ذكر في بقية الفصول.

وجوابه أن يقال: ليس بنا حاجة في الكلام على حياة الأنبياء والشهداء وسائر الموتى، لأن شيخ الاسلام لم ينكر شيئاً من هذا، بل ذكر هو وتلميذه الحافظ ابن القيم شيئاً من ذلك في كتبهم كما سنبينه إن شاء الله تعالى[٤]، وحينئذ فيقال للسبكي: ما أردت بما ذكرته في هذا الباب، فإن كنت تريد أن حياة الأنبياء في قبورهم كالحياة الدنيوية، وعليه فيجوز أن يطلب منهم الشيء الذي كانوا يقدرون عليه في الدنيا، فهذا دونه خرط القتاد[٥] لأننا نقول: هم أحياء بالمعنى الذي يعلمه الله تعالى، لا بالمعنى الذي نعلمه، ومع هذا فنحن نعتقد أنها حياة أعلى وأغلى وأعظم من الحياة /٢٩٣/ الدنيوية، فإنها لو كانت كحياتنا في هذا الدار لكان أقل الناس أعلى منهم،

---

(١) شفاء السقام (ص: ١٧٩).

(٢) تصحفت في الأصل وهي إلى المثبت أقرب، وجاء في الحاشية لخص.

(٣) طبع مؤخراً سنة ١٤١٤ بتحقيق د. أحمد عطية الغامدي توزيع مكتبة العلوم والحكم - المدينة النبوية.

(٤) اكتفي بالنقل عن ابن القيم ولم ينقل عن ابن تيمية.

(٥) الخَرْط: قشرك الورق عن الشجرة اجتذاباً بكفك. و القتاد كسحاب: شجر صلب له شوكة كالأبر ويضرب هذا المثل: لالأمر دونه مانع (مجمع الامثال ١/٢٦٥) (القاموس المحيط ص: ٣٩٣) ومختار الصحاح (ص: ٥٢١) .

لأنه مطلق سراحه يمشي ويسافر ويتمتع بلذات الدنيا وهم مسجونون تحت الأرض في قبورهم، فأي شرف في هذا؟!

فإن قال السبكي: أنا لا أعني هذا بل أقول: هي حياة برزخية أعلى من الحياة الدنيا.

فنقول له: قد رجعت عما وضعت له هذا الباب، فإنك قد خالفت وفرقت بين الحياتين فحينئذ لا يطلب منه[1] ما كانوا يقدرون عليه في الدنيا.

وأما الأحاديث التي وردت في هذا الباب فالصحيح منها مبني على أن رؤياه[2] ﷺ لموسى صلوات الله عليه وهو قائم في قبره يصلي[3] وكذلك رؤياه لعيسى وموسى ويونس وهم يلبون[4] إما على رؤيا المنام، وعليه فلا إشكال وقد اختار شيخنا محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي[5] - تغمده الله برحمته - في

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب: منهم.

(٢) كذا في الأصل - هي والتي بعدها - ثم ضرب عليهما وكتب بخط مغاير رؤيته. ولعل المثبت أنسب. والله أعلم وأحكم.

(٣) روى مسلم (الفضائل - باب من فضائل موسى - ٤/١٨٤٥ رقم ٢٣٧٥) وأحمد في المسند (٣/١٤٨ - ٢٤٨) وابن ابي شيبة في المصنف (١٤/٣٠٧ - ٣٠٨ رقم ١٨٤٢٤) وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٧١ رقم ٣٣٢٥) وعنه ابن حبان في صحيحه (١/٢٤٢ رقم ٥٠) ورواه البيهقي في الدلائل (٢/٢٨٧) وفي حياة الأنبياء بعد وفاتهم (٧٩ - ٨٠ رقم ٨) وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٥٣) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «أتيت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره».

(٤) أما تلبية موسى ويونس فهذا معلوم وأما تلبية عيسى فلم أقف عليها.

● أخرج الامام مسلم في صحيحه (الإيمان - باب الاسراء برسول الله ﷺ، الى السماوات وفرض الصلوات - ١/١٥٢ رقم ١٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق فقال: «أي وادٍ هذا؟» فقالوا هذا وادي الأزرق. قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية». ثم أتى على ثنية هَرْشى. فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثنية هرشى. قال: «كأني أنظر إلى يونس بن متّى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف، خطام ناقته خُلبة، وهو يلبي».

■ الجؤار: رفع الصوت - جعدة: مكتنزة اللحم - الخُلبة: الليف. أنظر شرح النووي (٢/٢٢٩). وهرشى: تسمى الآن ربيع هرشى.

(٥) هو علامة الشام، ونادرة الايام والمجدد لعلوم الاسلام محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف، الفقيه الأصولي، المفسر المحدث، الاديب المتفنن محمد جمال الدين بن محمد =

معراجه[1] أن الاسراء والمعراج كانا مناماً، فاستدل له بأحاديث، وهو مذهب عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وإن كان الجمهور على خلافه[2].

وإن كانت الرؤيا في اليقظة فهو حجة لنا على أن حياة البرزخ مغايرة للحياة الدنيا، وإلا لما اختص برؤيتهم النبي ﷺ وحده فقط، بل كان رآهم* كل الصحابة الذين كانوا معه عليه الصلاة والسلام[3]، وهذا الذي ذكرناه مبني على تسليم الأحاديث التي أوردها البيهقي وغيره في هذا الباب.

وعند التحقيق فحياة الشهداء ثابتة بالكتاب العزيز والسنة الصحيحة /٢٩٤/ ومنكرها مكذب بالقرآن وصحيح السنة.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ ولا تقولوا لمَن يُقتَلُ في سبيل اللهِ أمواتٌ بَل أحياءٌ

= سعيد بن قاسم الملقب بالحلاق والقاسمي نسبة للشيخ قاسم هذا ولد في دمشق سنة ١٢٨٣ هـ وتتلمذ على كبار شيوخ عصره كوالده والشيخ سليم العطار وبكري العطار وعبد الرزاق البيطار الذي استفاد من علومه وعقيدته السلفية الاثرية ثم برع بعد ذلك في جميع الفنون والعلوم وكثرت مؤلفاته وانتشرت في اصقاع المعمورة وذاع صيته فمما صنف: التفسير المشهور المسمى محاسن التأويل، وقواعد التحديث في علوم الحديث، ودلائل التوحيد. وغيرها كثير توفي رحمه الله تعالى ١٣٣٢ هـ.

* انظر ترجمته مفصلة في كتاب شيخ الشام جمال الدين القاسمي تأليف محمود مهدي الاستانبولي.

(١) طبع بدمشق سنة ١٣٣١ هـ انظر المصدر نفسه (ص: ٧٥).

(٢) وروى قول عائشة ابن اسحاق في السيرة (١ / ٣٩٩) وعنه ابن جرير في التفسير (١٥ / ١٦) وفي إسناده مجهول لم يسمّ.

قلت: والذي اختاره رحمه الله في تفسيره (٩/ ٢٣٧): أن الاسراء كان بالروح والجسد وأن المعراج كان بالروح فقط. وهو أيضاً خلاف الجمهور والذي يظهر من سياق القصة أنهما بالروح والجسد معاً، وكذا عدة أدلة أخرى تراجع في أماكنها من كتب أهل العلم، وانظر الشفا للقاضي عياض (١/ ٣٥٩ - ٣٧٤).

(٣) جاء في الحاشية: في ليلة الاسراء لم يكن فيه أحد من الصحابة فهذه زلة قلم من المؤلف رحمه الله. وكتبه محمد نصيف. وجاء تعليق آخر: احسن من هذا أن يقول: بل كان يمكن للناس الذين في بيت المقدس أن يروهم تلك الليلة إذ كان اجتماعهم عظيماًيعد بالألوف فكان مثله لا يخفى. أ.هـ.

قلت لعل مقصود المؤلف رحمه الله حديث ابن عباس المتقدم حينما قال رسول الله ﷺ «كأني انظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية» الحديث فإنه ﷺ كان مع أصحابه، ولا يفهم من لفظ الحديث أنه رآه في ذلك الوقت. قال القاضي عياض: الوجه الرابع: أنه ﷺ أُري أحوالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا وكيف حجهم وتلبيتهم كما قال ﷺ كأني أنظر، انتهى. انظر شرح النووي لمسلم (٢/ ٢٢٩).

(*) في الاصل: رآيهم، والتصويب من الحاشية

ولكن لا تشعرون ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء.. ﴾ إلى قوله: ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ﴾[2]

وأما السنة فمثل قوله ﷺ: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة كيف شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش»[3].

هذا ما ورد في القرآن، ولم يرد مثله في حق الأنبياء وما ورد من ذلك لا يبلغ درجة هذا. **فإن قلت**: يلزم على قولكم هذا أن الشهداء أفضل من الأنبياء. **فالجواب**: أنّا لا نزيد على ما أخبر الله وصح عن نبيه ﷺ ولا نقيس الأشياء بعقولنا. وأيضاً فإن الخصوصية لا تقتضي(*) تفضيلاً. فعلى هذا لا يلزمنا ما أوردتموه[4] علينا سيما ونحن نقول: إن فضل الأنبياء على غيرهم ثابت بنصوص من الكتاب والسنة، ولكن إذا خص الله تعالى أحداً من خلقه بشيء لا يلزم أن يكون أفضل من الأنبياء. ويؤيد الذي قلناه ما ذكره العلامة المحقق السيد محمد رشيد رضا[5] حفظه الله في تفسيره لهذه

---

(١) سورة البقرة، آية/ ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران، آية/ ١٦٩ - ١٧١ وتمامهن: ﴿ عند ربهم يُرزَقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

(٣) رواه الامام مسلم (الامارة - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة - ٣/ ١٥٠٢ رقم ١٨٨٧). والترمذي (التفسير - باب ومن تفسير آل عمران - ٥/ ٢١٥ رقم ٣٠١١). عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً ورواه الدارمي (الجهاد - باب أرواح الشهداء - ٢/ ٢٠٦) عنه موقوفاً. فقد رواه مسم عن ابي معاوية وجرير وعيسى بن يونس وأسباط عن الأعمش ورواه الترمذي عن سفيان عن الاعمش. وأما الدارمي فرواه عن شعبة عن الاعمش. به موقوفاً على عبد الله.

والله اعلم.. وفي الباب عن كعب بن مالك عند الترمذي (فضائل الجهاد - باب ما جاء في ثواب الشهداء - ٤/ ١٥١).

(٤) في الأصل: مأوردتموه.

(٥) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد بن محمد بن علي القلموني، البغدادي الأصل ثم المصري الحسيني المحدث والمفسر والمؤرخ سيد الاصلاح ومنشىء مجلة المنار الاصلاحية، أفاد منها المسلمين ووجههم نحو الأخذ بالأثر وترك التقليد، كانت كتاباته السبب الأساسي لتوجه المحدث الألباني لدراسة علم الحديث، عليه مآخذ منها تأثره بشيخه محمد عبده في بعض العقلانيات التي نتيجتها تأويل النصوص وخصوصاً في الغيبيات والمعجزات وأما عقيدته من ناحية التوحيد والعبادة والاسماء والصفات فنجم متألق رحمه الله تعالى، له من المؤلفات: تفسير المنار لم يكمل. والوحي المحمدي، وتاريخ الاستاذ الامام محمد عبده. والوهابيون والحجاز وغيرها. وكثير من الفتاوىٰ توفي سنة ١٣٥٤ هـ =

(*) في الاصل: تقضي، والتصويب من الحاشية.

الآية قوله تعالى: ﴿ ولا تقولوا لمن يُقتَلُ.. ﴾ إلخ. قال ما نصه[1]: أي لا تقولوا في شأنهم: "هم أموات". وقالوا: إن اللام في لمن[2] للتعليل لا للتبليغ والمعنى ظاهر والتركيب مألوف، بل هم أحياء في عالم غير عالمكم ولكن لا تشعرون /٢٩٥/ بحياتهم، إذ ليس في عالم الحس الذي يدرك بالمشاعر. ثم لا بد أن تكون هذه الحياة حياة خاصة غير التي[3] يعتقدها جميع المليين[4] في جميع الموتى من بقاء أرواحهم بعد مفارقة أشباحهم، ولذلك ذهب بعض الناس [إلى][5] أن حياة الشهداء تتعلق بهذه الأجساد؛ وإن فنيت أو احترقت وأكلتها السباع أو الحيتان، وقالوا: إنها حياة لا نعرفها، ونحن نقول مثلهم أننا لا نعرفها، ونزيد أننا لا نثبت ما لا نعرف.

وقال بعضهم: إنها حياة يجعل الله بها الروح في جسم آخر يتمتع به ويرزق، ورووا في هذا روايات منها الحديث الذي أشار إليه المفسر الجلال، وهو أن أرواح الشهداء عند الله في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة (كيف شاءت)[6]

وقيل: إنها حياة الذكر الحسن والثناء بعد الموت

وقيل: إن المراد بالموت والحياة الضلال والهدى، رُوي[7] هذا عن الاصم[8] أي لا تقولوا: إن باذل روحه في سبيل الله ضال بل هو مهتد،

= ١٩٣٥ م.

* انظر ترجمته معجم المؤلفين (٣/ ٢٩٣) مؤسسة الرسالة ط الاولى ١٤١٤ هـ.

(١) تفسير المنار (٢/ ٣٧).

(٢) في الاصل: (لهم) والتصويب من تفسير المنار (٢/ ٣٧).

(٣) في الأصل: الذي والتصويب من المصدر نفسه (٢/ ٣٨)

(٤) الذي في الأصل: المسلمين والمثبت من المصدر نفسه (٢/ ٣٨).

(٥) ما بين معقوفتين من تفسير المنار (٢/ ٣٨)

(٦) ما بين قوسين ليس في تفسير المنار (٢/ ٣٨). وقد تقدم تخريج الحديث (ص ٣٥٥).

(٧) في الأصل: وروي والمثبت من المنار (٢/ ٣٨).

(٨) هو أبو بكر الأصم شيخ المعتزلة، كان ثمامة بن أشرس يتغالى فيه ويطنب في وصفه، وكان ديناً وقوراً صبوراً على الفقر إلا أنه كان فيه ميل عن علي، له تفسير، وكتاب خلق القرآن والأسماء الحسنى. وغيرها. توفي سنة ٢٠١ هـ.

* أنظر السير (٩/ ٤٠٢).

[وقيل: إنها حياة روحانية محضة][1]

وقيـل: إن المراد أنهم سيحيون في الآخرة، وأن الموت ليس عدماً محضاً كما يزعم بعض المشركين، فالآية عند هؤلاء على حد ﴿ إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ * وإن الفُجَّارَ لَفي جحيم ﴾[2] أي [إن][3] مصيرهم إلى ذلك.

قال الأستاذ الإمام[4] بعد ذكر الخلاف: وقال بعض العلماء الباحثين في الروح: إن الروح إنما تقوم بجسم [لطيف][5] أثيري [في صورة هذا الجسم المركب الذي يكون عليه الإنسان في الدنيا، وبواسطة ذلك الجسم الأثيريُ][6] تجول الروح في هذا الجسم المادي، فإذا مات المرء وخرجت روحه فإنما تخرج بالجسم /٢٩٦/ الأثيري، وتبقى معه، وهو جسم لا يتغير ولا يتبدل، ولا يتحلل، وأما هذا الجسم المحسوس فإنه يتحلل ويتبدل (*) في كل (عدة)[7] سنين. قال: ويقرب هذا القول من مذهب المالكية، فقد روي عن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إن الروح صورة كالجسد، أي لها صورة. وما الصورة إلا عَرَض، وجوهر هذا العرض[8] هو الذي سماه العلماء بالأثير.

وإذا كان من خواص الأثير النفوذ في الأجسام اللطيفة والكثيفة كما يقولون حتى

---

(١) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والاستدراك من تفسير المنار(٢/٣٨).

(٢) سورة الإنفطار، آية/ ١٣ ـ ١٤.

(٣) ما بين معقوفتين من المنار (٢/٣٨).

(٤) هو محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، متكلم أديب لغوي كاتب صحفي سياسي ولد في مصر أواخر سنة ١٢٦٦ هـ وحفظ القرآن صغيراً. وطلب العلوم وذاع صيته حتى صار مفتياً للديار المصرية لازمه محمد رشيد رضا وتأثر به. وله شطحات في العقليات، واتهم بالماسونية وعلمه عند الله عز وجل ت سنة ١٣٢٣هـ ١٩٠٥ م من كتبه رسالة التوحيد.
* انظر معجم المؤلفين (٣/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥). والاعلام (٦ / ٢٥).

(٥) ما بين معقوفتين من تفسير المنار (٢/٣٨).

(٦) ما بين معقوفتين من تفسير المنار (٢/٣٨).

(*) تصحفت في الاصل ، والتصحيح من الحاشية

(٧) كذا في الأصل وفي المنار (٢/٣٩): بضع.

(٨) العرض هو: الذي يعرض في الجوهر، ولا يصح بقاؤه وقتين.
والجوهر: الذي له حيز، والحيز هو المكان أو ما يقدر تقدير المكان عن أنه يوجه فيه غيره.
* انظر الإنصاف للباقلاني (ص: ٢٧).

وقد تنازع المتكلمون في المقصود بالجوهر والعرض، ولايقال عن الروح إنها من باب الأعراض التي هي قائمة بغيرها، بل هي من باب مايقوم بنفسه، ويشار إليها، وتصعد وتنزل وتخرج من البدن، وتسل منه. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩ / ٢٩٨ - ٣٠٢).

إنه هو الذي ينقل النور من الشمس إلى طبقة الهواء، فلا مانع أن تتعلق (به)[1] الروح المطلقة في الآخرة ثم هو يحل بها جسماً آخر تنعم به وترزق، سواء كان جسم طير أو غيره، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿ بل أحياء عند ربهم يُرزَقون ﴾[2] وهذا القول يقرب معنى الآية من العلم.

والمعتمد عند الأستاذ الإمام في هذه الحياة هو أنها حياة غيبية تمتاز بها أرواح الشهداء على سائر أرواح الناس، بها يرزقون وينعمون، ولكننا لا نعرف حقيقتها ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها، ولا نبحث عن ذلك لأنه من عالم الغيب الذي نؤمن به، ونفوض الأمر فيه إلى الله [تعالى][4]

ذكر الله تعالى فضل الشهادة التي استهدف لها المؤمنون في سبيل الدعوة إلى الحق والدفاع عنه. انتهى.

فإذا عرفت ما قاله العلماء في حياة الشهداء التي ثبتت بالكتاب والسنة وأنها ليست كحياتنا علمت /٢٩٧/ قطعاً [بطلان][5] ما بنى عليه السبكي من جواز سؤال الميت ما كان يقدر عليه في الدنيا لأنه حي في قبره حياة حقيقية[6].

ثم يقال له: فهل كان الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ يعلمون ذلك أم لا؟ فإن كانوا يعلمونه فَلِم لَمْ يُنقل لنا بإسناد صحيح عن أحد منهم أنه كان يأتي إلى القبر المعظم، ويسأل منه ﷺ ما كان يسأله منه في الدنيا ويستغيثه[7] ويشاوره مع علمه أنه يسمعه ويقدر على إجابته وقضاء حوائجه، بل كانوا يأتون إلى القبر الشريف ويسلمون عليه ثم ينصرفون، وإن كانوا لا يعلمون ذلك فمن أين أتى للسبكي أن هذه الحياة

---

(١) في الأصل له والمثبت من تفسير المنار (٢/ ٣٩).
(٢) سورة آل عمران، آية/ ١٦٩ وكلمت (بل) ليست موجودة في المنار (٢/ ٣٩).

(٤) ما بين معقوفتين من المنار (٢/ ٣٩).
(٥) ما بين معقوفتين زيادة مني حتى يستقيم الكلام، والله اعلم.
(٦) أي حقيقية كالحياة الدنيا، نعم هي حياة حقيقية برزخية لا يعلمها إلا الله عز وجل.
(٧) كذا في الأصل وجاء في الحاشية ويستفتيه.

حياة حقيقية يقدر معها على التصرف التام، فقد علمت بما قررناه أن السبكي لا حُجةَ له بما أورده في هذا الباب على مقصوده من جواز الاستغاثة بالمخلوق الميت أو الغائب.

وأما التوسل بالأنبياء والصالحين في حياتهم وبعد مماتهم فهو جائز كما قدمناه[1]، وقد عرفت الفرق بين التوسل والاستغاثة.

وللإمام الحافظ ابن القيم كلام نفيس ذكره في نونيته المسماة: "**بالكافية الشافية في الانتصار لأهل الفرقة الناجية**" يتعلق بما نحن فيه أردنا أن نختم به الكلام على هذا الباب.

قال رحمه الله تعالى ما نصه:

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم[2]

ولأجل هذا رامَ ناصرُ قولِكُم ... تَرْقيعهُ يا كثرةَ الخَلَقانِ[3] /٢٩٨/

قال: الرسولُ بقبره حيٌّ كما ... قد كان فوق الأرض والرُّجمانِ[4]

من فوقه أطباقُ ذاك التربِ واللَّـ ... ـلبِنَاتُ[5] قد عُرِضَتْ على الجُدرانِ

لو كان[6] حياً في الضّريح حياتَهُ ... قَبلَ الممات بغير ما فرقانِ

ما كان تحتَ الأرضِ بل [من][7] ... فوقها واللهِ هٰذي سُنَّةُ الرحمٰنِ

---

(١) وقد تقدم رده وأنه عمل غير صالح لم يفعله السابقون الأولون.

(٢) جاء في الأصل: فصل في كلام الأنبياء في قبورهم والتصويب ما أثبتُّ من شرح ابن عيسى (٢/ ١٥٤) والهراس (٢/ ٤) ومتن القصيدة النونية (ص: ١٣٠).

(٣) الخلقان: يقال: ثوب خَلِق أي بالٍ. مختار الصحاح (ص: ١٨٧). والقاموس المحيط (ص: ١١٣٧).

(٤) الرجمان: الرُّجمة كالعجمة واحدة الرُّجَم. والرجام وهي: حجارة ضخام دون الرضام وربما وضعت على القبر... مختار الصحاح (٢٦...

(٥) اللبنات: جمع لبنة وهي التي يبنى بها. * انظر مختار الصحاح (ص: ٥٩١).

(٦) في شرح الهراس (٢/ ٥) أو كان.

(٧) ما بين معقوفتين من المطبوع (ابن عيسى ٢/ ١٥٤) و (الهراس ٢/ ٥) ومتن القصيدة النونية (ص: ١٣٠) واستدركها في الأصل أحد القراء وكتبها (هو).

أَتُــراهُ تحـــت الأرضِ حيــاً ثــم لا   يفتيهُـــــمُ بشرائـــــع الإيمـــــانِ
ويُــــريـــحُ أمتَـــهُ مـــن الآراءِ والـ   خُلْـفِ العظيـمِ وسـائـرِ البُهْتـانِ
أم كــان حيــاً عــاجـزاً عــن نُطْقِـهِ   وعــن الجــواب لســائـلٍ لَهْفــانِ
وعنِ الحِرَاكِ فما الحياة اللات[1] قد   أثبتُّمــوهــا؟ أَوضِحُــوا ببيــان؟[2]

*   *   *

هــــذا ولِمَ لا جـــاءَهُ أَصْحـــابُـــه   يشكـون بـأس الفـاجـر الفَتَّـان[3]
إذ كـــان ذلـــك دأبَهـــم ونبيُّهـــمْ   حـــيٌّ يشـاهُـدهـمْ شُهُـوَد عَيـانِ
هـلْ جـاءَكُـمْ أثـرٌ بـأنَّ صِحَـابَـهُ   ســألـوه فُتيــا وهـو في الأكْفــانِ
فـأجـابهُـمْ بِجَـوابِ حـي نـاطِـقٍ   فـــأْتُـــوا إذاً بـــالحـــقِّ والبُرْهـــانِ
هــلاَّ أجــابهــم جــوابــاً شــافيــاً   إن كـــان حيــاً نــاطقــاً بلســانِ
هـذا ومـا شُـدَّتْ[4] رَكَـائبُـه عـن الـ   حُجُـرات للقـاصي مـن البلـدان
مع شدة الحرص العظيم له على   ارشادهم بطرائق التبيـــان
أتــراه يشهــد رأيهــمْ وخــلافهــمْ   ويكـــون للتبيـــانِ ذا كِتمـــانِ

---

(١) قوله (اللات) في الأصل: الات وفي الحاشية: اللاتي والتصويب من ابن عيسى (٢/ ١٥٥) والهراس (٢/ ٥) والقصيدة النونية (ص: ١٣٠).

(٢) ومعنى هذه الابيات مختصراً: أن ابن القيم لما ذكر قول القائلين أن الروح عرض والعرض لا يقوم بنفسه ولا يقوم إلا بغيره كالالوان ونحوها لا تقوم إلا بجسم فإذا كانت الروح عرضاً لا تقوم بغيرها وفارقت الجسم بطلت صفات الجسم والرسالة صفة للرسول ﷺ فيلزمهم أن الرسول ﷺ لما مات انتفت صفة الرسالة، فلما رأوا شناعة هذا اللازم فروا إلى القول بأن الرسول ﷺ حي في قبره كحياته على وجه الأرض، فاحتج الناظم عليهم بأن الرسول ﷺ لو كان حياً في الضريح كحياته قبل دفنه، ما كان تحت الارض مدفوناً بل كان فوق الارض، فأي حاجة إلى دفنه وهو حي. هذه سنة الله في الأحياء، وكيف يكون حياً تحت الارض كحياته على وجهها، ثم لا يفتي اصحابه بالشرائع ويريحهم من الخلافات التي حصلت بينهم، أم أنه حي كحياته فوق الأرض ثم هو عاجز عن النطق واجابة السائل والحركة، فأي حياة هذه التي اثبتموها. أوضحوها لنا بالبرهان.
* انظر شرح ابن عيسى (٢/ ١٥٥) باختصار وتصرف يسيرين.

(٤) في متن القصيدة (ص: ١٣٠) وما شهدت. وكذلك هي في الاصل ثم صححت في الهامش كما اثبت. وكذلك قوله: ركائبه، زيد فيها في الاصل بخط مغاير، فأصبحت: ركائبهم.

إن قلتُمْ سَبقَ البيانُ، صدقْتمْ ... قد كان بالتكرار[1] ذا إحسانِ

* * *

هذا وكمْ مِنْ أمرٍ أشكلَ بعدَهُ ... أعنى على علماء كل زمانِ/٢٩٩

أوْ ما ترى الفاروق وَدّ بأنّهُ ... قد كان منه العهدُ ذا تبيانِ؟

بالجدِّ في ميراثه، وكلالةٍ[2] ... وببعض أبواب الربا الفتّانِ[3]

قد قصَّر الفاروق عند فريقكُمْ[4] ... إذْ لم يساله وهْو في الأكفانِ

أتراهُمْ يأتونَ حول ضريحِهِ ... لسؤالِ أمّهمْ أعزّ حَصَانِ

ونبيهُمْ حَيٌّ يشاهدهُمْ ويسْـ ... ـمَعُهُمْ ولا يأتي لهم ببيانِ

أيعجزُ أن يجيب بقوله ... إن كان حياً داخل البنيان؟؟!!

يا قومنا استحيوا من العقلاء والـ ... مبعوث بالقرآن والرحمن

والله لا قَدْرَ الرسولِ عرفتم ... كلا ولا للنفس والإنسان

من كان هذا القدر مبلغ علمه ... فليستتر بالصمت والكتمان

* * *

ولقد أبان الله أن رسوله ... مَيْتٌ كما قد جاء في القرآن

أفجاء[5] أن الله باعثه لنا ... في القبر قبل قيامة الأبدان

أثلاث موتات تكون لرسله ... ولغيرهم من خلقه موتان

---

(١) في الأصل للتكرار والتصويب من ابن عيسى (٢/١٥٦) والهراس (٢/٦) والقصيدة (ص: ١٣٠).

(٢) **الكلالة**: من لا ولَد له ولا والد. أنظر فتح الباري (١٢/٢٧).

(٣) روى البخاري (الأشربة - باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب - ١٠/٤٨ رقم ٥٥٨٨) ومسلم (التفسير - باب في نزول تحريم الخمر - ٤/٢٣٢٢ رقم ٣٠٣٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "ثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن, الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا" فعلى هذا يكون قد قصر الفاروق رضي الله عنه عندكم، فلسان حالكم يقول: قصرت يا عمر هلا سألت رسول الله ﷺ إذ هو عندك حيّ، فهو يجيبك.

(٤) في الأصل رفيقكم المثبت من شرح ابن عيسى (٢/١٥٧) والهراس (٢/٦) والقصيدة (ص: ١٣٠).

(٥) في متن القصيدة (ص: ١٣١) فجاء. دون ألف قبل الفاء.

إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ   في الأرض حياً قط بالبرهان
أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا   مات الورى أم هل لكم قولان
فتكلموا[1] بالعلم لا الدعوى وجيـ   ـبوا[2] بالدليل فنحن ذو أذهان
أو لم يقل من قبلكم للرافعي الـ   أصوات حول القبر بالنكران؟
لا ترفعوا الأصوات حرمةُ عبده   ميتاً كحرمته لدى الحيوان[3]
قد كان يمكنهم يقولوا إنه   حي فغضوا الصوت بالإحسان /٣٠٠/
لكنهم بالله أعلم منكُمُ   ورسولِهِ وحقائقِ الايمانِ
ولقد أتوا يوماً إلى العباس يسـ   ـتسقون من قحط وجَدْبِ زمان
هذا وبينهم وبين نبيهم   عرض الجدار وحُجْرة النسوان
فنبيهم حي ويستسقون غير نبيهم حاشا أولي الإيمان[4]

(١) في الأصل فتكموا.
(٢) لعل الأفصح أجيبوا. والله أعلم. أو تكون : وجيئوا.
(٣) يشير رحمه الله تعالى من باب: إلزام الخصم والاحتجاج عليه بما يحتج إلى القصة الضعيفة المنكرة التي ذكرها القاضي عياض في الشفا (٢/ ٩٢) أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين ناظر الامام مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له الإمام مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدَّب قوماً فقال ﴿ لا ترفعوا أصواتكُم فوق صوت النبي ﴾ الآية، ومدح قوماً فقال: ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﴾ الآية، وذم قوماً فقال: ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ الآية، وإن حُرمَتَهُ ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر إلخ.
وقال ابن كثير (٤/ ٢٢٢) في تفسيره (سورة الحجرات، آية/٢): وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: "أتدريان أين أنتما؟" ثم قال: من أين أنتما؟" قالا من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً. وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه يحترم حياً وفي قبره ﷺ دائماً.
وقال القرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٠٧): وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام. وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفاً لهم؛ إذ هم ورثة الانبياء.
وقال القاضي أبو بكر بن العربي: حرمة النبي ميتاً كحرمته حياً. أ.هـ. من القرطبي.
(٤) قصة استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما في الصحيح وقد تقدم تخريجها (ص: ١٨٠).

«فصل»

فيما احتجوا على حياة الرسل في القبور

فإن احتججتم بالشهيد بأنه ... حي كما قد جاء في القرآن
والرسل أكمل حالة منه بلا ... شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحقّ من ... شهدائنا بالعقل والبرهان
وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ ... فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يَحِلَّ لغيره ... منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه ... حي لمن كانت له أذنان
أو لم يرَ المختارُ موسى قائماً ... في قبره لصلاة ذي القربان[1]
أفميّتٌ يأتي الصلاةَ وإنّ ذا ... عينُ المحال وأوضحُ[2] البطلان
أَوَ لَمْ يقُلْ إني أرُدّ على الذي ... يأتي بتسليم مع الإحسان[3]
أيرُدُّ ميّتٌ السلام على الذي ... يأتي به؟ هذا من البهتانِ!!
هذا وقد جاء الحديث بأنهمْ ... أحياءُ في الأجداثِ ذا تبيانِ[4]
وبأن أعمال العباد عليه تُعـ ... ـرض دائماً في جُمعةٍ يومان

---

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أتيت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر" وقد تقدم تخريجه (ص:٣٥٣)

(٢) في متن القصيدة (ص: ١٣٢) وواضح.

(٣) روى أبو داود (المناسك ـ باب زيارة القبور ـ ٢/ ٥٣٤ رقم ٢٠٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام». وصححه النووي في الأذكار (١/ ٣٢٢).

(٤) روى أبو يعلى في مسنده (٦/ ١٤٧ رقم ٣٤٢٥) والبزار (مجمع الزوائد ٨/ ٢١١) والديلمي في الفردوس (١/ ١١٩ رقم ٤٠٣) وابو نعيم في اخبار أصبهان (٢/ ٤٤) والبيهقي في حياة الانبياء بعد وفاتهم رقم (١ ـ ٢) وغيرهم وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١١) رواه ابو يعلى والبزار ورجال ابي يعلى ثقات. وحسنه المناوي في فيض القدير (٣/ ١٨٤) وقال الالباني: اسناد جيد. * انظر السلسلة الصحيحة (٢/ ١٨٩) وصححه في صحيح الجامع رقم (٢٧٩٠): أن الانبياء أحياء في قبورهم يصلون.

يوم الخميس ويوم الاثنين الذي قد خُصَّ بالفَضْلِ العظيم الشانِ[1] ٣٠١

* * *

(١) ثبت عرض الأعمال يوم الخميس والاثنين على الله عز وجل كما روى ذلك مسلم في صحيحه (البر والصلة والآداب ـ باب النهي عن الشحناء والتهاجر ـ ٤/١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ رقم ٢٥٦٥) عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: تعرض اعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن، إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا، او اركوا، هذين حتى يفيئا، وفي رواية: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس»؛ الحديث،
وأما عرض الاعمال على رسول الله ﷺ فهذه بعض الأحاديث:
١ ـ ما أشار إليه الناظم رحمه الله تعالى، عن أنس عن رسول الله ﷺ وفيه «تعرض عليّ أعمالكم عشية الأثنين والخميس». رواه ابن عدي(٢ / ٩٤٥) وغيره بإسناد موضوع ضعفه غير واحد من أهل العلم. وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «تعرض عليّ أعمالكم كل خميس». أخرجه المخلص في حديثه وهو أيضاً موضوع. انظر السلسلة الضعيفة: (٢/٤٠٥ ـ ٤٠٦ رقم ٩٧٥).
٢ ـ «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم». رواه البزار (مجمع الزوائد ٦/ ٢٤) وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، أ.هـ. وفيه عبد المجيد بن عبد العزيز متكلم فيه، وروى مرسلاً بإسناد صحيح إلى من أرسل عنه وهو بكر بن عبد الله المزني. رواه ابن سعد (١٩٤/٢) واسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٥) بطرق عدة. وضعف الحديث الالباني في السلسة الضعيفة رقم (٩٧٥). وأوله «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام». وهذا الشطر صحيح.
٣ ـ عرض الصلاة يوم الجمعة. وسيأتي ـ إن شاء الله ـ قريباً (ص٣٦٥).

«فصـــل»

في الجواب عما احتجوا به في المسألة:

فيقـــالُ: أصـــلُ دليلِكُـــم في ذاك حُجّـتـنـــا عليكـــم وهـــي ذا تبيـــانِ

إنَّ الشهيـــدَ حيـــاتُـــه منصـــوصـــةٌ لا بـــالقيـــاسِ القـــائـــمِ الأركـــانِ

هـــذا مـــعَ النهـــي المـــؤكَّـــدِ أنَّنـــا نـــدعُـــوه مَيْتـــاً ذاك في القـــرآن[1]

ونِســـاؤهُ حِـــلٌ لنـــا مـــن بعْـــدِهِ والمـــالُ مَقْســـومٌ على السُّهمـــانِ

هـــذا وإنَّ الأرضَ تـــأكـــل لَحْمـــهُ وسبـــاعهـــا[2] مـع أُمـةِ الـديـدانِ

لٰكِنَّـــهُ مَـــعَ ذاك حَـــيٌّ فَـــارِحٌ مُستبشِرٌ بكـــرامـــةِ الـــرحٰمـــنِ

فـالـرسُـلُ أَوْلَىٰ بـالحيـاةِ لـديـهِ مـعْ مـــوتِ الجســـومِ وهـــذه الابـــدان

وهـي الطـريـة في التراب وأكلهـا فهـــو الحـــرام عليـــه بـــالبرهـــان[3]

ولبعـض أتبـاع الـرسـول يكـون ذا أيضـــاً وقـــد وجـــدوه رأي عيـــان

فـانظـر إلى قلـب الـدليـل عليهـمُ حـــرفـــاً بحـــرف ظـــاهـــر التبيـــانِ

---

(١) قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾، آل عمران، آية/١٦٩. وقال ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون﴾، البقرة، آية/١٥٤.

(٢) في الأصل: سباعه والتصويب من شرح ابن عيسى (٢/ ١٦٣) والهراس (٢/ ١٢) والنونية (ص: ١٣٢).

(٣) عن أوس بن أوس الثقفي قال: قال رسول الله ﷺ «إن من افضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثِروا عليّ الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي» قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرمت - يقولون: بليت - فقال: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء». أخرجه ابو داود (أبواب الجمعة - باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة - ١/ ٦٣٥ رقم ١٠٤٧) و (ابواب الوتر - باب في الاستغفار - ٢/ ١٨٤ رقم ١٥٣١) والنسائي (الجمعة - باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة - ٣/ ١٠١ - ١٠٢ رقم ١٣٧٣) وابن ماجه (الصلاة - باب فضل الجمعة -١/ ٣٤٥ رقم ١٠٨٥) وفي (الجنائز - باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ- ١/ ٥٢٤ رقم ١٦٣٦) واحمد في المسند (٤/ ٨) والدارمي (الصلاة - باب فضل الجمعة - ١/ ٣٦٩). وغيرهم صححه الالباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ١٩٦).

لكـــنْ رســـول الله خُـــصَّ نســـاؤه | بخصيصـة عـن سـائـر النسـوانِ[1]
خُـيِّرْنَ بين رسـولـه وسـواه فـاخـ | ـتَرْنَ الـرسُـولَ لصحـةِ الأيمـان[3]
شكـــرَ الإلـــهُ لهـــن ذاك وربُّنـــا | سبحـــانـــه للعبـــد ذو شكـــرانِ
قُصِرَ الـرسـول على أولئـك رحمـةً | منـهُ بهـن وشكـر ذي الإحسـانِ[2]
وكـذاك أيضـاً قصرهـن عليـه معـ | ـلـوم بـلا شـك ولا حسبـانِ
زوجـاتـه في هـذه الـدنيـا وفي الـ | أخـرى يقينـاً واضـح البرهـان
فلـذا حَـرُمْـن على سـواه بعـده | إذ ذاك صون عن فراش ثانِ[4]/ ٣٠٢
لكـــنْ أتينَ بعِـــدةٍ شرعيـــةٍ | فيهـا الحـدادُ وملـزمُ الأوطـانِ

* * *

هـــذا ورؤيتـــه الكليـــم مصليـــاً | في قبره أثـــر عظيـــم الشـــان
في القلب منه حَسِيكة[5] هل قاله | فـالحـق مـا قـد قـال ذو البرهـانِ
ولذاك أعرض في الصحيح محمد[6] | عنـهُ على عمـدٍ[7] بـلا نسيـانِ

---

(1) في الأصل: بخصيصة على سائر النسوان
والتصحيح من متن القصيدة (ص: ١٣٢) وشرحي النونية

(3) آية التخيير ﴿ يا أيها النبيُّ قُل لأزواجِكَ إن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحياةَ الدُّنيا وزينَتَها فتعالَيْنَ أُمَتِّعكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَميلاً * وإنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ ورسولَهُ والدّارَ الآخرةَ فإنَّ اللهَ أعَدَّ للمُحسِناتِ مِنكُنَّ أجراً عظيماً ﴾. سورة الأحزاب آية/ (٢٨ ـ ٢٩).

(2) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النساءُ . . . ولا أن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِن أزواجٍ ولَو أعجَبَكَ حُسْنُهنَّ إلاّ ما مَلَكَتْ يَمينُكَ وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ رَقيباً ﴾ سورة الاحزاب، آية/ ٥٢.

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وما كانَ لكُم أنْ تُؤذُوا رسولَ اللهِ ولا أنْ تَنكِحوا أزواجَهُ مِن بَعدِهِ أبداً، إنَّ ذٰلكُم كانَ عندَ اللهِ عظيماً ﴾ سورة الأحزاب آية/ ٥٣.

(٥) الحسيكة: الحقد والعداوة. أنظر القاموس المحيط (ص: ١٢٠٩) ولعل المراد هنا الشك وعدم اليقين وانظر شرح الهراس (٢/ ١٥).

(٦) هو محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح.

(٧) في الأصل عمداً.

والــــدارقطنــــي الأمــــام أعلّــــه ... بــــروايــــة معلــــومــــةِ التبيــــانِ
أنــس يقــول: رأى الكليــم مصليــاً ... في قبره فــاعجــب لــذي الفــرقــان
فــرواه مــوقــوفــاً عليــه وليــس بــالــ ... مــرفــوع واشــوقــاً على العــرفــان[1]
بين السيــاق إلى السيــاق تفــاوت ... لا تطَّــرحــه[2] فمــا همــا سيــان
لكــن تقلــدُ مسلمــاً وســواه ممـ ... ـن صــح هــذا عنــده ببيــانِ
فــرواتــه الاثبــات أعــلام الهــدى ... حفــاظ هــذا الــديــن في الأزمــان
لكــنَّ هــذا ليــس مختصــاً بــه ... والله ذو فضــل وذو إحســانِ
فروى ابنُ حبان الصدوقُ وغيرهُ[3] ... خبراً صحيحــاً عنــده ذا شــانِ
فيــه صــلاة العصر في قبر[4] الــذي ... قــد مــات وهْــو محقــق الايمــان
فتمثّـلُ الشمــس الــذي قــد كــان يــر ... عــاها لأجل صلاة ذِي القربان

---

(١) الحديث المرفوع الذي رواه مسلم تقدم تخريجه (ص:٣٥٣) وأما الحديث الموقوف الذي أعلّه الدراقطني به فرواه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٧/ ١١٧ رقم ٤٠٦٧ و ٧/ ١٢٦ رقم ٤٠٨٤). والبيهقي في حياة الانبياء بعد وفاتهم (ص ٧٨ رقم ٦)، وفي الاسناد. مرةً: عن أنس عن بعض أصحاب النبي ﷺ موقوفاً عليه، ومرة عن أنس موقوفاً عليه.

(٢) كذا في الأصل ومتن القصيدة (ص: ١٣١) والهراس (٢/ ١٥) وأما في شرح ابن عيسى (٢/ ١٦٥) لا تطرحنه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٦٧٠٣) وهناد في الزهد (٣٣٨) وابن حبان (٧/ ٣٨٠ رقم ٣١١٣) والطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد ٣/ ٥١ ـ٥٢) وغيرهم عن ابي هريرة أن النبي ﷺ قال: ان الميت إذا وضع في قبره انه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه قال: فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجلية، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل ثم يؤتي عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان: ما قبلي مدخل، فيقول له: اجلس، فيجلس، وقد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب فيقول له: هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وما تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي فيقولون: إنك ستصلي، أخبرنا عما نسألك عنه إلخ. ورواه الحاكم (٣٧٩١ ـ ٣٨١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسن اسناده الهيثمي (مجمع ٣/ ٥١ ـ٥٢)، وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على ابن حبان (٧/ ٣٨٢).

(٤) في متن القصيدة (ص: ١٣٣): في قبره.

عند الغروب يخاف فوت صلاته ... فيقول للملكين[1]: هل تدعانِ
حتى أُصَلِّ العصر قبل فواتها ... قالا: ستفعل ذاك بعد الآنِ
هذا مع الموت المحقق لا الذي ... حُكِيَتْ لنا، بثبوته القولانِ

هذا وثابت البناني[2] قد دعا الر ... حمن دعوة صادق الايقان
أن لا يزال مصلياً في قبره ... إن كان أعطى ذاك من إنسان[3]

لكن رؤيته لموسى ليلة المعـ ... ـراج فوق جميع ذي الأكوانِ
يرويه أصحاب الصحيح[4] جميعُهم ... والقطع موجبه بلا نكرانِ
ولذاك ظُنَّ معارضاً لصلاته ... في قبره إذ ليس يجتمعانِ
وأجيب عنه بأنه أسرىٰ به ... ليراه ثَمَّ مُشاهداً بعيانِ
فرآه ثَمَّ، وفي الضريح وليس ذا ... بتناقض إذ أمكن الوقتانِ

---

(١) في الأصل: للملكان، وهو خطأ.

(٢) هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري القرشي من أئمة التابعين كان إماماً في الحديث والفقه والورع وكان راوية أنس بن مالك رضي الله عنه وقال فيه: إن لكل شيء مفتاحاً وإن ثابتاً من مفاتيح الخير ـ توفي في خلافة خالد بن عبد الله علىٰ العراق.
* انظر طبقات ابن سعد (٧/ ٢٣٢) والسير (٥/ ٢٢٠).

(٣) روىٰ ابن سعد الطبقات (٧/ ٢٣٣) والامام أبو نعيم في الحلية (٢ / ٣١٩) بإسناد ثابت البنيان عن ثابت البناني قال: اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري. وروىٰ أبو نعيم (٢ /٣١٩) عن يوسف بن عطية قال سمعت ثابتاً يقول لحميد الطويل هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا. قال ثابت: اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره. وروىٰ أيضاً عن جبير قال: أنا والله الذي لا إلهٰ إلا هو أدخلت ثابتاً البناني لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه اللَّبِن سقطت لَبِنة فإذا أنا به يصلي في قبره وكان يقول في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها، فما كان الله ليرد دعاءه.

(٤) في متن القصيدة (ص: ١٣٣) الصحاح.

هـــذا ورَدُّ نبينـــا لســـلام[1] مـــن يـــأتي بتسليـــم مـــع الإحســـان[2]

مـــا ذاك مختصـــا بـــه أيضـــاً كمـــا قـــد قـــالـــه المبعـــوث بـــالقـــرآن

مـــن زار قبر أخ لـــه فـــأتـــى بتســـ ـليـــم عليـــه وهـــو ذو إيمـــان

رد الإلـــه إليـــه[3] حقـــاً روحـــه حتـــى يـــرد عليـــه رد بيـــان[4]

---

(١) في الأصل والمتن (ص: ١٣٤) والهراس (١٧/٢) التسليم، والمثبت من شرح ابن عيسى (١٦٨/٢).

(٢) يشير إلى حديث رسول الله ﷺ، ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام، رواه ابو داود وغيره باسناد صحيح تقدم تخريجه (ص:٣٦٣).

(٣) في متن القصيدة (ص: ١٣٤) وابن عيسى (١٦٩/٢) والهراس (٢ / ١٧) عليه.

(٤) ١ ـ يشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام» رواه ابن عبد البر في الاستذكار (باب جامع في الوضوء (١/ ٢٣٤). قال عبد الحق الاشبيلي إسناده صحيح يشير إلى أن رواته ثقات وهو كذلك إلا أنه غريب بل منكر قاله ابن رجب (الاهوال ص: ١٤١) وضعفه الالباني في الآيات البينات (ص: ٢٨).

٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم».

٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السلام" أخرجهما ابن ابي الدنيا في القبور (كما في الروح لابن القيم ١/ ١٦٩ ـ ١٧٠). **أما أولهما** فشديد الضعف فيه ضعيف ومختلط وكذاب، وأما **الثاني**؛ ففيه إرسال ورجل فيه لين وآخر صدوق له أوهام، والحديث موقوف

وقد روي مرفوعاً الشطر الأول فقط. رواه الخطيب وابن عساكر ضعيف الجامع (رقم: ٥٢١١). وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف وقد تقدم، وأخرجه الذهبي ضمن الميزان في ترجمته (٢/ ٥٦٥). وانظر الكلام عليهما الصارم المنكي (ص:٢٩٦-٢٩٧).

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه وقف على مصعب به عمير حين رجع من أحد، فوقف عليه وعلى أصحابه. فقال: أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة خرجه البيهقي في الدلائل (٣ / ٢٨٤) والحاكم وصححه (٢ / ٢٤٨) وتعقبه الذهبي بقوله : كذا قال . وأنا أحسبه موضوعاً أ . هـ .

وقال ابن رجب في الأهوال (ص : ١٤٢) : وبالجملة فهذا إسناد مضطرب ، ومتنه مختص بالشهداء ، وهذا أشبه من حديث بشر بن بكر ، يقصد الحديث الذي رواه ابن عبد البر . وهو الحديث الأول .

وانظر الصارم المنكي ففيه غير هذه الآثار (ص : ٢٩٧) .

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم[1] لما يصح وظاهر النكران
فانظر إلى الإسناد تعرف حاله إن كنتَ ذا علم بهذا الشان

هذا ونحن نقول هم أحياءُ لـ ـكن عندنا كحياة ذي الأبدان[2]
والترب تحتهم وفوق رؤوسهم وعن الشمائل ثم عن أيمانِ[3]
مثلُ الذي قد قلتموه معاذُنا بالله من إفكٍ ومن بُهتانِ
بل عند ربهم تعالى مثلُ ما قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهم أجلُّ وحالُهم أعلى وأكمل عند ذي الاحسانِ

هذا وأما عرض أعمال العبا د عليه فهو الحق ذو إمكانِ /٣٠٤/
وأتى به أثر فإن صح الـ ـحديث به فحقٌّ ليس ذا نكرانِ[4]

---

(١) علق الشيخ العلامة عبد الرزاق حمزة قائلاً: يشير لحديث أنس "الانبياء أحياء في قبورهم يصلون، (أخرجه) البيهقي في جزء سماه حياة الأنبياء (بعد وفاتهم) وفي سنده الحسن بن قتيبة المدائني. قال البيهقي: هذا حديث في إفراد الحسن بن قتيبة المدائني. قال الذهبي فيه: هالك، متروك، قاله الدارقطني. ضعيف، قاله ابو حاتم. واهي الحديث قاله الازدي أ.هـ. (من الميزان) ولسانه، وفي سنده (أيضاً) الحجاج بن الاسود نكرة ما روى عنه سوى المستلم (بن) سعيد أتى بخبر منكر، قاله الذهبي في الميزان أ.هـ.

قلت وانظر كلام الذهبي في الحسن بن قتيبة في الميزان (١/٥١٨ ـ ٥١٩). وكلامه في الحجاج بن الاسود (١/٤٦٠) وقد تقدم تخريج الحديث (ص:٣٦٣) وأن الالباني صححه لوجود متابعات صحيحة له، واما الذهبي وابن القيم فاستنكراه اعتماداً على الاسناد الأول الذي فيه الحسن بن قتيبة، والحجاج بن الأسود، وانظر الصحيحة للألباني رقم (٦٢١)

(٢) قوله: لكن عندنا كحياة ذي الابدان، هذا موصوف صفة أي مثل الذي قد قلتموه، لا نقول بذلك، معاذ الله من ذلك، أي لا نقول كما قلتم: "إن حياتهم عندنا كحياتهم على وجه الأرض، نعوذ بالله من افك ومن بهتان بل هم أحياء عند الله ... الخ". * انظر شرح ابن عيسى (٢/٧٢).

(٣) في الأصل عن أبدان، والتصويب من شرح ابن عيسى (٢/١٧١) والهراس (٢/١٨) والقصيدة (ص: ١٣٤).

(٤) حديث عرض الأعمال على رسول الله ﷺ قد تقدم (ص٣٦٤). وأما عرض الصلاة عليه يوم =

لكـــن هـــذا ليـــس مختصـــاً بـــه   أيضـــاً بـــآثـــار ـ رُويـــن ـ حســـانِ
فعلى أبي الانســـان يُعـــرَضُ سَعْيُـــه   وعلى أقـــاربـــه مـــع الإخـــوانِ
إن كـان سعيـاً صـالحـاً فـرحـوا بـه   واستبشروا يـــا لـــذة الفـــرحـــانِ
أو كـان سعيـاً سيئـاً حـزنـوا وقـا   لـــوا رب راجعـــه الى الإحســـانِ
ولذا استعاذ من الصحابة من روى   هـــذا الحـــديـــث عقيبـــه بلســـانِ
يـــا رب إني عـــائـــذ مـــن خـــزيـــة   أخـزى بها عنـد القريـب الـداني[1]
ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة[2] الـ   ـمحبوُّ[3] بالغفران والرضوانِ[4]

= الجمعة فإنه ثابت: وهو قوله: اكثروا من الصلاة علي فإن صلاتكم معروضة عليَّ قالوا: كيف تعرض عليك وقد أرمت قال: إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء، وقد تقدم تخريجه من حديث أوس بن أوس (ص: ٣٦٥) وسيأتي حديث موضوع في عرض الاعمال يوم الجمعة على الانبياء والاقارب ـ وذلك عند الكلام على عرض الاعمال عليهم (ص: ٣٧٢).

(١) في الأصل (الدانِ) بلا ياء والمثبت من شرح ابن عيسى (٢/ ١٧٢) والهراس (٢/ ١٩).

(٢) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس الأنصاري الخزرجي أبو محمد، وقيل غير ذلك في كنيته، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والحديبية وباقي المشاهد قبل الفتح فإنه قتل قبله في مؤتة، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة، وهو خال النعمان بن بشير. * أنظر الاستيعاب (٦/ ١٧١) وأسد الغابة (٣/ ٢٣٤) والإصابة (٦/ ٧٧).

(٣) في الأصل ومتن القصيدة (ص: ١٣٤): المحبوب، والتصويب من شرحي النونية.

(٤) أحاديث عرض الأعمال على الأهل والاقارب لا تخلو من مقال والذي وقفت عليه ما يلي:

١ ـ حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تعرض عليهم.» أخرجه ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في المنامات (ص ١٨ ـ ١٩ رقم ١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٧) والبيهقي في الشعب (٧٢٤٢) والحكيم الترمذي في النوادر وابن لال كما في كنز العمال (٤٢٧٤١). وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: فيه مجهولان.

٢ ـ حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم، فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور». رواه ابن ابي الدنيا في المنامت ص (١٩ ـ ٢٠ رقم ٢). ومن طريقه الاصبهاني في الترغيب والترهيب (١/ ١٤٢ رقم ١٥٦). والمحاملي كما في تخريج العراقي للاحياء (٤/ ٤٨١) والديلمي في مسند الفردوس (٥/ ١٧٨ رقم ٧٥٣٣) ضعفه العراقي في تخريج الاحياء والسخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٤٦٤)، ففيه عبد الله بن شبيب اخباري واهٍ ذاهب الحديث وانظر الميزان (٢/ ٤٣٨).

٣ ـ حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً. «إن اعمالكم تعرض على عشائركم واقربائكم في قبورهم فإن=

= كان خيراً استبشروا لذلك وإن كان غير ذلك قالوا: "اللهم (ألهمهم) أن يعملوا بطاعتك"». رواه ابو داود الطيالسي في مسنده (١٥٧/١ رقم ٧٤٤ منحة المعبود) فيه الصلت بن دينار شديد الضعف انظر الميزان (٣١٨/٢).

٤ - ومثله عن أنس بن مالك رضي الله عنه، إلا أن آخره «اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا» أخرجه احمد (١٦٥/٣) والحكيم الترمذي وابن منده (كما في شرح الصدور للسيوطي (ص:٣٤٢) وفي سند أحمد مجهول ففيه عمن سمع أنس بن مالك، وضعفه الالباني في الضعيفة (رقم: ٨٦٣).

٥ - عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه مرفوعاً: «تعرض اعمالكم على الموتى فإن رأوا حسناً فرحوا، واستبشروا وقالوا: "اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها عليه، وإن رأوا سوءاً قالوا: اللهم راجع به"». رواه ابن صاعد في روايته لزهد بن المبارك (رقم ٤٤٤) وفيه سلام الطويل ضعيف جداً (الميزان: ١٧٥/٢) ورواه ابن حبان في الضعفاء (٣٣٦/١) وقال عن سلام : "يروى عن الثقات الموضوعات" ولكن رواه ابن المبارك في الزهد (رقم ٤٤٣) وابن ابي الدنيا في المنامات (٢٠ - ٢١ رقم ٣) موقوفاً باسناد صحيح.

٦ - عن أبي أيوب ايضاً نحوه مرفوعاً: من حديث طويل وفيه : «وإن اعمالكم تعرض على اقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فإن كان خيراً فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك، وأتمم نعمتك عليه وأمته عليها، ويعرض عمل المسيء فيقولون: اللهم ألهمه عملاً صالحاً ترضى به عنه وتقربه إليك"». رواه الطبراني في الاوسط والكبير كما في مجمع الزوائد (٣٧٧/٢) وقال الهيثمي وفيه مسلمة بن علي وهو ضعيف. وقال الحاكم: "روى عن الاوزاعي والزبيدي المناكير والموضوعات". وقال الالباني عن هذا الحديث ضعيف جداً. وانظر السلسلة الضعيفة (رقم: ٨٦٤).

٧ - عن عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله، وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً، فاتقوا الله، ولا تؤذوا أمواتكم». أخرجه الحكيم الترمذي كما في الحاوي للفتاوي (١٧١/٢) وشرح الصدور (ص:٣٤٣) قال الالباني: موضوع، المتهم به عبد الغفور هذا. قال ابن حبان (١٤٨/٢) المجروحين: "كان ممن يضع الحديث على الثقات". وانظر السلسلة الضعيفة (رقم: ١٤٨٠).

٨ - عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنّ أبا الدرداء كان يقول: "إن اعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤون وكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: "اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبد الله بن رواحة". أخرجه ابن المبارك في الزهد (رقم ١٦٥) زوائد نعيم وابن ابي الدنيا في المنامات (ص: ٢١ - ٢٢ رقم: ٤) ومن طريقه الاصبهاني في الترغيب (١٤٢/١ - ١٤٣ رقم: ١٥٧) وفيه انقطاع بين عبد الرحمن بن جبير بن نفير وبين ابي الدرداء. وفي المطبوع من الزهد: عبد الله بن جبير.

٩ - عن بلال بن أبي الدرداء قال: كنت أسمع أبا الدرداء وهو ساجد يقول: "اللهم إني أعوذ بك =

لكــن هــذا ذو اختصــاص والــذي للمصطفــى مــا يعمــل الثقــلان[1]

هٰــذي[2] نهـايـات لإقــدام الــورىٰ في ذا المقامِ الضَنْكِ صعبِ الشانِ
والحــق فيــه ليــس تحملــه عقـــو ل بنـي الــزمــان لغلظـة الاذهــانِ
ولجهلهــم بــالــروح مــع أحكــامهــا وصفــاتهــا لــلإِلْــف بــالأبــدانِ
فــارض الــذي رضي الإلٰــه لهــم بــه أتــريــد تنقــض حِكمَــةَ الــديــانِ
هــل في عقــولهــم بــأن الــروح في أعلى الـــرفيـــق مقيمـــة بجنـــانِ
وتُــرَدُّ أوقــات الســلام عليــه مــن أتبـــاعـــه في ســـائـــر الأزمـــانِ
وكـــذاك إن زرت القبــور مسلِّمــاً رُدَّت لهـــم أرواحهـــم لـــلاَنِ
فهـــم يـــردون الســـلام عليـــك لـ كـن لسـت تسمعـه بـذي الآذانِ[3]
هــذا وأجــواف الطيــور الخضر مســ كنها لدى الجنات والرضوانِ /٣٠٥/
مــن ليــس يحمــل عقلــه هــذا فــلا تظلمـــه واعـــذره على النكـــرانِ
للــروح شــأن غيرُ ذي الاجســام لا تُـهمِلْه، شأنُ الروح أعجبُ شانِ
وهــو الــذي حــار الــورى فيــه فلــم يعـــرفـــه غير الفـــرد في الأزمـــانِ
هـــذا وأمـــر فـــوق ذا لـــو قلتُـــه بـــادرت بـــالانكـــار والعـــدوانِ
فلــذاك أمسكــت العِنــان ولــو أرى ذاك الــرفيــق جــريــتُ في الميــدانِ

= أن يمقتني خالي عبد الله بن رواحة إذا لقيته". رواه ابن أبي الدنيا في المنامات (ص: ٢٢ رقم: ٥) وفي سند المطبوع سقط فلا يعرف حاله: وإلى هذين الأثرين اشار ابن القيم في القصيدة النونية حينما ذكر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه. هذا ما وقفت عليه من أحاديث في عرض الاعمال على الإخوان والأقارب. وأصح ما في الباب حديث أبي أيوب الموقوف. والله اعلم.

(١) تقدم حديث عرض الاعمال وما فيه. (ص: ٣٦٤).

(٢) في الأصل: هذا والتصويب من شرح ابن عيسى (٢/ ١٧٤) والهراس (٢/ ٢١) والقصيدة (ص: ١٣٤).

(٣) جاء في المصادر السابقة الاذنان، وكذا في الاصل ثم صححت في الهامش كما اثبت.

هـــذا وقـــولي: إنهـــا مخلـــوقـــةٌ — وحـــدوثهـــا المعلـــوم بـــالبرهـــان[1]

هـــذا وقـــولي: إنهـــا ليســـت كمـــا — قـــد قـــال، أهـــل الافـــك والبهتـــانِ

لا داخـــل فينـــا[2] ولا هـــي خـــارج — عنـــا كمـــا قـــالـــوه في الـــديّـــانِ[3]

والله لا الـــــرحْمـــــن أثبتـــــم ولا — أرواحَكُـــم يـــا مـــدعـــي العـــرفـــانِ

عطلتـــم الأبـــدان مـــن أرواحهـــا — والعـــرشَ عطلتـــم مـــن الـــرحمـــنِ

انتهى ما أردت نقله من هذا الكتاب بحروفه. وهو وحده كاف لرد [ما أ][4] ورده السبكي وغيره في هذا الباب.

قلت: وقد توسع بعض الغلاة في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء رضي الله تعالى عنهم، ولم يقصر الحياة على ما ذكر، بل قال بحياة الأولياء في قبورهم وأنهم يخرجون منها فيقضون للناس المستغيثين بهم حوائجهم ثم يعودون.

انظر إن شئت الوقوف على هذا في حاشية الشيخ ابراهيم الباجوري[5]...

---

(١) ذهب صنف من الزنادقة والرافضة الى أن الروح غير مخلوقة. انظر الروح لابن القيم (٢/ ٥٠١ ـ٥٠٦).

(٢) في الأصل: فيها: والتصويب من شرح ابن عيسى (٢/ ١٧٦) والهراس (٢/ ٢١) والقصيدة (ص: ١٣٥).

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح (٢/ ٥٧٧) وقالت طائفة ليست النفس جسماً ولا عرضاً وليست النفس في مكان ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا لون ولا بعض، ولا هي في العالم ولا خارجه، ولا مجانبة له ولا مباينة، وهذا قول المشائين وهو الذي حكاه الاشعري عن ارسططاليس، وزعموا أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالالتصاق ولا بالمقابلة، وإنما هي بالتدبير له فقط، واختار هذا المذهب البشنجي ومحمد النعمان الملقب بالمفيد ومعمر بن عباد والغزالي وهو قول ابن سينا واتباعه، وهو رديء المذاهب وابطلها وأبعدها من الصواب أ.هـ.

(٤) ما بين معقوفتين زيادة مني ليستقيم الكلام.

(٥) هو ابراهيم بن الشيخ محمد الباجوري ولد سنة ١١٩٨ هـ ببلدة بيجور قرية من قرى مصر ونشأ فيها ثم ذهب الى الأزهر وعمره أربع عشرة سنة، وتلقى علومه من مشايخ مصر في الأزهر كالشيخ عبد الله الشرقاوي، فنبغ في عديد من العلوم وصنف فيها ومن اشهر مؤلفاته شرحه لجوهرة التوحيد في التوحيد الأشعري وحاشية على الشمائل. تولى مشيخة الأزهر في شعبان سنة ١٢٦٣ هـ وكان =

على جوهرة التوحيد للقاني[1] عند قوله:

وأثبتـــنْ لـــلأوليـــاء الكـــرامـــة

وقد عزى ذلك إلى الشيخ عبد الوهاب الشعراني[2] ولو أردنا ذكر جميع ما قيل من هذا القبيل لطال الكتاب بما لا فائدة فيه. فنسأله تعالى العافية مما ابتلى كثيراً من خلقه. آمين.

= عفا الله عنه من رؤوس التأويل والتصوف في ذلك الوقت حتى ان كتبه معتمدة عند من جاء بعده من الأشاعرة توفي في: ٢٨/١١/١٢٣٦ هـ. * انظر ترجمته حلية البشر (١/٧ - ١١).

(١) هو ابراهيم اللقاني المالكي، أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الإطلاع في علم الحديث والتبحر في الكلام، وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوى في وقته بالقاهرة، وكان قوي النفس عظيم الهيبة مقبول الشفاعة. ألف التأليف منها جوهرة التوحيد، في علم العقائد. وله حاشية على شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، وكان ينكر على أهل الموالد عقد مجلس الميلاد، ويجتنب الدخان وألف في ذلك رسالة سماها "نصيحة الإخوان في اجتناب الدخان". أخذ عنه كثير من الأجلاء. توفي وهو راجع من الحج سنة ١٠٤١ هـ. * انظر ترجمته: التاج المكلل (ص: ٣٩٣).

(٢) أنظر شرح الجوهرة (ص: ١٥٣) وعبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ويقال الشعراوي كان صوفياً خرافياً كبيراً يدل على ذلك مصنفاته في الخرافة مثل البحر المورود في المواثق والعهود، وكتاب الطبقات الكبرى للصوفية. وضع فيهما من الخرافات ما يندى له الجبين، ويأبى أن يضعه كل ذي دين. وكان له علم بالحديث وليته نفعه النفع الكبير. وأثر علمه بالحديث على بعض عباراته في الاتباع، فإن له عبارات تحض على الاتباع وترك الابتداع وهذا الكلام حجة عليه وعلى أمثاله من المتصوفة وأهل البدع. توفي سنة: ٩٧٣ هـ. * انظر ترجمته: التاج المكلل (ص: ٤٥٨).

ثم إن الامام السبكي ذكر بعد هذا الباب باباً آخر وهو المتمم لعشرة أبواب فقال:

الباب العاشر في إثبات الشفاعة له ﷺ واستغاثة الناس به يوم القيامة[1]

رتبه على فصول وكلها في هذا المعنى.

وجوابه أن يقال: نحن وشيخ الاسلام ابن تيمية وسائر طوائف أهل السنة قد أثبتوا الشفاعة له ﷺ ولم ينكرها غير المعتزلة(*) فأيّ فائدة في ذكر هذا الباب هنا؟ فإن كان مقصودُه إيهامَ العوام بأن شيخ الاسلام ابن تيمية ينكر الشفاعة فكلا ثم كلا. بل قد اثبتها في عدة كتب من كتبه. وكيف ينكر أمراً متواتراً وردت به صحاح الأخبار وتواترات عن النبي المختار؟ فلا ينكرها إلا كل جاهل مختال واثيم مضلال فنعوذ بالله من هذا الحال. وقد أطال الكلام على أحاديث الشفاعة شيخ الاسلام في كتابه «التوسل والوسيلة»[2] وغيره من مصنفاته رضي الله عنه.

وإن أراد ثبوت الاستغاثة بما ورد في بعض الفاظ هذه الأحاديث فنقول له: هذا صحيح لا مرية فيه. ولكن أين هذا مما نحن فيه؟

لأنا نقول: الممنوع طلب الحوائج والاستغاثة بالميت والغائب. وأما الحي الموجود بين ظهرانينا الذي نراه ونشاهده بأبصارنا فلا خلاف بين أحد من المسلمين بل وغيرهم في جواز الاستغاثة به في الشيء الذي يقدر عليه.

ونحن مطالبون بأن يعاون بعضنا بعضاً /٣٠٧/ كما قال تعالى: ﴿ وتعاوَنوا على البر والتقوى ولا تعاوَنوا على الإثم والعدوان ﴾[3]. وكما قال تعالى حكاية عن نبيه موسى: ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * أُشدُد به أزري * وأَشرِكهُ في

---

(١) شفاء السقام (ص: ٢١٤).

(٢) انظر التوسل والوسيلة ص ٧ وما بعدها. وص ٢٢١ وما بعدها. وص ٢٤٤ وما بعدها وص ٢٦٦ وما بعدها.

(٣) سورة المائدة، آية/٢.

(*) وقد انكرها الخوارج ايضا، انظر قسم الدراسة (ص: ١٠٦)

أمري ﴾[1] وقوله تعالى له: ﴿ سنشُدُّ عضُدَكَ بأخيك ﴾[2] وقوله ﷺ: «المؤمنون[3] كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[4]. وقوله في الحديث الآخر: «المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[5] أو كما قال.

وما ذكره السبكي من إستغاثة الناس به - ﷺ - يوم القيامة فهو من هذا الباب، فلا يدل على مقصوده، وإن أراد به شيئاً آخر غير ما ذكرنا فالله أعلم بما أراد.

ثم ذكر بعد ذلك فصلاً في تفسير المقام المحمود، ولكن لم يستوف الكلام فيه فإن الذي[6] تركه هو أعظم وأقر لعين نبينا ﷺ مما ذكره وهو أن الله سبحانه وتعالى: يُجلس[7] معه نبيه محمداً ﷺ[8] على العرش يوم القيامة كما جاء ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين[9].

---

(١) سورة طه، آية/ ٢٩ - ٣٢.

(٢) سورة القصص، آية/ ٥٣.

(٣) كذا في الأصل وجاء في الحاشية المؤمن للمؤمن. قلت: وهو المعروف من لفظ الحديث، وأما لفظ الأصل فلم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) أخرجه البخاري (الصلاة - تشبيك الاصابع في المسجد وغيره - ١/ ٦٧٤ رقم ٤٨١) وفي (المظالم - باب نصر المظلوم - ٥/ ١١٩ رقم ٢٤٤٦) وفي (الأدب - باب تعاون المسلمين بعضهم بعضاً - ١٠/ ٤٦٤ رقم ٦٠٢٦). ومسلم (البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم - ٤/ ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٥). والنسائي (الزكاة - باب أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه - ٥/ ٨٣ رقم ٢٥٥٩).

(٥) رواه البخاري (الأدب - باب رحمة الناس والبهائم - ١٠/ ٤٥٢ رقم ٦٠١١) ومسلم (البر والصلة والآداب - باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ رقم ٢٥٨٦). عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٦) في الأصل (فاالذي) والظاهر أن النون سقطت.

(٧) في الأصل يجالس. وفي الحاشية يجلس، والمثبت من الحاشية.

(٨) في الأصل زيدت كلمة (معه) بعد ﷺ وهي مكررة.

(٩) الذي ثبت عن النبي ﷺ وأصحابه أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى يوم القيامة. وأما ما عدا ذلك فلم يثبت لا مرفوعاً ولا موقوفاً ولا مقطوعاً على تابعي.

* أنظر الروايات الدالة على أن المقام المحمود هو الشفاعة في تفسير ابن كثير (٣/ ٥٨ - ٦٢) عند قوله تعالى: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ من سورة الاسراء.

ومثله لا يقال من قبل الرأي بل لا بد فيه من التوقيف[١]. فمِمن روى ذلك مجاهد[٢] وغيره وناهيك به كما قال الشافعي والبخاري رضي الله عنهما: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك.

ولكن لما لم يوافق هذا أهواءهم وآراءهم عدلوا عنه زاعمين أن هذا يفضي الى القول بالتجسيم كما تركوا غيره من نصوص الصفات وأخذوا يشنعون على شيخ الاسلام حيث ذكر هذا في كتاب العرش له.

وأنا اطلعت على كتاب العرش هذا فلم أجد فيه هذا الكلام /٣٠٨/ ولو ذكره فأي لوم يلحقه على ذلك[٣].

وقد ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالىٰ: ﴿ عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[٤] فممن ذكره في تفسيره الامام أبو جعفر ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان[٥]، ومنهم الامام الشيخ علي البغدادي المعروف بالخازن[٦]، ومنهم الأمام الحافظ جلال الدين السيوطي[٧] في تفسيره: الدر المنثور في التفسير بالمأثور[٨]، ومنهم الشهاب الخفاجي[٩] في حاشيته على الشفا وعزاه الى.........................

= انظر الشفا للقاضي عياض (١/ ٣٥٩ ـ ٣٧٤). وانظر مختصر العلو للألباني (ص ١٤ ـ وما بعدها) والسلسلة الضعيفة (رقم: ٨٦٥) وانظر قسم الدراسة (ص:١٢٨).

(١) هذا إن ثبت عن الصحابة، ولم يثبت. وأما قول التابعي فليس بحجة إذا لم يوافقه عليه غيره أو خالف آية أو حديثاً.

(٢) نعم روى ذلك عن مجاهد ولم يثبت عنه كما تقدم ص ٧٧٦

(٣) أنظر الرسالة العرشية لابن تيمية (٦/ ٥٤٥) مجموع الفتاوى.

(٤) سورة الاسراء، آية/ ٧٩.

(٥) انظر تفسير ابن جرير (١٥/ ٩٥ـ١٠٠).

(٦) هو علي بن محمد بن ابراهيم الشيحي ـ بلد في حلب ـ البغدادي علاء الدين ابو الحسن مفسر فقيه محدث مؤرخ ولد ببغداد وقدم دمشق وولي خزانة الكتب بالسميساطية. من تصانيفه. لباب التأويل في معاني التنزيل في التفسير وعمدة الافهام شرح عمدة الاحكام وغيرها.
* انظر شذرات الذهب (٦/ ١٣١) معجم المؤلفين (٢/ ٤٩٢) الرسالة.

(٧) هو الامام الحافظ العلامة الكبير عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي المصري الشافعي. نشأ يتيماً حفظ القرآن وله ثمان سنين ثم حفظ عمدة الاحكام والفية ابن مالك وغيرها دون البلوغ أكثر من التصانيف من مصنفاته الدر المنثور والجامع الصغير توفي سنة ٩١١ البدر الطالع (١/ ٣٢٨)

(٨) انظر الدر المنثور (٤/ ١٩٧).

(٩) احمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي شهاب، ابو العباس. لغوي أديب مشارك، ولد =

الدارقطني[1]،

فبالله عليك بعد نقل هؤلاء الأئمة كلهم يليق للنبهاني[2] أن يشنع على شيخ الاسلام لو ثبت عنه ذكر هذه المسألة، ولولا أن هذه التفاسير التي عزوت لها هذه المسألة كلها مطبوعة لنقلت في هذا الكتاب جميع ما قالوه، ولكن اكتفيت بالعزو لها عن نقلها روم الاختصار، والله الموفق والهادي وعليه اتكالي واعتمادي.

= بمصر سنة ٩٧٩ هـ وتوفي بها في رمضان سنة ١٠٦٩ هـ وقد أناف على التسعين. من مؤلفاته الكثيرة: شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، ونسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض. وشفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر والحوشي القليل.

* انظر خلاصة الأثر للمحبي (١/ ٣٣١) ومعجم المؤلفين (٢/ ٢٨٦).

(١) لقد قال بهذا القول عدة من السلف بل نقل عن بعضهم تبديع من يخالف هذا.

* انظر السنة للخلاّل (ص: ٢٠٩-٢٦٠) وانظر الدفاع عن السلف وعن هذا الرأي محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٦٩-٢٧٤).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسمعيل بن حسن بن ناصر الدين النبهاني الشامي الشافعي، أديب شاعر قاضي محكمة الحقوق الكبرى ببيروت سابقاً، كان صوفياً خرافياً، صنف كتابا جمع فيه الخرافات المزعومة عن الأولياء، وله كتب أخرى وأكثرها في المدائح النبوية، ضمنها شركيات مفضوحة، وُلد بقرية إجزم -بصيغة الأمر- بفلسطين سنة ١٢٦٦هـ، وتوفي في رمضان ١٣٥٠هـ. انظر ترجمته معجم الشيوخ للفاسي (ص: ١٦١) والأعلام (٨/ ٢١٨).

« فصل »

ولعلك إذا اطلعت على كتابي هذا يحوك في صدرك شيء منه من أجل أن بعض ما فيه من الفوائد مخالف لكثير مما عابه بعض الخلف[1].

فأقول لك: إعلم يا أخي أني ما ذكرت في كتابي هذا إلا ما تظاهرت به النصوص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وأهل الحديث أجمعين. لا خلاف بينهم في حرف مما ذكرناه في هذا الكتاب من العقائد[2].

وإليك نبذة مما عثرت عليه من ذلك. أقتصر فيها على ما ورد عن الأئمة الأربعة، أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين. حيث أن الناس في هذا الزمان /٣٠٩/ قد قصروا أحكام الدين على ما ورَد عنهم. فإذا كانوا قد ارتضوهم في أحكام الدين فلم لم يرضوهم في أصوله، فهل يكونون عدولاً وأمناء في الفقه دون العقائد فهذا لا يقول به أحد عرف قدرهم.

الكتاب والسنة هما الحجة

فإن كنت يا أخي لا ترضى لنفسك الا التقليد فها أنا أسرد كل عقائدهم، وإن كنت ممن يقول: إن العقائد لا يجوز فيها التقليد بحال، بل لا بد فيها من النظر والاستدلال قلنا لك: بيننا وبينك كتاب الله وسنة رسوله واقوال أصحابه، وكلها تنادي بأعلى صوت يسمعه القريب والبعيد؛ بأن الله سبحانه وتعالى على عرشه، وعرشه فوق سبع سمواته، وأنه ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا، وأن الملائكة يعرجون إليه، وأنه له يدان، وله عين، ونفس وقدم وساق وأنه يأتي يوم القيامة، وأنه يغضب ويرضى، ويحِب، ويُحَب، ويُبغض ويكره، ويعجب ويفرح، ويرحم ويحسن وغير ذلك من

---

(١) لعل الصواب أن يقول: مخالف لكثير مما عليه بعض الخلف الذين عابوا عقيدة السلف. والله أعلم. وانظر قسم الدراسة (ص:٢٣).

(٢) أمّا ما خالف فيه أو كان فيه خلاف فنبهت عليه.

الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة الصحيحة[١] وانكرها كثير من الخلف ولم ينكروا ورود لفظها، لأنه لا سبيل لهم الى انكار لفظها بل عمدوا إلى تحريفها وتأويلها وصرفها عن ظاهرها، فعند التحقيق هو إنكار للفظها ولكن تستروا بالتأويل والتحريف[٢] فوقعوا في التعطيل، وقالوا: إننا أردنا الرد على الفلاسفة والملاحدة، فلا لعدوهم كسروا ولا للاسلام نصروا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) سوف يورد المؤلف رحمه الله أدلة هذ الصفات من الكتاب والسنة.

(٢) لم يتستروا بالتحريف، ولكن بالتأويل الذي حقيقته تحريف والله أعلم.

ادلة الصفات من الكتاب

« فصل »

فإن قيل: هل يمكن إيراد شيء من الأدلة القرآنية والسنية على صحة /٣١٠/ هذه العقائد التي خالفها كثير من الخلف قبل ذكر أقوال الأئمة الأربعة. فالجواب: نعم قد ورد في ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وأهل الحديث أجمعين وأهل اللغة والفقهاء والمفسرين وأهل التصوف المحققين، نشير إلى بعض ذلك بأدنى اشارة وأوجز عبارة.

دليل الاستواء

فنقول وبالله التوفيق: أما الدليل على استوائه تعالى على عرشه فهو مذكور في الكتاب العزيز في سبعة مواضع.

الأول: من سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذي خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ في سِتةِ أيامٍ ثُمَّ استوىٰ على العرش ﴾[1].

الموضع الثاني: في أول سورة يونس عليه السلام[2].

الثالث: في أول سورة الرعد[3]

الرابع: في أول سورة طه[4][5]

=

(١) سورة الأعراف، آية/ ٥٤

(٢) سورة يونس، آية/ ٣ وهي قوله تعالى: ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر... ﴾.

(٣) سورة الرعد، آية/ ٢ وهي قوله سبحانه: ﴿ الله الذي رفع السمٰوات بغير عَمَدٍ ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر ﴾.

(٤) سورة طه، آية/ ٥ وهي قوله: ﴿ الرحمٰن على العرش استوىٰ ﴾.

(٥) جاء في الأصل عليه الصلاة والسلام ثم ضرب عليه وعلق في الحاشية: طه حرفان من حروف الهجاء وليس اسماً للنبي ﷺ كما توهمه الشيخ رحمه الله تعالى. قلت قد شاعت هذه التسمية كثيراً وظنها الناس صواباً ومثلها يس، واكثر ما يجب استعمالها الصوفية وأريد أن أسأل سؤالاً لماذا =

الخامس: في آخر سورة الفرقان[1]

السادس: في أول سورة السجدة[2] أَلَم

السابع: في أول سورة الحديد[3].

صفة العلو

وأما الدليل على علوه تعالى فوق جميع المخلوقات من القرآن فقوله تعالى: ﴿ وهو العلي العظيم ﴾[4] ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾[5] في موضعين ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾[6] ﴿ وهو العلي الكبير ﴾[7] ﴿ إنه علي حكيم ﴾[8].

وأما الدليل على كونه سبحانه وتعالى في السماء من القرآن فقوله تعالى: ﴿ أأمِنتُم مَنْ في السماء ﴾ في موضعَين[9]. وقوله تعالى: ﴿ يدبِّرُ الأمرَ مِن السَّماءِ إلى الأرضِ ثمَّ يعرُجُ إليه ﴾[10] وقوله تعالى: ﴿ تعرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه ﴾[11] وقوله تعالى: ﴿ إليه

= سمّوا طه ويس ولم يسموا (ق) و (ص) و (الم) و (حم عسق) أم انها الأهواء، وهل نضبت اسماؤه ﷺ حتى نخترع اسماء لا معنى لها.

(1) سورة الفرقان، آية/ 59. وهي قوله: ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، الرحمٰنُ فأسأل به خبيراً ﴾.

(2) سورة السجدة، آية/ 4 وهي قوله سبحانه: ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾.

(3) سورة الحديد، آية/ 4 وهي قوله: ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾.

(4) سورة البقرة، آية/ 255.

(5) سورة الأنعام، آية/ 18 وآية/ 61.

(6) سورة النحل، آية/ 50

(7) سورة سبأ، آية/ 23

(8) سورة الشورى، آية/ 51

(9) سورة تبارك، آية/ 16 ـ 17 والموضع الثاني: أم أمنتم.

(10) سورة السجدة، آية/ 5.

(11) سورة المعارج، آية/ 4.

يصعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ ﴾[1] والعروج والصعود لا يكونان[2] إلاّ من /٣١١/ أسفل إلى أعلى، وقوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ إنيّ مُتَوفِّيكَ ورافِعُكَ إليّ ﴾[3] وقوله تعالى رداً على اليهود حين ادعوا قتل عيسى ـ عليه السلام ـ وصلبَهُ: ﴿ وما قَتَلوهُ يقيناً بل رَّفعَهُ اللهُ إليه ﴾[4] وقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ يا هامانُ ابْنِ لي صرحاً لَعليّ أبلغُ الأسباب * أسبابَ السمٰواتِ فأطّلِعَ إلى إلهِ موسى ﴾[5] وقوله تعالى حكاية عنه في سورة القصص: ﴿ فأوقِد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعليّ أطّلعُ إلى إلـه موسى ﴾[6] وقوله تعالى في سورة المؤمن: ﴿ رفيعُ الدرجاتِ ذُو العرشِ ﴾[7].

صفة الاتيان

وأما الدليل على إثبات إتيانه يوم القيامة من القرآن فقوله تعالى: ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ﴾[8] في سورة البقرة وفي سورة الأنعام[9] وفي قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾[10].

صفة الصوت

وأما الدليل على أنه سبحانه وتعالى يَسْمعُ عبادُه صوته من القرآن العزيز فقوله تعالى: ﴿ ويوم يناديهم ﴾[11] في عدة مواضع، وقوله تعالى حكاية عن موسى:

---

(١) سورة فاطر، آية/ ١٠

(٢) في الأصل: يكونا.

(٣) سورة آل عمران، آية/ ٥٥.

(٤) سورة النساء، آية/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٥) سورة غافر، آية/ ٣٦ ـ ٣٧.

(٦) سورة القصص، آية/ ٣٨.

(٧) سورة غافر، آية/ ١٥.

(٨) سورة البقرة، آية / ٢١٠

(٩) اما آية الأنعام فهي: ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتيَ ربُّك أو يأتيَ بعضُ آياتِ رَبّك ﴾ آية/ ١٥٨.

(١٠) سورة الفجر، آية/ ٢٢.

(١١) سورة القصص، آية/ ٦٢ و ٦٥ و ٧٤.

﴿وناديناه من جانبِ الطُّورِ الأيمنَ﴾[1] ﴿فلما جاءها نودي أن بورك مَن في النارِ ومَن حولَها﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فلما أتاها نوديَ مِن شاطىء الوادِ الأيمن﴾[3].

صفة العين

وأما الدليل على إثبات صفة العين فقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ولتُصنَع على عيني﴾[4] وقوله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) (٥) وقوله تعالى: (تجري بأعيننا) (٦)

صفة النفس

وأما الدليل على إثبات صفة النفس فقوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾[7] في موضعين. وقوله تعالى حكاية عن عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿تعلم ما في /٣١٢/ نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾[8] وقوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾[9].

صفة اليدين

وأما الدليل على إثبات صفة اليدين فقوله تعالى رداً على اليهود: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[10] وقوله تعالى لأبليس اللعين: ﴿ما مَنَعكَ أن تسجُدَ لِما خلقْتُ بيديَّ﴾[11].

صفة الساق

وأما الدليل على اثبات صفة الساق فقوله تعالى في سورة نون: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾[12].

---

(١) سورة مريم، آية/ ٥٢.
(٢) سورة النمل، آية/ ٨.
(٣) سورة القصص، آية/ ٣٠.
(٤) سورة طه، آية/ ٣٩.
(٥) سورة النجم، آية/ ٤٨. (٦) سورة القمر، آية/ ١٤.
(٧) سورة آل عمران، آية/ ٢٨ و ٣٠.
(٨) سورة المائدة، آية/ ١١٦.
(٩) سورة طه، آية/ ٤١.
(١٠) سورة المائدة، آية/ ٦٤.
(١١) سورة ص، آية/ ٧٥.
(١٢) سورة ن والقلم، آية/ ٤٢.

صفة الرحمة

وأما الدليل على إثبات صفة الرحمة فقوله تعالى: ﴿ وهو أرحمُ الراحمين ﴾[1] ﴿ يعذب مَن يشاء ويرحمُ مَن يشاء ﴾[2].

صفة المحبة

وأما الدليل على إثبات صفة الحب له تعالى فقوله: ﴿ قل إن كنتم تحبون اللهَ فاتّبِعوني يُحبِبكُم الله ﴾[3] وأما الدليل على إثبات حب عباده له فقوله تعالى: ﴿ ومِنَ الناسِ مَن يتخِذُ مِن دونِ اللهِ أنداداً يحبُونَهم كَحُبِّ اللهِ، والذينَ آمَنُوا أشَدُّ حُبّاً لله ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ فسوف يأتي اللهُ بقومٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَه ﴾[5].

صفة الرضى

وأما الدليل على إثبات صفة الرضى له فقوله تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ﴾[6].

صفة الغضب

وأما الدليل على إثبات صفة الغضب له سبحانه فقوله تعالى: ﴿ ألَمْ تَرَ إلى الذين تَولَّوا قوماً غضب الله عليهم ﴾[7] وفي الآية الثانية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ﴾[8] وفي موضع ثالث ﴿ والخامسةَ أنَّ غضَبَ اللهِ علَيها إنْ كانَ مِن الصادقين ﴾[9].

---

(١) سورة يوسف، آية/ ٦٤ و ٩٢.
(٢) سورة العنكبوت، آية/ ٢١.
(٣) سورة آل عمران، آية/ ٣١.
(٤) سورة البقرة، آية/ ١٦٥.
(٥) سورة المائدة، آية/ ٥٤ ووقع في الأصل يأتِ دون ياء.
(٦) سورة الزمر، آية/ ٧.
(٧) سورة المجادلة، آية/ ١٤.
(٨) سورة الممتحنة، آية/ ١٣.
(٩) سورة النور، آية/ ٩.

صفة التعـ

وأما الدليل على إثبات صفة التعجب له تعالى فقوله جل ذكره في سورة الصافات: ﴿ بل عجبتُ ويسخرون ﴾[1] على قراءة من قرأ بضم التاء، وهما حمزة[2] والكسائي[3].

صفة السخـ

وأما الدليل على إثبات صفة السخط /٣١٣/ فقوله تعالى: ﴿ لبئس ما قدَّمتْ لهم أنفسهم أنْ سَخِطَ الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾[4] ﴿ ذٰلك بأنهم اتبعوا ما أسخطَ الله وكرِهوا رِضوانَهُ فأحبَطَ أعمالهم ﴾[5].

صفة الرأفة

وأما الدليل على إثبات صفة الرأفة له تعالى: فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إن اللهَ بالناس لرؤوفٌ رحيم ﴾[6] ﴿ وإنَّ اللهَ بكُم لرؤوفٌ رحيم ﴾[7] وغير ذلك من الصفات التي ورد بها القرآن. فكل ذلك قد نصبوا له منجنيق التأويل فلم ينج منه شيء إلا وأصابه. وقالوا: هذه كلها ظواهر لا يجوز أن نثبتها لله تعالى، لئلا نقع في التجسيم والتشبيه.

---

(١) سورة الصافات، آية/ ١٢ وانظر البدور الزاهرة ص(٢٦٦).

(٢) هو الامام الزاهد الورع القاريء أحد الأئمة السبعة في القراءة، حمزة بن حبيب الزيات ابو عمارة التيمي مولاهم الكوفي، كان الامام أحمد ربما انتقد قراءته وذلك قبل الاجماع على صحتها. وقراءته حجة. وهي من السبع المتواترة ت سنة١٥٦ وقيل ١٥٨ هـ. * انظر السير (٧/ ٩٠).

(٣) هو القاريء المجود والنحوي البارع الامام علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد وهو من أهل الكوفة ثم استوطن بغداد يُكنىٰ أبا الحسن ويلقب بالكسائي، لقب به لأنه أحرم في كساء. وهو أحد القراء السبعة المشاهير. قال ابن معين: ما رأيت بعينيَّ هاتين أصدق لهجة من الكسائي وقال الشافعي من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي. توفي سنة ١٨٩ هـ عن سبعين سنة ومات معه ودفن في المكان نفسه محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة.
* انظر السير (٩/ ١٣١) وتاريخ القراء العشرة ورواتهم (ص: ٣٣).

(٤) سورة المائدة، آية/ ٨٠ ووقع في الأصل فبئس ما.

(٥) سورة محمد ﷺ، آية/ ٢٨.

(٦) سورة البقرة، آية/ ١٤٣.

(٧) سورة الحديد، آية/ ٩.

وقد علمت مما مر أن صفاته تعالىٰ ليست كالصفات، كما أن ذاته تعالى ليست كذاتنا، فالمجسم والممثل يعبد صنماً، والمعطل والنافي يعبد عدماً، والمثبت المنزه يعبد حياً قيوماً واحداً لا شريك له في ذاته وصفاته. فتعالى الله عما يقول الظالمون النافون والمشبهون علواً كبيراً.

« فصـــل »

وأما الدليل من السنة على ما أثبتناه من الصفات فشيء كثير جداً يزيد على خمسين حديثاً.

الله في السماء

فمنها حديث الجارية المروي في الصحيح(1). فعن معاوية بن الحكم(2) أنه قال: كانت لي جارية ترعى غنما لي وذكر القصة بطولها حتى قال: فجئت بها إلى النبي ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟» فقالت الجارية له: في السماء، وفي رواية فأشارت بأصبعها إلى السماء(3) ثم قال لها: من أنا قالت: أنت رسول الله فقال له: اعتقها فإنها مؤمنة. وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾(4).

---

(1) رواه مسلم (المساجد ومواضع الصلاة ـ باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ماكان من إباحة ـ ١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ رقم ٥٣٧). وغيره كثير ذكرهم الأخ الشيخ سليم الهلال في كتابه "أين الله؟ دفاع عن حديث الجارية" (ص: ١٣ ـ ١٤).

(2) معاوية بن الحكم السُلمي كان يسكن في بني سُليم وينزل المدينة له صحبة يعد في أهل الحجاز روى عن النبي ﷺ حديثاً ومنهم من قطعه فجعله احاديث.
* انظر الاستيعاب (١٠/ ١٣١) وأسد الغابة (٥/ ٢٠٧) والاصابة (٩/ ٢٢٩).

(3) أخرج هذه الرواية ابو داود (الأيمان والنذور ـ باب في الرقبة المؤمنة ـ ٣/ ٥٨٨ رقم ٣٢٨٤) وأحمد (٢/ ٢٩١) وابن خزيمة في التوحيد (ص: ١٢٣) واللالكائي في شرح اصول الاعتقاد (٣/ ٣٩٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٨٨). وابن قدامة المقدسي في العلو ص (١٧) عن ابي هريرة أن رجلا أتى النبيَّ ﷺ وليس عن معاوية بن الحكم، وهذه الرواية ضعيفة فإن فيها المسعودي صدوق ولكنه اختلط. * انظر نتائج الأفكار في تخريج احاديث الأذكار لابن حجر (٢/ ٢٠٦) والتقريب له (ص: ٣٤٤) وانظر أيضاً رسالة الأخ الأستاذ سليم الهلالي (ص: ٢٣) وهناك حديث آخر عن ابن عباس فيه الاشارة باليد الى السماء ولكنه ضعيف ايضاً أخرجه الهروي في الأربعين في دلائل التوحيد (ص ٥٣ ـ ٥٤) رقم: (١١) والشيخ الهلالي قد درس هذه الأحاديث في كتابه السابق فوجدت أن كل حديث فيه الاشارة باليد ضعيف الا حديثاً واحداً لم يقف على كل اسناده لكون الكتاب غير متوفر وحسن الاسناد الذي ذكره منه بعض المصنفين فقال: فالإسناد حسن إن كان من دون أسامة الليثي محتج بهم أ. هـ. * انظر (ص: ٢٨).

(4) سورة تبارك، آية/ ١٦.

ومنها حديث / ٣١٤/ زينب بنت جحش[١] أنها كانت تفتخر على نساء النبي ﷺ فتقول: "أنتنّ زوَّجَكُنَّ أهاليكُن. وأنا زوجني الله من فوق عرشه"[٢].

ومنها قوله ﷺ لسعد[٣]: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق عرشه»[٤].

وكان ﷺ يقول: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»[٥].

ومنها قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «يتعاقبون فيكم ملائكة ثم يعرجون فيسألهم

---

(١) زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ. أمها أمينة عمة النبي ﷺ تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وقيل سنة خمس ونزلت بسببها آية الحجاب، وكانت قبلُ عند مولاه زيد، وكانت ورعة جميلة، وهي التي كانت تفخر على النساء بأن الله عز وجل زوجها النبيَّ ﷺ من السماء، ولما وصل الخبر إليها أن رسول الله ﷺ يريد أن يتزوجها سجدت شكراً لله. يقال: كان اسمها بَرّة، ولما دخلت على رسول الله ﷺ سماها زينب، ماتت أول نسائه بعده ﷺ وصلى عليها عمر سنة عشرين وهي بنت خمسين وقيل ثلاث وخمسين.
* انظر الاستيعاب (١٣/ ١٥) وأسد الغابة (٧/ ١٢٥) والاصابة (١٢/ ٢٧٥).

(٢) رواه البخاري (التوحيد - باب وكان عرشه على الماء - ١٣/ ٤١٥ رقم ٧٤٢٠ و ٧٤٢١) والترمذي (التفسير - باب سورة الأحزاب - ٣٣١/٥ رقم ٣٢١٣)وقال حديث حسن صحيح والنسائي (النكاح - باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها - ٣٨٨/٥ رقم ٣٢٥٢). والذي عند البخاري: "من فوق سبع سموات". وكذا الترمذي وهناك رواية للبخاري والنسائي من السماء أو في السماء. وأما رواية من فوق عرشه فقد عزاها ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٢٣) الى الطبري وابي القاسم الطحاوي وهي من مرسل الشعبي رحمه الله تعالى ورواها ايضاً ابن قدامة المقدسي في العلو (ص: ٩٧ رقم ١٧) والذي في تفسير الطبري (٢٢/ ١١) من السماء.

(٣) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد الأنصاري الأوسي ثم الأشهلي، أبو عمرو. أسلم على يد مصعب بن عمير - لما أرسله النبي ﷺ إلى المدينة يعلم المسلمين - فكان من أعظم الناس بركة في الاسلام. وشهد بدراً وأحداً والخندق. حكم في بني قريظة بحكم الله من فوق سبع سموات أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري. أصيب يوم الخندق في أكحله ثم انقطع الدم فلما حكم في قريظة انفجر عرقه فقبض واهتز لموته عرش الرحمن. وكان رأس الأنصار يوم بدر وقال مقالته المشهورة: لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك.
* انظر الاستيعاب (٤/ ١٦٣) أسد الغابة (٢/ ٣٧٣) والاصابة (٤/ ١٧١).

(٤) أخرجه النسائي (السنن الكبرى - كما في تحفه الاشراف - ٣/ ٢٩٣) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٢٣١ رقم ٨٨٥) وأسناده حسن كما قال الالباني في مختصر العلو (ص: ٨٧).

(٥) أخرجه البخاري (المغازي - باب بعث علي بن ابي طالب وخالد بن الوليد الى اليمن قبل حجة الوداع - ٧/ ٦٦٥ - ٦٦٦ رقم ٤٣٥١) ومسلم (الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم - ٢/ ٧٤٢ رقم ١٤٤) وأحمد (٣/ ٤) وابن خزيمة (ص ١١٨) وغيرهم.

ربهم - وهو أعلم بهم - ماذا تركتم عبادي؟ فيقولون: "تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون"[(١)].

ومنها حديث عروج الملائكة بروح المؤمن حتى ينتهوا بها إلى السماء التي فيها الله. الحديث رواه الامام أحمد في مسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه[(٢)]. وليس من حديث البراء بن عازب[(٣)] فإن المذكور في حديث البراء حتى تأتي السماء السابعة[(٤)] ولكن

---

(١) رواه البخاري (المواقيت - باب فضل صلاة العصر - ٢/٤١ رقم ٥٥٥) وفي (بدء الخلق - باب ذكر الملائكة - ٦/٣٥٣ رقم ٣٢٢٣) وفي (التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ - ١٣/٤٢٦ رقم ٧٤٢٩) و (فيه أيضاً - باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة - ١٣/٤٦٩ رقم ٧٤٨٦). ومسلم (المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما - ١/٤٣٩ رقم ٦٣٢) وغيرهما. ولفظه: يتعاقبون فيكم ملائكه بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر والفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون.

غريب الحديث: "يتعاقبون اي تأتي طائفة عقب طائفة ثم تعود الأولى عقب الثانية" فتح الباري (٢/٤٢) ويتعاقبون فيكم ملائكة على لغة اكلوني البراغيث. المصدر السابق.

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٦٤ و ٦/١٤٠) وابن ماجه (الزهد - باب ذكر الموت والاستعداد له - ٢/١٤٢٣ - ١٤٢٤ رقم ٤٢٦٢) وابن خزيمة (ص: ١٢٠) والحاكم في مستدركه (١/٣٧ - ٤٠) وقال هو على شرط البخاري ومسلم ووافقه الالباني. * انظر مختصر العلو (ص: ٨٥). ورواه ابن منده في الإيمان (٣/٩٤٧ رقم ١٠٦٨) وقوام السنة في الحُجة (٢/٩٦ - ٩٧ رقم ٥٣) و (٢/٩٨ - ٩٩ رقم ٥٥) وعلّقه عبد الله بن أحمد في السنة(٢/٦١٠ رقم ١٤٤٩). والبيهقي في اثبات عذاب القبر **(رقم:** ٣٥) والذهبي في الأربعين (ص: ٥٠ - ٥٢ رقم ٢٤). ولفظه عند ابن ماجه (الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب. أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء، فيفتح لها... حتى تنتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل...) الحديث.

(٣) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ابو عمارة، ويقال: أبو عمرو وقيل غير ذلك استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر هو وابن عُمرَ وغيرهما. وأول مشاهده أحد وقيل الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة. وافتتح الري سنة ٢٤ هـ وقيل غيره، وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان هو وأخوه عبيد بن عازب، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً ومات ايام امارة مصعب بن الزبير. له جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ وروى عن الصحابة ورووا عنه. * انظر ترجمته الاستيعاب (١/٢٨٨) وأسد الغابة (١/٢٠٥) والاصابة (١/٢٣٤).

(٤) أخرج الحديث الامام احمد في المسند (١٤/٢٨٧ - ٢٨٨) والطيالسي (١/١٥٤ - ١٥٥ منحه المعبود) والآجري في الشريعة (: ٣٦٧ - ٣٧٠) وابن منده في الايمان (٣/٩٤١ رقم ١٠٦٤) - مطولاً وفيه =

قد ذكر الحافظ ابن القيم هذه اللفظة في حديث البراء بن عازب، ولم أجدها في حديثه بل وجدتها في حديث ابي هريرة كما تقدم والله أعلم[1].

ومنها حديث الأوعال[2] الذي رواه ابو داود[3]؛ وفيه والله فوقَ العرش، وإنه

= أن روح الصالح إذا خرجت فإنها تصعد إلى السماء السابعة ـ والحديث طويل. وأخرجه ابو داود (السنة ـ باب في المسألة في عذاب القبر ـ ٥/ ١١٤ ـ ١١٦ رقم ٤٧٥٣ و ٤٧٥٤) مطولاً إلا أنه لا يوجد فيه ذكر صعود الروح واختصر فيه على القبر وسؤاله. وروى طرفه الاول ابو داود أيضاً(الجنائز ـ باب الجلوس عند القبر ـ ٢/٥٤٦ رقم ٣٢١٢). والنسائي (الجنائز ـ باب الوقوف للجنائز ـ ٤/ ٣٨١ رقم ٢٠٠٠) وابن ماجه (الجنائز ـ باب ما جاء في الجلوس في المقابر ـ ١/ ٤٩٤ رقم ١٥٤٨ ـ ١٥٤٩). قال ابن منده: هذا أسناد متصل مشهور... وهو ثابت على رسم الجماعة (٣/ ٩٤٤) وصححه الالباني في الطحاوية (ص: ٤٤٩).

(١) قلت على كلام المصنف تنبيهان:

الأول: أن ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش ذكر حديث البراء بن عازب ولم يذكر فيه اللفظة التي هي لحديث ابي هريرة بل الذي فيه «حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى»: الحديث، انظر اجتماع الجيوش (ص: ١١١ ـ ١١٢).

الثاني: أنه قد وقفت على رواية من حديث البراء فيها ما نسبه لابن القيم ـ أي مثل حديث أبي هريرة

■ فأخرج قوّام السنة ابو القاسم الاصبهاني في الحجة (٢/ ٩٤ رقم ٥٠) من طريق الطبراني وفيه: "فإذا صعد بها إلى السماء شيعها مقربو كل سماء حتى توضع بين يدي الله تبارك وتعالى عند العرش، فيخرج عمله من عليين" الحديث.

(٢) الأوعال: جمع وَعِل وهو تيس الجبل والعنز الوحشي. * انظر لسان العرب (١١/ ٧٣١).

(٣) رواه ابو داود (السنة ـ باب في الجهمية ـ ٥/ ٩٣ رقم ٢٣ و ٢٤ و ٤٧٢٥) والترمذي (التفسير ـ باب ومن سورة الحاقة ـ ٥/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ رقم ٣٣٢٠) وقال: هذا حديث حسن غريب الخ وابن ماجه (المقدمة ـ باب فيما انكر الجهمية ـ ١/ ٦٩ رقم ١٩٣). وابن خزيمة (ص: ١٠٢). وانظر ظلال الجنة رقم (٥٧٧) وهو حديث ضعيف ضعفه غير واحد من أهل العلم وضعفه الالباني المصدر السابق. ولفظ الحديث عند ابي داود: عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت سحابة فنظر إليها، فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب، قال: "والمزن". قالوا: والمزن. قال: "والعنان" قالوا: والعنان. قال "هل تدرون ما بعد بين السماء والارض"؟ قالوا: لا ندري: قال: "إن بُعدَ ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عدّ سبع سموات ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك.

ليئِطُّ به أطيط الرَحْل بالراكب[1] وفيه: وأنه فوقه مثل القبة[2] نثبته كما جاء ونكِلُ معناه إلى الله ورسوله[3].

---

(١) حديث الأطيط غير حديث الأوعال - وقد تقدم بيانه - وأما حديث الأطيط: فأخرجه ابو داود (السنة - باب في الجهمية - ٥/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٤٧٢٦) والدارمي في النقض على بشر المريسي (ص: ٨٩ وص: ١٠٥) وفي الرد على الجهمية له (ص: ٢٤) وابن خزيمة في التوحيد (ص:٦٩) والآجري في الشريعة (ص: ٢٩٣) وابن ابي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢ - ٢٥٣ رقم ٥٧٥ - ٥٧٦) والطبراني في الكبير (٢/ ١٣٢ - ١٣٣) واللالكائي (٣/ ٣٩٤ رقم ٦٥٦) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٣١٧ رقم ٨٨٣ و ٨٨٤) والبغوي في شرح السنة (١/ ١٧٥) وابن ابي شيبة في العرش (رقم ١١) والبخاري في التاريخ (٢/ ٢٢٤) وابن ابي حاتم في تفسير سورة البقرة رقم (٢٢٤) والدارقطني في الصفات (رقم ٣٨ و ٣٩) وابو الشيخ في العظمة (ص: ١٠٥ رقم ٢٠٠) والذهبي في العلو (ص: ٣٧ - ٣٩) وقال: هذا حديث غريب جداً فرد وابن اسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا. وأما الله عز وجل فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه ولا إله غيره، والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل فذاك صفة للرحل وللعرش ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل، ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت. أ.هـ. ويفهم من كلام البيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٣١٩ - ٣٢٠) أنه ضعفه بمحمد بن إسحاق. وقد حاول ابن القيم رحمه الله في تهذيب السنن (٧/ ٩٧) تحسينه وضعفه الالباني في ضعيف ابي داود (ص: ٤٦٩ - ٤٧٠) وفي حاشية الدارمي الرد على الجهمية (ص: ٢٤).

والحديث له قصة، ومفادها أن أعرابياً أتى النبي ﷺ واستسقى به وقال: إنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فزجره النبي ﷺ، وقال بعد ذلك أتدري ما الله؟ "إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته لهكذا، وقال بأصبعه مثل القبة عليه وإنه لينط به أطيط الرحل بالراكب".

■ **غريب الحديث**: أطيط الرحل: يقال: أط الرحل يئط أطيطاً صوّت، وأطت الإبل أنّت تعباً أو حنيناً أو رَزَمة. والرزمة: صوت الناقة إذا عطفت على ولدها. والأطيط: صوت الرحل والإبل من ثقلها. * انظر القاموس المحيط (ص: ٨٤٩).

(٢) قوله: "وإنه فوقه مثل القبة". ورد اختلاف في لفظ الحديث فمرة يروىٰ وأنه عليه - على العرش - لهكذا و أشار بيده مثل القبة كما عند البيهقي والذهبي في العلو (ص:٣٨). ومرة يُروىٰ وعرشه فوق سمواته لهكذا مثل القبة.

(٣) قلت: الحديث لم يثبت ولله الحمد ولذلك فلسنا بحاجة إلى تفويض المعنى، والمصنف رحمه الله قد أوكل المعنى إلى الله ورسوله والعلم يوكل لله وحده في مثل هذه القضايا - أي علم الكيفية - ولا يوكل لرسوله ﷺ. والشيخ المصنف رحمه الله لا يفوِّض المعاني ومدلولاتها بل يفوض الكيفية كما سبق وكما سيأتي من كلامه فهو مثبت منزه بلا شك.

ومنها حديث الإسراء[1] المتفق عليه عند كافة المسلمين، وفيه أنهﷺ: عرج به إلى السماء ورأى ربه[2] وكلمه وأدناه منه وفرض عليه خمس صلوات في اليوم[3] والليلة، أفهذا كله لا يثبت أن الله في السماء؟! بلى! هذه كلها /٣١٥/ أدلة ظاهرة قاطعة بأن الله جل ثناؤه في السماء على عرشه بلا كيف ولا تشبيه، ولا تحديد. فبعداً لقوم لا يؤمنون.

صفة الاصابع

ومنها حديث: «إنَّ قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحْمن»[4].

ومنها الحديث المروي في الصحيح: «إن اللهَ يضعُ السمٰوات على أصبع والأرضين على أصبع» . . .، الحديث[5].

---

(١) حديث الإسراء رواه البخاري في مواضع (بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة ـ ٣٤٨/٦ رقم ٣٢٠٧) وفي (مناقب الانصار ـ باب المعراج ـ ٢٤١/٧ رقم ٣٨٨٧) مطولاً وأخرجه بذكر طرف منه في (أحاديث الانبياء ـ باب قول الله عز وجل ﴿ وهَل أتاكَ حديثُ موسى ﴾ ـ ٤٨٨/٦ رقم ٣٣٩٣). و (فيه ـ باب قول الله تعالى: ﴿ ذِكْرُ رحمةِ ربِّكَ عبدَهُ زَكريّا ﴾ ـ ٥٣٩/٦ رقم ٣٤٣٠).
وأخرجه مسلم (الإيمان ـ باب الاسراء برسول الله ﷺ الى السموات وفرض الصلوات ـ ١/ ١٤٥ رقم ١٦٢) وغيرهما كثير.

(٢) قوله: "رأى ربه؛ لم يرد في الحديث، ورؤية الرسول ﷺ ربه ليلة المعراج فيها خلاف بين أهل العلم، والراجح والثابت أنه لم ير ربه، ولذلك ورد في الحديث الذي رواه مسلم وغيره؛ حينما سئل هل رأيت ربك: قال: نور أنى أراه؟!
* انظر هذه القضية في: شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢١٣ـ٢١٤) وتفسير ابن كثير (٢٦٤/٤ ـ ٢٧١) من سورة النجم.

(٣) في الأصل الليوم.

(٤) رواه مسلم (القدر ـ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ـ ٢٠٤٥/٤ رقم ٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو قال الذهبي في الاربعين (ص ١٢٨ ـ ١٣٠) وقد رواه غير واحد من الصحابة، منهم النواس من سمعان، وأبو ذر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، ونعيم بن همار ـ وعبد الله بن عمرو، وأم سلمة، وابو هريرة، وسبرة بن فاتك الاسدي. أ.هـ. قال محقق الكتاب الأخ الفاضل الجليل عبد القادر عطا صوفي: وفي الباب: عن عائشة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وابي موسى الاشعري، والمقداد وغيرهم. أ.هـ.

(٥) الحديث أن الحبر اليهوي قال ذلك لرسول الله ﷺ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، رواه البخاري (التفسير ـ من تفسير سورة الزمر ـ باب قوله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ـ ٤١٢/٨ رقم ٤٨١١) وفي (التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ﴿ لِمَا خلَقتُ بيديّ ﴾ =

صفة اليمين

ومنها حديث، أن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن. وكلتا يديه يمين[١].

صفة النزول

ومنها الحديث المتفق على صحته: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فينادي هل من سائل هل من مستغفر». . . الحديث[٢].

صفة الضحك

ومنها حديث: «ضحك ربنا من ثلاث» فقال الصحابي أيضحك ربنا يا رسول الله فأجابه بنعم. فقال الصحابي: لا عُدِمنا خيراً من رب يضحك[٣].

= ١٣/٤٠٤ رقم ٧٤١٤ و ٧٤١٥). و (فيه - باب قول الله تعالى: ﴿ إنَّ اللهَ يُمسِكُ السمٰوات والأرض أن تزولا ﴾ - ١٣/٤٤٧ رقم ٧٤٥١). و (فيه - باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم - ١٣/٤٨٢ رقم ٧٥١٣) ومسلم (صفات المنافقين - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - ٤/٢١٤٧ رقم ٢٧٨٦).

(١) رواه مسلم (الامارة - باب فضيلة الامام العادل - ٣/١٤٥٨ رقم ١٨٢٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص:؟؟؟).

(٣) خلط المصنف رحمه الله بين حديثين، **الحديث الأول**: أن الله يضحك لثلاثة. **والحديث الثاني**: حديث ضحك الرحمن من قنوط عباده وهو حديث ابي رزين.

■ أما حديث الثلاثة فعن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله عز وجل، يضحك اليهم ويستبشر بهم.

* الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه، فيقول: أنظروا إلى عبدي كيف صبر لي نفسه.

* والذي له امرأة حسناء وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيذر شهوته فيذكرني ويناجيني ولو شاء لرقد.

* والذي يكون في سفر وكان معه ركب فسهروا ونصبوا ثم هجعوا فقام في السحر في سراء أو ضراء". رواه الطبراني في الكبير (مجمع الزوائد ٢/٢٥٥) وقال الهيثمي: رجاله ثقات. أ.هـ. والحاكم في المستدرك (١/٢٥) وقال: هذا حديث صحيح وقد احتجا بجميع رواته ولم يخرجاه أ.هـ. والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/٤٠٧ - ٤٠٨ رقم ٩٨٣).

■ وروى ايضاً عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: ثلاثة يضحك الله إليهم: «القوم إذا اصطفوا للصلاة والقوم إذا اصطفوا لقتال المشركين ورجل يقوم إلى الصلاة في جوف الليل». رواه احمد في =

ومنها الحديث في الصحيح: «إنَّ اللهَ تعالى لأَفرَحُ بتوبة عبده»[1].

= المسند (٣/ ٨٠) وابن ماجه (المقدمة ـ باب فيما انكرت الجهيمة ـ ١/ ٧٣ ـ رقم ٢٠٠) والدارمي في الرد على المريسي (ص ١٧٩) وابن ابي شيبة في المصنف (١/ ٣٥٢) وابن ابي عاصم في السنة (١/ ٢٤٧ رقم ٥٦٠) وابن نصر في قيام الليل (ص ٤٣) وأبو يعلى (٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٢). والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ رقم ٩٨٥) وأخرجه من وجه آخر عن ابي سعيد نحوه البزار في مسنده (١/ ٣٤٤ كشف الاستار).

وإن كان الحديثان فيهما كلام فإن صفة الضحك ثابتة لله تعالى في الصحيحين منها: ● حديث أبي هريرة رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد» رواه البخاري (الجهاد والسير ـ باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل ـ ٦/ ٤٧ رقم ٢٨٢٦) ومسلم (الامارة ـ باب بيان الرجلين يقبل احدهما الآخر يدخلان الجنة ـ ٣/ ١٥٠٤ رقم ١٨٩٠).

■ وأما الحديث الثاني: حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه. فهو أن النبي ﷺ قال: ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه، فقلت يا رسول الله ويضحك الرب؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً". أخرجه أحمد (٤/ ١١ ـ ١٢). وابن ماجه (المقدمة ـ باب فيما انكرت الجهمية ـ ١/ ٦٤ رقم ١٨١) والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص ١٧٧) وابن ابي عاصم في السنة (١/ ٢٤٤ رقم ٥٥٤) والدارقطني في الصفات (ص ٤٦ رقم ٣٠) والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٤١١ رقم ٩٨٧) ضعفه الالباني في ظلال الجنة رقم (٥٥٤) فيه وكيع بن حدس، لا يعرف؛ لم يرو عنه إلا يعلى بن عطاء.

* انظر الميزان (٤/ ٣٣٥). ● غريب الحديث: قرب غِيَرِه: يقال: غِيَرَ الدهر: أحداثه المغيِّرة، وغارهم الله بمطر: سقاهم، وغارهم بخير: أعطاهم. * أنظر القاموس (ص: ٥٨٣).

(١) أخرجه البخاري (الدعوات ـ باب التوبة ـ ١١/ ١٠٥ رقم ٦٣٠٨) ومسلم (التوبة ـ باب في الحض على التوبة والفرح بها ـ ٤/ ٢١٠٣ رقم ٢٧٤٤). عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن، مِن رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت. فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت. فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه. فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»، لفظ مسلم وقد روى هذا الحديث عن أنس بن مالك عند البخاري المرجع السابق رقم (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) وروى عن ابي هريرة عند مسلم رقم (٢٦٧٥) وعن النعمان بن بشير عند مسلم برقم (٢٧٤٥) وعن البراء بن عازب عند مسلم أيضاً (٢٧٤٦).

● الغريب: أرض دَوِيّة: أي غير موافقة (القاموس: ص: ١٦٥٦).

صفة الغير

ومنها الحديث المروي في إثبات صفة الغيرة لله تعالى، وهو قوله ﷺ: «لا أحد أغْيَرُ من الله»(١).

صفة العلو والقيوميـ

ومنها حديث: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام». وفيه: «يرفع له عمل الليل قبل عمل النهار. وعمل النهار قبل عمل الليل». صحيح(٢).

وبالجملة فالأحاديث في ذلك كثيرة جداً اقتصرت على ما حضرني منها حال الكتابة، فالعاقل المؤمن يكتفي بذكر واحد منها أو ببعض ما ذكر، والجاهل المعاند لا يكتفي بالمجلدات الضخام. وكيف تؤثر فيه المجلدات وهو يقرأ كتاب الله ويفسره، ويقرأ كتب السنة ويشرحها. وهو لا يعرج على إثبات صفة لله تعالى من الصفات التي ذكرناها. بل نصب لجميع ذلك شَـرَكَ التأويل فاصطاد به كل آية وكل /٢١٦/ حديث صحيح ورد في إثبات الصفات. ولا أدري كيف نجت من هذا الشرك الصلاة والزكاة والحج والصيام فكان يمكنه تأويل جميع ذلك **بحل**هو أقرب للتأويل من هذه الآيات والأحاديث التي وردت في الصفات، فنعوذ بالله من هذه المهلكات والشبهات والضلالات.

---

(١) روي عن عدة صحابة منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً. أخرجه البخاري (النكاح - باب الغيرة - ٢٣٠/٩ رقم ٥٢٢٠)ومسلم (التوبة - باب غيرة الله وتحريم الفواحش - ٢١١٣/٤ رقم ٢٧٦٠).

(٢) رواه مسلم (الايمان - باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام - ١٦١/١ رقم ١٧٩).

« فصل »

صفة العين

ومنها الحديث المروي في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما وصف الدجال وأخبر أنه أعور فقال: «وإن ربكم ليس بأعور» وأشار إلى عينيه[1].

صفة الفوقية

ومنها الحديث المروي في الصحيح في كتاب بدء الخلق: «أنَّ الله كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش». وفي رواية «فهو موضوع عنده فوق العرش»: «إن رحمتي تغلب غضبي» وفي رواية «تسبق غضبي»[2].

صفة الصوت

ومنها الحديث المروي في الصحيح: «إن الله ينادي يوم القيامة بصوت يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه مَن قَرُب»[3]، انتهى.

---

(١) رواه البخاري (التوحيد ـ باب قول الله تعالى، ﴿ ولتصْنع على عيني ﴾ ـ ١٣/ ٤١١ رقم ٧٤٠٧) ومسلم (الإيمان ـ باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ـ ١/ ١٥٥ رقم ٢٧٤/ . . .) وفي (الفتن وأشراط الساعة ـ باب ذكر الدجال وصفته وما معه ـ ٤/ رقم ١٠٠/ ١٦٩).
في لفظ الحديث عند البخاري وأشار الى عينه بالافراد، وليس كماذكر المصنف رحمه الله تعالى.

(٢) رواه البخاري في مواضع من صحيحه (بدء الخلق ـ باب ما جاء في قوله الله تعالى (﴿ وهوالذي يبدأ الخلق ثم يعيده . . . ﴾ الآية ـ ٦/ ٣٣١ رقم ٣١٩٠٤). وفي (التوحيد ـ باب قول الله تعالى: ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ ـ ١٣/ ٣٩٥ رقم ٧٤٠٤) (وفيه ـ باب ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ ـ ١٣/ ٤١٥ رقم ٧٤٢٢). و (فيه ـ باب قوله تعالى ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ ١٣/ ٤٤٩ رقم ٧٤٥٣) و(فيه ـ باب قول الله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ ـ ١٣/ ٥٣٢ رقم ٧٥٥٣ و ٧٥٥٤) ومسلم (التوبة ـ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ـ ٤/ ٢٧٥١).

(٣) رواه البخاري معلقاً عن عبد الله بن أنيس مرفوعاً (التوحيد ـ باب قول الله تعالى ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا مَن أذِن له ﴾ الآية ـ ١٣/ ٤٦١ تحت ترجمة الباب) ورواه موصولاً في الأدب المفرد (رقم ٩٧٠) وخلق أفعال العباد (١٤٩- ١٥٠ رقم ٤٦٣- البدر)ورواه أحمد (٣/ ٤٩٥).

فإن شئت يا أخي الزيادة على ما ذكرته في هذا الكتاب فعليك بكتب السنة. مثل كتاب التوحيد الذي ختم به البخاري كتابه فإنه عقده للرد على الجهمية، وكتاب خلق أفعال العباد له، وكتاب العلو للحافظ (شمس الدين الذهبي وكتاب الاسماء والصفات للحافظ)(*) البيهقي، وكتاب شرح السنة للامام محيي السنة البغوي[(١)] وكتاب الرد على الجهمية للدارمي[(٢)]، وكتاب العلو للموفق بن قدامة[(٣)] وكتاب الجيوش الاسلامية لغزو المعطلة والجهمية[(٤)] للحافظ شمس الدين ابن القيم وغير ذلك من الكتب المصنفة في الرد على هؤلاء النفاة الجاحدين لصفات رب العالمين. وكتب السنة كلها طافحة بهذه الأدلة /٣١٧/ ولكن أهل هذه الكتب ممن ذكرنا أرادوا جمع ذلك في مصنفات مخصوصة تسهيلاً للطالبين فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء وشكر الله

---

(١) الشيخ الامام العلامة القدوة الحافظ شيخ الاسلام محيي السنة، ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر المحدث صاحب التصانيف كشرح السنة، ومعالم التنزيل والمصابيح. ت سنة ٥١٦ هـ. * انظر السير (١٩/ ٤٣٩ ـ ٤٤٣) والبداية والنهاية (١٢/ ١٩٣).

(٢) هو الحافظ الامام الحجة أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني محدث هراة وتلك البلاد اخذ الحديث عن ابن المديني ويحيىٰ بن معين وأحمد وأسحاق وأكثَرَ الترحال، قال له بعض حاسديه، ماذا كنت لولا العلم؟ فقال له أردت شيئاً فصار زيناً. له سؤالات عن الرجال ليحيى بن معين، وله مسند كبير والرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي، ويسمى النقض على بشر، ت سنة ٢٨٠ هـ في ذي الحجة. * انظر السير (١٣/ ٣١٩ وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢١).

(٣) هو الامام الكبير والفقيه الشهير والمحدث النحرير عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجمّاعيلي الدمشقي الصالحي ابو محمد رأس في مذهب الامام أحمد ومجدد علومه، نشأ تحت رعاية أخيه فأحسن رعايته. رحل في طلب العلم وهو ابن عشرين الى بغداد وأخذ عن عبد القادر الجيلي ورحل الى الموصل ومكة. والتقى بكبار علماء هذه الديار. وكان رحمه الله على مذهب السلف في الاعتقاد وله في ذلك مصنفات، منها: اثبات صفة العلو. ومنها ذم التأويل، ولمعة الاعتقاد والهادي الى سبيل الرشاد، والبرهان في مسألة القرآن، ومن أشهر كتبه في غير العقيدة المغني والكافي والمقنع والعمدة في الفقه وروضة الناظر في أصوله، وغيرها كثير، ت سنة ٦٢٠ هـ. وقد بلغ الثمانين.

* انظر ترجمته السير (٢٢/ ١٦٥) ـ والبداية والنهاية (١٣/ ٩٩ ـ ١٠٠).

(٤) الصحيح أن اسمه: إجتماع الجيوش الإسلامية. أنظر (ص: ٤) من اجتماع الجيوش تحقيق د. المعتق.

(*) مابين قوسين لحق من الحاشية.

سعيهم وأحسن مثواهم ـ ونحن معهم ـ ﴿ أولئكَ حِزبُ اللهِ ألاَ إنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحون ﴾[1]، وهم المؤمنون حقاً لأنهم آمنوا بالله ورسوله وبما أنزل إليهم من ربهم وبما جاءهم عن نبيهم لم يبدلوا ولم يغيروا، ولم يحرفوا، بل تلقوه بالإيمان والتسليم (والتفويض وشنّعوا)[2] على من خالف ذلك أو أوّله أو حرفه فعليك بهم واهرع إليهم، واقفُ سبيلهم تحشر معهم. ﴿ومَن يَتوَلَّ اللهَ ورسولَهُ والذين آمنوا فإنَّ حزبَ اللهِ هُمُ الغالبون ﴾[3] فهم قدوتنا والحجة بيننا وبين الله ورسوله.

أولئــك آبــائــي فجئنــي بمثلهــم إذا جَمَعَتْنــا يــا جــريــر المحــافــلُ[4]

---

(١) سورة المجادلة، آية/ ٢٢.

(٢) ما بين قوسين مكتوب بخط مغاير. والمقصود بالتفويض هنا تفويض الكيفية وكنه الصفة لا تفويض المعنى لأنه قبل ذلك اثبت المعاني وحقائق الصفات، والله اعلم.

(٣) سورة المائدة: آية/ ٥٦

(٤) ديوان الفرزدق (١/ ٤١٨) وفيه : المجامع بدل المحافل.

■ وجرير هو: ابن عطية الخطفي التميمي البصري، أبو حزرة شاعر زمانه مدح يزيد بن معاوية وخلفاء بني أمية، وشعره مدون. كانت شفتاه لا تُضم من التسبيح، وفضله جماعة على الفرزدق، وقال بشار بن برد الأعمى: أهل الشام أجمعوا على جرير والفرزدق والأخطل النصراني. توفي جرير بعد الفرزدق بشهر سنة ١١٠ هـ.

* أنظر السير (٤/ ٥٩٠ـ٥٩١)، وفيات الأعيان (١/ ٣٢١).

« فصل »

ومنها حديث أبي رزين العقيلي[1] أنه قال: (قلت يا رسول الله أين)كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال ﷺ: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء(﴿ وكان عرشه على الماء ﴾[2](*)»)الحديث[3].

ومنها حديث حصين والد عمران[4] أنه سأله رسول الله ﷺ وهو في الجاهلية فقال له: كم تعبد اليوم من الآلهة؟ فقال حصين: أعبد سبعاً، ستة في الأرض وواحد في السماء. فقال له ﷺ: «من الذي أعددته لرغبتك ورهبتك ؟» فقال الذي في السماء[5]

---

(١) هو لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن عامر العامري، أبو رزين العقيلي، وافد بني المنتفق، من ساكني الطائف، وفد على النبي ﷺ. ومنهم من قال هو نفسه لقيط بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق ورجح ابن حجر أنهما اثنان.

* انظر ترجمته في الاستيعاب (٩/ ٢٨٧) وأسد الغابة (٦/ ١١٠) والاصابة (٩/ ١٥).

(٢) سورة هود، اية/ ٧. (*) ما بين اقواس لحق من الحاشية

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١١، ١٢) والترمذي (التفسير - باب ومن سورة هود - ٥/ ٢٦٩ رقم ٣١٠٩) وقال حديث حسن، وابن ماجه (المقدمة - باب فيما انكرت الجهمية - ١/ ٦٤ - ٦٥ رقم ١٨٢) وأبو داود الطيالسي (٢/ ٧٩ رقم ٢٢٨٦) وابن حبان رقم (٣٩) موارد. وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٤٥ - ٢٤٦ رقم٤٥٠) وابن ابي عاصم في السنة (١/ ٢٧١ - ٢٧٣ رقم ٦١٢). وابن ابي شيبة في العرش (رقم ٧) وابن جرير في تفسيره (١٢/ ٤). وابو الشيخ في العظمة (٦٣/رقم ٨٥) والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٧) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦ رقم ٨٠١ و ٢/ ٣٠٣ رقم ٨٦٤). وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٧). قال الالباني: إسناده ضعيف، انظر ظلال الجنة رقم (٦١٢).

(٤) حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي والد عمران اختلف في اسلامه، والصحيح أنه اسلم ثبت ذلك عند احمد والنسائي وغيرهم.

* انظر ترجمته الاستيعاب (٣/ ٣٦) أسد الغابة (٢/ ٢٦) والاصابة(٢/ ٢٥٧).

(٥) أخرجه الترمذي (الدعوات - باب (٧٠) ٥/ ٤٨٥ رقم ٣٤٨٣) وقال هذا حديث غريب. والدارمي في الرد على المريسي (ص ٢٤) والطبراني في المعجم الكبير(١٨/ ١٧٤ رقم ٣٩٦) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٣٢٩ رقم ٨٩٤) وأخرجه من وجه آخر ابن خزيمة (١/ ٢٧٧ - ٢٧٨) وابن قدامة في العلو (ص ٧٥ رقم ٥) والذهبي في العلو (ص ٢٣، ٢٤) والحديث ضعيف فيه ضعفاء وانقطاع انظر رقم (٨٩٤) من حاشية الاسماء والصفات.

ومنها حديث الذي ورد في الدعاء للمريض ولفظه "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك /٣١٨/[١].

ومنها حديث: " من أحبَّ لقاء الله احبَّ الله لقاءَه ومن كره لقاءَ الله كره الله لقاءَه "[٢].

ومنها الأحاديث الدالة على كلام الله عزوجل مع أهل الجنة كلام رحمة وحنان[٣] ومع أهل النار كلام تبكيت وهوان[٤]، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة المثبتة لصفات كثيرة لله عز وجل أنكرها هؤلاء النفاة المعطلون. وكل هذه الأحاديث ناطقة بالرد عليهم وشاهدة عليهم بأنهم مخالفون ولصفات ربهم ناكرون وجاحدون فالله المستعان.

---

(١) أخرجه ابو داود (الطب ـ باب كيف الرقى ـ ٢١٨/٤ رقم ٣٨٩٢) وأحمد (٦/ ٢٠ ـ٢١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص: ٥٦٥ رقم ١٠٣٥) والدارمي في الرد على المريسي (ص ١٠٤) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٤ و ٤/٢١٨ ـ ٢١٩) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٣٢٧ رقم ٨٩٢) واللالكائي في شرح اصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٨٨ و٣٨٩) وابن قدامة في العلو (ص ٧٤ رقم ٤) وغيرهم. والحديث ضعفه الالباني في ضعيف ابي داود (ص: ٣٨٥ رقم ٨٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (الرقاق ـ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ـ ١١/ ٣٦٤ رقم ٦٥٠٧) ومسلم (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب من أحب لقاء الله احب الله لقاءه ـ ٤/ ٢٠٦٥ رقم ٢٦٨٣) عن عبادة بن الصامت. ورواه البخاري (الرقاق ـ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ـ ١١/ ٣٦٥ رقم ٦٥٠٨) ومسلم (الذكر والدعاء ـ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ـ ٤/ ٢٠٦٧ رقم ٢٦٨٦) عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه. وفي الباب عن ابي هريرة وعائشة.

(٣) أخرج البخاري (التوحيد ـ باب كلام الرب مع أهل الجنة ـ ١٣/ ٤٩٦ رقم ٧٥١٨) عن ابي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: إن الله يقول لأهل الجنة: (يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: الا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً) وأخرجه مسلم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ـ ٤/ ٢١٧٦ رقم ٢٨٢٩).

(٤) قال الله تعالى: ﴿قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ سورة المؤمنون، آية/١٠٨.

«فصل»

في أقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في هذه المسائل التي أنكرها المعاندون والنفاة المعطلون وأنهم لم يكونوا يذهبون في ذلك إلى شيء من التأويلات الباردة والآراء الكاسدة الفاسدة.

ذكر ما حفظ عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه

روى ابن أبي شيبه[1] والبخاري في التاريخ عن عبد الله بن عمر أنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه: أيها الناس إن كان محمداً إلٰهكم الذي تعبدونه فإن إلٰهكم قد مات. وإن كان إلٰهكم الله الذي في السماء فإن إلٰهكم لم يمت، ثم تلا: ﴿ وما محمَّدٌ إلاّ رسولٌ قد خلَت مِن قبلِه الرسل ﴾[2] حتى أتمّ الآية. انتهى[3].

قلت: هذا إجماع من الصحابة على أنهم كانوا مجمعين على أن الله في السماء لأن أبا بكر خطب يومئذ بحضرة اصحاب رسول الله ﷺ، فلو كان أحد منهم يعلم خلافاً في ذلك لبادر بالانكار على ابي بكر وهو من أشد الناس تحرياً للحق والصواب /٣١٩/ سيما في أمر العقائد، وقد حفظ عن الصحابة أشياء كثيرة من هذا النوع ذكرها الحافظ ابن القيم في كتاب الجيوش الاسلامية فليُرجع اليه[4].

---

(١) عبد الله بن محمد بن القاضي ابي شيبه ابراهيم بن عثمان ابو بكر العبسي الامام العلم سيد الحفاظ وصاحب الكتب الكبار مثل المسند والمصنف والتفسير وهو من أقران الامام احمد واسحاق بن راهوية وعلي بن المديني في السنة والمولد والحفظ توفي سنة ٢٣٥ هـ.
* انظر تهذيب الكمال (١٦/ ٣٤ ـ ٤٢) والسير (١١/ ١٢٢ ـ ١٢٧).

(٢) سورة آل عمران، آية/ ١٤٤.

(٣) رواه البخاري في تاريخه معلقاً (١/ ٢٠٢)ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥٥٣) وعنه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٢٦) والرد على المريسي (ص: ١٠٥)، حسن إسناده بدر البدر في الرد على الجهمية. (ص: ٤٥).

(٤) انظر اجتماع الجيوش الاسلامية (ص:١١٨) وما بعدها.

« فصل »

في ذكر ما ورد عن الأئمة الأربعة

قول أبي حنيفة رضي الله عنه:

روى البيهقي بإسناده إلى نوح ابن [أبي][1] مريم أبي عصمة[2] يقول: كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهماً[3] فدخلت الكوفة فقيل لها إن هاهنا رجلاً قد نظر في المعقول، يقال له: أبو حنيفة فأتيه. فأتته فقالت انت الذي يعلم الناس المسائل وقد تركت دينك؟ أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها. ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا، وقد وضع كتاباً أن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض. فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ وهو معكم ﴾[4] قال: هو كما تكتب أني معك، وأنت عنه غائب[5].

قال البيهقي[6]: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيما نفى عن الله ـ تعالى وتقدس ـ عن الكون في الأرض. وفيما ذكر من تأويل الأئمة وتبع مطلق السمع في قوله: إن الله عز وجل في السماء.

فقال[7] شيخ الاسلام: وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة

---

(١) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والتصويب من كتب التراجم.

(٢) نوح بن أبي مريم أبو عصمة المروزي، القرشي مولاهم مشهور بكنيته، ويعرف بالجامع لجمعه العلوم، لكنهم كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك كان يضع مات سنة ١٧٣ هـ.
* انظر التقريب ص ٥٦٧.

(٣) هو أس الضلالة ورأس الجهمية جهم بن صفوان ابو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي الكاتب المتكلم، كان ينكر الصفات ويقول بخلق القرآن ويقول: إن الله في الامكنة كلها، وكان يقول: الايمان عقد القلب وإن تلفظ بالكفر، قيل إنه مات قتلاً سنة ١٢٨ هـ.
*انظر الكامل لابن الاثير (٥/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤) والسير (٦/ ٢٦).

(٤) سورة الحديد، آية/ ٤.

(٥) رواه البيهقي في الاسماء والصفات (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ رقم ٩٠٥) والحكاية فيها نوح الجامع وتقدم القول فيه.

(٦) انظر الاسماء والصفات (٢/ ٣٣٨).

(٧) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وقال.

الذي رووه بإسناد عن أبي مطيع البلخي الحكم ابن عبد الله[1] قال ابو حنيفة: «ومن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لان الله تعالى يقول: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[2] وعرشه فوق سبع سموات. قلت: فإن قال: إنه (على)[3] العرش ولكنه يقول: لا ادري العرش في السماء أم في الأرض، قال: هو كافر لأنه انكر أن يكون في السماء. لأنه تعالى في اعلى عليين وأنه يدعىٰ من أعلى لا من أسفل». وفي لفظ سألت: ابا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض. وذكر كلاماً قريباً من الأول[4]. انتهى

قلت: وهذا كتاب الفقه الأكبر معروف مشهور صحت نسبته لأبي حنيفة بشهادة المتقدمين والمتأخرين من اصحابه، فممن شرحه من المتقدمين الامام أبو منصور الماتريدي[5]، ومن المتأخرين الشيخ علي بن سلطان القاري والشرحان مطبوعان بالهند فلا حاجة بنا إلى نقل جميع مسائله/ ٣٢٠/ ومن طالع خطبة المبسوط لشمس الأئمة السرخسي[6] وخطبة اصول الامام.................................

---

(١) الحكم بن عبد الله ابو مطيع البلخي الفقيه صاحب ابي حنيفة، تفقه به أهل بلخ، وكان بصيراً بالرأي علامة كبير الشان ولكنه واهٍ في ضبط الأثر، وكان ابن المبارك يعظمه ويجله لدينه وعامه. وقال ابن معين ليس بشيء وقال البخاري: ضعيف صاحب رأي، ويقال كان مرجئيا وكان يقول بفناء الجنة والنار، وضعفه غير واحد ت سنة ١٩٩ هـ. * انظر الميزان (١/ ٥٧٤)

(٢) سورة طه، آية/ ٥.

(٣) في الأصل (في) والتصويب من مختصر العلو ص ١٣٦.

(٤) أنظر المرجع السابق، ولم أجد هذا الكلام في شرح ملا علي قاري للفقه الأكبر وهو موجود في الطبعة المصرية، التي عليها شرح ابي منصور الماتريدي (ص: ١٩) كما في كتاب مختصر العلو (ص: ١٣٦).

* وانظر اثبات العلو لابن قدامة (ص ١٧٠ رقم ٨١).

(٥) هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي أبو منصور إمام المتكلمين ينتمي إليه أكثر أتباع أبي حنيفة في الاعتقاد، نشأ بسمرقند، وجادل وناظر وصنف في الاعتقاد حتى صار له مذهب مستقل، يخالف فيه أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وربما في غيره. من كتبه: التوحيد، والمقالات وغيرها. مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ. أنظر ترجمته: الفوائد البهية (ص ١٩٥)

(٦) هو الامام محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر شمس الأئمة السرخسي من كبار علماء الحنفية، من أشهر مؤلفاته كتاب الأصول والمعروف بأصول السرخسي. والمبسوط في الفقه الحنفي. ويروى أنه أملاهما على تلامذته وهو مسجون في بئر، والله اعلم واختلف في سنة وفاته فقيل: في حدود =

البزدوي[1] عَلِم قطعاً أن أصحاب أبي حنيفة كانوا على عقيدة السلف في إثبات الصفات التي ورد بها السمع، من غير تأويل ولا تمثيل، والله الموفق.

= التسعين واربعمائة. وقيل في حدود الخمسمائة. * انظر ترجمته الفوائد البهية (١٥٨ ـ ١٥٩).

(١) شيخ الحنفية عالم ما وراء النهر، ابو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوي يعرف بفخر الاسلام صاحب الطريقة في المذهب، وله تصانيف جليلة. درس بسمرقند وكان أحد من يضرب به المثل في حفظ المذهب توفي سنة ٤٨٢ هـ. * انظر السير (١٨/ ٦٠٢). الفوائد البهية (١٢٤ ـ ١٢٥).

« فصل »

في ذكر ما ورد عن إمامنا إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه وقدس سره

ذكر الحافظ المتقن أبو عمر يوسف بن عبد البر ـ وهو من أجلّ أصحابنا(١) ـ في كتاب التمهيد له [بإسناده](٢) إلى مالك أنه قال: إن الله في السماء وعلمه في كل مكان [لا يخلو منه مكان(٣)](*) قال: وقيل لمالك: الرحمٰن على العرش استوى كيف استوىٰ؟ فقال مالك رحمه الله تعالى: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء(٤).

وكذلك أصحاب مالك من بعده.

قال يحيىٰ بن ابراهيم الطُلَيطِلي(٥) ....

---

(١) هو الامام الحافظ يوسف بن عمر بن عبد البر بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر النمري شيخ علماء الاندلس وكبير محدثيها في وقته واحفظ من كان فيها لسنة مأثورة وشهرته تغني عن التعريف به له كتاب التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والاسانيد قال ابن حزم فيه: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه. وقد عده العلماء رابع اربعة كتب هي دواوين الاسلام ومن كتبه رحمه الله الاستذكار بمذاهب علماء الامصار، والاستيعاب في اسماء الاصحاب، وجامع بيان العلم وفضله. توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٦٣ هـ في السنة التي توفي فيها حافظ المشرق الخطيب البغدادي رحمهما الله تعالى. *انظر ترجمته السير (١٨/١٥٣) والديباج المذهب (ص٣٥٧).

(٢) ما بين معقوفتين زيادة مني.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٧/١٣٨). وأخرجه عبد الله بن احمد في السنة (١/١٠٧ رقم ١١) وابو داود في المسائل (ص٢٦٣). والآجري في الشريعة (ص ٢٨٩). واللالكائي في شرح الأصول (٣/٤٠١ رقم ٦٧٣) وابن البنا في المختار (ص٧٨) وابن قدامة في العلو (ص١٦٦ رقم ٧٦) وصحح اسناده الالباني في مختصر العلو (ص: ١٤٠).

(٤) ذكره في التمهيد (٧/١٣٨) وقد روي ذلك عن مالك من عدة طرق بالفاظ متقاربة روى ذلك الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٣٣) واللالكائي (٣/٣٩٨ رقم ٦٦٤) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥ رقم ٨٦٦ و٨٦٧) وابو نعيم في الحلية (٦/٣٢٥) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة أهل الحديث (١ / ١١٠) من المجموعة المنيرية. وابن عبد البر في التمهيد أيضاً (٧/١٥١).

(٥) هو العلامة المحدث الفقيه المالكي يحيىٰ بن ابراهيم بن مزين ابو زكريا عالم بالحديث ورجاله من أهل قرطبة رحل ألى المشرق ودخل العراق، أصله من طنيطلة وكان جده مولى لرملة بنت عثمان بن عفان، له مصنفات منها: شرح الموطأ، وفضائل القرآن توفي سنة ٢٥٩ هـ.

* انظر الديباج المذهب (ص: ٣٥٤) الاعلام (٨/١٣٤).

(*) مابين معقوفتين ملحق من الحاشية، وجاء فيها: مكان، بدل مكان

في كتاب سيَـر الفقهاء: كانوا يكرهون قول الرجل: إن الله بكل مكان.

قـال أصبـغ[١]: وهو مستوٍ على عرشه وبكل مكان علمه، وإحاطته. وأصبغ من أجلّ أصحاب مالك وأفقههم.

ذكر قول أبي عمر الطلمنكي[٢]

قال في كتابه في الأصول: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز. وأجمع المسلمون على أن الله استوى على عرشه بذاته ثم ساق بسنده عن مالك: قوله: "الله في السماء وعلمه في كل مكان".

ثم قال في هذا الكتاب: وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿ وهو معكُم أينَ ما كنتم﴾ ونحو ذلك من القرآن، فإن ذلك علمه، وأن الله فوق السمٰوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء[٣] وهذا (لفظه في كتابه)[٤].

وذكر الحافظ ابن عبد البر إمام أهل السنة في زمانه في كتاب التمهيد عند شرح

---

(١) أصبغ بن الفرج الفقيه الحافظ ابو عبد الله الاموي مولى عمر بن عبد العزيز ولد بعد الخمسين ومائة. قال ابن معين: كان من اعلم خلق الله برأي مالك، يعرفها مسألة مسألة متى قالها مالك ومن خالفه فيها. وقال العجلي ثقة صاحب سنة وقال غيره: ما أخرجت مصر مثل أصبغ، رحل الى مالك فوصل المدينة يوم موته له من المؤلفات تفسير غريب الموطأ والرد على أهل الاهواء توفي سنة ٢٢٥ وقيل ٢٢٤ هـ. *أنظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) والديباج المذهب (ص٩٧)

(٢) هو الامام الحافظ القدوة ذي التصانيف النافعة احمد بن محمد بن ابي عبد الله ابن عيسى المعافري ابو عمر الطلمنكي أصله من طَلَمَنْكَة ورحل الى المشرق وأخذ عن كبار علمائه كان رحمه الله أحد الائمة في علم القرآن العظيم: قراءته واعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه ومعانيه وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه وكان سيفاً مجرداً على أهل الاهواء والبدع قامعاً لهم غيوراً على السنة شديداً في ذات الله عز وجل. من أهم مؤلفاته: الدليل إلى معرفة الجليل مائة جزء وتفسير القرآن والوصول إلى معرفة الاصول والبيان في اعراب القرآن وغير ذلك توفي سنة ٤٢٩هـ * وانظر تذكرة الحفاظ (٣/١٠٩٨) والديباج المذهب (ص ٣٩)

(٣) انظر كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية ص (١٤٢) ومختصر العلو للذهبي ص ٢٦٤ والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٤).

(٤) جاء في الأصل: (وهذه القصة في كتاب) والمثبت من اجتماع الجيوش تحقيق د.المعتق وقال المحقق في الأصل (وهذه القصة) وهو تحريف ا.هـ. اي مثل كتابنا هذا. وكان قد اعتمد د.المعتق في التحقيق على ثلاث نسخ جعل أحدها أصلاً. والله اعلم.

حديث: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا». فأطال الكلام على هذا الحديث إلى أن قال: وهذا الحديث فيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة. وهو حجتهم على المعتزلة والجهيمة في قولهم: إن الله في كل مكان، وليس على العرش. والدليل على صحة ما قال أهل الحق، فمن ذلك قوله: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[1] ثم ذكر كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث المروية النبوية. وأخذ يرد ويشنع على من خالف ذلك[2].

وممن قال ذلك أيضاً من المالكية: ابن أبي زيد القيرواني[3] في رسالته في الفقه، قال في باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة: "وأنه فوق عرشه المجيد بذاته (وهو)[*] في كل مكان بعلمه"[4] والحاصل أن المتقدمين من علماء المالكية كانوا على قول /٣٢١/ مالك بن أنس في الأصول والفروع، لا يعلمون شيئاً من التأويل الصارف لنصوص الصفات عن ظاهرها بخلاف المتأخرين منهم، فالله المستعان.

---

(١) سورة طه، اية/ ٥.

(٢) انظر التمهيد (٧/ ١٢٩).

(٣) عبد الله بن ابي زيد عبد الرحمن القيرواني، كان أمام الملكية في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية. وكتبه تشهد بذلك، فصيح القلم ذ بيان قائماً بالحجة بصيراً بالرد على أهل الأهواء كانت الرحلة إليه من الاقطار، وكان يعرف بمالك الصغير، كان سريع الانقياد والرجوع إلى الحق له كتاب النوادر والزيادات على المدونة وله مختصر المدونة وكتاب الرسالة وله رسالة في أصول التوحيد توفي سنة ٣٨٦ هـ.

* انظر السير (١٧/ ١٠) شذرات الذهب (٣/ ١٣١) والديباج المذهب (ص: ١٣٦ ـ ١٣٨)

(٤) انظر الرسالة (ص: ٥).

(*) مابين قوسين لحق من الحاشية

فصل

في ذكر قول إمامنا محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى رحمة واسعة

قال الإمام بن الإمام عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي[١]: حدثنا أبو شعيب[٢] وأبو ثور[٣] عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى قال: القول في السنة التي وردت وأنا عليها، ورأيت أصحابنا عليهاأهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان الثوري ومالك، وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء[٤].

قال عبد الرحمٰن[٥]:(وحدثنا ابن عبد الاعلى[٦] قال: سمعت ابا عبد الله محمد بن ادريس الشافعي يقول)(*)- وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به -: فقال: لله تعالىٰ أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لان القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه

---

(١) تقدمت ترجمته (ص:).

(٢)لعله :ابوشعيب المصرى ، شيخ من اصحاب الحديث ،من اصحاب الامام الشافعي ، ذكره البيهقى في مناقب الشافعي (١/ ٤٥٥) .

(٣) الامام المجتهد الحافظ ابراهيم بن خالد الكلبي البغدادي ويكنى أبا ثور وابا عبد الله صاحب الشافعي حدث عنه وعن سفيان بن عيينة ووكيع وطبقتهم قال أحمد عنه: أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة. وقال النسائي هو ثقة مأمون احد الفقهاء. أ.هـ. وكان احد ائمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً صنف الكتب وفرع على السنن وذب عنها قيل مات في صفر سنة أربعين ومائتين.هـ.
انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٣). والبداية والنهاية (١٠/ ٣٢٢).

(٤) أخرجه ابن قدامة المقدسي في صفة العلو (ص ١٨٠ رقم ٩٢). وانظر العلو (ص: ١٢٠) ومختصره (ص ١٧٦).

(٥) هو ابن أبي حاتم وقد تقدم.

(٦) يونس بن عبد الأعلى عالم الديار المصرية الامام ابو موسى الصدفي المصري الحافظ المقرىء الفقيه قرأ القرآن على ورش وغيره سمع من ابن عُيَيْنَة والشافعي قال الشافعي فيه: ما رأيت بمصر أحداً اعقل من يونس وقال غيره: هو ركن من أركان الاسلام، ولد آخر سنة سبعين ومائة وتوفي في ربيع الاول سنة (٢٦٤) هـ رحمه الله تعالى وله ست وتسعون سنة.
* انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢٨). والتقريب (ص: ٦١٣).

(*) مابين قوسين استدراك من الحاشية .

العدولُ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عنيه، فهو كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرَّويَّة والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد الا بعد انتهاء الخبر اليه بها. ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1].

ومثله قول صاحبه أبي إبراهيم أسماعيل بن يحيى المزني[2] في رسالته[3].

ومثله قول إمام الشافعية في زمانه أبي العباس بن سريج[4].

ومثله قول حجة الاسلام ابي احمد بن الحُسين الشافعي[5].

ومثله قول الامام إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الشافعي[6].

---

(١) سورة الشورى، آية/١١.
● وأخرج الاثر ابن قدامة في صفة العلو (ص: ١٨١ رقم ٩٣) وقال الذهبي رواه الهكاري وغيره بإسناد كلهم ثقات. * انظر مختصر العلو (ص: ١٧٧) وانظر اجتماع الجيوش الاسلامية (ص: ١٦٥).

(٢) هو الامام المجهد وارث علوم الشافعي اسماعيل بن يحيىٰ المزني ابو ابراهيم ولد سنة ١٧٥هـ، من أهل مصر، من أهم كتبه «مختصر المزني» و«الجامع الكبير» و«الجامع الصغير»: توفي سنة ٢٦٤ هـ.
* انظر وفيات الأعيان (١/٢١٧ ـ ٢١٩) والبداية والنهاية (١١/٣٦).

(٣) انظر رسالته اجتماع الجيوش (ص: ١٦٦ ـ ١٧٠).

(٤) أحمد بن عمر بن سريج أبو العباس البغدادي القاضي بشيراز، كان أحد أئمة الشافعية إلية المنتهى في معرفة المذهب بحيث أنه كان يفضل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني وعنه انتشر مذهب الشافعي في الآفاق، وكان يلقب بالباز الأشهب وأخذ الفقه عن ابي القاسم بن بشار الانماطي وعن أصحاب الشافعي كالمزني وغيره. صنف نحو أربعمائة مصنف. توفي رحمه الله سنة ٣٠٦ هـ.
* انظر تذكرة الحفاظ (٣/٨١١). والبداية والنهاية (١١/١٢٩).

(٥) كذا في الأصل: وقال محقق كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية د. المعتق (ص: ١٧٥) وفي (مع ـ و) (بن الحسين) وهو تصحيف. ثم ترجمه بعبد الله بن الحسن بن أحمد الأصبهاني الحداد (أبو نعيم) محدث حافظ سمع ونسخ الكثير ولد سنة ٤٦٣ هـ وتوفي سنة ٥١٧ هـ. * السير (١٩/٤٨٦).. وأظن أن المحقق د. المعتق وهم فيه، والدليل على ذلك أن ابن القيم كناه بأبي أحمد، والمحقق كناه: بأبي نعيم، وأما أنا فحتى الان لم أعرفه.

(٦) الحافظ الكبير ابو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الطلحى الأصبهاني الملقب بقوام السنة وصاحب الترغيب والترهيب، والحجة في بيان المحجة ودلائل النبوة وسير السلف وغيرها. كان إمام أئمة وقته واستاذ علماء عصره وقدوة اهل السنة في زمانه حسن الاعتقاد جميل الطريقة قليل الكلام ليس في وقته مثله. توفي سنة ٥٣٥ هـ.

ومثله قول الامام ابي عمرو عثمان[1].

= * انظر ترجمته تذكرة الحفاظ (٤/١٢٧٧ ـ ١٢٨٢) وطبقات الاسنوي (١/٣٥٩).

(١) لعل المقصود: قول أبي عمرو عثمان بن أبي الحسن بن الحسين الشهرزودي، إذ أن المؤلف ينقل عن ابن القيم من اجتماع الجيوش، وذكر أبا عمرو هذا بعد التيمي الأصبهاني، فلعل المقصود بأبي عمرو هذ غير ابن الصلاح، والمذكور عند ابن القيم لم أعثر على ترجمته، وكذا قال محقق اجتماع الجيوش د. المعتق (٢: ١٨٣) وحسبنا فيه قول الإمام ابن القيم حيث قال: الإمام الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من أقران البيهقي وأبي عثمان الصابوني وطبقتهما، وله كتاب في أصول الدين. أ.هـ. قلت تعريف ابن القيم به وبطبقته يُشعر أنه غير مشهور. والله أعلم.

فـصـل

في ذكر قول الامام أحمد بن حنبل وأصحابه رحمهم الله تعالى

قال الخلال[١] في كتاب السنة: حدثنا يوسف بن موسى[٢] قال أخبرنا عبد الله ابن احمد[٣] قال: قيل لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، لا يخلو شيء من علمه[٤].

قال الخلاّل: وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني[٥] قال: سألت أبا عبد الله احمد عمن قال: ان الله تعالى ليس على العرش فقال: كلامهم /٣٢٢/ كله يدور على الكفر[٦].

---

(١) هو أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، الحنبلي شيخ الحنابلة وعالمهم يكنى ابا بكر والخلال نسبة لبيع الخل وصنعه ولد سنة ٢٣٤ هـ وقيل ٢٣٥ هـ ونشأ في بغداد ورحل في طلب العلم الى الشام والمصيصة وانطاكية. وأهتم بجمع مسائل الامام أحمد رحمه الله تعالى فجمع ما وقف عليه في كتابه السنة وله كتاب أخلاق أحمد وكتاب العلل وكتاب العلم وغيرها توفي سنة ٣١١ هـ.
※ انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ٧٨٥) والبداية والنهاية (١١/ ١٤٨) وشذرات الذهب (٢/ ٢٦١).

(٢) يوسف بن موسى بن راشد القطان ابو يعقوب الكوفي نزيل الري ثم بغداد، صدوق مات سنة ٢٥٣ هـ. ※انظر تقريب التهذيب (ص ٦١٢).

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الامام الحافظ الحجة ابو عبد الرحمن محدث العراق ولد إمام العلماء ابي عبد الله الشيباني المروزي الأصل البغدادي ولد سنة ٢١٣ وسمع من أبيه فأكثر وحدث عنه النسائي والنجاد والقطيعي وغيرهم كثير، له معرفة بالرجال وبعلل الحديث وكان حافظة عصره حتى ان بعضهم غلا وقدمه على أبيه، له كتاب السنة. توفي رحمه الله سنة ٢٩٠ هـ وكانت جنازته مشهودة. ※ انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦٥). والبداية والنهاية (١١/ ٩٦).

(٤) رواه الخلال في السنة كما عند المصنف وكما في اجتماع الجيوش (ص: ٢٠٠) وليس في القسم المطبوع من السنة للخلال. والاسناد صحيح صححه الالباني في مختصر العلو (ص: ١٨٩ - ١٩٠) وعلقه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٠١ - ٤٠٢) وابن قدامة في العلو (ص: ١٦٧) عن يوسف بن موسى.

(٥) الحافظ الفقيه ابو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران الجزري الميموني الرقي عالم بلده ومفتيه وكان من كبار أصحاب أحمد بن حنبل حدث عنه النسائي ووثقه وابو عوانه الاسفرائيني مات سنة ٢٧٤ هـ. ※انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٠٣) تقريب التهذيب (ص: ٣٦٣).

(٦) رواه الميموني في روايته عن الإمام أحمد في علل الحديث ومعرفة الرجال (ص: ١٥٧ - ١٥٨ رقم ١٤).

وروى الطبري الشافعي[1] في كتاب السُّنة باسناده الى حنبل[2]. قال: قيل لأبي عبد الله ما معنى قوله تعالى: ﴿ ما يكونُ مِن نَجوى ثلاثةٍ إلاّ هو رابِعُهم ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ وهو معكُم ﴾[4] قال: علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة ﴿ وسِعَ كُرسِيُّهُ السّمٰواتِ والأرض ﴾[5][6] وقال أبو طالب[7]: سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال: إن الله معنا. وتلا قوله تعالى: ﴿ ما يكونُ مِن نَجوى ثلاثةٍ إلاّ هوَ رابِعُهم ﴾ قال يأخذون بآخرِ الآية ويدعون أولها هلاّ قرأت عليه: ﴿ ألَمْ تَرَ أنَّ (الله)(*) يعلمُ ما في السمٰوات ﴾ (الآية)(**) بالعلم معهم وقال في (ق): ﴿ ونعلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نفسُهُ ونحنُ أقرَبُ إليهِ مِن حَبلِ الوريد ﴾[8][9] وقال المروزي[10]: قلت لابي عبد الله: ان

---

(١) الامام ابو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي الحافظ الفقيه الشافعي محدث بغداد تفقه بأبي حامد الاسفراييني وقال الخطيب كان يفهم ويحفظ حدث عنه الخطيب البغدادي وابو بكر الطرثيثي له كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وكرامات الاولياء وكتاب في رجال الصحيحين. خرج الى الدينور فأدركه أجله بها في رمضان سنة ٤١٨ هـ.
* انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٨٣) والبداية والنهاية (١٢/ ٢٤).

(٢) حنبل بن اسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الحافظ الثقة ابو علي الشيباني ابن عم الامام أحمد وتلميذه سمع سليمان بن حرب والحميدي ومسدداً وغيرهم حدث عنه ابن صاعد وابو بكر الخلال وطائفة. له كتاب السنة وكتاب في التاريخ وكتاب الفتن وكتاب المحنه وغيرها ت ٢٧٣ هـ وقد قارب الثمانين. *انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٠٠) والمقصد الأرشد لابن مفلح (١/ ٣٦٥)

(٣) سورة المجادلة، آية/ ٧.

(٤) سورة الحديد، آية/ ٤.

(٥) سورة البقرة، آية/ ٢٥٥.

(٦) ذكره اللالكائي معلقاً وليس باسناده كما عند المصنف إلا أن تكون النسخة المطبوعة من اللالكائي غير نسخة المؤلف أو من نقل عنه أو يكون كتاب السنة غير كتاب شرح الاعتقاد المطبوع. وعند اللالكائي وسع كرسيه السموات والارض بعلمه. * انظر اللالكائي (٣/ ٤٠٢ رقم ٦٧٥) وذكره ابن قدامه في صفة العلو (ص: ١٦٧ رقم ٧٩) معلقاً أيضاً، ونسبه ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص١٢٧) الى حنبل بن اسحاق في كتاب السنة.

(٧) تقدمت ترجمته (ص: ١٨٨).

(٨) سورة ق، آية/ ١٦.

(٩) أنظر اجتماع الجيوش (ص: ٢٠٠ ـ ٢٠١) ومختصر العلو (ص: ١٩٠).

(١٠) كذا، والصواب المروذي والله أعلم، وهو الإمام أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي -نسبة لمرو الروذ- صاحب الإمام أحمد بن حنبل، إمام فقيه قدوة، روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، وكان =

(*) سقطت من الا صل

(**) مابين قوسين من الحاشية

رجلاً قال: أقول كما قال الله تعالى: ﴿ ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾[1] أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره. فقال: أبو عبد الله: هذا كلام الجهمية. فقلت له: كيف تقول(في)[*] ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم ﴾ قال: عِلمُه في كل مكان وعلمه معهم؛ قال: أول الآية يدل على أنه علمه[2]. وقال في موضع آخر وأن الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة يعلم ما تحت الأرض السفلى وأنه غير مماس لشيء من خلقه. انتهى.

وبالجملة فالنصوص الواردة عن إمامنا أبي حنيفة النعمان وإمامنا نجم أهل السنة مالك بن أنس وإمامنا عالم قريش محمد بن إدريس[الشافعي] رضي الله عنهم كثيرة جداً. وعن إمامنا إمام أهل الأثر بلا نزاع والذابّ عن دين سيدنا محمد ﷺ بلا دفاع أحمد بن حنبل الشيباني أكثر وأعظم. كيف لا وهو صاحب المحنة المشهورة - أعني بها مسألة القرآن[3]- فقد ضُرب وأهين، ولم يصده ذلك عن طريق سلفه الصالحين، فرضي الله عنهم أجمعين وحشرنا في زمرتهم. ورزقنا محبتهم وسلك بنا طريقهم. آمين.

وهذا الذي نقلته من نصوصهم إنما هو نبذة مما ذكره الحافظ امام اهل الدنيا في الحديث محمد بن اسماعيل البخاري قدس الله روحه ونور ضريحه وبرد مضجعه - هو وكافة علماء الحديث والتفسير ومن تبعهم باحسان - في كتابه الجامع الصحيح، وكتابه خلق افعال العباد، ومما ذكره الحافظ البيهقي رحمه الله تعالى في كتابه: جامع النصوص عن الشافعي في مسائل العقائد، وكتابه الاسماء والصفات، ومما ذكره الحافظ الناقد البصير بعلوم الأثر صحيحها وسقيمها شمس الدين الذهبي في كتابه العلو له، ومما ذكره الامام المفسر المحدث الاصولي النحوى /٣٢٣/ ابو عبد الله شمس الدين محمد بن القيم الحنبلي في كتاب الجيوش الاسلامية لغزو المعطلة والجهمية.

= الإمام أحمد يأنس به وينبسط إليه، ت ٢٧٥هـ. * أنظر ترجمته: طبقات الحنابلة (١/٥٦) والسير (١٣/٧٣).

(١) سورة المجادلة، آية/٧.

(٢) انظر مختصر العلو (ص: ١٩٠) وقال الذهبي رواه ابن بطّة في كتاب الابانة.

(٣) وقد صنف الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي كتاباً أسماه محنة الامام احمد بن حنبل حققه الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية.

(*) زيدت بخرجة بين الاسطر

« فصل »

وأما أقوال المفسرين في هذا الباب فكثيرة منها ما ذكره شيخ المفسرين وإمامهم ومرجعهم عند النزاع أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى ورضي عنه في تفسيره المسمى جامع البيان عند آيات الصفات أيد فيها طريقة السلف وأثنى عليها وانتصر لها حتى قال عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾[1] قال: وهو الله[2]. ومن نظر في تفاسير المتقدمين كتفسير البخاري وابن ماجه ووكيع وابن مردويه[3] وابن ابي حاتم وتفسير ابن جرير وغيرهم ممن التزم أن يفسر القرآن بماورد عن النبي عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن تبعهم على طريقهم ومنوالهم لم يجد فيها غير طريقة السلف، لا يرى فيها تأويل آيات الصفات، ولا تحريفها. وقد نحى نحو المتقدمين في التفسير[4] بعض المتأخرين فألفوا بالتفسير بالمأثور بل والآثار ولم يدخلوا فيها ما أحدثه المتأخرون من علم الكلام. فمنهم الحافظ ابن كثير[5] والحافظ جلال الدين السيوطي له كتاب في التفسير سماه الدر المنثور بالتفسبر بالمأثور، وتفسير الحافظ ابن كثير أصح منه واتقن، وتفسير السيوطي أوسع منه وأجمع، فرحمة الله تعالى عليهما وجزاهما عن الاسلام والمسلمين خيراً.

---

(١) سورة تبارك، آية/١٦.

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ص ٦).

(٣) الحافظ الثبت العلامة ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني صاحب التفسير والتاريخ والمستخرج على صحيح البخاري وغيره كان بصيراً بالرجال طويل الباع حسن التصانيف ولد سنة ٣٢٣ هـ وتوفي في رمضان ٤١٠ هـ. *انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٥٠)

(٤) في الأصل: تفسير.

(٥) هو الشيخ الامام العالم الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء ابن كثير ابن ذرع البصروي الأصل الدمشقي الشافعي ولد سنة ٧٠١ هـ بقرية من اعمال مدينة بصرىٰ ، أخذ العلوم عن كبار عصره كابن تيمية والذهبي والمزي وصاهره فأكثر عنه، وأفتى ودرس وناظر وبرع من أشهر تصانيفه: البداية والنهاية في التاريخ ونهاية البداية في الفتن والملاحم والتفسير المشهور، توفي رحمه الله سنة ٧٧٤ هـ.

* أنظر ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني (ص: ٥٧) وذيل التذكرة للسيوطي (ص: ٣٦١)

« فصل »

وأما أقوال الصوفية المحققين، فمن أجلّهم من المتأخرين سيدي عبد القادر الجيلاني الحنبلي[1]. قال في كتابه الغُنْية، وكتابه تحفة المتقين وسبيل العارفين: في باب اختلاف المذاهب في صفات الله عز وجل، وقد ذكر اختلاف الناس في الوقف عند قوله: ﴿ وما يعلَمُ تأويلَهُ إلّا اللهُ والراسخونَ في العلم ﴾[2] إلى أن قال: والله تعالى بذاته على العرش عِلمُه محيط بكل مكان، والوقف عند أهل الحق على قوله[3]: ﴿ إلا الله ﴾. وقد روي ذلك عن فاطمة بنت[4] رسول الله عليه الصلاة والسلام. وهذا الوقف حسن لمن اعتقد أن الله بذاته على العرش، ويعلم ما في السموات والأرض. انتهى.

وقد أطال الكلام رحمة الله[5] تعالى عليه في باب معرفة الصانع من كتاب الغنية[6] له فلا حاجة بنا الى ذكر جميعه، لأن الكتاب مشهور وقد طبع بمكة المكرمة زادها الله تشريفاً وتعظيماً. وهو متداول بين الناس واذا أردت الوقوف على جميع اقوال المسلمين من أهل التفسير والحديث وأهل اللغة والنحو والمتصوفة وأهل الكلام وغيرهم فرداً فرداً فعليك بكتاب: اجتماع الجيوش الاسلامية لغزو المعطلة والجهمية للحافظ ابن قيم

---

(١) تقدمت ترجمته (ص:).

(٢) سورة آل عمران، آية/ ٧.

(٣) في الأصل: قول.

(٤) فاطمة بنت رسول الله ﷺ الزهراء، كانت تكنى أم أبيها، وتلقب بالزهراء وكانت أصغر بنات رسول الله ﷺ وأحبهم إليه اختلف في سنة مولدها، فقيل مولدها حينما كانت الكعبة تبنى والرسول ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة وقيل سنة احدى وأربعين من مولد النبي ﷺ وكان مولدها قبل البعثة بقليل. تزوجها علي ابن ابي طالب في أوائل المحرم سنة اثنتين بعد عائشة بأربعة أشهر وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا من فاطمة، وهي سيدة نساء العالمين في الجنة وهي أول أهل بيت رسول الله ﷺ لحاقاً به توفيت في رمضان سنة إحدى عشرة.

* انظر الاستيعاب (١٣/ ١١١) واسد الغابة (٧/ ٢٢٠) والاصابة (١٣/ ٧١).

(٥) في الأصل: رحمته الله تعالى عليهم.

(٦) انظر الغنية (ص: ٥٤ ـ ٥٧).

الجوزية وهو كتاب /٣٢٤/ جليل لم يؤلف مثله في هذا الباب لأنه جمع اشتات كتب المتقدمين وأقوالهم في هذا الباب مع افراد كل قول على حده فجزاه الله تعالى الجزاء الأوفى وحشرنا وإياه والمسلمين تحت لواء المصطفى. آمين.

حكم من جحد الصـ

« فصــل »

فإذا تقرر هذا وكان أمراً مجمعاً عليه بين المسلمين لا يخالف فيه الا كل مبتدع جاهل ضال جهمي. علم قطعاً أن كلامه بدعة وضلالة بل كفر بعد اقامة الحجة كما تقدم عن إمامنا محمد بن إدريس الشافعي - رضي الله عنه - وتكفير السلف للجهمية معروف لمن قرأ كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري لأنه قد ذكر فيه بإسناده إلى (عبد الله بن إدريس)[1]، وقد قيل له: إن أقواماً يقولون: القرآن مخلوق فقال ( )[2]: أمن النصارى هم أو من اليهود أو من المجوس؟ فقيل له: بل من أهل القبلة فقال: أبلغهم عني أنهم كفار[3].

وبالجملة فالنصوص الواردة عن سلف الأمة في تكفير من جحد صفة لله عز وجل جاء بها القرآن أو صحت من سنة سيد ولد عدنان مشهورة معروفة لمن تتبع كتب القوم. وأما من غرته الأماني ورضي بحظه من كتب المتأخرين التي مسخها اهلها بعلم الكلام والفلسفة فهو لا ترفع له رأس ولا يثبت له قدم، بل تراه مزعزعاً متقلباً بين الشكوك والأوهام والخيالات والشبهات فعياذاً بالله تعالى من هذه الخيالات.

---

(١) في الأصل: محمد بن إدريس الشافعي، وهو خطأ، والصواب كما أثبت من المطبوع تحقيق د. عبد الرحمن عميرة (ص: ٣٠) ومؤسسة الرسالة (ص: ٧) وتحقيق بد البدر (ص: ٧)
■ وعبد الله بن إدريس هو أبو محمد الكوفي الأزهر الحافظ، قال فيه الإمام أحمد: كان نسيج وحده، ووثقه ابن معين وغيره، وكان عابداً فاضلاً. وكان يفتي بمذهب أهل المدينة وكان بينه وبين مالك صداقة، توفي سنة ١٩٢ هـ.
* أنظر الجمع بين رجال الصحيحين (١/٢٤٦) وتهذيب الكمال (١٤/٢٩٣).

(٢) كان في الأصل (الشافعي).

(٣) خلق أفعال العباد (ص: ٣٠). ورواه عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٢٩) والآجري في الشريعة (ص: ٧٨) واللالكائي (٢/٢٥٦ رقم ٤٣٢) وصححه الألباني في مختصر العلو (ص: ١٥٨).

« فصل »

فإن قال قائل: كل المسلمين متقدمهم ومتأخرهم على هذه العقيدة، وكيف لا يدينون الله بهذه العقيدة وهي عقيدة سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وهي التي جاء بها القرآن والسنة كما وصفت؟ قلت: ما ذكره هذا القائل ساقط لأن اكثر المتأخرين على خلاف هذا، بل كل من اعتقد عقيدة السلف من اثبات الصفات لله تعالى وأنه في السماء فبعضهم يكفره وبعضهم يفسقه وهذا أورعهم.

وإليك بعض ما قاله زعيمهم أحمد بن حجر المكي[1]، فقد ذكر في كتابه الفتاوى الحديثية - وهو من باب تسمية الشيء بضده لأنه لم يسلك في هذه المسألة طريقة الحديث بل شنّع على من يعتقد هذه العقيدة واستدل بأقوال من هم على شاكلته - قال في الكتاب المذكور بعد كلام طويل قاله في ذكر الخلاف بين اصحابه في تكفير سلف هذه الأمة وصفوتها لأنهم هم القائلون: ان الله في السماء على عرشه كما قدمنا ذكر ذلك عنهم معزواً الى كتبٍ صحيحة. قال ابن حجر: اذا تقرر هذا فقائل هذه المقاله - التي هي القول... اعنى بها: ان الله في السماء، لأنها هي التي سئل عنها بالجهة فوق ان كان يعتقد الحلول والاستقرار والظرفية والتحيز فهو كافر يسلك به مسلك المرتدين /٣٢٥/ إن كان مظهراً لذلك وان كان اعتقاده مثل اهل المذهب الثاني فقد تقرر الخلاف فيه، فعلى القول بالتكفير يرجع لما قبله، وعلى الصحيح ينظر فيه، فإن دعاه الناس الى ما هو عليه وأشاعه وأظهره فيُصنع به ما قال مالك رضي الله عنه فيمن يدعو إلى بدعته. ونص على ذلك في آخر الجهاد من[2] المدونة[3] وتأليف ابن يونس[4]، واذا لم

---

(١) تقدمت ترجمته (ص:٢٠٢) وليس هو الحافظ صاحب الفتح.

(٢) في الأصل ممن.

(٣) المدونة (٢/٤٧).

(٤) هو الإمام العلامة المجاهد محمد أبو بكر بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي، كان فقيهاً إماماً فرضياً، ملازماً للجهاد موصوفاً بالنجدة. من مؤلفاته: كتاب في الفرائض، وكتاب الجامع للمدونة أضاف إليها غيرها من الأمهات، وعليه اعتماد طلبة العلم للمذاكرة، ت: ٤٥١ هـ. انظر الديباج المذهب (ص: ٢٧٤).

يدع إلى ذلك وكان يظهره فعلى من ولآه الله أمر المسلمين ردعه وزجره عن هذا الاعتقاد والتشديد عليه حتى ينصرف عن هذه البدعة، فإن فتح مثل هذا الباب للعوام وسلوك طريق التأويل فيه إفساد لاعتقادهم والقاء تشككات عظيمة في دينهم وتهييج لفتنتهم إلى آخر ما هذى به ولبّس به كما هي عادته هو وأمثاله انتهى[1].

أقول: فبالله عليك أيها المنصف أترضى أن يكون الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والحمادين[2] والأوزاعي، والسفيانين[3] وابن المبارك[4] وابن راهويه[5]، وابن جرير، وأهل الحديث اجمعين كفاراً أو فساقاً وابن

---

(١) الفتاوى الحديثية **(ص: ٩٦-٩٧)**

(٢) هما حماد بن سلمة وحماد بن زيد.

وأما الأول: فهو حماد بن سلمة بن دينار الامام القدوة شيخ الاسلام ابو سلمة البصري النحوي، البزاز الخرقي البطائني، مولى آل ربيعة كان بحراً من بحور العلم وهو حجة إن شاء الله وحماد بن زيد اتقن منه. كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأذكار وقراءة القرآن، توفي سنة ١٦٧ هـ.

وأما الثاني: فهو حماد بن زيد بن درهم العلامة الحافظ الثبت محدث الوقت ابو اسماعيل الازدي الضرير أحد الاعلام وقال فيه عبد الله بن المبارك:

أيها الطالب علماً	إئت حماد بن زيد
تقتبس حلماً وعلماً	ثم قيده بقيد
لا كثور وكجهم	وكعمرو بن عبيد

ت ١٧٩هـ أنظر السير (٧/٤٥٦) والتقريب (ص: ١٧٨).

(٣) هما سفيان الثوري وسفيان بن عيينة. أما سفيان الثوري فقد تقدمت ترجمته (ص٤١٢)، وأما ابن عيينه: فهو ابن ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي مولى ابن مزاحم ولد سنة ١٠٧ هـ كان حافظ الاسلام ثقة ثبتاً حجة قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. توفي سنة ١٩٨ هـ.

* انظر تهذيب الكمال: (١١/١٧٧) والسير (٨/٤٥٤).

(٤) هو عبد الله بن المبارك بن واضح. الامام شيخ الاسلام عالم زمانه وأمير الاتقياء في وقته أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم، التركي ثم المروزي، الحافظ الغازي المجاهد أحد الاعلام له كتاب الجهاد وكتاب الزهد، كان يكثر الجلوس في بيته في فقيل له ألا تستوحش؟ فقال: وكيف أستوحش، وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟. وسيرته عطرة، ت سنة ١٨١ هـ.

* أنظر تهذيب الكمال (١٦/٥) والسير (٨/٣٧٨).

(٥) هو الامام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ أمير المؤمنين في الحديث أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن راهويه التميمي ثم الحنظلي المروزي نزيل نيسابور ولد ١٦١ هـ وسمع من ابن المبارك وغيره صنف المسند كان صاحب سنة واتباع، رحمه الله رحمة واسعة ت ٢٣٨ هـ.

* انظر السير (١١/٣٥٨) وشذرات الذهب (٢/٨٩).

حجر المكي وأضرابه هم المؤمنون السنيون؟ فسبحانك هذا بهتان عظيم.

ولكن يقال لهؤلاء: هل النصوص التي نقلناها عن سلف الأمة في اثبات ان الله في السماء صحيحة أم لا؟ فإن كانت غير صحيحة فعليكم أن تبينوا عدم نسبتها لهم، ولا سبيل لكم ـ وان كانت صحيحة عنهم فهل تجرون فيهم هذا الخلاف أم لا؟ فإن كنتم لا تجرون فيهم فلم اجريتموه في غيرهم والمقالة واحدة من غير فرق؟ ومعلوم أنه لم ينقل عن أحد منهم هذا التفصيل والتقسيم الذي ذكرتموه وإن كنتم تجرون هذا الخلاف فيهم أيضاً فقد طعنتم في مقلّديكم لأن تقليد الكافر والفاسق في أمر الدين غير جائز بحال، فبالله عليكم كُفُّوا واستحيوا من الله عز وجل من هذا المقال، وكيف تكفرون وتفسقون من أثبت لله عز وجل صفاته التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ـ وهو أعلم بربه وأتقى الناس له ـ فيستحيل أن يصفه بصفات ظاهرها غير مراد وأنه يؤدي إلى التجسيم من /٣٢٦/ غير أن يبين لهم ويحذرهم من اعتقاد ذلك ويتلو عليهم آيات ربهم التي فيها صفاته ولا يؤولها بصرفها عن ظاهرها، والله يقول: ﴿ وأنزلنا إليك الذِّكرَ لتُبَيِّنَ للناسِ ما نُزِّل إليهم ﴾[1] فأي احتياج أعظم وأي أمر للناس أهم من بيان صفات الله عز وجل، فكيف يليق بهذا النبي الحريص على هداية أمته كتمان ذلك بل يأتيهم بألفاظ توافق ما في كتاب ربهم ويسأل عن الأين، ويُسْأل أيضاً كذلك، ولم يقل لهم: لا تسألو عن الأين فإن الله لا يقال له أين ولا في السماء ولا في الأرض، ولا فوق ولا تحت ولا خلف ولا أمام وهو من الجهات الستة خالٍ[2] سيما وقومه كانوا حديثي[3] عهد بالكفر، كيف يتركهم على هذه الظواهر المتبادرة من القرآن الذي نزل بلغتهم لا يبينها لهم بياناً شافياً كما بيّن الوضوء والصلاة والزكاة وغير ذلك من أحكام الدين؟!

فإن قلتم: علمهم جميع ذلك قلنا لَمَ لَمْ ينقل عن أحد من الصحابة، من وجه صحيح ولا ضعيف شيء مما ذكرتم ؟ بل المحفوظ عنهم هو ما ذكرناه من اثبات

---

(١) سورة النحل، آية/ ٤٤.
(٢) في الأصل: الستة خالي . وهوخطأنحوي
(٣) في الأصل حديثوا. والصواب ما أثبت.

هذه الصفة، فبالله عليكم تنبهوا وتيقظوا[1] لقولكم هذا فإنه والله نفي وتعطيل وجحود لصفات ربكم وطعن في نبيكم وأصحابه، فمن بعدهم الا من دان الله بعقيدتكم هذه التي نتيجتها العدم الصرف.

ومن أراد الله هدايته رجع عنها في آخر عمره فممن رفضها: أمام المتكلمين في زمانه ابو الحسن الأشعري[2]، وصنف كتاب الابانة عن أصول الديانة، رجع فيه الى طريقة الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة، وممن رجع عن علم الكلام وحرم تعاطيه: أبو المعالي ابن الجويني[3] ومنهم ابن الخطيب الرازي[4] رجع عنه في آخر عمره ونظم قصيدته المشهورة التي مطلعها:

نهـايـة اقـدام العقـول عقـال   وأكثـر سعـي العـالمين ضـلال

---

(١) في الأصل: اتعظوا. والمثبت من الحاشية.

(٢) هو الإمام علي بن اسماعيل بن ابي بشر الأشعري ابو الحسن، كان في ابتداء أمره معتزلياً ثم صار كلابياً ثم رجع الى أهل السنة والجماعة وصنف لهم التصانيف وأقام الحجج على إثبات السنن وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته وقدم كلامه، ودفع شبه المعتزلة، من أهم كتبه بعد الهداية الإبانة عن أصول الديانة، ورسالة إلى أهل الثغر ومقالات الاسلاميين وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٣٢٤ هـ وقيل سنة ٣٣٠ و ٣٣٤ هـ.
* البداية والنهاية (١١/١٨٧) والديباج المذهب (ص ١٩٣).

(٣) هو الامام عبد الملك بن ابي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله ابو المعالي الجويني نسبة لجوين من قرى بنيسابور، الملقب بأمام الحرمين لمجاورته بمكة أربع سنين ولد ٤١٩ هـ وتفقه على والده وعلى غيره وبعد مجاورته بمكة عاد إلى نيسابور ودرس وصنف فمن اشهر مؤلفاته: الارشاد في العقيدة. والعقيدة النظامية وهي عقيدته لما رجع إلى مذهب السلف ولم تسلم من انتقدات وغيث الامم في التياث الظلم. وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٤٧٨ هـ.
* انظر السير (١٨/٤٦٨) والبداية والنهاية (٢١/ ١٢٨).

(٤) هو فخر الدين الرازي ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الرازي ويعرف بابن الخطيب هو من كبار المتكلمين في زمنه صاحب المصنفات الكثيرة الشهيرة منها التفسير الكبير اتهم في دينه لما ضمنه في كتبه من شبهات الملحدين والرد عليها فإنه كان يأتي بالشبهة ولا يقدر أن يرد عليها الرد المفحم المقنع فاتهم. إلا أنه قد ثبتت هدايته ورجوعه إلى مذهب السلف ولله الحمد توفي سنة ٦٠٦ هـ.
* انظر وفيات الاعيان (٤/٢٤٨ ـ ٢٥٢) وميزان الاعتدال (٣/ ٣٤٠) والبداية والنهاية (١٣/ ٥٥)

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا قيل وقالوا[١]

ثم قال: وها أنا أموت على دين العجائز[٢].

ومنهم الامام الغزالي[٣] تركه في آخر عمره فاشتغل بالقرآن والسنة حتى قيل: إنه مات وصحيح البخاري على صدره، وهذه أمور معروفة لمن تتبع كتب تاريخ الرجال والمقالات / ٣٢٧/ .

---

(١) في الأصل: قيل وقال: والمشهور عنه: وقالوا. وانظر الفتوى الحموية (ص: ٧) والصواعق المرسلة (١/ ١٦٧) والبداية والنهاية (١٣/ ٥٦) والطحاوية(ص: ٢٢٧) ووفيات الأعيان (٤/ ٢٥٠).

(٢) هذه العبارة تروى عن ابي المعالي الجويني، انظر الطحاوية (٢٢٨) ويروى عن الفخر الرازي قوله: "من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز" انظر البداية والنهاية (١٣/ ٥٥).

(٣) هو الامام محمد بن محمد بن محمد ابو حامد الغزالي ولد سنة ٤٥٠ هـ وتفقه بإمام الحرمين وبرع في علوم كثيرة وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، وكان متفلسفاً ثم تصوّف وفيه غلو، درس في النظامية وعمره ٣٤ سنة وحضر عنده كبار العلماء. من أهم كتبه أحياء علوم الدين، وهذا الكتاب بين أخذ ورد في قبوله حتى أن بعضهم أمر بحرقه. وكتاب إلجام العوام عن علم الكلام، ويقال: إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين.

* انظر ترجمته السير (١٩/ ٣٢٢) والبداية والنهاية (١٢/ ١٧٣).

فصل

فإن قال قائل: إن المتأخرين تبعوا في العقائد الامام أبا الحسن الاشعري خصوصاً المالكية والشافعية، وأما الحنفية فهم على طريقة ابي منصور الماتريدي،

فالجواب: نعم، إن أبا الحسن الاشعري كان على هذه الطريقة ثم رجع عنها كما أسلفناه وهذه نبذة من كتابه الإبانة يستدَل بها على رجوعه الى طريقة أهل الحديث. قال رحمه الله تعالى في كتاب الموجز والإبانة بعد كلام طويل رد به على المعتزلة الذين أنكروا بعض الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى، ونفوا أن يكون لله وجه مع قوله: ﴿ ويبقىٰ وجهُ ربّكَ ذُو الجَلالِ والإكرام ﴾[1] وأنكروا أن يكون لله يدان مع قوله: ﴿ لِما خلقتُ بيديّ ﴾[2] وأنكروا أن يكون له عينان مع قوله: ﴿ تجري بأعيننا ﴾[3] وكقوله: ﴿ ولتُصنَع علىٰ عيني ﴾[4] ونفوا ما روي عنه ﷺ من قوله: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا...» إلخ إلى أن قال[5]: وجملة قولنا: أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئاً، وأن الله سبحانه وتعالى إله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله، والجنة حق إلى أن قال: وأن الله مستو على عرشه كما قال تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[6]. وأن له[7] وجهاً وأن له يدين وأن له عينين إلى أن قال: ونقول: أن القرآن كلام الله غير مخلوق إلى أن ختم الكتاب ـ وهو كتاب نفيس جداً غزير العلم، وقد طبع على ورق جيد بخط فصيح في البلاد الهندية مع عدة رسائل، انتهى[8].

---

(١) سورة الرحمن، آية/ ٢٧.
(٢) سورة ص، آية/ ٧٥.
(٣) سورة القمر، آية/ ١٤.
(٤) سورة طه، آية/ ٣٩.
(٥) في الأصل: إن مكررة ولا يوجد إلى ولعل المثبت هو الصواب.
(٦) سورة طه، آية/ ٥.
(٧) في الأصل: وأنه له وجهاً وكذا ما بعدها. وهو خطأ.
(٨) انظر الابانة لابي الحسن الأشعري (ص ٥٢ ـ ٥٤).

إذا تقرر ذلك فأقول: إن المتأخرين من أهل الكلام ما وافقوا في عقائدهم هذه أحداً من أهل السنة والجماعة، لا الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة المجتهدين، ولا أهل الحديث ولا غيرهم ممن يعتد بعلمه، ويوثق بدينه، ولا أبا الحسن الاشعري الذين يدعون أنهم منتسبون إليه، وليسوا صادقين، لما عُلِمَ من عقيدته، وأن قيامهم وتشنيعهم وتضليلهم وتخطئتهم لشيخ الاسلام ابي العباس تقي الدين احمد بن تيمية رحمة الله تعالى عليه ليس ذلك قاصراً عليه، بل هو قدح وتشنيع وتضليل لكافة سلف الأمة حتى الصحابة، وحتى النبي ﷺ لما مرّ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة فمن بعدهم؛ المثبتة ان الله في السماء، وله يدان وعينان وأصابع وقدم وساق. وأنه ينزل إلى سماء الدنيا وأنه يجيىء /٣٢٨/ يوم القيامة وغير ذلك من الصفات التي أنكرها هؤلاء، فويل ثم ويل لمن كان سلف الأمة ونبيُّها خصماءَهُ.

والله يرحم الامام اليافعي اليماني الشافعي[١] حين رد على أبيات الامام السبكي التي قالها لما اطلع على كتاب منهاج السنة النبوية الذي ألّفه شيخ الاسلام احمد بن تيمية في الرد الرافضة قال ما نصه[٢]:

وما نسبتم الى الشيخ الامام تقي ... الدين احمد أمر لا يُحص به
في[٣] قولكم خلط الحق المبين بما ... يشوبه كدر في صفو مشربه
يحاول الحشو انى كان فهو له[٤] ... حثيث سير بشرقٍ أو بمغربه

---

(١) هو ابو عبد الله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليافعي اليماني انتصب للرد على السبكي حينما طعن في ابن تيمية وفيما يظهر أنه من تلاميذ ابن تيميه رحمه الله ولم أجد له ترجمة، وكذا قال محمد رشاد سالم رحمه الله تعالى في تحقيقه منهاج السنة (١٠٩/١) وشعر الناظم يدل على أنه عالم بالعقيدة الاسلامية وله يد طولى في نظم الشعر دفاعاً عن الحق رحمه الله رحمة واسعة.

(٢) هذه الابيات موجودة ضمن القصيدة الطويلة في جلاء العينين (ص ٢٠ ـ ٢٤) مع فروق في بعض الكلمات والأبيات. وهي موجودة أيضاً في مقدمة منهاج السنة (١/ ١١٠ ـ ١١٧).

(٣) في الأصل: حتى والمثبت من جلاء العينين (ص: ٢١) ويقتضيه الوزن. وفي مقدمة المنهاج: من.

(٤) في الأصل: يحاول الحشو أنى فهو كان له. والمثبت من الجلاء (ص: ٢١).

يـــرى حـــوادث لا مبـــدا لأولهـــا | في الله سبحـــانـــه عمـــا يظـــن بـــه

قال الامام اليافعي:

لقد علمتم بأن السادة السلف الـ | ـماضين ما خرجوا عما أقر بـه
هم القرون الألى[1] نص الرسول على | تفضيلهـم وأزالـوا كـل مشتبـه[2]
لئـــن[3] رددت عليـــه في مقـــالتـــه | فقـــد رددت عليهـــم فـــادرِ وانتبـــهِ
كـــذا الأئمـــة أهـــل الحـــق كلُّهـــم | يرون ما قاله من غير ما جبهِ[4]
فـردكـم ليس مخصـوصـاً بـواحـدهـم | بـل بـالجميع وهـذا مـوضـع الشَّبـهِ
هـلا جمعـت الألى[5] قـالـوا مقـالتـه | ليستبين خطـاهـم مـن مُصَـوِّبـهِ
فكلهـــم خلـــط[6] الحـــق المبين بمـــا | يشـوبـه كـدر في صفـو مشربـهِ
إن كان ذلك حشوياً لديك يُرىٰ | وكلهـم أنـت تقفـو إثـر سبسبِـه[7]
فـالحشـو فـريـة[8] جهمـي ومعتـزلٍ | فـامـدح وذُم بمـا جـاء الكتـاب بـهِ

---

(١) كتبت في الأصل: الأولى.

(٢) والبيت في جلاء العينين هكذا:

هـــم القـــرون الألى في نـــص سيـــدنـــا | حـــازوا الفخـار بـأمـر غير مشتبه

(٣) في الأصل: لأن. والأصل موافق للمقدمة (١/ ١١٢).

(٤) في الجلاء (ص: ٢١): ثم الأئمة .. إلى آخر البيت. ● ومعنى قوله من غير ما جبه. أي: من غير مذلة ولا نكارة ولا تنكيس رؤوس وجباه. يقال: الجبهة ويقصد بها المذلة، واجتبه الماء) انكره ولم يستمرئه، والتجبية أن ينكس رأسه، ويقال: جبهه: أصابه بمكروه. انظر القاموس المحيط ص (١٦٠٦ ـ ١٦٠٧).

(٥) الأصل الأولى.

(٦) في المقدمة: خلطوا.

(٧) في الجلاء (ص: ٢١): فكلهم كان حشوياً. البيت والسبسب هو: لها عدة معاني منها: الأرض الجذبة، وقيل القفر البعيدة، وقال أبو عمرو سبسب إذا سار سيراً ليناً. انظر لسان العرب (١/ ١٦٠).

(٨) في الأصل: فالحشو خرجه جهمي ....، والتصويب من مقدمة منهاج السنة (١/ ١١٣) وهذا البيت غير موجود في الجلاء.

وانظر لـوازم مـا حـاولتـه طلبـاً فنيـة المـرء تُلفـىٰ عنـد مطلبـهِ[1]
وخـذ أدلـة مـا قـالـوه واضحـة من الكتاب ودع ما قد هذوت بهِ
فـالـرب سبحـانـه مـا زال متصفـاً بكل وصف كمال عند موجبه[2]

انتهى والقصيدة طويلة جداً احتوت على عقيدة السلف بأدلتها فرحم الله ناظمها.

وبالجمله فرد هؤلاء على شيخ الاسلام ففي الظاهر رد عليه، وفي التحقيق هو رد على كافة أعيان الأمة وصفوتها سيما القرون الأولى التي شهد لها[3]الرسول بالخير[4] وجعل اجماعهم حجةً، وكيف لا يكون ذلك والله يقول: ﴿ ومَن يُشاقِق الرسولَ مِن بَعدِ مَا تَبيـنَ لهُ الهُدى ويتَّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنين نُوَلِّهِ ما تولىٰ ونُصلِهِ جَهنَّمَ وساءَتْ مصيرا ﴾[5]، فنبرأ إليك يا ربنا من هؤلاء الذين حرفوا نصوص صفاتك وكفروا وفسقوا من يعتقدها على ظواهرها ويكل كيفيتها لك، ويقولون: إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وأوضح وأبين.

---

(١) في الجلاء (ص: ٢١): وانظر الى مطلب حاولته طلباً فنسبة المرء . . . البيت.
(٢) هذا البيت غير موجود في جلاء العينين، وهو موجود في المقدمة: (١/ ١١٣).
(٣) جاء في الأصل: سيما القرون الأول التي شهد له الرسول. فلعل الصواب ما أثبت، أو يكون: القرن الأول الذي شهد له ـ ولكن لا يناسب سياق الكلام بعد ذلك.
(٤) في الأصل بالخبر بالباء الموحدة. ولعل المثبت هو المقصود للفظ الحديث، خير الناس قرني. . .
(٥) سورة النساء، آية/ ١١٥.

« فصل »

ذم التأويل

وقد ذم تأويل نصوص الصفات كثير من العلماء قديماً وحديثاً. فمما وقفت عليه من ذلك /٣٢٩/ جزء للإمام الموفق ابن قدامة[١]. رأيت أن أنقل منه جملة تتميماً للفائدة والله الهادي.

قال رحمه الله تعالى بعد الخطبة[٢]: أما بعد: فإني أحببت أن أذكر مذهب السلف من الصحابة ومن اتبعهم باحسان ـ رحمة [الله عليهم في أسماء الله تعالى وصفاته، ليسلك سبيلهم من أحب الاقتداء بهم، والكون معهم][٣] في الدار الآخرة، إذ كان كل تابع في الدنيا مع متبوعه في الآخرة، وسالك حيث سلك موعوداً ما وعد به متبوعه من خير أو شر، دل على هذا قوله تعالى: ﴿ والسابقونَ الأولون مِن المهاجِرينَ والأنصارِ والذينَ اتَّبعوهُم بإحسانٍ رضيَ اللهُ عنهُم ورَضُوا عنه﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿ والذينَ آمَنوا واتَّبعتْهُم ذُرِّيَّتُهم بإيمانٍ ألْحَقنا بهم ذُريتَهم﴾[٥] وقال حاكياً عن ابراهيم عليه السلام: ﴿ فمَن تَبِعني فإنه مِني ﴾[٦] وقال في ضد ذلك: ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لهُ الهُدى ويَتَّبع غير سَبيلِ المؤمنين نُوَلِّهِ ما تَولّى ونُصلِهِ جهنمَ وساءت مصيراً﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[٨] وقال: ﴿ فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد * يقدُم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾[٩] فجعلهم اتباعاً له في الآخرة الى

---

(١) وقد حققه الأخ الشيخ بدر بن عبد الله البدر ـ طبع الدار السلفية الكويت.
(٢) انظر ص (٨).
(٣) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل والاستدراك من ذم التأويل (ص ٨).
(٤) سورة التوبة، آية/ ١٠٠.
(٥) سورة الطور، آية/ ٢١.
(٦) سورة ابراهيم، آية/ ٣٦.
(٧) سورة النساء، آية/ ١١٥.
(٨) سورة المائدة، آية/ ٥١.
(٩) سورة هود، آية/ ٩٧ ـ ٩٨.

النار حين اتبعوه في الدنيا وجاء في الخبر: "أن الله يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا[١].

انتهى ما اردت جمعه في الرد على السبكي وآخر دعوانا بتوفيق ربنا ان الحمد لله رب العالمين.

«اللهم رب جبريل وميكائيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك فإنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٢].

اللهم ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين * إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾[٣].

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهَب لنا من لدنكَ رحمةً إنّك أنت الوهاب ﴾[٤].

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وإيمانك ﴿ ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾[٥]

---

(١) شطر من حديث طويل، رواه بمعناه الطبراني في الكبير (٩/ ٤١٧ ـ ٤٢١) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٠ ـ ٣٤٢) وقال رواه كله الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني، وهو ثقه، ورواه الحاكم (٤/ ٥٨٩ ـ ٥٩٢) من طريق أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن وقال : "رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات غير أنهما ـ أي البخاري ومسلم ـ لم يخرجا أبا خالد الدالاني في الصحيحين لما ذكر من انحرافه عن السنة في ذكر الصحابة، فأما الأئمة فكلهم شهدوا لأبي خالد بالصدق والاتقان، والحديث صحيح ولم يخرجاه، وابوخالد الدالاني ممن يُجمع في أئمة أهل الكوفة، وتعقبه الذهبي بقوله: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده، وابو خالد شيعي منحرف، أ.هـ. تابعه زيد بن أبي أنيسة عند الطبراني (٩/ ٤١٧) وقال ابن حجر في زيد هذا: ثقة له أفراد التقريب (ص: ٢٢٢).

(٢) رواه مسلم (الصلاة ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه - ١/ ٥٣٤ رقم ٧٧٠) وغيره.

(٣) سورة الفاتحة، آية/ ٥ـ٧.

(٤) سورة آل عمران، آية/ ٨.

(٥) سورة الحشر، آية/ ١٠.

﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله ﴾[١] ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزَن إن ربنا لغفور شكور ﴾[٢] ﴿ فلله الحمدُ ربِّ السّمٰوات وربِّ الأرضِ ربِّ العالمين * وله الكبرياء في السمٰواتِ والأرضِ وهو العزيز الحكيم ﴾[٣].

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة اني اعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وانك ان تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني عن الخير واني لا اثق الا برحمتك /٣٣٠/ فاجعل لي عهداً توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد.[٤]

وصلى الله على سيدنا محمد ـ عبدك ورسولك النبي الأمي ـ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ـ والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ من جمع هذا الكتاب في يوم السبت الموافق اربع وعشرين من شهر شوال من شهور سنة ثلثمائة وثلاث وثلاثين بعد الألف من هجرة من خلقه الله على اكمل وصف ١٣٣٣ هـ[٥]./٣٣١/ .

---

(١) سورة الاعراف، آية/ ٤٣.

(٢) سورة فاطر، آية/ ٣٥.

(٣) سورة الجاثية، آية/ ٣٦ ـ ٣٧.

(٤) ورد هذا الدعاء عن عبد الله بن مسعود موقوفاً عند قوله تعالى ﴿ إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ مريم، آية / ٨٧ ــ رواه ابن أبي حاتم (٣ / ١٤٥ ــ تفسير ابن كثير) وفيه المسعودي : صدوق ولكنه اختلط (التقريب ص : ٣٤٤).

(٥) جاء في الحاشية؛ فرغت من قراءته سنة ١٣٦٢ هـ، ليلة الاربعاء ١٣ جمادي الآخرة؛ كتبه محمد عبد الرزاق حمزة غفر الله لمؤلفه ورحمه الله رحمة واسعة آمين يا رب العالمين.

الخاتمــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحـات ، وبحمـده تـزداد البركـات ، والصـلاة والسـلام على المبعوث رحمـة للكائنـات ، وعلى آلـه وصحبـه الذيـن صحبوه ، وعـزروه ، ونصـروه في أشـد الملمات ، وعلى أتباعه ممن سار على دربه إلى يوم يبعث الله الأموات .

وبعد :

فبعد أن منّ الله عليَّ بدراسة وتحقيق القسم الثاني من كتاب " **الكشف المبـدي لتمويـه أبي الحسن السبكي في تكملة الصارم المنكي** " فإنني أحمد الله على ذلـك بـأن يسـر لي الأسـباب ، وذلل لي الصعاب ، فلله الحمد ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شاء من شيء بعد .

وبعد دراستي وتحقيقي للكتاب أضع هذه النتيجة في هذه الأسطر ، عسى أن تظهـر شـيئاً ممـا احتواه هذا السفر المبارك .

١ - إن المؤلف رحمه الله تعالى لديه نفس طويل وروح عالية في معالجة مواضيع الكتاب .

٢ - إنه يذهب مذهب السـلف في الاعتقـاد ، والاتبـاع ، فلقـد رد على السـبكي في قضيـة الاستغاثة بغير الله ، وفي حياة الأنبياء في قبورهم ، وانتقد المؤمنـين بالأوليـاء المزعومـين ، الذيـن يخرجون من قبورهم ليقضوا حوائج الناس ، وذكر عقيدته في الأسمـاء والصفـات ، وسـرد أدلتـه على ذلك ، وهي أدلة السلف الصالح من أحاديث وآيات ، لخص كثيراً منها من كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية .

٣ ــ ورد على المقلـدة الجـامدين الذيـن يقدمـون آراء الأشـخاص والرجـال على قـول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو بهذا ظاهر التأثر بشيخه القاسمي (ت ١٣٣٢ هــ) إذ أنـه رحل إليه ، ودرس لديه .

٤ - إن المؤلف رحمه الله عنده باع لا بأس به في الفقه وأصولـه ، والحديـث وعلومـه ، وهـو سمته الظاهرة ، وله في ذلك انتقادات رائعة ، ولفتات باهرة ، ولقد رد على ما استدل به السبكي مـن أحـاديث بأسـلوب حديثي سـليم ، أظهـر فيه علـل الرجـال وبـين فيـه تخبـط السـبكي في الاستدلال .

٥ ـ ثم ذكر بعد أن رد على السبكي حديثياً ، عدة نقولات ترد ما أورده من شبهات استنبطها من أحاديث ضعيفة ، وتفسيرات لغوية غوية ، صرف معانيها السليمة إلى معان فاسدة أثيمة ، فكدر بها صفو الأحاديث ، فاغتر بها علماء من المسلمين ، فضلاً عن عوامهم .

والمؤلف رحمه الله أسهب بهذه النقول ، وعدد المصادر ، ونوع الأسماء ، وهذا أسلوب طيب متبع ، فلعله بتكرار المسائل ، وتعدد النقول من عدة فحول ، أن تتلاشى هذه الشبهات وتزول ، فللأئمة أهل الفضل وقع في قلوب الناس ، فلعل آذانهم تصغى وقلوبهم تعقل .

وهذا النوع من النقول وتعدده من جمع من العلماء له ميزته في ترسيخ الحق ، وتكراره يؤدي إلى اليقين ، ومازال العلماء يكررون بعض المسائل بأسلوب أو بآخر ، ليصلوا بذلك إلى ترسيخ ما يريدونه في ذهن القاريء .

كما أن هذا النوع إذا اختلت فيه بعض الضوابط يصبح مملاً ممجوجاً .

ولا أظن أن المؤلف وصل إلى حدّ الإخلال بهذه الضوابط ، وقد كان بإمكانه رحمه الله اختصار بعض المكررات ليتخلص من الانتقادات ، ولكن يقال : ربما أراد إبراز الحق في صور متعددة بمعان متحدة والله يجزيه خيراً .

٦ ـ إن المؤلف رحمه الله رحمة واسعة خالف منهج السلف في مسألة التوسل واتبع في ذلك الشوكاني ـ جمعاً بين الأدلة فيما ظن ـ

وكذلك خالف الجمهور في قضية المقام المحمود ، واتبع رأي مجاهد رحمه الله تعالى ، ولم يصح عنه كما تقد

وأما باقي المسائل الواردة فلم يخرج بها عن منهج السلف والعلم عند الله ، وما ورد فيه من بعض المخالفات والانتقادات علقت عليه بما أظن أنه يلزم . والعلم عند الله تعالى .

٧ ـ وكتاب المؤلف رحمه الله كتاب جامع لعدة أبواب في الاعتقاد ، كالاستغاثة والزيارة ، والشفاعة وحياة الأنبياء في قبورهم ، والأسماء والصفات .

٨ ـ ومن ميزة هذا الكتاب أنه تضمن الرد على عدة خرافيين غير السبكي منهم : ابن حجر المكي ، وابراهيم البيجوري ، وداود بن جرجيس العراقي ، ويوسف النبهاني شيخ الخرافة في العصر الأخير ، فهو فعلاً وحقاً كتاب حافل حوى خلاصة كتب الردود على أهل البدع والجحود .

ثـــم إلى هنـــا قـــد انتهـيتُ وتـــم مابجمعـــه عُنِيتُ[1]

قـد تـم تحقيقـي مـع الدراســـةِ لكشـف سبكـيٍّ وأهـل البدعـةِ

أظهــر فيـــه العالـــم الفقيـــهُ عيوبَهـم ، وهْـو الفقـي النبيــهُ

أكمـل فيـه الصـارم المنكـي وقـدْ نكا بـه السبكيْ عليْ لمّا حَسَـدْ

أحمـدَ[2] ، فالحـق المبين أبلــجُ والباطـلُ الأثيـم فهْـو اللجلـجُ

وكــان الانتهــاء في ذي القعــدةِ وفي الصيــام قبلـــه قراءتـــي

تَمّتْ على شيخي هو السُحيمـيْ صـان إلهي صالحـاً من ضيـمِ

في عـام ألـفٍ بعدهـا أربعْ ميـهْ وبعدهـا خمسةَ عشْرةٍ هيـهْ[3]

وَكَمُلَـتْ بطيبـة الميمونـــهْ فبرزت من خدرهـا مصونَهْ[4]

فانظـر إليهـا نظـرة المستحســنِ وَحَسـن الظـن بهـا وأحسـنِ

وإن تجـد عيبـاً فسـد الخلـــلا فَجَـلَّ من لاعيبَ فيه وعـلا[5]

فالحمـــد للـــه علـــى إتمامِـــهِ ثـــم صلاة اللـه مع سلامِـــهِ

علـى النبـــي وآلـــه وصحبِـــهِ وحزبِــهِ وكــل مؤمــنٍ بــهِ[6]

وأخيراً أسأل الله أن أكون قد وفقت في تحقيق هذا الكتاب القيم ، وأن أكون قد خدمته خدمة تظهر محاسنه لتنير هذه المحاسن دياجير الجهل والظلمات .

وماكان فيه من صواب فمن الله ، وماكان من خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان

---

(1) هذا البيت للشيخ حافظ حكمي في نهاية سلم الوصول .

(2) أي شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية .

(3) ماسبق من أبيات من نظمي .

(4) هذا البيت من أواخر ألفية العراقي في علم الحديث .

(5) هذان البيتان من أواخر ملحة الإعراب .

(6) هذان البيتان من أواخر نظم الورقات للعمريطي .

منـــه[1] .

وأستغفر الله من ذلك وأعوذ به من شر الشيطان الرجيم .

يارب غفـــراً إن طغت أقلامنـــا — يارب معـــذرة من الطغيـــان .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

[1] ورد مثل هذه العبارة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، روى ذلك أبو داود (النكاح ـ باب فيمن تزوج و لم يسم صداقاً حتى مات ـ ٢ / ٥٨٩ رقم ٢١١٦) والنسائي (النكاح ـ باب إباحة التزويج بغير صداق ـ ٦ / ٤٣٢ رقم ٣٣٥٨) والحاكم (٢ / ١٨٠) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي . والله أعلم .

الفهـــــــــارس

فهارس الآيات

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
الله لا إله إلا هو الحي القيوم (آية الكرسي)	٢٥٥	١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ٢٠٦ ، ٣٤٣ ، ٣٨٣ ، ٤١٤
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با لله	٢٥٦	٧١
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات	٢٥٧	٣
سورة آل عمران		
وما يعلم تأويله إلا الله	٧	١٤٤ ، ٤١٧
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا	٨	٣٢٢ ، ٤٣٠
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء ...	٢٨	٦١
ويحذركم الله نفسه	٢٨ ، ٣٠	٣٨٥
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	٣١	١٥٧ ، ١٨٤ ، ٢٣١ ، ٣٨٦
قل أطيعوا الله والرسول ...	٣٢	١٥٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١
ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول	٥٣	٢٦٦
إني متوفيك ورافعك إليّ	٥٥	٣٨٤
ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه	٨٥	٤٣ ، ٥٣
فإن الله غني عن العالمين	٩٧	٣٢٨
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته	١٠٢	٣
كنتم خير أمة أخرجت للناس	١١٠	٤
ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا	١١٢	٨٢
ليس لك من الأمر شيء	١٢٨	٢٥٠ ، ٢٧٤
واتقوا النار التي أعدت للكافرين	١٣١-١٣٢	١٥٨
ومن يغفر الذنوب إلا الله	١٣٥	٢٥٠ ، ٢٧٤
وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل	١٤٤	٨٢ ، ٤٠٣
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً	١٦٩	٨٦
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً الآيات	١٦٩-١٧١	٨٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ،
إنك من تدخل النار فقد أخزيته	١٩٢	١٣٣
ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان	١٩٣	٧٦ ، ٢٦٦

فهرس الأحاديث

طـرف الحـديث	رقم الصفحة

طرف الحديث	رقم الصفحة
(حرف الميم)	
ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم	٢٤٧
ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي	٨٧ ، ٩٢
ما هذه ؟ لما رأى رجلاً بيده حلقة	٢٨٣
من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها (حاشية)	٣٢٨
من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه	٢٩٨
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٤٠٢
من أحدث في أمرنا هذا	٤٣
من اقتبس شعبة من النجوم	٢٩٧
من تعلق تميمة فقد أشرك	٢٨٤
من تعلق تميمة فلا أتم الله له	٢٨٣
من تعلق شيئاً وكل إليه	٢٨٦
من حلف بغير الله فقد أشرك	٢٩٠ ، ٣٤٢
من حلف بملة غير الإسلام	٢٨٩
من حلف فليحلف بالله أو ليصمت	٢٨٩
من صور صورة في الدنيا	٣٠٤
من عقد عقدة ثم نفث فيها	٢٩٨
من غشنا فليس منا	٦٦ ، ٦٧ ، ١٥٤
من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله	٧٢
من كان آخر كلامه لا إله إلا الله	٣٤٣
من لم يسأل الله يغضب عليه	٢٢١
من يسأل الناس وله ما يغنيه	٢٥٢
المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً	٣٧٧
المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى	٣٧٧
(حرف النون)	
نضر الله عبداً سمع مقالتي	١٦٥
نعم هو في ضحضاح من نار	١٢٦
(حرف الهاء)	
هل أخبرت بها أحد ـ أي الرؤيا ـ	٣٠٢

فهرس الآثار

فهرس أعلام الأشخاص

فهرس الأشعار

الصفحة

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأديان والفرق

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١- **الآداب الشرعية والمنح المرعية** : لابن مفلح الحنبلي ، مطبعة المنار ، ١٣٤٨ هـ .

٢- **الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير** : الحسين بن إبراهيم الجورقاني ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي ، نشر إدارة البحوث الإسلامية في الجامعة السلفية ببنهارس ، الهند .

٣- **الإبانة عن أصول الديانة** : أبو الحسن الأشعري ، تقديم الشيخ حماد الأنصاري ، مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، الطبعة لثانية ، ١٤٠٥ هـ .

٤- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية** : عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري ، تحقيق رضا بن نعسان معطي ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ .

٥- **إثبات صفة العلو** : ابن قدامة المقدسي الحنبلي ، تحقيق أحمد عطية الغامدي ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ .

٦- **إثبات عذاب القبر** : الحافظ البيهقي ، تحقيق د . شرف محمود القضاة ، دار الفرقان ، الأردن ، عمان ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

٧- **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية** : للإمام ابن قيم الجوزية ، دراسة وتحقيق د . عواد عبدالله المعتق ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ١٤٠٨ هـ .

٨- **الأحاديث الطوال** : أبو القاسم الطبراني

٩- **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان** : محمد بن حبان البستي ، ترتيب ابن بلبان ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .

١٠- **أحكام الجنائز وبدعها** : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٤ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م .

١١- **الإحكام في أصول الأحكام** : ابن حزم الأندلسي . قدم له إحسان عباس منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط١ ، ١٤٠٠هـ .

١٢- **الأدب المفرد مع شرحه فضل الله الصمد** : محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ .

١٣- **أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم** : علي بن سلطان القاري ، ضمن مجموع (عقيدة الموحدين) جمع عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي ، مكتبة الطرفين الطائف ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

١٤- **الأذكار** : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ .
١٥- **الأربعين في صفات رب العالمين** : الإمام الذهبي : تحقيق عبد القادر عطا صوفي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ .
١٦- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م .
١٧- **الاستذكار الجامع لفقهاء الأمصار ....**: ابن عبد البر القرطبي ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، دمشق ، بيروت ، ودار الوعي القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .
١٨- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** : لأبي عمر بن عبد البر القرطبي ، بذيل الإصابة ، تحقيق د . طه محمد الزيني ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.
١٩- **أسد الغابة في معرفة الصحابة** :عز الدين ابن الأثير ، تحقيق محمد بن ابراهيم البنا وآخرين ، كتاب الشعب ، ١٩٧٠ م .
٢٠- **أسرار البلاغة في علم البيان** : عبد القاهر الجرجاني ، علق حواشيه محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
٢١- **الأسماء والصفات** : أحمد بن الحسين البيهقي ، حققه عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي ، جدة ، السعودية ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٢٢- **الإصابة في تمييز الصحابة** : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق د . طه محمد الزيني ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
٢٣- **أصل الاعتقاد** : عمر الأشقر ، الدار السلفية ، ط٣ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٢٤- **أصول الدين** : أبو اليسر محمد بن محمد البزدوي ، حققه دار هانز بيترلنس ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
٢٥- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** : محمد الأمين الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت .
٢٦- **الاعتقاد** : أحمد بن الحسين البيهقي ، تصحيح الشيخ أحمد مرسي ، ناشر حديث أكادمي نشاط آباد ، فيصل آباد ، باكستان .
٢٧- **اعتقاد أئمة الحديث** : أبو بكر الإسماعيلي تحقيق د . عبد الرحمن الخميس ، دار العاصمة ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٢٨- **الأعلام** : قاموس لأشهر الرجال والنساء ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٩ ، ١٩٩٠ م .

٢٩- **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري** : محمد علي مغربي ، الكتاب العربي السعودي ، ط١ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٣٠- **أعلام العراق** : محمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، سنة ١٣٤٥ هـ .

٣١- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** : ابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٣٢- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** : ابن تيمية ، تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٣٣- **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل** : شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي ، تصحيح عبد اللطيف محمد موسى السبكي ، دار المعرفة ، بيروت .

٣٤- **الإكليل في المتشابه والتأويل** : ابن تيمية ، ١٣٩٤ هـ ، ط٢ ، مصر .

٣٥- **إكمال المعلم شرح مسلم** : القاضي عياض اليحصبي ، رسالة دكتوراة ، جامعة الإمام محمد بن سعود .

٣٦- **ألفية السيوطي في علم الحديث** : السيوطي ، بتصحيح وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعرفة ، بيروت .

٣٧- **الإنباه إلى ما ليس من أسماء الله** : صالح العصيمي ، ط ١ .

٣٨- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده** : أبو بكر الباقلاني ، تحقيق وتعليق المبتدع عماد الدين أحمد حيدر ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٠٧ - ١٩٨٣ م .

٣٩- **الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة** : عبد الرحمن المعلمي اليماني ، عالم الكتب بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٤٠- **أهل الحجاز بعبقهم التاريخي** : حسن عبد الحي قزاز .

٤١- **الأهوال** : ابن أبي الدنيا ، دراسة وتحقيق مجدي فتحي السيد ، مكتبة آل ياسر ، الجيزة ، مصر ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٤٢- **الإيمان أو الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان** : ابن تيمية ، تحقيق أ . د . محمود حسن أبو ناجي الشيباني ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

٤٣- **الإيمان** : لابن أبي شيبة العبسي ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، طبع دار الأرقم ، الـ طبع ضمن أربع رسائل) .

٤٤- **الإيمان** : ابن منده ، تحقيق د . علي بن محمد ناصر الفقيهي ، ط١ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، مطبوعات المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية .

٤٥- **أين الله** : دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية ، سليم الهلالي ، الدار السلفية بالكويت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(ب)

٤٦- **البداية النهاية** : الحافظ عماد الدين ابن كثير ، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ، ط٦ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

٤٧- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** : محمد بن علي الشوكاني ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

٤٨- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ومعه القراءات الشاذة** : عبد الفتاح القاضي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٤٩- **البدور السافرة في أمور الآخرة** : عبد الرحمن السيوطي ، تخريج أبي محمد المصري ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١١ هـ .

٥٠- **البعث والنشور** : أبو بكر بن أبي داود ، تحقيق الحويني السلفي ، مكتبة التراث الإسلامي ، مصر .

٥١- **البعث والنشور** : الإمام البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

(ت)

٥٢- **تاج العروس شرح القاموس** : المرتضى الزبيدي ، دار الفكر بيروت .

٥٣- **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول** : صديق حسن خان البخاري القنوجي ، تحقيق عبد الحكيم شرف الدين ، المطبعة الهندية العربية ، بمباي الهند ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

٥٤- **تاريخ بغداد** : الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٥٥- **تاريخ جدة** : عبد القدوس الأنصاري ، مطابع دار الأصفهاني وشركائه ، جدة ، ط١ ، ١٣٨٣ هـ .

٥٦- **تاريخ خليفة** : خليفة بن خياط العصفري ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري . دراسة طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٥٧- **تاريخ القراء العشرة ورواتهم** : عبد الفتاح القاضي ، طبع مصر .

٥٨- التاريخ الكبير : الإمام البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٥٩- تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر : عبد القادر العيدروسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٦٠- تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكتب والمين : سليمان بن سحمان ، دار العاصمة ، ط٢ ، ١٤١٠ هـ .

٦١- تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن : إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني الأسعردي الأزهري ، مكتبة الصحابة الإسلامية ، الكويت .

٦٢- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٣٩٢ م .

٦٣- تحفة الأشراف بأطراف الكتب الستة : الحافظ المزي ، تحقيق عبد الرحمن شرف الدين ، الدار القيمة ، بمباي ، الهند .

٦٤- التحفة العراقية في أعمال القلوب : ابن تيمية - تحقيق سليمان مسلم الحرش ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٦٥- تحكيم القوانين : للعلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١١ هـ .

٦٦- تذكرة الحفاظ : الحافظ محمد الذهبي ، دار إحياء التراث العربي .

٦٧- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الريان للتراث ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٦٨- الترغيب والترهيب : الحافظ عبد العظيم **المنذري** ، تصحيح إدارة الطباعة المنيرية محمد منير أغا الدمشقي ، إدارة الطباعة المنيرية .

٦٩- الترغيب والترهيب : الحافظ أبو القاسم إسماعيل الإصبهاني ، تحقيق أيمن صالح بن شعبان ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .

٧٠- التصوف في ميزان البحث والتحقيق : عبد القادر بن حبيب الله السندي ، مكتبة ابن القيم ، المدينة النبوية ، ط١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٧١- التعريفات للقاضي علي بن محمد الجرجاني : تحقيق محمد بن عبد الحكيم القاضي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

٧٢- التعليم في مكة والمدينة في آخر العهد العثماني : محمد عبد الرحمن الشامخ ، المطابع الأهلية للأو.   الرياض ، ١٣٩٣ هـ .

● **تفسير القرطبي** = الجامع

● **تفسير الماوردي** = النكت والعيون .

٧٣- **تفسير النسائي (من السنن الكبرى)** : الإمام أبو عبد الرحمن النسائي ، حققه صبري عبد الخالق الشافعي وآخر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٧٤- **تفسير القرآن العظيم** : عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق أحمد بن عبد الله الزهراني وحكمت بشير ياسين، مكتبة الدار ، دار طيبة، دار ابن القيم، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .

٧٥- **تفسير الزمخشري (الكشاف)** : مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٧٦- **تفسير القرآن الحكيم** : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٧٧- **تفسير القرآن العظيم** : ابن كثير ، تقديم : د. يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٧٨- **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل** : الإمام أبو الحسن محمد بن الحسن البغوي ، تحقيق خالد العك وآخر ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ .

٧٩- **تفسير عبد الرزاق الصنعاني** : تحقيق د . مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٦ م .

٨٠- **التفسير الكبير** : الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي .

٨١- **تقريب التهذيب** : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، دار الرشيد سوريا ، حلب ، طبع دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

٨٢- **تلخيص الاستغاثة (الرد على البكري)** : ابن تيمية ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، دلهي ، الهند ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٨٣- **التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والأسانيد** : تأليف الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، طبع وزارة الأوقاف في المغرب ، توزيع مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

٨٤- **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك** : جلال الدين السيوطي ، دار الفكر .

٨٥- **تهذيب التهذيب في رجال الكتب الستة** : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار صادر ، بيروت .

٨٦- **تهذيب سنن أبي داود السجستاني** : ابن قيم الجوزية ، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، (ومعه معالم التنزيل ومختصر السنن) .

٨٧- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** : الحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي ، حققه : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

٨٨- **التوحيد** : محمد بن اسحاق بن خزيمة ، تحقيق محمد خليل الهراس .

٨٩- **التوحيد** : محمد بن اسحاق بن مندة ، تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، طباعة الجامعة الإسلامية مركز شئون الدعوة ، ط١ .

٩٠- **التوسل أنواعه وأحكامه** : بحوث كتبها وألقاها محمد ناصر الدين الألباني ، تنسيق محمد عيد عباسي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٩١- **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد** : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٦ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٩٢- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، حققه محمد زهري النجار ،طبع الرئاسة العامة لأدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة السعودية ، ١٤١٠ .

(ج)

٩٣- **جامع الأصول في أحاديث الرسول** : المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، حققه عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٩٤- **جامع بيان العلم وفضله** : أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ، طبع وتصحيح إدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، دار الكتب العلمية .

٩٥- **جامع البيان في تفسير القرآن** : محمد بن جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت .

٩٦- **الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد** : عبد الله بن جار الله الجار الله ، مؤسسة قرطبة ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٩٧- **الجامع لأحكام القرآن** : أبو عبد الله القرطبي الأنصاري ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

٩٨- **الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية التي خرجها الألباني** : إعداد سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٩٩- **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين** : نعمان خير الدين الألوسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠٠- **الجمع بين رجال الصحيحين** : محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ .

١٠١- **جمع الوسائل في شرح الشمائل** : علي بن سلطان القاري ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ .

(ح)

١٠٢- **حاشية السندي على سنن النسائي** : نور الدين أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي ، دار المعرفة ، بيروت . ط٢ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

١٠٣- **الحاوي للفتاوي** : جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ .

١٠٤- **الحجة في بيان المحجة** : إسماعيل بن محمد الأصبهاني (قوام السنة) ، تحقيق د . محمد ربيع المدخلي ، د . محمد محمود أبو رحيم ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م .

١٠٥- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** : أبو نعيم الأصبهاني ، مطبعة دار السعادة ، مصر ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

١٠٦- **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** : عبد الرزاق البيطار ، حققه محمد بهجة البيطار ، ١٣٨٠ هـ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، بدمشق .

١٠٧- **حياة الأنبياء بعد وفاتهم** : أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د. أحمد عطية الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م .

(خ)

١٠٨- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** : عمر أمين المحبي ، دار صادر بيروت .

١٠٩- **خلق أفعال العباد** : الإمام البخاري ، تحقيق وتقديم عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية ، الرياض .

● **خلق أفعال العباد** : الإمام البخاري ، تحقيق بدر البدر ، الدار السلفية ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(د)

١١٠- **الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد** : بقلم صالح بن عبد الله العصيمي ، دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ .

١١١- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد : محمد بن علي الشوكاني ، مع الرسائل السلفية ، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٤١١هـ

● الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد : الشوكاني ، مع كتاب الدين الخالص لصديق حسن خان .

● الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد : الشوكاني ، مخطوطتان من الجامعة الإسلامية ، فيلم رقم (٩٢٥) وفيلم رقم (٨٨٦) .

١١٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ، الناشر محمد أمين دمج ، بيروت ، لبنان .

١١٣- الدر المنضد في ذكر أصحاب أحمد : عبد الرحمن العليمي ، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين ، مكتبة التوبة ، ط١ ، ١٤١٢ هـ .

١١٤- الدرر الكامنة في المائة الثامنة : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، دار الجيل .

١١٥- دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة : البيهقي ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١١٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : برهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٧- الدين الخالص : صديق حسن خان القنوجي البخاري ، تصحيح محمد زهري النجار ، مكتبة دار التراث ، مصر .

١١٨- ديوان الفرزدق : دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

(ذ)

١١٩- ذكر أخبار أصبهان : أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق سيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

١٢٠- ذم التأويل : موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، حققه بدر بن عبد الله البدر ، الدار السلفية ، الكويت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٢١- ذيل تذكرة الحفاظ : أبو المحاسن الحسيني الدمشقي ، تصحيح محمد زاهد الكوثري ، دار إحياء التراث العربي .

١٢٢- **الذيل على طبقات الحنابلة** : ابن رجب الحنبلي ، دار المعرفة ، بيروت ، المطبعة الأدبية ، مصر ، ط١ ، ١٣١٧ هـ .

١٢٣- **ذيل طبقات الحفاظ** : جلال الدين السيوطي ، تصحيح الكوثري ، دار إحياء التراث العربي .

١٢٤- **ذيل العبر** : محمد بن علي الحسيني ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . ضمن الجزء الرابع من العبر للذهبي .

(ر)

١٢٥- **رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد** : تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٣٥٨هـ .

١٢٦- **الرد على الجهمية** : عثمان بن سعيد الدارمي ، تعليق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .

١٢٧- **الرد على الزنادقة والجهمية** : الإمام أحمد بن حنبل ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ .

١٢٨- **الرد على شبهات المستعينين بغير الله** : أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تقديم محمد نصيف ، دار مصر للطباعة ، ط٢ .

١٢٩- **الرسالة** : عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، نشر أحمد أحمد أبو السعود وآخر - كانو - نيجيريا .

١٣٠- **رسالة في وجوب توحيد الله عز وجل** : محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي ، دار المنار ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

١٣١- **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء** : ابن قيم الجوزية ، تحقيق : د. بسام علي سلامة العموش ، منشورات دار ابن تيمية للتوزيع والأعلام ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٣٢- **الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام** : عبد الرحمن السهيلي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة ودار النصر للطباعة ، ط١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م .

١٣٣- **روضة الطالبين** : أبو زكريا يحيي بن شرف النووي ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ .

١٣٤- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين** : ابن القيم ، دار الكتب العلمية .

١٣٥- **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين** : محمد القاضي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٠ هـ .

(ز)

١٣٦- الزهد : الإمام أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٣٧- الزهد : هناد بن السري الكوفي ، حققه عبد الرحمن الفريوائي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

١٣٨- الزهد : وكيع بن الجراح ، حققه عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار ، المدينة النبوية ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ .

١٣٩- الزهد والرقائق : عبد الله بن المبارك المروزي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية .

(س)

١٤٠- السابق واللاحق : الخطيب البغدادي ، تحقيق محمد مطر الزهراني ، دار طيبة الرياض ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٤١- سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمدناصر الدين الألباني ، الجزء الثاني ، المكتب الإسلامي .

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة** : محمدناصر الدين الألباني ، الجزء الخامس ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

١٤٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة : الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ .

- **سلسلة الأحاديث الضعيفة (الأول)** : الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

- **سلسلة الأحاديث الضعيفة (الثاني)** : الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ٤ ، ١٤٠٨ هـ .

١٤٣- السنة : محمد بن نصر المروزي ، تخريج سالم بن أحمد السلفي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

١٤٤- السنة : لابن أبي عاصم ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، ١٣١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

١٤٥- السنة : أبو بكر الخلال ، تحقيق د. عطية الزهراني ، دار الراية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

١٤٦- **السنة** : عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٤٧- **سنن الترمذي** : محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق أحمد محمد شاكر (الأول والثاني والخامس) وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (الثالث) وتحقيق كمال يوسف الحوت المبتدع (الرابع) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٤٨- **سنن الدارمي** : عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عناية - محمد أحمد دهمان ، مطبعة الاعتدال والمطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٣٩٤ هـ .

١٤٩- **سنن أبي داود** : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق عزت عبيد دعاس وآخر ، دار الحديث ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

١٥٠- **سنن ابن ماجه** : الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث ، القاهرة .

١٥١- **سنن النسائي** : أحمد بن شعيب النسائي مع حاشية السيوطي والسندي ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث الإسلامي ، طبع دار المعرفة بيروت ، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .

١٥٢- **السنن الصغير** : أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ، حاشية الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، باكستان ، ط١ ، ١٤١٠ هـ .

١٥٣- **السنن الكبرى** : أحمد بن الحسين البيهقي ، دار المعرفة ، بيروت .

١٥٤- **السنن** : محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق د. خليل ملا خاطر ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .

١٥٥- **سير أعلام النبلاء** : شمس الدين محمد الذهبي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وآخرين ، مؤسسة الرسالة .

١٥٦- **السيرة النبوية** : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

١٥٧- **سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر** : تهامة جدة ، الكتاب العربي السعودي ، ١٤٠٣ هـ .

(ش)

١٥٨- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** : محمد بن محمد مخلوف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، مصور عن المطبعة السلفية ومكتبتها ، ط١ ، ١٣٤٩ هـ .

١٥٩- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** : ابن العماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي .

١٦٠- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** : اللالكائي ، تحقيق د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة .

١٦١- **شرح جوهرة التوحيد** : إبراهيم الباجوري ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

١٦٢- **شرح حديث النزول** : شيخ الإسلام ابن تيمية ، المكتب الإسلامي ، ط٦ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٦٣- **شرح السنة** : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .

١٦٤- **شرح شمائل الترمذي** : عبد الرؤوف المناوي ، بحاشية شرح ملا علي القاري ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ .

١٦٥- **شرح الصدور بتعريف حال الموتى وأهل القبور** : جلال الدين السيوطي ، تحقيق يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير ، ومكتبة دار التراث بالمدينة ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .

١٦٦- **شرح العقيدة الطحاوية** : علي بن أبي العز الحنفي ، تحقيق جماعة من العلماء ، تخريج الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٥ ، ١٣٩٩ هـ .

١٦٧- **شرح العقيدة الواسطية** : د. محمد خليل هراس ، طباعة الجامعة الإسلامية ، ط٨ .

١٦٨- **شرح العقيدة الواسطية** : د . صالح بن فوزان الفوزان ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث في المملكة العربية السعودية ، ط٥ ، ١٤١١ هـ .

١٦٩- **شرح العقيدة الواسطية وهي المسماة التنبيهات اللطيفة** : عبد الرحمن السعدي ، تعليق عبد العزيز بن باز ، تصحيح وتخريج علي حسن الحلبي الأثري ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الدمام ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .

١٧٠- **شرح الفقه الأكبر** : ملا علي القاري ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .

١٧١- **شرح القصيدة النونية المسمى توضيح المقاصد وتصحيح القواعد** : أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٧٢- **شرح القصيدة النونية** : د . محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٧٣- **شرح مسلم** : للإمام أبي زكريا يحيى شرف النووي ، المطبعة المصرية بـالأزهر ، ط١ ، ١٣٤٧ هـ .

١٧٤- **شرح نخبة الفكر** : ملا علي القاري ، دارالكتب العلمية ، ط ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٧٥- **الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة** : عبيد الله بـن بطـة العكـبري ، تحقيـق د . رضا نعسان معطي ، مطابع الصفا بمكة المكرمة ، ط٢ ، ١٤١١هـ .

١٧٦- **الشريعة** : محمـد بـن حسين الآجـري ، تحقيـق محمـد حـامد الفقـي ، الناشـر حديـث أكادمي ، فيصل آباد ، مطابع الأشراف ، لاهور ، باكستان ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ .

١٧٧- **شعب الإيمان** : الحافظ البيهقي ، تحقيـق محمـد السـعيد بسـيوني زغلـول ، دار الكتـب العلمية ، ط١ ، ١٤١٠ هـ .

١٧٨- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** : القاضي عياض بـن موسـى اليحصبي ، تحقيـق محمـد أمين قرة علي وآخرون ، مؤسسـة علـوم القـرآن ودار الفيحـاء ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

١٧٩- **شفاء السقام في زيارة خير الأنام** :علي بن عبد الكافي السـبكي ، مطبعـة مجلـس دائـرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ط٢ ، ١٣٧١ هـ - ١٩٨٦ م .

١٨٠- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقـدر والحكمـة والتعليـل** : ابـن قيـم الجوزيـة ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .

١٨١- **الشفاعة** : مقبل بن هادي الوادعي ، دار الأرقم ، الكويت ، ١٤٠٢ هـ .

١٨٢- **الشمائل** : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مع شرح ملا علي القاري .

١٨٣- **شيخ الشام جمال الدين القاسمي** : محمود مهدي إستانبولي ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٨٤- **الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في العقيدة** : عبد الرزاق العباد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

(ص)

١٨٥- **الصارم المنكي في الرد على السبكي** : أبو عبد الله بن عبـد الهـادي ، تحقيـق اسمـاعيل الأنصاري ، مكتبة ابن تيمية .

١٨٦- **صحيح البخاري مع الفتح محمد بن إسماعيل البخاري** : حققـه محـب الديـن الخطيـب ورقمه محمـد فـؤاد عبـد البـاقي ، دار الريـان للـتراث ، المكتبـة السـلفية ، الطبعـة ٣ ، ١٤٠٧ هـ

١٨٧- **صحيح ابن خزيمة** : محمد بن اسحاق بن خزيمة ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي .

١٨٨- **صحيح سنن الترمذي** : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

١٨٩- **صحيح سنن ابن ماجه** : محمد ناصر الدين الألباني ، الكتب الإسلامي ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ .

١٩٠- **صحيح مسلم للإمام محمد بن مسلم النيسابوري** : حققه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٩١- **الصحيح المسند من أسباب النزول** : تأليف مقبل بن هادي الوادعي ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

١٩٢- **الصفات** : أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ، حققه د. علي بن محمد ناصر الفقيهي ، سلسلة عقائد السلف ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٩٣- **الصفات الإلهية** : محمد أمان الجامي ، الجامعة الإسلامية ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .

١٩٤- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** : شمس الدين ابن القيم ، دار العاصمة ، الرياض ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ .

(ض)

١٩٥- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته** : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٣٩٩ هـ .

١٩٦- **ضعيف سنن الترمذي** : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤١١ هـ .

١٩٧- **ضعيف سنن أبي داود** : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

١٩٨- **ضعيف سنن ابن ماجه** : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

١٩٩- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** : السخاوي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(ط)

٢٠٠- **طبقات الحنابلة** : أبو الحسين محمد بن أبي يعلي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٠١- **طبقات الشافعية** : عبد الرحيم الإسنوي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، بغداد ، ١٣٩١ هـ .

٢٠٢- **طبقات الشافعية الكبرى** : تاج الدين السبكي ، تحقيق محمد عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية .

٢٠٣- **الطبقات** : خليفة بن الخياط العصفري ، حققه د/ أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٢٠٤- **الطبقات الكبرى** : محمد بن سعد الزهري ، دار صادر بيروت .

(ع)

٢٠٥- **العبودية** : (مجموع الفتاوى) ابن تيمية ، دار عالم الكتاب ، الرياض ،١٤١٢ هـ .

٢٠٦- **العرش وما روى فيه** : الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حققه أبو عبد الله محمد بن حمد الحمود ، مكتبة السنة ، ط٢ ، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م .

٢٠٧- **العظمة** : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني ، تحقيق ، مصطفى عاشور ومجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

٢٠٨- **عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي** : تحقيق عبد الله البصيري ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث ... ، ط١ ، ١٤١١ هـ .

٢٠٩- **عقيدة السلف وأصحاب الحديث (مجموعة الرسائل المنيرية)** : أبو عثمان الصابوني ، دار إحياء التراث العربي .

٢١٠- **العقيدة الطحاوية** : أبو جعفر الطحاوي ، شرح وتعليق الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٢١١- **العقيدة الواسطية مع شرح الهراس** : ابن تيمية ، طباعة الجامعة الإسلامية ، ط٨ .

٢١٢- **علماء الدعوة** : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، مطبعة المدني، القاهرة ،١٣٨٦هـ .

٢١٣- **علماء نجد خلال ستة قرون** : عبد الله البسام ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة ، ط١ ، ١٣٩٨ هـ .

٢١٤- **علماء ومفكرون عرفتهم** : محمد المجذوب ، دار الاعتصام ، ط٣ .

٢١٥- **العلو للعلي الغفار** : الحافظ أبو عبد الله الذهبي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة النبوية .

٢١٦- **عمل اليوم والليلة** : ابن السني ، تحقيق بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ومكتبة المؤيد ، الطائف ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ .

٢١٧- **عمل اليوم والليلة** : النسائي ، تحقيق فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ

٢١٨- **عون المعبود شرح سنن أبي داود** : شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٢١٩- **عنوان المجد في تاريخ نجد** : عثمان بن بشر ، مكتبة الرياض الحديثة .

(غ)

٢٢٠- **غاية الأماني في الرد على النبهاني** : محمود شكري الألوسي ، مكتبة ابن تيمية.

٢٢١- **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي .

٢٢٢- **غاية النهاية في طبقات القراء** : محمد بن محمد الجزري ، تحقيق : ج ـ براجستراسر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

٢٢٣- **غريب الحديث** : عبد الرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٢٢٤- **الغنية لطالبي طريق الحق** : عبد القادر الجيلاني .

(ف)

٢٢٥- **الفتاوى الحديثية** : ابن حجر المكي الهيتمي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .

٢٢٦- **فتاوى سلطان العلماء العز بن عبد السلام** : تحقيق مصطفى عاشور ، مكتبة الساعي ، مكتبة القرآن الكريم .

٢٢٧- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حققه محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، المكتبة السلفية ، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ .

٢٢٨- **فتح البيان في مقاصد القرآن** : محمد صديق حسن خان ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ م .

٢٢٩- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير** : الشوكاني ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ .

٢٣٠- **فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد** : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٣١- **فتح المنان على صلح الإخوان ، لتتمة منهاج التأسيس والتقديس** : محمود شكري الألوسي ، تحقيق محمد حامد الفقي .
٢٣٢- **الفتن والملاحم أو نهاية البداية** : الحافظ ابن كثير ، تصحيح إسماعيل الأنصاري ، مؤسسة النور ، ط١ ، ١٣٨٨ هـ ، الرياض .
٢٣٣- **الفتوى الحموية الكبرى** : الإمام ابن تيمية ، تحقيق شريف محمد فؤاد هزاع ، الناشر دار فجر للتراث ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
٢٣٤- **الفردوس بمأثور الخطاب** : شيرويه بن شهردار الديلمي ، تحقيق السعيد بسيوني زغلول ، دار الباز ، مكة ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٢٣٥- **فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال** : أبو بكر خوقير ، مطبعة مجلة المنار بمصر ، سنة ١٣٢٤ هـ .
٢٣٦- **الفقيه والمتفقه** : الخطيب البغدادي ، تصحيح إسماعيل الأنصاري ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠ هـ .
٢٣٧- **الفوائد البهية في تراجم الحنفية** : أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي الهندي ، تصحيح محمد بدر الدين النعساني ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .
٢٣٨- **فوات الوفيات والذيل عليها** : محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت .
٢٣٩- **فيض القدير شرح الجامع الصغير** : محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

(ق)

٢٤٠- **القائد إلى تصحيح العقائد** : عبد الرحمن المعلمي اليماني ، تعليق الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، ١٤٠٤ هـ .
٢٤١- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة** : الإمام ابن تيمية ، تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي ، مكتبة لينة ، دمنهور ، مصر ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
٢٤٢- **القاموس المحيط** : الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، دار الريان للتراث ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٢٤٣- **القصيدة النونية (الكافية الشافية)** : ابن القيم ، دار المعرفة .

(ك)

٢٤٤- **الكاشف في رجال الكتب الستة** : الحافظ الذهبي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ .

٢٤٥- **الكافي لابن قدامة المقدسي** : المكتب الإسلامي .

٢٤٦- **الكامل في التاريخ** : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير الجزري ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢٤٧- **الكامل في الضعفاء** : لأبي أحمد بن عدي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٢٤٨- **الكبائر** : الحافظ الذهبي ، تحقيق مشهور حسن سلمان ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢٤٩- **كشف الأحوال في نقد الرجال** : محمد عبد الوهاب المدراسي ، طبعة هندية سنة ١٣٠٣ هـ .

٢٥٠- **كشف الخفاء ومزيل الألباس** : إسماعيل بن محمد العجلوني ، دار الكتب العلمية .

٢٥١- **كشف الأستار عن زوائد البزار** : نور الدين الهيثمي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

٢٥٢- **الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي** : محمد بن حسين إبراهيم الفقيه ، القسم الأول ، تحقيق : صالح المحسن (رسالة ماجستير) في الجامعة الإسلامية .

٢٥٣- **الكفاية في علم الرواية** : الخطيب البغدادي ، توزيع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

٢٥٤- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** : المتقي الهندي ، تحقيق وتصحيح بكري حياتي وآخر ، منشورات مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .

٢٥٥- **الكنى والأسماء** : مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق د. عبد الرحيم القشقري ، طبع الجامعة الإسلامية ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ .

٢٥٦- **الكواشف الجلية عن معاني الواسطية** : عبد العزيز السلمان ، ط١٧ ، ١٤١٠ هـ .

(ل)

٢٥٧- **لحظ الألحاظ بذيل تذكرة الحفاظ** : الحافظ محمد بن فهد المكي ، دار إحياء التراث العربي .

٢٥٨- **لسان العرب** : لابن منظور الإفريقي ، دار صادر ، بيروت .

٢٥٩- **لسان الميزان** : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، منشورات دار الفكر ، ط٢ .

(م)

٢٦٠- **ما لابد منه في أمور الدين** : أبو بكر خوقير ، تحقيق خالد العنبري ، دار سعد النجيم للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤١٢ هـ .

٢٦١- **كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين** : محمد بن حبان التميمي البستي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٢٦٢- **مجلة المنهل** : رئيس تحريرها عبد القدوس الأنصاري ، مجلد٦ .

٢٦٣- **مجمع الأمثال** : لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

٢٦٤- **مجمع البحرين في زوائد المعجمين** : نور الدين الهيثمي ، تحقيق عبد القدوس محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

٢٦٥- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : نور الدين الهيثمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٦٦- **مجموع فتاوى ابن تيمية** : جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي وابنه ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

٢٦٧- **مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين** : جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان ، دار الوطن ، السعودية ، ط٣ ، ١٤١١ هـ .

٢٦٨- **مجموع متون في مهمات مختلف الفنون والعلوم** : دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٢٦٩- **محاسن الإصطلاح بحاشية مقدمة ابن الصلاح** : سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني ، تحقيق د . عائشة عبد الرحمن ((بنت الشاطيء)) ، دار المعارف ، مصر ، ١٤١١هـ .

٢٧٠- **محاسن التأويل** : محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م . دار الفكر ، بيروت .

٢٧١- **المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز** : القاضي أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، توزيع مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

٢٧٢- **محنة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل** : الحافظ تقي الدين عبد الغني المقدسي ، تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، مصر ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٧٣- **مختار الصحاح** : محمد بن أبي بكر الرازي ، مؤسسة علوم القرآن ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، سنة ١٤٠٥ هـ .

٢٧٤- **المختار في أصول السنة** : أبو علي الحسن بن أحمد بن البنا الحنبلي البغدادي ، تحقيق د . عبد الرزاق العباد البدر ، مكتبة العلوم والحكم ، ط١ ، ١٤١٣ هـ .

٢٧٥- **مختصر الشمائل المحمدية** : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ط٢ ، ١٤٠٦ هـ ، والمكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن .

٢٧٦- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم** : إختصار الشيخ محمد الموصلي ، تصحيح زكريا علي يوسف ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٠ هـ .

٢٧٧- **مختصر العلو للعلي الغفار** : اختصار محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ .

٢٧٨- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** : شمس الدين ابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

● **مدارج السالكين** : ابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ (وهي المعتمدة) .

٢٧٩- **المدخل للسنن الكبرى** : محمد الحسين البيهقي ، تحقيق د . محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

٢٨٠- **مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة** : د . ناصر القفاري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٢ هـ .

٢٨١- **مسائل الإمام أحمد بن حنبل** : تأليف أبي داود السجستاني ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، الناشر محمد أمين دمج ، بيروت ، لبنان .

٢٨٢- **المستدرك على الصحيحين** : الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٨٣- **المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني والثالث عشر** : محمود شكري الآلوسي ، تحقيق عبد الله الجبوري ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٢٨٤- **المسند** : الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، المكتب الإسلامي ، ط٤ ، ١٤٠٣ هـ .

٢٨٥- **مسند أبي داود الطيالسي** : ترتيب أحمد البنا الساعاتي المسمى منحة المعبود ، المكتبة الإسلامية ،بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ .

٢٨٦- **مسند الشافعي** : الإمام الشافعي المطلبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ .

٢٨٧- **مسند الشهاب** : القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، حققه حمدي عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٢٨٨- **مسند أبي يعلي الموصلي** : الإمام أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ، حققه حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢٨٩- **المسودة في أصول الفقه لآل تيمية : جمعها وبيضها أبو العباس** أحمد بن محمد الحراني الدمشقي الحنبلي ، حققها محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٢٩٠- **مشاهير علماء نجد** : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، دار اليمامة للبحث والترجمة ، ط٢ ، ١٣٩٤هـ .

٢٩١- **مشكل الآثار** : أبو جعفر الطحاوي ، مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد ، الهند ، ١٣٣٣ هـ .

٢٩٢- **المصباح المنير** : أحمد بن محمد الفيومي المقريء ، مكتبة لبنان .

٢٩٣- **المصنف** : ابن أبي شيبة العبسي ، تحقيق مختار أحمد الندوي ، الدار السلفية ، الهند .

٢٩٤- **المصنف** : عبد الرزاق الصنعاني ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٠ هـ .

٢٩٥- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية .

٢٩٦- **معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول** : حافظ حكمي ، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٢٩٧- **المعارف** : ابن قتيبة الدينوري ، حققه د . ثروت عكاشة ، ط٤، دار المعارف ، مصر .

٢٩٨- **معالم السنن شرح سنن أبي داود** : أبو سليمان حمد الخطابي ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، وآخر ، دار الحديث ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م (مطبوع بحاشية السنن) .

٢٩٩- **معاني القرآن الكريم** : أبو جعفر النحاس ، تحقيق محمد علي الصابوني ، مطبوعات جامعة أم القرى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٣٠٠- **معجم الشيوخ** : الحافظ الذهبي ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٣٠١- **معجم الشيوخ (رياض الجنة أو المدهش المطرب)** : عبد الحفيظ الفاسي ، المطبعة الوطنية ، الرباط ، سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م .

٣٠٢- **المعجم الصغير** : سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الكتب العلمية .
٣٠٣- **المعجم الكبير** : سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، وزارة الأوقاف بغداد .
٣٠٤- **معجم المؤلفين** : عمررضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٤ هـ .
٣٠٥- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف** : جماعة من المستشرقين ، دار الدعوة استنبول ، تركيا .
٣٠٦- **معجم مقاييس اللغة** : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١ هـ .
٣٠٧- **معجم المناهي اللفظية** : د . بكر عبد الله أبو زيد ، دار ابن الجوزي ، ١٤١٠ هـ .
٣٠٨- **المعجم الوسيط** : إعداد د . إبراهيم أنيس وآخرون ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا .
٣٠٩- **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد** : الحافظ الذهبي ، حققه إبراهيم سعيداي إدريس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٣١٠- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار** : الحافظ العراقي ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ (بهامش الإحياء) .
٣١١- **مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة** : جلال الدين السيوطي ، تحقيق وتخريج بدر البدر ، دار الهدى النبوي ، الكويت ، مكتبة ابن تيمية .
٣١٢- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** : طاش كبرى زادة ، تحقيق أبو النور عبد الوهاب ، وآخر ، دار الكتب الحديثة ، مصر .
٣١٣- **مفردات القرآن** : الراغب الأصبهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٣١٤- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** : شمس الدين السخاوي ، صححه وعلق عليه عبد الله محمد الصديق الغماري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ .
٣١٥- **مقدمة التفسير لابن تيمية (مجموع الفتاوى)** : دار عالم الكتب ، الرياض .
٣١٦- **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث** : أبو عمرو عثمان ابن الصلاح ، تحقيق د . عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ، دار المعارف ، مصر .

٣١٧- **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب أحمد لابن مفلح الحنبلي** : تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م .

٣١٨- **المقنع في علوم الحديث** : الحافظ عمر بن علي بن الملقن ، تحقيق عبد الله بن يوسف الجديع ، دار فواز للنشر ، السعودية ، الإحساء ، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

٣١٩- **منال الطالب في شرح طوال الغرائب** : مجد الدين ابن الأثير ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، جامعة أم القرى ، مطبعة المدني .

٣٢٠- **المنامات** : الحافظ ابن أبي الدنيا ، تحقيق د. مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

٣٢١- **من كلام الإمام أحمد علل الحديث ومعرفة الرجال** : تحقيق صبحي البدري السامرائي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

٣٢٢- **منهاج التأسيس والتقديس في الرد على داود بن جرجيس** : عبد اللطيف آل الشيخ ، دار الهداية ، الرياض .

٣٢٣- **منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية** : ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض .

٣٢٤- **منهاج العوارف** : القاضي عياض ، مخطوط .

٣٢٥- **المنهاج في شعب الإيمان** : أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، تحقيق حلمي محمد فودة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ .

٣٢٦- **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات** : محمد الأمين الشنقيطي ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، توزيع الجامعة الإسلامية .

٣٢٧- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان** : نور الدين الهيثمي ، حققه حسين سليم أسد ، ط١ ، ١٤١١ هـ ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، بيروت .

٣٢٨- **الموضوعات** : ابن الجوزي ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد عثمان ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة ، ط١ ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

٣٢٩- **الموطأ** : الإمام مالك بن أنس ، دار الفكر .

٣٣٠- **الموقظة في علوم الحديث** : الحافظ الذهبي ، بعناية عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٥ هـ .

٣٣١- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق علي بن محمد البجاوي ، دار الفكر .

(ن)

٣٣٢- ناسخ الحديث ومنسوخه : ابن شاهين ، تحقيق سمير الزهيري ، دار المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .

٣٣٣- النبذة الشريفة النفيسة : محمد بن ناصر آل معمر ، تحقيق عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .

٣٣٤- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، توزيع مكتبة العلم بجدة ، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م .

٣٣٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي ، مصر ، ١٩٢٩م .

٣٣٦- نزهة الخواطر بهجة المسامع والنواظر : العلامة الشريف عبد الحي الحسني ، مدير ندوة العلماء ، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ، ط١ .

٣٣٧- نزهة النظر شرح نخبة الفكر : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، تعليق محمد غياث الصباغ ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٣٣٨- النزول : الدارقطني ، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ .

٣٣٩- النكت على ابن الصلاح : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي ، الجامعة الإسلامية ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٣٤٠- النكت والعيون (تفسير) : أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ، راجعه السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م .

٣٤١- النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير ، تحقيق الزواوي والطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

٣٤٢- النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد : جاسم بن فهد الدوسري ، دار الخلفاء ، الكويت .

٣٤٣- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر : محمد بن محمد بن زبارة الحسني اليمني الصنعاني ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ

(و)

٣٤٤- الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل ايبك الصفدي ، إصدار المعهد الألماني ، بيروت .

٣٤٥- **الوصية الكبرى** : ابن تيمية ، المكتبة السلفية ، القاهرة .

٣٤٦- **الوفيات** : لابن رافع السلامي ، تحقيق صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٣٤٧- **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** : لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الصادر ، ١٤٠٢ هـ .

(ي)

٣٤٨- **يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر** : حماد الأنصاري ، مكتبة ابن القيم ، المدينة النبوية ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الذبح لغير الله	٢٨٨
الحلف بغير الله والتفصيل في هذه القضية	٢٨٩ - ٢٩٢
النهي عن اتخاذ القبور مساجد	٢٩٢ - ٢٩٥
بيان ضعف النهي عن اتخاذ السرج على المساجد وتوضيح أنه منهي عنه بأصول الشريعة	٢٩٣
قصة فيها بيان أن الغلو يورث الشرك	٢٩٥ - ٢٩٦
شرك قوم نوح سببه الغلو في الصالحين	٢٩٦
إتيان الكهان والعرافين	٢٩٨
النهي عن قول مطرنا بنوء كذا	٢٩٩
النهي عن قول ما شاء الله وشئت	٣٠١
تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾	٣٠٣
النهي عن تصوير ذوات الأرواح	٣٠٤
النهي عن رفع القبور	٣٠٥
النهي عن الغلو في رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٠٥
المشركون أقروا بخلق الله وتدبيره وأشركوا بالعبادة	٣٠٦
بيان اشتراك المشركين والقبوريين في الفعل وشبهة تعليلهم واحدة	٣٠٦ - ٣٠٨
الدعاء هو العبادة	٣١٠
الواجب على من رأى أناساً يدعون غير الله	٣١٦
طلب الدعاء من الحي جائز	٣١٧ - ٣١٨
شبهة القبورية	٣١٩
نماذج لما وقع فيه الغلاة من الالتجاء لغير الله	٣٢٠
من أسباب الوقوع في الشرك إطباق الناس وتوارث الأجيال	٣٢٢
التقليد للأئمة يورث الغلو فيهم والعصمة لهم	٣٢٣
مناظرة الغافلين	٣٢٥
شبهة وجوابها : هل دعاء الأموات شرك اعتقادي أم عملي	٣٢٧
ما نسب للصنعاني من أنه رجع عن مدحه للشيخ ابن عبد الوهاب وبيان ضعفه وبطلانه	٣٢٧
الرد على ما نسب للصنعاني من شبه	٣٣٢
تقسيم ابن القيم الكفر إلى عملي واعتقادي	٣٣٥

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة